

الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث

محمد حسين آبل ياسين
مدرس في قسم اللغة العربية في كلية الآداب
بجامعة بغداد

الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث

محمد حسين آل ياسين
مدرس في قسم اللغة العربية في كلية الآداب
بجامعة بغداد

منقورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

* جميع الحقوق محفوظة للمؤلف .

* الطبعة الاولى - بيروت : .. ١٤ هـ / ١٩٨٠ م .

الامراء

الى استاذي الاكبر

أبي

الشيخ محمد حسن آل ياسين

اعترافاً بأبوته النادرة

محمد حسين آل ياسين

هذا الكتاب رسالة جامعية قدّمت لنيل شهادة (دكتوراه آداب في اللغة العربية) وقد ناقشتها مناقشة علنية ظهر يوم الأربعاء ١٧ / ٥ / ١٩٧٨ لجنة مؤلفة من :

- | | |
|--------|---------------------------------------|
| رئيساً | ١ - الدكتور ابراهيم السامرائي |
| عضواً | ٢ - الدكتور مهدي المخزومي |
| عضواً | ٣ - الدكتور أحمد ناجي القيسي |
| عضواً | ٤ - الاستاذ ابراهيم الوائلي |
| عضواً | ٥ - الدكتور فاضل السامرائي (المشرف) |

ومنحتها اللجنة الدرجة العلمية بتقدير (امتياز)

مقدم

الأستاذ العلامة الدكتور محمد بن النخوي

عرفت الدكتور محمد حسين آل ياسين ، أول ما عرفته ، طالباً في السنة الرابعة من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة بغداد ، ولفت نظري إليه نشاطه الأدبي والاجتماعي ، فلم يكف يخلو احتفال تقيمه كلية الآداب ، أو يقيم قسم اللغة العربية فيها من اسمه اللامع بين أسماء المتبارين أو المحتفلين . وانتهى العام ونجح في القسم نجاحاً أخذ بيده إلى الدراسات العليا ، لتنظمه مرحلة الماجستير مع الصفوة الصاعدة من زملائه وأقرانه المتفوقين .

وقد لفت نظري في هذه المرحلة اهتمامه باللغة العربية ودراساتها ، وفقه اللغة خاصة ، فقد اختار لرسائله في الماجستير موضوعاً لغوياً نظرياً هو الأضداد في اللغة ، فأشفت عليه ، ولكنه اجتاز مرحلته هذه بنفوق أيضاً . فقد كان وفي موضوع رسالته حقه من التتبع ، والدرس ، والنقد ، واستخدم مصادر دراسته ومراجعها استخداماً جيداً ، وصبر عليها صبراً جميلاً .

وهذه انجلمه مع موضوع رسالته في الماجستير إلى تلمس أصالة العربية ، وأصالة العرب في دراساتهم وحسن تناولهم موضوعات العربية بالدرس ، وقوة التحمل في البحث والتتبع ، وصدق النتائج التي توصلوا إليها ، ودقة النظر التي اتسموا بها .

ولم يرد لنفسه أن يسلك الدرب السهل ، أو يخوض مع الخائضين في دراسة

اللغويين المتأخرين أو دراسة أعمالهم ، فقد تعلم من موضوع رسالته في « المجستير » أن الدرس اللغوي الحي هو ما قلّمه الرواد أمثال الخليل والفراء وتلاميذهما ، وأن الدرس اللغوي في القرون المتأخرة أخذ يفقد أصالته ، كما فقد الدرس النحوي أصالته ، إذ تعاقب عليه دارسون مناطق ، وغزته الاعتبارات العقلية والفلسفية .

لقد ذهب الدرس الحي بذهب الدارسين الرواد ، وتوقف الدرس اللغوي الحي عند ما قلّمه أبو العباس ثعلب وأبو العباس المبرد ، ومعاصروهما وتلاميذهما ، أمثال ابن السكيت ، وأبي بكر بن الأثير ، وأبي بكر بن دريد وأبي عمر الزاهد ، وأبي منصور الأزهري ، وأبي الحسين بن فارس .

وقد استطاع الدكتور محمد حسين آل ياسين ، بذكائه وجدّه ومثابرته أن يلمّ بأصول الدراسات اللغوية واتجاهاتها المختلفة ، وأن ينجز مثل هذا العمل الذي تقدم به للدارسين ، وذوي الاهتمام بهذه اللغة الأصيلة الغنية بمنجزاتها ومعطياتها .

وقد كان يدرك عبقرية العربية ، وما لها من شأن في حياة العرب ، لأنها ديوانهم ، وسجل حضارتهم ، وكتاب تاريخهم في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، بل هي ديوان الإنسان في كل مكان ومن كل أمة ، لأنها كانت قد استوعبت كل الحضارات القديمة ، وتمثلتها ، وزادت عليها ، وألّت بكل تراث الماضي من علماء الأمم وفلاسفتها ، فما أجدر الدارسين أن يتناولوها بالدرس الفاحص الجاد ، وينعمقوا دراستها ، ويقفوا على جوانب أصالتها ، وعوامل قوتها وحيويتها ، أدرك الدكتور محمد حسين آل ياسين كل هذا ، ورأى أن يلمّ بهذه الدراسات اللغوية الأصيلة منذ نشأتها ، وأن يتوقف عند نهاية القرن الثالث ، لأنه رأى ، وما رآه صواب ، أن أكثر الدراسات اللغوية المتأخرة عن القرن الثالث لم تضيف شيئاً ذا بال ، ولم تقدّم جديداً أصيلاً .

وقد عقلها وتوكل ، وأقدم على عمل كبير ، يحدوه ذهن ذكي ناقد ، وعزم قوي جاهد ، أراد أن يلم بكل ما أنتج ، ويكل الاتجاهات في الدرس ، وكنت أشفق عليه أن يضيع أو يؤوب بالمكرور المعاد ، ولكنه استطاع أن ينجز عملاً علمياً جيداً في

شكله وموضوعه ، وان ينهج في دراسته منهجاً قوياً ، في لغة سليمة ، وعبارة متقاة وأسلوب عربي مبين ، وأن يصاحب الدرس اللغوي من بدايته الساذجة إلى أن صار درساً ناضجاً رصيناً ، أزعـم أنه كان المنبع الثـر الذي صدرت عنه الدراسات اللغوية الحديثة ، وأزعـم أن الدكتور محمد حسين كان قد نجح في أن يرسم له صورة مجلوة واضحة ، وأن يسد بما رسم نقصاً كبيراً ، ويضيف بما قلّم جديد أصيلاً .

لقد أب الدكتور محمد حسين من رحلته في رحاب البحث بهذا الكتاب القيم ، ورجع من طيته بهذا البحث العلمي الجاد الرصين ، وتوصل إلى نتائج جديدة يجدها الدارسون في ثنايا الفصول ، ولم ينحز إلى فئة من الدارسين دون فئة ، وكان رائده موضوعية استطاع معها أن يضع يده على تلك النتائج الجديدة .

وإني لعل ثقة أن الدارسين سيستقبلون هذا الكتاب استقبالا حسنا ، وينقدونه نقداً علمياً خالصاً ، وسيجدون فيه صورة واضحة لمسيرة الدراسات اللغوية عند العرب .

ولعل هذا البحث هو أول بحث جاد حاول أن يرصد مسيرة الدراسات اللغوية في اتجاهاتها المختلفة ، وفي مذاهب الدارسين المتباينة ، وإن ينظر إلى الدراسات اللغوية بـ (عين الطائر) حتى لا تفوته وجهة ، ولا تغفل منه ناحية . ولا أشك أن الدارسين سيجدون فيه ما يشدون ، وسيفيدون منه وما انطوى عليه من نتائج ، وإن المكتبة العربية ستجد منه ساداً لفراغ ، لأنه فيما أرى ، من أهم البحوث الجامعية الجامعة . ١٤/٥/١٩٧٩ مهدي المخزومي

« من تقرير الخبير الخارجي المكلف بتقويم الرسالة »

الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي

وبعد الاطلاع على هذه الرسالة ومتابعة أبوابها وفصولها ومراجعة القضايا التي تناولتها ، ثبت لي أن الموضوع قد أحسن تناوله على الرغم من كبره وصعوبته . وقد استطاع الطالب محمد حسين آل ياسين أن يلمّ بأطرافه ، وأن يستوعب جوانبه المختلفة ، وأن يفيد من المصادر المخطوطة والمطبوعة إفادة مستوعبة واعية . لقد ثبت بهذه الرسالة أن الطالب محمد حسين آل ياسين على معرفة عميقة بالتراث الدعوي العربي ، متمكن من بحث قصايده مدرك لطبيعة مشكلاته ، عارف بانعجاشات الباحثين ، وقادر أيضا على تجاوزها إلى الرأي الجديد الأصيل بالدليل العلمي .

ولهذا كله فإن الرسالة التي تقدم بها الطالب محمد حسين آل ياسين ترقى إلى مستوى درجة الدكتوراه ، وهي من الرسائل الممتازة في مجال الدراسات اللغوية العربية .

أ . د . محمود فهمي حجازي

كلية الآداب بجامعة القاهرة

المقدمة

- أسباب اختيار الموضوع
- خطة البحث
- منهج كتابته
- مصادره ومراجعته وما اعترضته من صعوبات
- شكر وامتنان

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمد الله على ما أنعم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم ، وبعد فحين نزل القرآن الكريم دستور الأمة ، تشاغل العرب به ، اذ أثمر الأوائيل منهم عن سواعدهم يتعهدونه بتفسير الفاظه وبيان أحكامه ، وأعقبهم آخرون غيلاري ، تناولوا نصه بالضبط اعراباً واعجماً ، بعد ان الموا في السن المسلمين الجدد زيفاً عن صواب قراءته ، وانحرفاً عن عربيت ، وورث جيل بعدهم ما خلف اسلافهم ، فزاد على آثارهم شيئاً جديداً ، وأضاف الى خطواتهم خطوات ، فتناول لغة القرآن بالدرس ، وقراءته بالبحث ، ووضع الاسس الاولى للدراسات اللغوية ، وظهرت في اعماله بوادر منهج اتخذ بالسو ، ثم صارت هذه الاعمال الاولى على ايدي تلاميذ هذا الجيل دراسات يتصف اكثر جوانبها بالصج ، واذا بها تمثل ميداناً علمياً واسعاً ، ترتع فيه الدراسات اللغوية عموماً المفهية والحوية والصرفية ، وشمل النطور هذه الدراسات مادة ومنهجاً ، فاحتلقت اتجاهاتها نعا لاحتلاف المؤثرات البيئية والفكرية ، فاستقر فيها منهجان لكل منهما خصائصه واسسه العلمية ، عرفا بمدرستي البصرة والكوفة اللتين كان لأعمال رجالهما الاثر الاكبر في صون اللغة وحفظها من الدروس . واذا كانت خدمة القرآن تمثل الحافز المباشر لقيام الدراسات اللغوية ، فان اثر هذا الحافز تضاعف حين اتخذت دوافع الدارسين تتمحور لحفظ العربية وصونها من الضياع .

ولئن كانت (الدراسات اللغوية عند العرب ، الى نهاية القرن الثالث) موضوعاً لرسالة الدكتوراه ، اني كنت اتوق الى حوضه منذ ان وضعت القلم مستهياً

من رسالة المجستير عن (الاضداد في اللغة) ، ذلك ان دراستي تلك وقفتي على مدى اصالة العرب في دراساتهم اللغوية ، وتضج تنلولهم لموضوعاتها ، وتساين معالجاتهم لها ، حتى وجدتني مدفوعاً الى احتيلار ما اخترته من موضوع لرسالتي اللاحقة ، لازيد من نصاعة تلك الحقائق بما يبيته التوسع في دراسة آثار العرب اللغوية . ومما عمق في نفسي هذا الاحتيلار اني وجدت اكثر الدراسات اللغوية المتأخرة عن القرن الثالث لم يصف شيئاً ذا بال على ما ابدعه علماء القرون المتقدمة ، اذ لا يعدوا ان يكون اغلب اعمالهم ترسياً لأعمال السلف او شرحاً لها او اختصاراً لملادتها او ما اشبه ذلك ، الا ما قل منها مما كان على جانب من الجدة والاضافة .

وكننت منذ عهد الطلب الأول ميالا الى تناول الموضوعات اللغوية والخوض في غمارها ، دون سواها من الموضوعات ، وربما كان لهذا الشغف المتعاطف في نفسي اثره في الاقدام على مثل هذا الموضوع . يقويه ما وجدته من حاجة المكتبة اللغوية الى هذه الدراسة المتواضعة التي حاولت ان ترصد تطور الدراسات اللغوية مادة ومنهجاً ، كاشفة عن اصالة هذه الدراسات ونضجها المبكر ، داعية الى ان يكون البنية الجديد معتمداً على تلك الاسس القديمة المثينة .

...

تنقسم الرسالة الى مقدمة واربعة ابواب وخاتمة ، اما المقدمة - وهي التي اتحدث فيها الآن - فلودعتها الكلام على اسباب اختيار الموضوع ، وعرضاً لأبوابه وفصوله ، ومصادره المختلفة ، ومهجي في البحث وختمتها بالشكر لمن هو اهله

ونخصت الباب الاول للبحث في بيئة الدراسة اللغوية وطلائعها ، فتولت في الفصل الاول البيئة العامة ، متحدثاً فيه عن جوانب من تاربيع العربية ، وفصاحة العرب في الجاهلية ، وطروء اللحن على السنة بعضهم ، وبطور هذا اللحن مفرماً من العامة ، وموقف ولاية الأمر منه ، وختمت بالكلام على بيته للمصريين البصرة والكوفة الاجتماعية والثقافية . وتناولت في الفصل الثاني طلائع الدرس اللغوي

معرضت للنمط والاعجام والشكل ، ووضع النحو والاختلاف في واضحه ، ثم درست نشأة الرواية وتطور مراحلها ، وعرضت لمشاهير الرواة ، وافتتحت مسرداً باسماء الاعراب الفصحاء الذين اعتمدتهم اللغويون ، ثم تكلمت على اختلاط الدراسات اللغوية وانفصالها من خلال عرض اختصاصات الدارسين الأوائل المتعددة ، ناصراً على بواكر استقلال الموضوعات ، وختمت الفصل ببحث موضوع الاصالة والتأثر في دراسات العرب ، وانتهيت الى اصالة هذه الدراسات كما اشرت في هذه المقدمة .

اما الباب الثاني فمقدنه للتأليف ، خصصت الفصل الاول منه للدراسة التأليف المحتلط ، وعرضت فيه الى موضوعين وضع فيها العرب مؤلفاتهم ، وأوضححت ظواهر اختلاط الدرس في هذين الموضوعين المختارين ، متتبعة في كل منهما مؤلفاته من اوليتها الى نهاية القرن الثالث . ثم جعلت الفصل الثاني مقصوراً على دراسة الرسائل اللغوية المستقلة ، مختاراً لها الموضوعات المختلفة ، متتبعة تطورها ، كالذي فعلته في الفصل السابق . ثم محضت الفصل الثالث للمعجمات ، فدرست فيه تطور مصطلح (المعجم) ، وذكرت الاسم التي سبقت الى وضع المعجم ، وعرضت الى ما وصل اليها خيره من المعجمات اللغوية الى نهاية القرن الثالث ، ودرست ما وصل اليها منها ، منسبة اياها على قسمين معجمات الالفاظ ومعجمات المعاني .

وكان الباب الثالث لدراسة الاسس المهيجية واختلاف اللغويين فيها ، درست في الفصل الاول الاسس المهيجية في دراسة اللغة ، فعرضت للاستفراء وموقف اللغويين من مراتب الفئات في الفصاحة ، وموقفهم من قريش خاصة ، ثم عرضت لاختلاف اللهجات ومظاهره ، لاخلص الى انه لا خلاف في الاساس بينها ، سوى بعض الظواهر الصوتية والبنوية والاعرابية ، ثم عرجت ادرس الشوهد التي اعتمدها اللغويون ، واختلاف مواقفهم منها ، ثم ذكرت النتائج العلمية لثروة على ذلك ، وتكلمت على التقدير والتأويل والعامل والتعليل ، والسماح والقياس ، مبيناً وجه التعسف في الأخذ بهذه الاسس في دراسة اللغة ،

وانتهيت الى الكلام على المنهجين الوصفي والتعليل في الدراسة وجعلت الفصل الثاني للكلام على اشهر اللغويين مترجماً لهم ، وعلى الملامح المدرسية في اللغة ، محدداً معنى المدرسة ، وذاكراً اهم ما يتميز به منهج البصريين ومنهج الكوفيين متاولاً اهم المسائل اللغوية التي اختلفوا فيها .

اما الباب الرابع فتناولت فيه موضوع تهويم الدراسة القديمة في ضوء الدراسة الحديثة ، فدرست في الفصل الاول منه مصطلح فقه اللغة وتطوره وموارثه بمصطلحي منه اللغة وعلم اللغة الحديثين ، ثم وازنت بين موضوعات الدراسات اللغوية القديمة والموضوعات الحديثة ، وعرضت الى نماذج من المعالجات اورد فيها بين الدراستين . وخصصت الفصل الثاني لدراسة موقف اللغويين العرب من اللغات السامية ومدى استخدامهم لها في دراساتهم في العربية ، فبدأت بمقدمة موجزة أعرف فيها اللغات السامية ، ثم ذكرت معرفة العرب بقراءة هذه اللغات واثار هذه المعرفة ، وعدت التحدث عن جهل العرب باللغات السامية واثار هذا الجهل على الدرس اللغوي ، وختمت الفصل بمقد موازنة بين الخليل وابن جني وابراهيم أنيس ، تسهم في تبين تطور الدرس اللغوي .

وختمت الرسالة بخاتمة اودعتها ذكر النتائج العامة والخاصة التي توصل اليها البحث ، والجديد فيه .

...

وكان من منهجي في البحث الاقتصار على الجانب اللغوي الخاص في الدراسات اللغوية عند العرب دون النحو والصرف ، وهو الجانب المعنى بالدراسات النحوية والمعجمية في اللغة . ذلك ان النحو والصرف مستقلان عن المراحل الاولى في دراسات العرب اللغوية . على اني كنت اعرج اليها أحياناً حين أجد ان الدقة تقتضي ذلك ، كالذي فعلت في الباب الثالث ، اذ رأيت ان من الاسس المنهجية ما تشترك فيه الدراسات اللغوية والنحوية ، وان لبعض هذه الاسس في النحواثراً واضحاً في دراسة اللغة .

وكان من منهجي - وهو ما يشير اليه العنوان - ان اقف عند نهاية القرن الثالث وهو ما التزمت في الباب الثاني المعقود للتأليف التزاماً دقيقاً ، وهذا ما يقتضيه طبيعة الدرس في هذا الباب ، سوى ما كنت اكسح به دراستي لبعض الكتب من الاشارة الى تأثيرها فيما وضع بعدها من مؤلفات خلال العرون اللاحقة . غير انني جزت القرن الثالث في كثير من الاحيان في البابين الثالث والرابع ، حين اعرض لطاهرة توعلت بعيداً عن نهاية هذا القرن ، فكنت اتبع ملاحظها استقصاء لاثارها

واخذت في هذه الرسالة بالمنهج التاريخي في مواكبة التطور ، بادناً في كل ما عرضت له من موضوع او تأليف او منهج بالنشأة الاولى مرافقاً له في مسيرته الزمنية صعوداً وهبوطاً ، ابداعاً وتقليداً ، حتى اقف عند الموضع الذي يفرضه البحث راسماً له ما يسمى في المصطلح الحديث (خطأ بيانياً) واصحاً ، دون ان تنصير عنائتي على الجانب المضيء او المظلم من هذا التطور فتفقد صورته نقصاً مضطربة .

ومن الطبيعي ان تشعب مصادر هذا البحث وتوسع ، قدر تشعب الموضوع وسعته ، ولا يخلو الرجوع اليها من نصب كبير ، يتمثل بعضه في الوقوف على المخطوط منها ، او في الحصول على طبعته القديمة ، وكثير منها مفتقر الى التحقيق العلمي والفهارس المسرة . ويتمثل بعضه الآخر في صعوبة استقاء الحقائق منها ، وهي ضائعة في خضم التبعص المدرسي والخلافات العلمية ، اذ يكلفنا التثبت من صحة الرأي المأثور في كتاب ينحاز مؤلفه عليه عناء ليس باليسير . ويتمثل بعضه ايضا في سكوت بعض المصادر عن كثير من المعلومات المهمة كسبة اللهجات الى قبائلها ، او نسبة الشواهد الى قائلها ، او نسبة الآراء الى اصحابها ، مما يفوت على الدرس نتائج نافعة .

واهم هذه المصادر هي الكتب المدرسية في هذه الرسالة ، وهي مختلفة الموضوع ، تررعت بحسب مواضعها من البحث ، ومثلها ما وصل اليها من

المؤلفات الأخرى لأصحاب تلك الكتب نستعين بهذه على دراسة تلك ، وكذلك
الكتب التي تأخرت عن العرن الثالث الموضوع في أغراض الكتب المتقدمة ، ثم
يضيء لنا درب الدراسة . إضافة إلى ما احتجنا إليه في دراسة المنهج وتقويمه من كتب
اللغة المختلفة والنحو والصرف ، وكتب الطبقات والتراجم والتاريخ ، ودواوين
الشعر ، وفهارس الكتب والمعلومات ، والمجلات والدوريات ، وغيرها كثير مما صممه
فهرس المصادر في حتام الرسالة .

وأعادت هذه الرسالة من المراجع الحديثة التي عالجت جوانب مختلفة مما عالجت
هي ، وإن اختلفت معها في الأسلوب والنتائج ، وقد أعانني بعضها عن الخوض في
الموضوعات المتشابهة فيه تجنباً للتكرار .

ولا يسعني في حتام هذه المقدمة إلا أن أسجل عظيم شكري للاستاذ المشرف
الدكتور فاضل صالح السامرائي على ما لولانيه من رعاية صداقة وتوجيه سديد ،
كان لها الأثر الكبير في بلوغ البحث ما بلغ إليه ، كما أتقدم بالشكر لمن مد لي يد
العون في إنجاز هذه الرسالة ، واحرص بالذكر الدكتور حاتم صالح الضامن الذي
أطلق يدي في مكتبته العامة استعير منها ما أشاء . وكل أمل أن أكون قد أضفت
برسالتني هذه إضافة جديدة للمكتبة اللغوية ، أسد فيها ثغرة متواضعة ، خدمة
للعربية الكريمة ، خير بانخل في سبيل ذلك بالجهد والوقت والعافية ، والله من وراء
القصد ، وهو ولي التوفيق .



الباب الأول

بِسْمِ الدِّرسِ اللُّغَوِيِّ وَطَلَانِهِ

الفصل الأول البيضة العائمة

الفصل الثاني طلائع الدرس اللغوي

الفصل الأول البيئة العامة

- مقدمة
- العربية
- الفصاحة
- اللحن
- العامية
- موقف ولاية الامر
- البصرة والكوفة

مقدمة :

لا بد ان تتوفر دواع معية لكي تنشأ دراسة من الدراسات ، ولا بد ان تكون هذه الدواعي متصلة بالظروف العامة لهذه الشأن ، ونعني بالظروف العامة البيئة الثقافية والاجتماعية والجغرافية وغيرها مما يحى لقيام هذا الدرس اوذاك . فاذا وجد هذا الجوهر الممهد لولادة الدراسة الجديدة ، وظهرت فيه الدوافع الخاصة الى هذه الدراسة ، تمت عملية الولادة على ايدي المعين بهذا الجانب من المعرفة . ومن الطبيعي ان تكون تلك الدراسة في بداية امرها قليلة المادة ، بعيدة عن العمق ، ثم تأخذ بالموثبات شيئاً فشيئاً حتى تسوي علماً متكاملأ مستملاً له اصول وفروع ، توضع فيها التصنيفات وتدون في مادنها الكتب .

وهذا يصدق تماماً على الدراسات اللغوية عند العرب ، التي كان لها من ثراء لغوية ونصحتها ، ومن اختلاف اللهجات فيها ، وما يردد به القرآن الكريم والشعر من مادة اولية مهمة ، وما كان عليه ولادة الامر والدارسون من استعداد عقلي ونفسي ، ما يمثل التربة الخصبة التي تهيأت لكي ينبت فيها الدرس اللغوي يانعاً مرهراً ، ثم توفرت الدوافع الخاصة التي كانت حكمة المرأء وصون اللغة من اللحن بررها جميعاً لهذا كله كانت نشأة الدرس اللغوي نشأة حتمية ، كما مسيين ذلك في هذا الفصل الذي قصرنا كلاماً فيه على البيئة العامة ، مدخرين للفصل الذي يليه لكلام على طلائع الدرس اللغوي واعماله المسكرة .

العربية :

اختلف الدارسون في تحديد تاريخ نشأة اللغة العربية ، فجاءة تحددها بتاريخ أول نقش عثر عليه مما يصح ان تنسب كتابته الى العربية ، و اخرى اهتمت ذلك ومالت الى تحديدها بأول نص شعري جاهلي وصل الينا . والحق ان العربية - وهي من اللغات السامية - تختلف عن اخواتها في غموض تاريخها القديم ، ولغات اليمن وكتابات القوش المكتشفة في النارة وزبد وغيرها - على قربها جميعا من العربية - لا يمكن ان تكون هي العربية المعروفة في النصوص الجاهلية ، وذلك لليون اللغوي والفكري الواسع الذي يفصل بين تلك وهذه^(١) .

وعلى هذا فالعربية التي نعرفها اليوم لا يرجع تاريخها الى ابعد من النصوص الجاهلية التي تضمنت الفكر العالي والحكمة ومكارم الاخلاق ، وهي اللغة التي سادت الجزيرة العربية قبل الاسلام بقرنين من الزمان تقريباً ، مستخدمة في الشعر والخط والامثال استخداماً يمكن ان نسميه موحداً بين شعراء القبائل المختلفة وخطبائها وكهانها ، وان وجدت هناك فروق لغوية بسيرة تشير الى خلاقات لهجية معينة . فلو انشئ العربى كان يعتمد الى هذه اللغة الموحدة متى اراد ان ينشئ ، وقد يميلها مستعملاً لهجته الخاصة عند التحدث والمخاطبة . وواضح مثال على هذه الوحدة اللغوية - على الرغم من ورود اشعار غير قليلة بلغات القبائل - هو الشعر ، ولعل السبب في ذلك يعود الى طبيعة الشعر وقبود تعميلاته وقوافيه ، اذ تقر هذه الوحدة وصوحاً في النثر لعدم وجود مثل هذه القيود فيه . يضاف الى ذلك انه لو كانت هناك لهجة محرفة عن سائر اللهجات لصعب على مشتها انخضاعها هذه القوافي المروصية الصارمة ، لذا بقيت لغة الشعر لغة فنية يقصدها معظم العرب قصداً^(٢) .

(١) انظر تاريخ اللغات السامية ١٧٥ واللغات السامية ٦٩ ودراسات في فقه اللغة ٥٥ ووجه اللغة ٩٢ - ٩٣ ومصون في فقه العربية ٣٥ - ٤٨ وفي اللهجات العربية ٣٣ - ٤٥

(٢) تاريخ اللغات السامية ٢٠٦ ومحاضرات الدكتور السمرائي (مدونتي) ١١ - ١٢

الفصاحة .

الذي يدل عليه البحث ان العرب في الجاهلية كانوا يعربون كلامهم رفعاً وبصاً وحرأً وحزماً ، وذلك بالسليقة التي فطروا عليها منذ نشأتهم في بيئة فصيحة اللسان سليمة البيان . حتى اصبح الاعراب لديهم من الملكات الراسخة ، وقد اطبع حسهم اللغوي عليه ، وكل خلاف في النطق بهذه السليقة ينولسان العربي عنه ، يقول ابو بكر الزبيدي : « ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من اسلامها ، تبرع في نظمها بالسحبة ، وتتكلم على السليقة ، حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار ، ودفنت الدواوين^(١) » والى مثل هذا ذهب ابن جني ايضاً^(٢) .

غير ان هناك بعض الاختلافات في ابدال الاصوات وفي اعراب الالفاظ بين بعض القبائل وبعضها الآخر ، والفرد العربي الناشئ في قبيلة ما يطلق بلفظه قبيلته ولسانه مطبوع على ذلك . هذا الاختلاف القليل يتمثل في اعمال بعض الاصوات او اهمالها ، او في اعمال بعض الاعمال او اهمالها كذلك ، كما في ما ولا ولات وان وليس ولعل وغيرها ، او في ابدال بعض اصوات الكلمة كما في سراط وصراط ، وصقر وزقر ، وغير ذلك مما سنأتي على درسه في مكانه .

وبدل البحث ايضاً على ان لغتهم هي الفصحى سواء كان ذلك بخطبهم وامثالهم ونصائحهم ومواظهم وسجع كهانهم ام في احاديثهم الدائرة فيما بينهم ، يقول ابن الاثير : « فكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً ، لا يتداخله خلل ولا يتطرق اليه الرلل ، الى ان فتحت الامصار ، وحالط العرب غير جسمهم . فخلطت المرق ، وامتزجت الالسن^(٣) » . غير ان لغتهم واسلوب الكلام فيها يختلف بحسب ظروف الكلام ، فهناك - كما أشرنا قبل قليل - لغة عالية هي لغة الادب والحكمة ، وتشمل الشعر والخط والامثال وسواها ، ولغة دائرية في

(١) غير المعروم ٤

(٢) الخصائص ٧٢/١ ، ٧٢٨ ، ٧٣٩

(٣) التهذيب في غريب الحديث ٣/١

الكلام والتفاهم هي لغة المحادثة أو اللغة الدارجة ، التي تصور ما يدور بينهم في اجتماعاتهم ومحادثاتهم ومعاملاتهم وما يتصل بذلك ، لأن القصد في مثل هذه اللغة الأحرى ليس البلاغة والايجاز والبيان العالي ورائى الكلام ، بل ان هذه الخصائص يهدف اليها في الشعر والخطب وامثالها ^(١) .

وقد ذهب كثير من علمائنا الاقدمين الى ان الفصاحة في عرب الجاهلية ليست على صفة واحدة . فهناك قبائل هي في المرتبة العليا من الفصاحة ، وهناك قبائل هي اقل منها فصاحة ، ومتناس ذلك يعود الى مواطن هذه القبائل فالقبائل التي تسكن اواسط الجزيرة الى شيء من جنوبيها اي بلاد العالية ، تعد فصحي قبائل لعرب ، وهي قبائل الحجاز وكنانة وهذيل وعطفان وهوازن وسليم وطى ونعيم واسد وقيس ، يقول الفارابي : « الذين عنهم نقلت اللغة العربية عنهم القندي ، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس ونعيم واسد فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الأعراب والتعريف . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين » ^(٢) . وقد احدث قواعد العربية عند وضعها في البصرة من مراجعة لغات هذه القبائل ، على اعتبار انها هي الفصحى ، ولغاتها هي الأكثر في الاستعمال .

اما القبائل التي تسكن اطراف الجزيرة العربية فهي اقل فصاحة واضعف لساناً وقد ظهرت الرحاوة في الستة مئذ العصر الجاهلي ، وذلك بسبب احتكاك هذه القبائل أو اختلاطها بالامم الأعجمية ، اما القبائل الاولى في وسط الجزيرة فقد عذمت هذا الاحتكاك والاختلاط وحررت الستة مئذ من الضعف ، يقول الفارابي بعد ذكره القبائل الفصحى : « ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم » ^(٣) . فقبائل ربيعة وتعلب ويكر وما شبه في

(١) في النسخات العربية ٤٧ والتطور اللغوي التاريخي ٢٨ ، ١١٧ وصول في لغة العرب ٦٢

(٢) الزهر ٢١١/١ والاعتراح ١٩

(٣) الزهر ٢١٢/١ والاعتراح ١٩ .

العراق احتكت وخالطت الفرس ، وقبائل العرب في الشام احتكت بالروم ، وقبائل العرب في اليمن احتكت بالاحباش ، والقبائل التي سكنت الشواطئ الشرقية من الجزيرة احتكت بمن يفد اليها عن طريق البحر من البلاد الاعجمية اي من الهند والصين لاسباب التجارة ، واكثر ما ظهر الضعف والزيغ في لغة الجاهليين انما كان في لغات هذه القبائل المستضعفة اللسان^(١) .

وقد مرت الاشارة الى انه الدارسين اعتمدوا لغات هذه القبائل في استساظ المواعيد اللغوية ، غير اهم وجدوا مع ذلك مخالقات لسانية لدى بعض افراد هذه القبائل ، بما يختلف عن لغات هذه القبائل او لغة قبيلتهم وقد جعل اللغويون هذه المحالقات انواعاً بحسب العلة والكثرة ، فمنها ما قالوا عنه انه قليل او ضعيف او نزر او شاذ ، فالقليل والضعيف اكثر استعمالاً بالطبع من النزر، والنزر اكثر من الشاذ^(٢) . وعلل بعضهم هذا الشاذ او النزر او الضعيف تعليلات مختلفة ، فمنهم من قال انها بقايا لغات منقرضة بقيت منها لوث في لسان الناطق بها ، ومنهم من رجع ان الناطق بها سها ونطق بها على خلاف ما يطق الاكثرون ، ومنهم من قال انه نطق بذلك عمداً اما على سبيل التندر او المخالفة المقصودة ، اما ابن جني فقد فسّر ذلك بتركيب اللغات اي تداخلها ، وحسب الفعل بذلك ، ورجع كل ما شذ من صيغه واوزانه الى انه لغات تداخلت وقات العربي معرفة ذلك^(٣) .

ومن الامثلة الشعرية المسوقة على ذلك قول الشاعر :

إنَّ مَنْ صَادَ عَقْعَقاً لِمَشُومٍ كَيْفَ مَنْ صَادَ عَقْعَقَانِ وَيَوْمٍ^(٤)

وقول الآخر : وقد قدم له ابن هشام بقوله : وقيل : اول لمن سمع بالبصرة :

لعل له عذراً وانت تلوم^(٥)

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٨٩ ولزهر ١/ ٢١٢

(٢) الايضاح : مسأله ٦٦ ولزهر ١/ ٢٢٤ .

(٣) الخصائص ١/ ٢٧٥ .

(٤) معي اللب ٦٩٩

(٥) معي اللب ٢٨٧

وقول كعب بن سهم الغنوي :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرًا لعل أبي الغولار منك قريب^(١)

وعلى عليه ابن هشام بأنه لغة منسوبة إلى عقيل^(٢) . وغير هذه الأمثلة كثير
وسأني في الباب الثالث إلى مناقشة الأسس المنهجية التي اعتمدها اللغويون في
استعراء اللغة .

اللعن :

اختلف الدارسون في وقوعه في الجاهلية ، أكان لحسن في هذا العصر أم لم
يكن ؟ واكبر الظن أنه قد وقع شيء منه ، وإن ذهب أكثر الدارسين إلى أنه لا لحن في
الجاهلية ، لأنهم يعدون اللحن بما ينافي الفصاحة ، ويعملون على توجيه هذا للحن
فيسمونه لغة شاذة أو نادرة ، ولا شك أن أمثال هذا قد ظهر كثيراً في لغات القبائل
التي كانت تسكن في أطراف الجزيرة العربية ، التي أشرنا إلى احتكاكها بما جاورها
من الأمم الأعجمية

ونقل أبو عبيد عن أبي ريد وغيره معاني كلمة اللحن فقال : « لحن لرجل
يلحن لحناً إذا تكلم بلمة ولحن له لحناً إذا قلت له قولاً يفقهه عنك ويخفى عن
غيره . ولحنه عنى لحناً أي فهمه ، ولحنه أنا أياء الحاناً . غيره (أي غير أبي زيد) :
لاحن الناس فاطنتهم ، ولحن الرجل : إذا أخطأ في الأعراب »^(٣) . وإلى هذا المعنى
الآخر ذهب الجوهري أيضاً^(٤) ، وابن منظور^(٥)

ويكاد يجمع القدامى على أنه لا لحن في الجاهلية ، ويحددون ظهور اللحن
بحدود ظهور الإسلام أو بعده بقليل ، يقول أبو بكر الزبيدي : « فاحتلط العربي
بالنظري ، والتقى الحجازي بالفارسي ، ودخل الدين احتلاط الأمم ، وسوقط

(١) نوافر أبي زيد ٣٧ ولمع الأمل ٨٢ وشرح شواهد المعنى : ٢٤٧/٣

(٢) مفى اللج ٢٨٦

(٣) المرويت للمصنف ٦٤٩

(٤) الصحاح ٢/١٩٣

(٥) لسان العرب ١٣/٣٨٠

سددان ، فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن في السة العوام^(١) ، وذهب مذهب
الفنماء المرحوم مصطفى صادق الرافعي من الباحثين المحدثين^(٢)

ومن الجانب الآخر فقد رأى استاذنا المرحوم كمال ابراهيم ان الذي يدل على
عسار للحن وارداً في الجاهلية او ان الزيف اللساني قد سمي لحناً ان لفظة (اللحن)
قد ستملت في الجاهلية ، ولا يوضح لفظ لغير مدلوله ومسماه^(٣) . فقد وردت في قول
سديد :

متعود لحنٌ بعيدٌ بكفه قلباً على عُسبٍ ذبلنٌ وبلن^(٤)

وان كان هذه اللفظة معان عدة اخرى ، منها تنظيم الكلام وهي اللحن
المعروفة ، ومنها ما يتعارف عليه افراد او اثنان في اشارات لفظية على مقاصد بينهم ،
ومنه قوله تعالى : (ولو نشاء لأرياكهم فلعرفتهم ولنعرفهم في لحن القول^(٥)) ،
حتى ان الجاحظ اشتبهت عليه هذه اللفظة فظنها خطأ في الاعراب في قول الشاعر
مائل بن اسماه :

منطق صائب وتلحن احباً نأوحير الكلام ما كان لحناً^(٦)

وعلق على هذا البيت في البيان والنير بقوله : ان اللحن من افواه الجوارى
مستملح^(٧) . ولكن قصد الشاعر ان هذه الجارية تعلق الكلام على وجه الصواب
وترتله ترتيلاً متناً احياناً . وبعد ان اشتهر الكتاب به على خطئه ، فقال : كيف لي
باصلاحه وقد انتشر في الأفق^(٨) ؟ وهناك دليل آخر وهو انه لا يمكن ان يكون من

(١) لحن العوام ٤

(٢) تاريخ أدب العرب ١/ ٢٣٩ ، ٢٤٢

(٣) محاضرات الاستاذ كمال ابراهيم (مطبوع) ١٦ .

(٤) قصائد ابن الاثيري ٢٤٠ ولسان العرب (لحن) ١٣ / ٣٨٠

(٥) سورة محمد ٣٠

(٦) محاسن ثعلب ٢ / ٩٩ واصناد ابن الاثيري ٢٤١ وسط اللآلي ١ / ١٦ .

(٧) البيان والبيان ١ / ١٢

(٨) الاعامى ١٦ / ٤٣ وتاريخ بغداد ١٢ / ٢١٤ وسط اللآلي ١ / ١٧ ولسان الرنقى ١ / ١٢ والروض الاتف ٢ / ١٩٠

المطلق اعتبار ما يقع فيه الجاهلي من خطأ لغة شاذة أو ضعيفة ، واعتبار هذا خطأ نفسه لنا بعد اسلامه بفترة وجيزة .

وروي ان وفداً جاهلياً النبي (ص) يعلن اسلامه ، فلما قام خطيبهم بين يديه يتكلم لحن في كلامه فاستغظموا لحنه ، وظهر اثر ذلك في وجه الرسول ايضاً ، وقال للوفد : « ارسلوا انحاكم فقد ضل (١) » . غير ان الذين رووا هذه الحادثة لم يذكرنا شيئاً عن هذا الوفد والعيلة التي يتسبب اليها واكبر الظن انها من القبائل القرية من الحجاز ومن مواطن الفصاحة ، لأن الحادثة كانت - كما يبدو - في بدء نشر الاسلام في اوساط الجزيرة العربية . واذا كان خطيب القوم وهو رئيسهم ويعده امصحبهم هكذا فكيف بسواه .

ووردت اخبار اللحن تشير الى وقوعه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، ذكراً انه مر على قوم يتدربون على الرمي ، فاستفح رميهم ، فقالوا له : « انا قوم متعلمين (٢) » . ومما ذكرنا ان أول لحن عرف في الكتابة والرسائل كان في كتاب ابي موسى الاشعري عامل عمر بن الخطاب على الكوفة ، اذ كتب كتابه : من ابو موسى الى الخليفة الثاني عمر . فرد عمر الكتاب ووقع في اسفله : اقسم عليك الا ما قمت كاتبك سوطاً . فلما جاء الكتاب الى الكاتب وسأل عن خطئه فيه ، قيل له : هو ما جاء في عنوانه . فاصلح عنوانه وارسله الى الخليفة عمر فقبله (٣) .

ولما ارداد الفتح وانتقل الى اطراف الجزيرة العربية ، وهي مواطن ضعيف الالسة العربية والخطأ ، وبدى بفتح العراق ، ودخل الاعاصم في الاسلام ، وسكنوا المدن الاسلامية ولا سيما بعد تأسيس البصرة والكوفة ، اخذ اللحن يتشتر على نطاق واسع ، نتيجة هذا الاحتلال وتصحح المجتمع الاسلامي ولا سيما في البصرة ، واستوطنت البصرة قبائل عربية علة - واقوام اعجمية مختلفة - كما سأتني الى بسط ذلك - فشاعت ظاهرة اللحن ، وقيل . ان أول لحن ظهر بالامصار قوهم

(١) مراتب النحويين ٥ وكر المال ١/ ١٥١ ولج الأدلة ٩٦ والخصائص ٨/٢

(٢) اصفه ابن الاثيري ٢٢٤

(٣) مراتب النحويين ٦ وورد القيس ٣ والخصائص ٨/٢ واظر في نظار معاني اللحن . له ٢٣٥ ومن الخلف في صورة الدراسات اللغوية ١٩ - ٢٨ والاصدلا في اللغة ٧٠

(حُثِّي عَلَى الصَّلَاةِ) ، وَأَوَّلُ لَحْنٍ سَمِعَ فِي السَّادَةِ قَوْلُهُمْ : (سَقَطَتْ عَصَاتِي)^(١)

وَبَشَرَاءَ هَذِهِ الْمَجْتَمَعَاتِ أَوْ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَعَدَّدَ عُنَاصِرُهَا الْمَخْتَلِفَةُ تَحْتَ رَايَةِ
لِلْإِسْلَامِ - وَهَؤُلَاءِ الْأَعَاجِمُ بِطَبِيعَتِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ الْعَرَبِيَّةَ وَاحْتَلَوْا بِتَعَلُّمِهِمْ هَذِهِ
الْفَصَاحَةَ - انْتَشَرَ الْمَسْلَدُ اللَّغَوِيُّ عَلَى نَظَائِقِ وَاسِعٍ - يَقُولُ ابْنُ فَرَسٍ (ت ٣٩٥ هـ)
« فَأَمَّا اللَّحْنُ بِسُكُونِ الْحَاءِ ، فَاعَالَةُ الْكَلَامِ عَنْ جِهَتِهِ الصَّحِيحَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ
يُقَالُ لَحْنٌ لِحْنًا ، وَهَذَا عَمْدُنَا مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْلَدِ ، لِأَنَّ اللَّحْنَ مَحْدَثٌ لَمْ يَكُنْ فِي
الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِطَبَاعِهِمْ السَّلِيمَةِ »^(٢)

وَأَوَّلُ رِبْعٍ طَهَرَ فِي الْأَلْسَةِ تَسْكِينُ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ هَرَبًا مِنَ الْأَعْرَابِ^(٣) ، حَتَّى
تَسْرِبَ اللَّحْنُ نَلَى التَّلَاوَةِ فِي الْقُرْآنِ دَسْتُورَ الشَّرِيعَةِ وَمَنَارَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَآلِيهِ الْمَرْجِعُ فِي
الدِّينِ وَاللُّغَةِ ، وَاللَّحْنُ فِيهِ قَدْ يَخْلُ بِمَقَاصِدِ الْآيَاتِ الَّتِي يُلْحَنُ فِيهَا وَيُغَيَّرُ مِنَ الْمَعْنَى
الْمَقْصُودِ مِنَ الْآيَةِ ، ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ وَجُوهِ التَّعْبِيرِ تَخْتَلِفُ مَعَانِيهَا بِاِحْتِلَافِ الْأَعْرَابِ ،
كَأَنَّ تَقُولَ مَثَلًا : مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ وَمَا أَحْسَنَ زَيْدًا وَمَا أَحْسَنَ زَيْدٌ ، فَالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ
وَالْأَلْفَاظُ وَاحِدَةٌ ، فَقَوْلُنَا مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ نَفِيٌّ لِلْإِحْسَانِ عَنْهُ وَقَوْلُنَا مَا أَحْسَنَ زَيْدًا
تَعْجِبُ مِنَ حُسْنِهِ وَقَوْلُنَا مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ مَسْئَالٌ عَنْ أَحْسَنَ شَيْءٍ فِيهِ^(٤) . فَالْأَعْرَابُ كَمَا
تَرَى غَيْرَ مَعَانِي الْحَمَلَةِ تَغْيِيرًا تَامًا . وَلِهَذَا نَحْنُ إِذَا مَا حَفِزْنَا بِأَبَا الْأَسْوَدِ السُّدُوفِيِّ إِلَى
وَضَعِ لِعَرَبِيَّةٍ - كَمَا يَعْبُرُ الْقَدَمَاءُ - سَمَاعَهُ قَارِئًا يَفْرَأُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ قَوْلَهُ تَعَالَى :
(إِنَّ اللَّهَ يَرَى مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ)^(٥) بِالْكَسْرِ ، فَقَالَ : حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يُبْرَأَ مِنْ
رَسُولِهِ ، مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أَمْرَ السَّاسِ صَارَ إِلَى هَذَا^(٦) . وَقَدْ زَادَ اللَّحْنُ إِلَى دَرَجَةِ
أَنَّهُ طَهَرَ عَلَى لِسَانِ ابْنَتِهِ وَهِيَ الَّتِي مَشَتْ وَعَاشَتْ فِي بَيْتِ الْفَصَاحَةِ ، وَقِصَّةُ قَوْلِهَا :
مَا جَمَلَ السَّمَاءُ - بِضَمِّ السَّادِ لِلْإِسْتِفْهَامِ وَهِيَ تَرِيدُ فَتَحَهَا لِلتَّعَمُّبِ - قِصَّةٌ
مَشْهُورَةٌ^(٧) .

(١) إصلاح مخطوط ٢٩٧ والبيان والنبش ٢/ ٢١٩ ومراتب النحويين ٩

(٢) مذهب اللغة ٥/ ٢٣٩

(٣) صفة اللغة (واقف) ١٣٢

(٤) لمع الأدلة ١٠٩

(٥) سورة النجم آية ٣

(٦) المعجم ٦٦ وأصل النحويين المصريين ١٢ ومراتب النحويين ٨ ومور القيس ٤

(٧) أخبار النحويين المصريين ١٩

العامة :

كان من اثر هذا الاختلاط الذي اشرنا اليه وانتشار اللحن والخطا في الالسة نشوء لغة للتخاطب بين عامة الناس لا تتقيد القصحي ، بل العرض منها مجرد التفاهم فيما بينهم في شؤ ونهم العامة والخاصة ، وهذه اللغة الباشنة كست ول ظهورها بطبيعة الحال اقرب الى القصحي ثم اخذت تبتعد بالتدريج عصراً بعد عصر بحسب المؤثرات الكثيرة التي عملت في ذلك . وقد كان من اوائل نشوئها بواخر اللحن بتسكين اواخر الكلم ثم اخذت عناصرها ومفوماتها تتوسع وتتعدد شيئاً فشيئاً ، ويمكن ان نوجز اهم مقومات هذه اللغة وعناصرها بما يأتي :

١ - اللحن في الالفاظ : وهو الخطا في الاعراب ، وهذا ما يتعلق بالنحو ، ثم الخطا في بنية الكلمة العربية من حيث الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والغلب والخطا في تحريك اواسط الفعل الثلاثي من صم او فتح او كسر ، وكذا الخطا في الاسماء وضبطها ضبطاً صحيحاً^(١) .

٢ - التسكين في اواخر الكلم : وهذه الظاهرة جرت متوافقة في الحقيقة مع ظهور اللحن ، ولكنها شئت اكثر بعد ظهوره ، لجهل العامة بالاعراب واحتلال الملكة . فاثروا تسكين اواخر الكلمة تخلفاً من اعرابها^(٢) .

٣ - الاختصار في الجمل . وذلك بسحت لفظة او لمطين ، كأحد حروف من هذه وتلك وتكوين لفظة او لمطين لاختصار الجملة ، والناس بطبيعتهم يميلون الى السرعة بالتفاهم فيحتصرون في التعبير .

٤ - دخول الفاظ اعجمية في الاستعمال : مع الالفاظ العربية ، وقد تكون هذه الالفاظ المستعملة منقولة عن اصلها الاعجمي بوضعها الاصلي او محرفة وليس المقصد ان تكون هذه الالفاظ قد دخلت العربية من القاموسية فحسب بل من اللغات الاعجمية الاخرى^(٣) .

(١) انظر الامثلة البيان والتبيين ١/ ١٦١ : ٧٢ ، ٧٣ وعبود الاعيار ٢/ ١٦٠

(٢) مع اللغة (ولى) ١٣٣ وعناصر الاستاذ كمال ابراهيم (مدوني) ١٤

(٣) البيان والتبيين ١/ ١٤١ ، ١٤٤

وبمرور الزمن اتسع نطاق هذه اللغة وكثر فيها الدخيل وتنوعت ، واصبح لكل اقليم من اقاليم العرب لغة علمية خاصة مستفادة من الاحوال الخاصة لذلك لاقليم ، وهذه الاحوال ترجع الى القبائل العربية التي سكنت هذا الاقليم ولعنتها ولهجتها ، والى الاقوال الاعجمية التي خالطتها عبر التاريخ ، فكان لهذا الموقع الجغرافي اثر مهم في ذلك ، وزاد هذا التباعد والتباين بين اللغات العامية في الاقطار العربية عصراً بعد عصر ، لان تلك المؤثرات اتخذت تتسع وتقوى عصراً بعد عصر ، وكلما بعدت الشقة بين قطر وقطر تباعدت اللهجة عن الاخرى فوجد مثلاً ان لهجة اهل العراق تغرب نوعاً ما عن لهجات اقاليم الجزيرة العربية والاردن وسوريا وغير ذلك ، ويتمادى اكثر عن لهجات شعوب شمالي افريقيا . حتى يكاد النعام يكون صعباً او متعسراً احياناً بين اصحاب اللهجات المتباعدة^(١) ، ولا جامع يجمع الالسة في التفاعل الا جامعة لغة القرآن وهي اللغة الفصحى السليمة

والخفيفة ان عامية اهل العراق وعامية شعوب شمالي افريقيا تأثرت اكثر من غيرها بالموجات الاعجمية التي حالطتها ، فكانت لعانتها هذه بعيدة عن الفصحى ، فقد دن العراق في عهود طويلة من تاريخه لحكم اعجمي منه الحكم الفارسي والديلمي والتتري والعثماني وغيرها ، وصيرته موحات من الخارج كثيرة فتأثرت السة اهد حلال التاريخ الطويل بكل ذلك ، فتجد في هذه اللغة كثيراً من الالفاظ الفارسية او التركية او الدبلية او الهندية ومنها ما لا نعرف له اصلاً ، والتحرير الذي جرى في هذه الالفاظ الدخيلة ابعدها عن معرفة اصولها الا بتحقيق دقيق^(٢)

هذا ما جرى من انتشار العامية في الامصار العربية ، اما اشتلوها في حريرة لعرب ولى البرادي فقد تأخر عن بداية ذلك في الامصار ، واستمرت الفصحى لغة هر سادية الى القرن الرابع الهجري . وبعد هذا العهد اتخذت العامية تتسرب الى سكن البرادي ايضاً وذلك بفعل الاحتلاط^(٣) وهذا الاحتلاط مه ما كان شيجة

(١) هذه اللة (١٠١) ١٤٠

(٢) هذه اللة (١٠١) ١٤٠ ، ١٤١

(٣) نط الفصل ١/٢

ثورات واضطرابات كانت تجري في الامصار العربية الاسلامية كثورات الرشح والفرامطة في جنوب العراق ، فاسهم كانوا اذا ضيقت عليهم الدولة الخاق الحاق الى الوادي وتفرقوا فيها ، فيصعب على حيوش الدولة ملاحقتهم فيها ، ويطردون هناك اشهر أو سنوات يستجمعون قواهم ويلعبون شتاتهم ويعيدون الكره على اطراف الدولة وهكذا^(١) وكان من الجهة الاخرى ان طريق البادية كان طريق فو من الحجاج الآتية من جهة الشرق الى بيت الله الحرام ، وقد جعلوه مسارل ومراحيل يفيمون اياماً ويختلطون بأهل البادية^(٢) ، فسرى كل ذلك من فساد الالسة الى الستهم عهدها بعد عهد حتى تم انتشار العامية على افواههم وانتساح العاصحي منها .

...

موقف ولاية الأمر

بعد ان كثر الخطأ في الالسة وطهرت العامية فكر أهل العربية الغياري على لغة العرب ولغة التزليل ورجال الدولة في اتخاذ ما يقاوم هذا التيار من خطر العامية حفاظاً على العاصحي لغة التزليل وقد كان ما فعلوه عاملاً فعالاً الى حد محدود في الحفاظ والصيانة ولكنهم لم يفضروا على هذا الخطأ الشائع وعلى تيار العامية ، غير انه في الاقل حفظ القرآن الكريم من الخطأ في تلاوته وحفظ لغة الكتابة والتاريخ ويمكننا ان نعد اهم ما فعلوه ما يأتي :

- ١ - وضع النحو وضوابط العربية على وجه عام ، واول ما وصفت نواة ذلك في مدينة البصرة التي كثر فيها هذا الزيغ اللعوي والخطأ في التلاوة ، وانتشرت فيها العامية بسبب منوطيها من الاعاجم والاعتلاطهم باباء العرب ، وكان بدء ذلك - على اكثر الروايات - على يد ابي الاسود الدؤلي ، مما سيأتي تفصيله فيما بعد
- ٢ - ما فعله بعض رجال الدولة من تعريب الدواوين ، فقد كانت دواوينها

(١) تاريخ الدولة الاسلامية ٢٢٦ - ٢٤٣ - ٢٨١

(٢) تاريخ الدولة الاسلامية ٢٤٤ - ٢٦٣

نكتسب كتبها واصطلاحاتها بلغات مختلفة غير عربية ، فكان ديوان العراف بالفرسية ، وديوان الشلم بالرومية وديوان مصر بالمبطية وهذا ما كان يتطلب ان يكون الاعاجم من اهل هذه اللغات هم القائمين على شؤون هذه الدواوين ، لاهم يحسنون لغتها واصطلاحاتها وتعرضوا في اساليبها ورسومها ، فلما تولى عبد الملك من مروان نهض بتعريب هذه الدواوين ثم تفويض امرها الى العرب او من يعلم العربية واحسها من غيرهم ، وقد اقتضى هذا الامر ان يقوم اساء الاعاجم بتعلم العربية واتقانها وضبطها للاستخدام في هذه الدواوين من اجل الارتقاء كما اقتضى العرب انفسهم ممن كانوا ضعاف الالسة ان يتقنوا ايضا الفصحى ويحسنوا الستهم من الخطأ ولا سيما في الكتابة ، فكان عمل عبد الملك هذا مما خدم اللغة العربية وباعثا من بواعث احيائها^(١) .

٣ - بعد ان كثر الخطأ واللحن وانتشرت العامة على الالسة بالامصار خاصة اخذ خلفاء الدولة وامراءها وقادتها وسراة الناس واشرافهم يحرصون على تشيئة ابنائهم على سلامة اللغة وفصاحة الالسة ولا سيما ابناء الخلفاء منهم ، لان من يقوم برعاية العرب لا بد ان يحسن لغة العرب ويحسن الكلام والخطابة فيها ، وذلك بحكم مركزه وخطب الناس في المواسم والاعياد وايلم الجمع بالخواص ، وكان اقبح لعيب عند العرب ان يسمعوها لحناً من امثال هؤلاء في كلامهم وخطبهم او في الآيات والاحاديث التي يستشهدون بها ، وكذلك الامر بالنسبة للولاة والقواد واشراف الناس وسراةهم حتى انهم كانوا يعدون من لا يحطأ عدداً^(٢) . والف بعض العلماء رسائل في لحن الخاصة ، وكانوا من قبل يؤلفون في لحن العامة ، لان اللحن كان قليلاً جداً على ألسنة الناس ، وعدوا ممن لا يلحن عبد الملك من مروان وشيبي الخارجي وعمرأ الشعبي وأيوب بن القزيرة^(٣) .

ونال محمد كثيراً من فصحاء العرب وخطباتهم على فصاحتهم كانوا يلحون ،

(١) طر : العربية (طك) ٢١

(٢) طر : العربية (طك) ٢١

(٣) عمود الاحبار ١/ ١٥٥ وحيوان النعمري ٢/ ٢٦١ ووفيات الاعيان ١/ ٣٩٩ .

كالججاج بن يوسف وحالد بن عبدالله الفسري من ولاية العراق فقد كانا يلحجان على فصاحتها^(١) . وقد سأل مرة الججاج بن يوسف يحيى بن يعمر: أأحسن؟ فقال
الأمير أجل من ذلك ، فقال : أقسمت عليك ألا ما قلت الحق . قال نعم
بلحسن فقال : وفيمن الحسن؟ قال : بكتاب الله . قال : وبأي آية سمعتني أحسن؟
قال : في قوله تعالى : (قل إن كان أبلاؤكم أو ابنلاؤكم أو أرواحكم أحب
اليكم)^(٢) فتلاه أحب بالضم ، فنضب الججاج وقال : لا جرم لا نسمع لي لحناً
أبدأ ، لا تساكني في بلد أنا فيه . فعينه قاضياً في خراسان^(٣) . وقال عبيدالميثاق
: أضر بنا حباً للوليد فلم يرسله للبادية^(٤) . وكان قد بعث أخته إليها فمشاوا على
سلامة اللسان ، ولما كبر الوليد نشأ كثير اللحن وعبر له المربين والمؤدبين ولكنه مع
ذلك لم يستطع تقويم لسانه^(٥) ، حتى أنه لما تورى الخلافة حطب الناس فقراً لآية :
(يا ليتها كانت القاضية) : (يا ليتها) بضم التاء وكان عمر بن عبدالعزير مع
الجالسين فقال له : عليك وراحنا الله منك^(٦)

وإذا كان رجال الدولة على هذا الصنيع في تقويم السنة ابتائها من بعثهم إلى
البادية فقد أصبحوا قدوة لغبرهم وخاصة القواد والأمراء وسراة الناس لينشأوا في
البادية على فصاحة اللسان وقوة الجبان وسلامة الأبدان ، وهي شعيرة من شعائر
العرب كان أهل الأمصار يأخذون بها فيرضعون أبناءهم في البادية لينشأوا فيها على
فصاحة اللسان وسلامة البدن ونحن نعلم أن الرسول (ص) كان ممن استرضع في
بني سعد وكان مما قاله في ذلك : « أنا أفصح العرب بيد أبي من قريش وأبي نشأت
في بني سعد بن بكر^(٧) » .

(١) معجم الأدباء ٢٥ / ١

(٢) سورة التوبة آية ٢٤

(٣) طبقات الشعراء ٦ وعيون الأخبار ٢ / ١٦٠ والبيان والبيان ٢ / ٢١٨ وطبقات المعربين والمؤدبين ٢٢ ودرره
الأدباء ٩

(٤) العقد الفريد ٢ / ١٩٢

(٥) البيان والبيان ٢ / ٢٠٤ والكامل ١٩٠ والوشح ٢١٧ ونقد النثر ١٢٣ وصبح الأعشى ١ / ١٦٨

(٦) البيان والبيان ٢ / ٢ ، ١٢٠ وعيون الأخبار ٢ / ١٥٨ ومعجم الأدباء ٢٥ / ١

(٧) الحديث في : غريب الحديث لأبي عبيد ١ / ١٤٠ والفتن ١ / ١٤١ والنهاية ١ / ١٠٣ والزهر ١ / ١٢٧

٤ - الاضهار الى القبائل ، وقد جرى على هذه السنة في الترويج كثير من سراة
السراة امراء الدولة فالتحقوا لهم ازواحاً من ساء القبائل وهن فصيحيات الالسن
ليشأ اسأؤهم على الفصاحة كما فعل معلوية بن ابي سعيان في الزواج من ميسون
الكلبية ام يريد . لأن هناك فرقاً بين ان ينشأ الناس في حجر ام اعجمية او هارسية
للسان وام عربية فصيحة اللسان^(١) . فكان هذا ايضاً عاملاً من عوامل نشأة الالباء
على الفصاحة

٥ - اهتمام الخلفاء والامراء بعلوم العربية واهمها الادب واللغة وصوابط النحو
وعقد المجالس والاسمار في ذلك . فمما لا ريب فيه ان العرب جميعاً حريصون اشد
الحرص على لغتهم وآدابهم . ويجدون اكبر المتعة في انشاء الشعر ومجالسة الشعراء
وسماع ما يقولون . ولما حدث علوم العربية احتفل العرب بعلوم اللغة والنحو
والصرف والعروض والقافية وعلوم البلاغة ، كما احتفلوا قبل ذلك بالتفسير
واحدث والقراءات ، لأن في علوم العربية هذه ضبط اصول لغتهم وحفظها من
الخلل والفساد . كما ان غير العرب من شتى صروف الاعاجم اقبلوا على هذه العلوم
يتعمقونها ويقيمون الستهم عليها ، لأن احكامها وانقائها من وسائل تقدمهم
وكسبهم وارتزاقهم ، وقد جرى خلفاء بني امية على ما كان عليه اسلافهم من العرب
في عقد الندوات الشعرية والاسمار مع الشعراء واللغويين والنحاة واهل العربية على
وجه عام وفتحوا ابوابهم لهم^(٢) .

وكن اكثر حاجتهم الى السنة الشعراء من مختلف القبائل يمتدحونهم وينشرون
في الناس مناقبهم ومآثرهم وهذه من حير الدعوات لهم ، فكان الشعر السائر بجرلة
الصحف السيارة اليوم او اجهزة الاعلام المعروفة بهذا العصر . والامويون كانوا
بحاجة ماسة الى مثل هذا لكثرة خصومهم ومخالفهم ، فاتخذوا من الشعراء السنة
قوالة وسيوفاً تدب عنهم ، ولم يقصر واغيا كانوا يتمتعون به هؤلاء الشعراء بل كانوا
يصاعمون جوائزهم ويقدرون عليهم العطايا والهبات المحتلطة فتكاثرت الشعراء على
ابوابهم .

(١) عيون الاحبار ٨/٤ والاغانى ١٧٨/١٤ .

(٢) انظر الزهر ١٧١/٢ والعربية (فاك) ٣١ وما بعدها

ويجهم كذلك ان يكون هؤلاء الشعراء يمثلون قبائل مختلفة ، لاجتداد
مائلهم اليهم ، غير انهم تحيروا منهم على الصفة اللازمة اكثرهم تقوى وفضلا في
الشعر وابلغهم واعلاهم كعبا بالقصاحة كالفرزدق وجريز والاحطل ، فكانوا اكثر
من غيرهم غشيلاً لمجالس الخلفاء^(١) .

وفتحوا ابوابهم كذلك لعلماء اللغة والنحو وعلوم العربية الاخرى اذا قدموا
عليهم ، وقد يستقدمونهم هم اذا وقع اختلاف في مسألة لغوية او نحوية ، فيقدمون
عليهم مكرمين ويخرجون عنهم في العطايا الوافرة^(٢) . وقد كانت هذه الشعيرة سبيل
كل الخلفاء في ذلك ، الا ما كان من عمر بن عبد العزيز فانه من زهده وورعه رأى ان
هذه الأموال الكثيرة وهي تصرف من بيت مال المسلمين تنفق على غير وجهها الشرعي
فمنعها عن الشعراء ، وكان اذا اتفق ان احد الشعراء اقبل عليه فانشدته شيئاً من
شعره اجازته بشيء من الدراهم من ماله الخاص ، وبعد وفاته عاد من بعده الى ما كان
عليه اسلافهم .

٦ - النقائص الشعرية ، وما افاد اللغة كذلك شعر النقائص الذي يمثل
الحرب الأهلية التي شبت نارها بين الشعراء وبخاصة بين جريز والفرزدق والراعي
والاحطل واتباعهم وانصارهم ، وكان الامويون من المشجعين عليها للشعراء ،
وهذه النقائص تمثل الجوانب المختلفة ، مها ما كان حسناً ممدوحاً ومنها ما كان سيئاً
مذموماً ، ولكن الامويين وجدوا فيها جوانب من امدحهم ونشر مآثرهم ، اذ كانت
هذه القصائد من اكثر شعر هؤلاء انتشاراً ونظائراً بين القائل ، لان الناس من اهالي
البادية والحضر اهتموا بها كل الاهتمام ، وتناقلوها في محاسنهم وتناشدوها في اندبتهم
واسمارهم ، وكان الشعراء يلقونها في المواسم والاسواق لان فيها شر مضائل ومفاحر
لقبيلة التي يتسبب اليها الشاعر ، كما ان فيها ذم لو هجو الشاعر الخصم وبشر
معاديه قبيلته ، فاثارت العصبية القبلية بين الناس . اما من محاسنها فذلك بما انتفت
من العاطف لغوية هائلة الاستعمال او غريبة فصهرتها او صفحتها واصبحت صالحة

(١) انظر مثلاً : ديوان جريز ٣ ، ٩ ، ٩٦ ، ٣٥٤ ، ٤٣١ وديوان الاحطل ١ / ٣٤ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٧٣

(٢) انظر الامثلة في : الزهر ١٧١ / ٢ ، ٢٤٠

الاستعمال . ويظهر أكثر ذلك في شعر الفرزدق حتى قالوا : ان الفرزدق احيا ثلثي اللغة ، ثم الى ما هنالك من غزل رقيق ووصف جيد في شعر جرير والاختل ، ومن الناحية الأخرى فإن فيها ذكرا عند التملح للأسلوب : نسب قبيلة الشاعر او الخص من نسب قبيلة من يهجو . وهي على العموم من الناحية الأدبية واللغوية كانت مفيدة ، كما انها احيت الأساليب الأدبية الرصينة العالية ، وهي من الناحية السبئية اشاعت المهجو للقدح والافحاش في ذكر العورات مما نهى الشرع الاسلامي عنه ، كما فيها هتك الاعراض والحرمان .

وقد بلغ المهجاء في هذه الفترة حدا كبيرا في تجاوزه حدود الآداب والاحلاق والعرف والشرع ونحن نعلم ان هذا الغرض من اغراض الشعر كان في الجاهلية ولكنه لم ينحدر الى هذا الدرك ، فقد كان أكثر ما يهجو به الشاعر خصمه او قبيلة الخصم هو التعبير بالجبن وعدم الحفاظ والفدر والقعود عن النجدة والبحل وذكر بعض المواقف للمهجو او القبيلة او آبائها او المعص من السب والحسب ، مع ان اعراف الجاهلية لم تفرض هذا الالتزام كما فرضه الاسلام ونهت عنه الشريعة^(١) .

وان الذي يهمننا من هذه النقائص هو ما يتصل باللغة والآداب من حيث الأسلوب والمفردات وتأنيس بعض الالفاظ الغريبة بصفتها في الاستعمال ، ومن حيث ما يتصل بتاريخ العرب ومعرفة انسابها وانساب قبائلها وابامها ووقائعها وابطال حروبها وغزواتها ، فان في هذا مجالا متسعا للمعنيين بمثل هذه الجوانب التاريخية من انساب العرب^(٢) . ولا شك ان ما شجع هؤلاء الشعراء على الانحدار الى هذا الدرك الأسفل هو ما نجم من اثرة المعصيات بين القبائل بحيث ادى الامر الى اتساع نطاق المهجاء بين الشعراء المتهاجين وتجاوز الحد المقبول اذ وجد مشجعا من رجال الدولة على ذلك ، كما ان طبيعة الحياة البدوية وطبيعة هؤلاء الشعراء في هذه الفترة من الزمن من حيث ضعف الوازع الديني في نفوسهم وابتعادهم عن معايير الورع والتقوى التي جاء بها الاسلام ، سهلت عليهم الخوض فيما حاصوا فيه^(٣) .

(١) اشعره والمحاوون في الخلطة ٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر مثلا : ديوان جرير ٧ ، ٧٥ ، ٩١ ، ٤٨٦ وديوان الاختل ١/١٤١ .

(٣) محاضرات المرحوم الاستاذ كمال ابراهيم (ملوثى) ١٨ .

البصرة :

تم تخصيص البصرة في صدر الاسلام أيام خلافة عمر بن الخطاب بادنه على يد عتة بن غزوان قائد الجيش العربي لفتح هذه المنطقة ودحر الفرس ، فقامت مكان (الحربية) وهو ميناء فارسي صغير ، وكان لها من موقعها الجغرافي المهم ومن كونها مركزا تجاريا يتوسط الشرق والغرب ما ساعد على نموها واتساعها بزمان قصير ، فهاجر اليها من هاجر من القبائل العربية وبخاصة من تميم وقريش وكثانة وثقيف وباهلة وبكر وعبد القيس والازد وغيرهم . كما سكنها الفرس الذين دخلوا الاسلام ، وهم - بلديء الامر - جيش سياه الاسواري المقهور ، وقد حالفوا عند استيطانهم البصرة بني تميم ، واستوطن البصرة ايضا جماعة من السند يسمون (الزط) ، وجماعة من النبط الاراميين (الصابئة) ، والسيابجة الوافدون من جنوب شرقي اسيا ، واليونانيون الذين تكاثروا منذ اسكنهم الاسكندر فيها في غزوه لهذه المنطقة ، والزنوج النازحون اليها من السودان وزنجبار ، وكانت هذه العناصر مجتمعة تكوّن مجتمع البصرة المشتغل بالتجارة والزراعة والصيد وغيرها من المهن^(١) .

ومن الطبيعي ان يكون نتيجة هذا المزيج من اللغات والثقافات والعادات تأثراً وتأثيراً واضحين في كل واحدة من هذه العناصر ، فلتعرب غلبة الدين واللغة وللفرس غلبة أسباب الحضارة من ملابس ومأكول وملعب وبناء وغير ذلك ، ولليونانيين واليهود غلبة الفلسفة والمطق والطب^(٢) ، وهكذا صار الطابع الذي يطبع المجتمع البصري مزيجاً من كل هذه الثقافات المتباينة ، وصورة بعثت عن النقاء العربي وصفاته لغة وادباً ونظماً وعادات ، حتى صار الخطأ في الكلام (اللحن) امراً مألوفاً جداً ، كما سبقت الاشارة الى ذلك اكثر من مرة .

اما حياة هذا العصر الثقافية فكانت تشمل مدارس قراءة القرآن وتفسيره^(٣) ، وحلقات في مساجد اتخذها المعلمون لتعليم الصبيان ، واختص نصر من هؤلاء

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٩٠ - ٥٩٧ وفتح البلدان ٣٤٦ - ٣٧٧

(٢) صافى الترك ٤٧

(٣) البيان والبيان ١ / ٣١٧ ، ٣٤٥

المعلمين بأسماء الولاة والقواد ، كما اهتم الناس بالشعر وتكوينه ، وظهرت في المساجد مجالس الوعظ والقصص يقوم بها رجال مختصون برعوا في هذا المجال^(١) . كما كان (المريد) وهو سوق في ظاهر البصرة من الاماكن المهمة في حياة البصرة الثقافية ، فقد اتخذ الشعراء - اضافة الى كونه سوقاً تجارية - ملتقى لهم ينشدون فيه اشعارهم ويسمعون من النقاد آراءهم ، وقد افادته اللغويون والرواة كثيراً وذلك للقيهم به الاعراب الوافدين من البادية ، واستغله اصحاب المذاهب لمناظراتهم والدعوة لعقائدهم ، اذ وجد في البصرة صراع فكري واضح بين احزاب المسلمين وخرقهم المذهبية^(٢)

الكوفة :

اما الكوفة فقد نصرت بعد البصرة بستين او ثلاث في خلافة عمر ايضاً ، على يد سعد بن ابي وقاص قائد الجيش العربي لحرب الفرس في العراق ، فاحتير مكانها عن شاطئ الفرات بحيث لا تفصلها عن العاصمة الاسلامية (المدينة المنورة) فواصل طبعية ، وكان اول من سكنها - بطبيعة الحال - هم العرب القادمين مع سعد لحرب الفرس وجلهم من اليانين والمصريين^(٣) . وسكن الكوفة الى جانب لعرب الفرس الذين كانوا يعيشون في هذه المنطقة ، وقد دخلوا الاسلام بعد ندهارهم امام جيش سعد ، وحالفوا العرب فيها ، وكانوا يسمون (الحمراء)^(٤) . وسكن الكوفة ايضاً جماعة من السريان الذين كانوا يستوطنون المنطقة ايضاً . وجماعة من النبط - كانوا في المنطقة كذلك - يتكلمون الآرامية ، اضافة الى جماعات من يهود ونصارى نجران . وكانت اشيع المهن في الكوفة للمصارفة (الصيرفة) ، واشتغل لليهود والنصارى مالياً ، والكوفة منطقة زراعية تعتمد على الماية بالبحيل ولهذا كثر فيها التارون وهم باعة التمر^(٥) .

(١) انظر : البيان والتبيين ٢٨٣ / ١

(٢) تاريخ الطبري ٩٠ / ٣ وما بعدها وانظر : الخليل بن احمد ١٥

(٣) معجم البلدان ١٩٦ / ٧ وانظر تاريخ الطبري ٩٨ / ٣

(٤) فتوح البلدان ٢٧٧

(٥) معجم البلدان ١٩٦ / ٧ وفتوح البلدان ٢٧٧ .

واختلفت طبيعة المزيج المصري في الكوفة عنها في البصرة ، فقاء
العصيات القبيلية في الكوفة وتفاقم روح التفاخر بالنسب والقبيلة ، ورسوخ بطره
الاردواء والاحتقار الى العناصر الاجنية العاملة فيها^(١) ، وما الى ذلك من صور
التوضع الطبقي في المجتمع الكوفي ، كل ذلك ععد عملية الاندماج والامتصهار التي
كان ينبغي ان تتم بين هذه الاقوام ، خلافا لما تم منها في البصرة التي قد يكون طابعها
التجاري مما سهل عملية الانصهار هذه^(٢) .

وتشبه الحياة الثقافية في الكوفة احتها في البصرة من عدة وجوه ، أهمها العناية
المشتركة بتدريس القرآن وقراءاته ، ففيها ثلاثة من القراء السبعة هم عاصم وحمره
والكسائي . وبالفقه واصوله اذ احتضنت الكوفة بمذهب ابي حنيفة الفقهي
وبالشعر وروايته وصناعة دواوينه ونقده وتقويمه ، الا ان الكوفة اتسعت بروية
الاشعار وأقوال العرب مقابل اتساع البصرة بدراسة الفلسفة وعلم الكلام . وكون
البصرة مرفأً تجارياً مردحاً بالعناصر الاجنية ، وفرياً من مدرسة (جديسبور)
التي كانت تدرس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية ، وفيها - اي لبصرة -
مترجمون امثال (ماسرجويه) الذي ترجم كتاباً في الطب بطلب من عمر بن
عبد العزيز ، وابن المقفع (ت ١٤٣) الذي يعرف الفارسية وقد ترجم منها كتاباً ،
وترجم من الهندية (كليله ودمنة) وترجم - كما رعموا - مطلق ارسطو طاليس^(٣) ،
اقول : ان كل ذلك في البصرة ساعد على نضج الدراسات العقلية والفلسفية
والكلامية ، التي كانت تغذيها ايضاً الصراعات المذهبية بين الطوائف الاسلامية ،
وذلك ما تفتقر اليه الكوفة التي كانت من الناحية الجغرافية اقل اهمية من البصرة ومن
الناحية الطيفية اكثر حساساً بها واعمق شعوراً بالتفوق العربي ، كما كانت منزل
الصحابة والمحدثين الذين قصدوها من حواضر الحجاز ، وسكن الرواة واصحاب
الاحبار والايام والشعراء ، ولهذا غلب على دروسها الاهتمام بالرواية والنقل وفن النظر
في العقليات والمطلق . واد تكون البصرة هي السبابة الى وضع الضوابط المحوية

(١) انظر : شعرات الذهب ١/ ١٠٨

(٢) مدرسة الكوفة ١٢ وما بعدها

(٣) المدلول النحوية ٢٠ وانظر . طعة هرام للكتاب (مقدمة المحقق)

الاولى لم تتأخر الكوفة عن هذه البداية بداية الدرس اللغوي الا قليلاً ، فاسر
حضر الرؤاسي (ت ١٨٧) صاحب كتاب (الفیصل) فی النحو ، الذي يعد من
اوائل شيوخ الكوفة واستاذ الكسائي (ت ١٨٩) كان تلميذاً لعيسى بن عمر وابي
عمر و بن العلاء اللذين كانا من شيوخ البصرة ، وكذلك معاذ الهراء (ت ١٩٠)
استاد الهراء (ت ٢٠٧) الذي وجه عنايته للتصريف كان تلميذاً للصريين
المذكورين والتحليل ويونس^(١) . ومثل الرؤاسي والهراء تلميذاهما الكسائي والهراء
في التلمذة للتحليل ويونس في البصرة .

يخلص من هذا المصل الذي عرضنا فيه لأهم المؤثرات التي ساعدت على
نشأة الدرس اللغوي ، الى ان العربية القصيدة قد طرأ عليها اللحن والخطأ ، ورد
هذا للحن بمرور الايام فشمع القرآن ولغة المحادثة ، مقترباً بالالسة شيئاً فشيئاً الى
عامية بعدت عن المصحح ، فتصدى الساسة الى الوقوف بوجه هذا التيار بما يملكون
من حول ، كما تصدى الشعر لذلك ، غير ان المجتمعات الحديثة التي تكونت في
البصرة والكوفة وما كان فيها من احتلاط لعربي وعصري وثقافي فرض على اولي الامر
والمعنيين دراسة هذا الامر دراسة جادة ، والقيام بوضع الصوابط اللسانية الاولى التي
من شأنها ان تعصم الافواه من الخطأ . فخدمة القرآن مصدر التشريع الاول ثم
صون العربية لغة الشعر والكلام هما الدافعان الرئيسان لنشأة الدرس اللغوي ،
ورغبة الحكام وظهور المجتمعات الجديدة هما المحركان المباشرين لقيام هذا الدرس .



(١) الفهرست ١٠٧ ومراتب النحويين ٢٤ وطبقات النحويين واللغويين ١٣٥ ونزهة الألباء ٥٤

الفصل الثامن

طرائع الدرس اللغوي

- مقدمة
- النقط والاعجام والشكل
- النحو وضعه وواضعه
- الرواية والرواة
- اختلاط الدراسات اللغوية وانفصالها
- الاصلالة والتأثر في الدرس اللغوي

مقدمة

كادت معارف العرب في الجاهلية تكون مقتصرة على الشعر وحفظه والخطب والأمثال وروايتهم ، واختبار حروبهم وإيادهم والتفاخر بأنسابهم ، وعندما جاء الإسلام وسع هذه المعارف ورادها بأفكار القرآن وتشريعاته وما تضمنه من أحكام ومنهج وأصول ومروءة . ومنذ نزول القرآن بدأت عبادة المسلمين به تفسيراً وجمعاً وصبطاً ودراسة ، وإذا تجاوزنا ما كان يقوم به الرسول (ص) وصحابه من تفسير الآيات وتوضيح مراميها وتيسير معانيها للمسلمين ، يكون العمل المنسوب لابن عباس بجمع غريب القرآن وشرحه في كتابه (غريب القرآن) أول ما وضع في هذا المجال . وكان اهتمامهم بجمعه وتوحيد نصه وأصحاً في إشارة عمر بن الخطاب على أبي بكر بجمع متفرق القرآن ، فجمع من جريد الحبل وصنّفه المسلمون الجمع الأول ، ثم أتم هذا العمل عثمان بتوحيد نصه وتعميمه على الأمصار وإحراق سائر نسخه الأخرى ، ليكون النص القرآني الموحد عاملاً في توحيد كلمة المسلمين من التفرق الذي يسببه اختلاف مصاحفهم .

النقط والإعجام والشكل

رأى المسلمون - معاً - على لغة التنزيل من اللحن - أن يسان القرآن بالنقط ، فتصدى زياد ابن أبيه وكان يومئذ والياً على العراق للقيام بهذه المهمة ، فطلب من أبي الأسود النخعي (ت ٦٩) أن يعمل على ضبط القرآن ، فاعتذر أبو الأسود بادية الأمر لما كان بينه وبين زياد من جفاء ، ثم وافق على القيام بما عهد

اليه ، فوضع نقطه الاعرابي للقرآن متخذاً لذلك كاتباً قطعاً حاذقاً من بني عد
 القيس ، وقال له : « اذا رأيتي قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على
 اعلاه ، وان ضمنت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت شفتي فاجعل
 النقطة من تحت الحرف ، فان اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة
 نقطتين . وابتدأ ابو الاسود المصحف حتى اتى على آخره ، بينا كان الكاتب يصع
 النقط يصنع بخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الآيات^(١) » ، وسمي هذا العمل
 (رسم العربية) .

واشاع تلاميذ ابي الاسود من قراء القرآن هذا العمل ، وهم نصر بن عاصم
 وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر وعبسة القيل وميمون الاقرن ، فهؤلاء
 « نقطوا للمصحف واخذ عنهم النقط وحفظ وضبط وقيد وعمل به واتبع فيه ستهم
 والقندي فيه بمذاهبيهم^(٢) » . ويدون فكرة النقط لم تكن جديدة كل الجدة ، فقد كان
 لاهل المدينة وأهل مكة نقطان يختلفان من نقط ابي الاسود تركوه واخذوا بنقط ابي
 الاسود الذي سمي احياناً بنقط البصرة^(٣) . ويدون ايضا ان يحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ)
 ونصر بن عاصم (ت ٨٨٩ هـ) « اول من نقط للناس بالبصرة ، واخذوا ذلك من
 ابي الاسود اذ كان السابق الى ذلك والمبتدئ به^(٤) » . ويدون عبارة ابي الاسود
 لكاتب (ضمنت شفتي وفتحتها وكسرتها) هي الواضحة لمصطلح الضمة والفتحة
 والكسرة^(٥) .

وعندما استتب الامر لهذا النقط في قراءة الناس للمصحف ، برزت مشكلة
 جديدة للمسلمين - على الاخص من غير العرب - في قراءة القرآن ، الا وهي مشكلة
 التمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم ، ذلك لأن السليقة لم تعد تسعف القارىء
 في التمييز بين الحروف المعجمة والمهملة ، فتصدى الخجاس وكان يومئذ والياً على

(١) المحكم ٣/ ٣ وايضاح الوهب والابتداء ١/ ٤١ وانشاء الرواة ١/ ٥ واحبار النحويين العرب ١٦

(٢) المحكم ١

(٣) المحكم ٧ - ٩

(٤) المحكم ١

(٥) المحكم ٤٣ وشرح الفصل ١/ ٧٧

العراق للقيام بهذه المهمة ، فتدب لذلك - على خلاف في الروايات - نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩) تلميذ أبي الأسود ، وطلب منه ان يعمل على حل هذا الاشكال^(١) ، فوضع نقطاً جديداً على حروف المصحف يميز بين الاحرف المتشابهة في الرسم ، منسماً بين مجموعات الحروف ناقطاً بعضها من فوق وبعضها من تحت ، حتى استكملت الحروف اعجازها وهو المعروف الى اليوم ، وسمي هذا النقط (نقط الاعحام) ، وينقط ابي الاسود الاعرابي ونقط نصر الاعجمي استطاع المسلمون ان يحصنوا القرآن بحصن منيع من اللحن والخطا .

وجاء الخليل بن احمد (ت ١٧٥) فطور نقط ابي الاسود ، وذلك بتغييره الى علامات اكثر دلالة على الاعراب ، فجعل للفتح الفأ مائلة فوق الحرف وللضم واواً صغيرة فوق الحرف ايضاً وللكسر باء صغيرة تحت الحرف وللتشديد شيناً صغيرة وللتخفيف خاء صغيرة ايضاً^(٢) ، وزاد هذه العلامات فوضع الهجز والروم والاشهام^(٣) ، منطلقاً في ذلك من رايه بان هذه العلامات انما تمثل الحروف التي اخذت منها ، وهي زائدة تلحق السواكن معية للنطق بها^(٤) . ونسب للخليل كتاب حاص في النقط وعمله واحكامه ، كما نسب لابي الاسود من قبله مختصر في ذلك^(٥) .

وقد توالى كتب العلماء في النقط من بعدها حتى وقفا على عشرة كتب الفتح خلال الفترة التي نحن ندرسها (القرون الثلاثة الاولى) ولم تصل جميعاً ، وهي كتب : ابي الاسود (ت ٦٩) والخليل (ت ١٧٥) وابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢١٢) وابي اسحاق ابراهيم بن يحيى اليزيدي (ت ٢٢٥) وابي عبدالله محمد بن يحيى اليزيدي (ت ٢٢٧) وابي عبدالرحمن عبدالله بن يحيى ليزيدي (ت ٢٣٧) وابي اسحاق ابراهيم بن سفيان الزياتي (ت ٢٤٩ هـ) وابي عبدالله محمد بن عيسى الاصهاتني (ت ٢٥٣) وابي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥)

(١) التصحيح والتعريف لأبي أحمد العسكري ١٠ وقال : امر الحاج نصر بن عاصم ابو يحيى بن نصر

(٢) المحكم ٧

(٣) يقع ١٢٥

(٤) نظر : كتاب ميبويه ٢ / ٣١٥

(٥) المحكم ٩٠٤ وانظر : وهم التباري في عمله هذا المختصر تليفاً في النحو : نزهة الايلاء ٥

وأي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢)^(١) . كما لم تصل كتب من ألف بعد هؤلاء (بعد القرن الثالث)^(٢) سوى كتاب أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤) المسمى (المعكم في نطق المصاحف) الذي نقل لنا لواء هؤلاء السابقين وذكر لنا تواليهم^(٣) .

وكان الدافع إلى النقط - كما اثرتنا - هو صون القرآن من اللحن الذي انتشر على السن الناس واخذ يتفاقم بمرور الأيام حتى خشي على لغة التزييل أن يصيبها من ذلك شيء يفسد أحكامها ونشريعاتها ، يقول أبو عمرو الداني موضحاً ذلك : « ان الذي دعا السلف رضي الله عنهم إلى نقط المصاحف ما شاهدوه من أهل عصرهم ، مع قريتهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها ، من فساد الستهم واختلاف الفظهم وتغير طباعهم ، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم ، وما حافيه مع مرور الأيام وتطاول الأزمان من تزيد ذلك وتصاعفه فيمن يأتي بعد ، ممن هو لا شك في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه ممن عرض له الفساد ، ودخل عليه اللحن ، لكي يرجع إلى نقطها ويصار إلى شكلها ، عند دخول الشكوك وعدم المعرفة ، ويتحقق بذلك اعراب الكلم ، وتذكر به كيفية الالفاظ^(٤) » .

ويجدر بنا أن نذكر أن النقط والشكل كانا معروفين لدى غير العرب من الساميين وغير الساميين فاللغة اليونانية القديمة عرفت الشكل في الحروف^(٥) ، ونقط السريان مصاحفهم وكتبهم المقدسة احترازاً من الخطأ في تلاوتها ، فالخطأ فيها يستلزم الكفر ، فأدعوا النقط فوق الحروف أو تحتها ، وهذا في الخط السرياني المعروف بالسطر نجلي ، وهو يشبه قلم المصاحف عبد السلمير^(٦) ومثل السريان ما فعله العبرانيون ، فقد نقطوا توراتهم وخبطوا كتبهم الدينية أيضاً^(٧) . فكانت

(١) انظر المعكم ٩٠٤ والفهرست ٣٥ ، ٥٨ وقلة الرواة ١٦٧/١ ، ٣٤٦ ، ٢٤٠/٢ ومجمع الأدباء ١٠١١ .
(٢) ٧٥/١١ ، ٣١/٢٠ ومبة الوعة ١٩٠

(٣) انظر المعكم ٢٣٠٩ والفهرست ٣٥ ولبه الرواة ٢٩٥/٢

(٤) هو كتاب مطبوع بمشق سنة ١٩٦٠ م بتعميم الدكتور حرة حسني

(٥) المعكم ١٨ - ١٩

(٦) البحث المعري عند العرب ٤٤ .

(٧) الفهرست ١٢

(٨) انظر ، تاريخ اللغات السامية ١٠٣ ودروس اللغة العبرية ٦٥ وقلة اللغة ٥٣

الدواع الى النقط في هذه اللغات جميعاً واحدة ، وقد تمت في ظروف متشابهة متعة
طريقة موحدة^(١)

النحو وضعه ووضعه

اشرنا الى ان النحو العربي نشأ بسبب التزيغ الذي طرأ على السنة العرب
والخطأ في تلاوة القرآن الكريم ، وذلك بعد اختلاط العرب بغيرهم من الامم
الاعجمية ، ولا سيما في الاقطار المجاورة للجزيرة ، ونشأة المجتمعات الكبيرة التي
جمعت احلاطاً مختلفة من الناس ، فنشأ من هذا الاختلاط في الحياة والاجتماع
الاختلاط اللغوي وطروق الفساد على السنة العرب وابتنائهم الناشئين في مثل هذه
المجتمعات ، وفي طليعة ذلك مجتمعات البصرة والكوفة وبغداد ، ولما كانت البصرة
اول مدينة مصرت في الاسلام وفي العراق كانت اسبق الى هذا الاختلاط وانتشار
الخطأ والفساد في الالسنه فكانت الداعية فيها الى نشأة ضوابط لسانية تصون السنتهم
من الخطأ في المنطق وفي التلاوة القرآنية اشد ، ولهذا قام الفياري على هذه اللغة وعلى
لغة التنزيل بالمبادرة الاولى في وضع هذه الضوابط .

غير ان العلماء والمؤرخين اختلفوا في الاولين الذين سبقوا الى هذا الوضع ،
ولكننا اذا تتبعنا كتب التراجم وما ذكره الرواة الفرييون الى هذا العصر ، نجد ان
كثرهم تنسب الوضع الاول الى ابي الاسود الدؤلي ، واحتلفوا في الواضعين
لاحرين اختلافات كثيرة ، كما اسم حين ذكروا ابا الاسود باعتباره الواضع الاول
لم يذكروه على الوجه القطعي ، اكان الوضع من نفسه او باشارة من سواه ، وقد
ذكرت طائفة من الرواة انه فعل ذلك باشارة من الامام علي ، كما انهم اختلفوا في ابي
الاسود اكان واحدا لقواعد نحوية لم تكن من قبل ام انه دون ما كان معروفاً منها ؟
حيث ان كثيراً من اولئك الرواة نسبوا اليه وضع (العربية) على وجه مطلق ،
فقالوا انه اول من وضع العربية . وعلى اعتبار ان ابا الاسود قد اعرب القرآن على
عهد رباذ من ابيه بالنقط رفعاً ونصباً وجراً وجزماً بالعلامات الفارقة التي وضعها فوق
الحرف او اسفله او بين يديه - كما مر قل قليل - قالوا من هذا ان ابا الاسود وضع

(١) المحكم (مقدمة الحق) ٢٩

العربية^(١) . وإلى جانب هذا ذهب غير قليل من الباحثين العرب والمستشرقين إلى أن أبا الأسود لم يضع القواعد بل جاء عمله هذا منبهلاً لأذهانهم إلى وضع تلك القواعد ، حيث أن الناس عندما وجدوا لفظة ترفع بحسب النقط تساءلوا عن سبب رفعها ، أو تنصب تساءلوا عن سبب نصبها وهكذا في الحالات الأخرى ، فجرهم هذا إلى معرفة ما يرفع من الألفاظ وما ينصب ويحذف ويحذف والتميز بين ذلك ، ثم إلى وضع القواعد في هذه المسائل ، وعلى رأي هؤلاء أن القواعد وضعت متأخرة عن عهد أبي الأسود^(٢) . ولكن أكثر الرواة المتقدمين لا يقرون مثل هذا لأنه ليس هناك ما يؤيده من سند تاريخي سوى الاجتهاد والحدس والتخمين .

ولما كان أبو الأسود قد أقام بالبصرة بعد تحصيلها وعين فيها قاضياً أو كاتباً قبل ذلك لعبد الله بن عباس على عهد عمر بن الخطاب ، شهد تطور هذه المدينة وتوسع المجتمع الإسلامي فيها وتزايد احتلاط العرب بغيرهم من الأمم التي بدأت تدخل الإسلام ، وكان كلما تكامل فتح العراق واحتل العرب يدخلون إلى بلاد العالم فاتحين وتدخل طوائف منه في الإسلام ، كان أكثر هؤلاء - من سكان العراق السابقين أو الطوائف بواسطة الفتح ودحوهم في الإسلام - يؤثرون الإقامة في البصرة ، وكان هذا من أسباب تضخم المجتمع الإسلامي فيها . وبعد أن انتقل ابن عباس إلى الحجاز وكل أمرها إلى أبي الأسود ، فكان أبو الأسود حاملاً عليها في أواخر خلافة عمر وعثمان ، ثم بعد ذلك لما كانت في عهد عثمان في السنين العشر الثانية الفتنه المعروفة واختلاف المسلمين وقتل عثمان وخروج معاوية بعد ولاية الإمام علي انهمى أبو الأسود إلى الإمام علي وحارب تحت لوائه وأبلى في حروبه بلاء حسناً ، وبطبيعة الحال فإن الإمام علياً بعد أن استتب له الأمر في العراق أبى أبا الأسود الدؤى في حملها عليها^(٣) .

ومن هذا نعلم أن أبا الأسود عاش في البصرة ودحاً غير قليل من الزمن وشهد هذا التطور في حياة البصرة الاجتماعية والعمرائية والثقافية ، ورأى كذلك ما

(١) انظر - أخبار النحويين البصريين ١٦ وأتية الرواة ١/٥ ومعجم الأديب ١٤/٤٩ وبعية الرعاة ٢/٢٢

(٢) انظر مثلاً ، د. رشوقي ضيف - الفلاس النحويين ١٦ .

(٣) الشعر والشعراء ٢/٦١٥ وبعية الرعاة ٢/٢٢ .

طرا على العربية والسنة العرب من انحراف عن الفصحى بشيوع الاخطاء وازدياد
الفساد اللغوي ، حتى القرآن الكريم لم يسلم من الخطأ في التلاوة فيه . وبخاصة
بناء العرب الناشئين في هذه المدينة ناهيك عن غيرهم ممن تعلم العربية وهو من غير
اهلها ، حتى ابنته لم تسلم من هذا الخطأ ، وأشرنا الى قصتها للمعروفة في الخطأ في
اعراب فعل التعجب . وقد كان ابو الاسود من اشد ما يكون حرصاً على لغة التنزيل
ولغة العرب ، فبعثه ذلك على ان يضع ضوابط لسانية لكل ما يسمع من خطأ ، وكان
من حلة ما وضع ما يرفع وما ينصب وما يجر من الاسماء ، والافعال وادوات
النصب والجر . ويذكر ابو حرب بن ابي الاسود عن ابيه انه كان كلما سمع خطأ
وضع له تصحيحاً . ولما نزل الامام علي البصرة ورأى خطأ الناس في كلامهم حتى
على الفصحى وعلى لغة التنزيل من الفساد ، لأن الجملة العربية تختلف بحسب
اعراب اجزائها ، فاذا اخطأ المخطيء في ذلك فات القصد واختلف المعنى كما في
جملة التعجب التي سقناها مثلاً عند الكلام على اهمية الضبط ، وامثالها كثيرة في سائر
الاجمل . فاذا لم تضبط اجزاء الجملة ضبطاً اعرابياً صحيحاً احتل للمعنى ، واذا كان
مثل هذا يقع في القرآن الكريم فان معنى الآية يتغير ويتغير القصد والحكم وفي ذلك
افساد للشرع وتضليل في الدين ، كما في الآية التي سمعها ابو الاسود وكان قارئاً
يقرا على قارعة الطريق : (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام من
رسوله ، وتكون بهذا معطوفة على المشركين ، والمعنى : إن الله بريء من المشركين
وبريء من رسوله وهذا عكس للمعنى المقصود . فلما سمع ابو الاسود ذلك هاله
الامر وقال : حاشا له ان يبرأ من رسوله ، وزجر القارئ وافهمه الصواب^(١) .

فالامام علي - كما يبدو من استقراء الاخبار - احس بهذا الخطر الداهم على
اللغة ، كما شعر به من قبل ابو الاسود ، فقال له : اني سمعت يبلدكم هذا خطأ من
مخالطة العرب لهذه الحمره ويريد بهم القوس ، ويقال : ان الامام علياً اخرج من
تحت بساطه صحيفة كتب بها ايضا بعض ما سمع الناس يلحنون به وتصحيح
ذلك ، ووضع لهذا بعض الضوابط في تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف ،

(١) المهرست ٦٦ والجار التحويين البحريين ١٢ ومراتب التحويين ٨ وورد القيس ٤ ونزهه الالاء ٣ وانه الرواة

والاسم الى ظاهر ومصر ، وتقسيات اخرى ، وتعاريف بعض الالفاظ بما يرفع او يصب او يحرق ، وقرأها ابو الاسود ، وقال الامام له : ضع ما هو على عرارها ونح هذا النحو فسمي هذا العلم نحواً . ثم ان ابا الاسود توسع بما وضع ثم عرصه على الامام واستحسن الامام ما عمل ، ولما نظر في احوات النصب لم يجد فيها (لكس) فقال له : واين لكس ؟ فقال ابو الاسود : ما كنت احسب انها منها . فقال . بل هي منها . وجمع بعد ذلك ما وضعه وتوسع فيه حتى كان من ذلك مجموعة دوسها في الصحائف سميت بـ (التعليقة)^(١) .

هذا ما كان من أمر الوضع . اما الواضع فأكثر الروايات على ان ابا الاسود هو الباديء بوضع هذا العلم ، وهو كذلك الباديء بتدوين شيء من اصوله وصوابه ، وقد قام بعد ان وضع نواته بتدريس تلك الاصول لطلابه ، وعمل على توسيع هذا العلم وانمااته بحسب ما اقتضته الحاجة التي دعت الى ذلك بسبب فساد اللسان وكثرة اللحن ، فاشتهر فريق من النابهين من اولئك الطلاب بوضع شيء من القواعد اضافة الى ما وضع ابو الاسود ، ومن ثم ذكرت روايات عدة نسبة النحو الى سواء ، منهم : عيسى بن عمر الثقفي وعبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي وعنبسة بن معدان الفيل وابوصمرو بن العلاء والخليل بن احمد الفراهيدي وغيرهم^(٢) . وقبل ان نناقش هذه الروايات ونصل الى من كان الواضع الاول لهذا العلم نذكر شيئاً من هذه الروايات الكثيرة التي اوردت نسبة النحو :

قال محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢) . « وكان اول من اسس العربية وفتح بابها وانجح سبيلها ووضع قياسها ابو الاسود اللؤلؤي » . ثم قال : « ووضع باب المعامل والمفعول والمصاف وحروف الجر والرفع (كذا) والنصب والجرم » . ثم قال بعد ذلك : « ثم كان بعده ابن ابي اسحاق الحضرمي ، فكان اول من يجمع النحو ومد القياس والعلل »^(٣) .

(١) الفهرست ٤٥ ونزهة الااليه ٥ وابتداء القرولة ٤ / ١ ومجمع الادبيات ٤٩ / ١٤

(٢) لس جي النحوي ٩٥ وما بعدها .

(٣) طبقات الشعراء (المقتضب) ص ٥

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦) : « وهو - يريد أبا الأسود - بعد
و الشعراء والتابعين والمحدثين والخلاء والمفاليح والنحويين لأنه أول من عمل في
النحو كتاباً »^(١).

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥) : « أول من وضع العربية
ونقط المصاحف أبو الأسود ، وسئل عن ارشده الى الوضع في النحو فقال : تلقيت
عن علي »^(٢).

وقال أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١) : « كان أول من رسم النحو أبو الأسود
نقوى ، أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكان أعلم الناس بكلام
العرب ، وأبو الأسود أول من نقط المصاحف واختلف الناس اليه يتعلمون العربية ،
وفرع لهم ما كان أصله »^(٣).

وقال أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨) : « أول من وضع العربية أبو الأسود
الديلمي »^(٤).

وقال محمد بن اسحاق الديرمي (ت ٣٨٠) : « زعم أكثر العلماء ان النحو أخذ
عن أبي الأسود النقوى ، وان أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب » . وروى عن ثعلب بخط ابن مقلة انه قال : « روى ابن لهيعة عن أبي
النضر قال : « كان عبدالرحمن بن هرمز أول من وضع العربية » . وقال : « قال
آخرون . رسم النحونصر بن عاصم النقوى ويقال الليثي »^(٥).

وقال أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧) في جملة رواياته : ان أبا الأسود شكك
فساد السنة العرب الى الخليفة عمر بن الخطاب وهو الذي أمره بوضع النحو وهي
رواية ضعيفة لم يؤيدها الكثير . غير انه مما ذكره في هذا ان الخليفة عمر بعث

(١) الشعر والشعراء ٦١٥/٢ وانظر : الأعيان (سلس) ١٠٢/١١ واسد الغابة ٧٠/٣

(٢) المحكم في نظم المصاحف ٦ - ٧ وطلقات النحويين واللمويين ١٣ والأصابع ٢٤١/٢

(٣) « أبي النحويين ٩ - ١٠ »

(٤) اختيار النحويين النصريين ١٦ ومعيجم الأدباء ٣٤/١٢

(٥) المهرست ٤٠

بكتاب الى علمه ابي موسى الاشعري يوصيه فيه ببعض الوصايا ليأخذ الناس بها ،
مها التدريب على الفروسية ومراجعة شعر العرب ، ويقول في آخرها « وليعلم ابو
الاسود الناس العربية^(١) ». يعقّد ملحقنا ان ايا البركات الانباري صرح في موضع
آخر برأي يخالف هذا فقال : « الا ان أول من وضع قواعد اصوله (اي النحو) ونه
على فروعه وفصوله ذلك الحبر العظيم علي بن ابي طالب^(٢) ».

وقال القفطي (ت ٦٤٦) : « ان ابا الاسود هو أول من استبسط النحو
واخرجه من العدم الى الوجود وانه رثي بخله ، فاستخرجه ولم يعره الى أحد من
قبله ، وعن قال ذلك محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم ، وكان كثير التفهيش
عن الامور القديمة كثير الرغبة في الكتب وجمعها^(٣) ».

وذكر غير هؤلاء من الرواة كابن خلكان نسبة النحو الى يحيى بن يعمر ونصر
ابن عاصم ايضاً . ولكن الأكثر كما اشرنا ورأينا هي نسبة الى ابي الاسود ، ويليها
الروايات التي تنسب الى ابن ابي اسحاق وعبدالرحمن بن هرمز وعيسى بن عمر .
ومن جاء بعد اولئك الرواة لم يخرجوا عن الروايات السابقة كابن حجر والسيوطي
وابن عساکر^(٤) .

وذهب ابن فارس (ت ٣٩٥) الى ان النحو كان من معارف العرب القديمة ،
غير انهم لم يكونوا في حاجة دافعة اليه بسبب ملائمتهم السليمة ، حتى ترك
وبخاصة بعد الاسلام مباشرة ، حيث شغلوا بالدين وبالفتوحات فنسيه الناس ،
حتى جاء ابو الاسود فبعثه من جديد^(٥) . وهو رأي لا يؤيده دليل من سند تاريخي او
منطقي ، وهو مثل زعمه ان العروض كان من معارف العرب القديمة ايضاً فتركوه
حتى جاء الخليل فأحياء ، ورأيه في العروض كراهيه في النحو لا يستند ايضاً الى أي

(١) نزهة الاكباد ٥ وما بعدها وتهذيب تاريخ ابن عساکر ١١٠ / ٧ والنحمة البهية والطرفة الشهية ص ٤٩

(٢) مع الادلة ٩٧

(٣) انباء الرواة ٧ / ١

(٤) رغب الاصفهان ٢١٦ / ٢ والاصابة ٢٣٣ / ٢ وطبقات النحويين واللمعين ١٥ وبنية الرواة ٢٢ / ٢ وتهذيب

تاريخ ابن عساکر ١١٠ / ٧ .

(٥) الصاحي في فقه اللغة ١٠

سند تاريخي او منطقي ، الا اذا كان المقصود من ذلك ان النحو كان سليفة عند العرب لا يحتاجون معها الى وضع ضوابط نحوية ، وكذلك العروض .

اما المتأخرون من المستشرقين والعرب فذهب كثير منهم الى ان ابا الاسود لم يصنع العربية ويبدأها ضوابط وقواعد^(١) ، وان ما نسب اليه من وضع هذه الضوابط والتعصيلات او ما اشار عليه به الامام علي من تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف ، وتقسيم الاسم الى ظاهر ومضمر وما ليس بظاهر ومضمر لا يمكن ان يصدق ، حيث زعموا ان هذه التقسيمات هي تقسيمات منطقية لا تسجيم وعقلية العرب في اول عصر الثقافة التي بدأوها ، وان هذه التحديدات والتعريفات والتقسيمات انما نشأت بعد ذلك ، اي بعد تطور الفكر العربي وتأثير الفلسفة والمنطق اليوناني على العقلية العربية ، ومعرفة شيء من اصول اللغات القديمة ، وجاءت بعض هذه القواعد لها مشابهاة من تلك الاصول . فاليونانية ايضا تقسم الكلمة الى اسم وكلمة ورباط ، والرباط هو الذي يربط بين مفردات الجمل كالحرف . ومن هذا ذهبوا الى ان ابا الاسود نه الاذهان الى وضع العربية وذلك بسبب ما قام به من نقط المصحف ، حيث وضع اشارات الى ما يرفع وينصب ويجر ويجزم من الكلمات ، فقالوا ان ابا الاسود اعرب القرآن ، وحار الناس اذا نساءلوا عن لفظة ترفع وسبب رفعها ، او تنصب وسبب نصبها ، قالوا العربية ان تكون كذا ، ومن ثم نعمتوا ابا الاسود بأنه وضع العربية .

الا ان هذا الرأي لا يسنده دليل مقبول ، بل دلت المصادر القديمة على عكس ما ذهب اليه اصحاب هذا الرأي ، فقد وجدنا من عرضنا لاغلب المصادر القديمة انها نعت علي ان ابا الاسود وضع ضوابط نحوية لولية باشارة من الامام في صحيفته المعروفة بالتعليقة ، وهو عمل مستقل عن وضعه النقط في القرآن ، واذا كما - ونحن نتأخر عن زمن وضع ابي الاسود للنحو هذه القرون الطويلة - لا غم لك غير هذه المصادر القرية العهد من ابي الاسود ، فلا يسعنا تجاوز ما اجمعت عليه في

(١) من هؤلاء : بروكلمان وليبان وجوزيف بلاتش وجرجي ريدهاد واحمد أمين وشرفي ضيف . انظر : نحوي الاسلام ٢/ ٢٨٧ والمجلد ١٦ و١٧ من مجلة الباع العدد ٩ السنة الاولى

هذا الخصوص . واما ما يتصل بالآثر اليوناني في تقسيم الكلمة العربية ، فلنا معه وقمة طويلة قلادة .

ومن الغريب ان يستكثر احد الباحثين على الامام علي ان يلتفت الى ضرورة وضع ضوابط نحوية ، بقوله وهو يقصد الامام : « وكأنه لم يكن مشغولاً حين ذهب الى العراق والكوفة ، باعداد الجيوش لحرب معاوية ، ولا كان مشغولاً بحروب الخوارج انما كان مشغولاً بالنحو ووضع رسومه واصوله وفصوله^(١) » . فالامام علي - كما يعلم الباحث - نزل البصرة في حرب الجمل ، ويعلم ما كان عليه اللحن في البصرة آنذاك ، فلماذا يستبعد ان يكون الامام قد سمع شيئاً منه في افواه الناس وفي قراءة القرآن ، فتنبه الى ضرورة تقويم هذه الافواه بوضع ضوابط لغوية تعصمها من اللحن ، وكان ابو الاسود اقرب واولى من يقوم بهذه المهمة لصحبته لعل واهتمامه بالقرآن . اضاف الى ذلك ان هذا الوضع الاول للسحو كان لا يخرج عن التعريفات الاولى . والتقسيم الساذج مما تفرضه طبيعة البدء ، ولم يكن « وضع الرسوم والاصول والفصول » كما عبر الباحث الكريم .

ثم يحاول هذا الباحث ان يجد تفسيراً لفيه هذه الفالة القديمة ، وتعليلها للروايات التي دارت حولها فيقول : « وقد يكون ذلك من صنع الشيعة ، وكأنهم ارادوا ان يضيفوا السحو الى شيعي قديم ، فارتفع به بعضهم الى علي بن ابي طالب ووقف به آخرون عند ابي الاسود صاحب الذي كان يتشيع له^(٢) » . وغريب ان يفوت الباحث المدقق ان جل من نسب وضع السحو الى ابي الاسود - بدافع منه او باشارة من الامام عليه - لم يكن شيعياً ، ووقوف عاجل على مؤلفي المصادر القديمة التي ذكرت ذلك ، بوضع ما اذهب اليه . وعدا ذلك فانه لا يمكن ان يقال عن الامام بانه « شيعي قديم » لأن الشيعة - في البحث التاريخي - مصطلح خاص اطلق على من تشيع للامام لا على الامام نفسه ، وعليه يكون نعت ابي الاسود بذلك صحيحاً

(١) شوقي صيف : المدارس النحوية ١٤

(٢) المدارس النحوية ١٥

الرواية والرواة

الرواية لغة : الاستقاء والاتيان بالماء ، يقال : رويت على اهلي ولا هلي ربا أي اتيتهم بالماء^(١) . والرواية : المزاغة فيها للماء ، والبعير لحمله المزاغة . وبانتقال مجال الدلالة تطورت اللفظة فاطلقت على سرقة القوم وسادتهم فهم الروايا واحدهم راوية ، لحملهم الدييات على الخي بالبعير الراوية ، ثم دخلت الرواية ميدان العمل الشموي ، يقال : روى الحديث يرويه رواية ، وروى الشعر يرويه بمعنى حمله وبعله^(٢) .

فالرواية بالمعنى الاصطلاحي هذا عملية جمع المادة اللغوية من افواه العرب الفصحاء ، بالذهاب اليهم في بواديهم او بلبقهم في الخواضر ، ثم نقل ذلك للدارسين من الطلاب . وعلى هذا الاساس فانها لم تبدأ قبل نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني . اما الرواية بشكلها الجاهلي القديم الذي استمر الى ما بعد الاسلام ، المتمثلة برواية الشعر وحفظه ورواية اخبار العرب وايامهم ، في (عكاظ) او في المجالس والندوات ، فانها ليست مما تعيه الرواية اللغوية اصطلاحاً ، وان كانت تمثل الجذور الاولى لضج الرواية فيما بعد . وعليه فلا يمكننا اعتبار ابي الاسود وتلاميذه من رواد الدرس اللغوي رواة بهذا المعنى لعدم قيامهم بمشاهدة العرب بقصد استقراء لغتهم .

ودفعت للرواية دوافع مختلفة ، منها التفسير اللغوي للقرآن ومن امثلته القديمة ما كان يفعل ابن عباس عند تفسيره الفاظ القرآن من استشهاده بالشعر^(٣) ، وكذلك عبدالله بن مسعود^(٤) ، وان تأخرت الرواية اللغوية عن عصرهما ، ومنها التفسير اللغوي للشعر^(٥) ، والتفسير اللغوي للحديث وغريبه ، فاستخدم اهل الحديث الرواية اللغوية في دروسهم بعد ان اخذت الرواية اللغوية شروط رواية الحديث ،

(١) كتاب العرب ١٤ / ٣٤٧ .

(٢) ملح المروس ١٠ / ١٥٨ .

(٣) انظر : الجامع لاحكام القرآن ١ / ٢٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٧٥ ، ٣٣٠ ، ٥١٥ .

(٥) انظر : الاغانى (دار الكتب) ١ / ٧٢ - ٧٣ .

فاعتبروا من اللغة متواتراً واحداً ومرسلاً ومنقطعاً وافراداً ، وكانت افقتها واحدة وهي التريد ، وشملها الوضع جميعاً^(١) . ومن دوافع الرواية ايضاً الاعتراض باللمة وصيانتها من اللحن ، ومنها توصل غير العرب اياها لتبواهم مكانة في المجتمع العربي وحير مثال على ذلك ابو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠) ، ومنها - احيراً - الحاجة العلمية ذاتها كوضع الضوابط النحوية بعد ان اصبح الدرس الدعوى عبثاً يطلب لذاته بعيداً عن دواعي خدمة القرآن .

وقد مرت الرواية اللغوية بمراحل ، كانت اولها رحلة اللعويين الى البادية ومبايعهم من العرب واقامتهم بين ظهرايتهم مدة تطول او تقصر ، ثم العودة الى موطن الدرس في الحواضر لعرض المادة في المجالس والحلقات واملائها على الطلاب واشاعتها في الناس . وكانت البصرة ومن بعدها بئدة قصيرة الكوفة المصيرين السابقين للرواية في هذه المرحلة ، وقد اعادت منها بغداد عن طريق هجرة العلماء اليها ونزوح الاعراب الفصحاء للتفيؤ بظلها .

فاللغويون الأوائل - وجلهم من الفراء الحاة - هم الرواة الأوائل الذين رحلوا الى البادية ، فابن ابي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧) وتلميذاه عيسى بن عمر (١٤٩) وابو عمرو بن العلاء (١٥٤) وتلميذا عيسى الخليل بن احمد (١٧٥) ويونس (١٨٢) وتلميذا ابي عمرو بن العلاء ابو زيد الانصاري (٢١٥) والضمر بن شميل (٢٠٣) وغيرهم من البصريين والكسائي (١٨٩) وتلميذه لعراء (٢٠٧) وابو عمرو الشيباني (٢٠٦) وابن الاعرابي (٢٣١) وغيرهم من الكوفيين ، كلهم رحلوا الى البادية واقاموا فيها ، فمنهم من قصر اخذه على قبائل معينة لا يتعداها وهي . غنيم وقيس واسد وطىء وهذيل وكثانة^(٢) ، ومنهم من توسع ولم يقتصر على قبائل دون سواها ، كما سيأتي تفصيل ذلك في محله من الرسالة .

فقد ملأت روايات ابي عمرو بن العلاء (١٥٤) - كما يقال - بيتا الى السقف . ورحل الخليل (١٧٥) الى بواحي الحجاز وتجد ونهامة ، وقد ارشد

(١) تاريخ اعراب العرب . ج ١ (باب الرواية)

(٢) الزهر ٢١١/١ .

الكسائي (١٨٩) إليها عندما سأل الكسائي عن مصدر علمه ، فرحل الكسائي وانفذ حمس عشرة قينة حبر سوى ما حفظ^(١) ورحل يونس بن حبيب (١٨٢) الى البادية ، وأقام النصر بن شميل (٢٠٣) فيها اربعين سنة^(٢) ، ويقول ابو زيد (٢١٥) : « وما كان من اللغات وابواب الرجز فذلك سماعي من العرب »^(٣) ، ويقول ايضا : « ما اقول (قالت العرب) الا اذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوارن ، وبني كلاب ، وبني هلال ، او من عالية السافلة او من سافلة العالية ، والا لم اقل : قالت العرب »^(٤) .

ودخل ابو عمرو الشيباني (٢٠٦) البادية ومعه دستيجان حبرا ، فما خرج حتى اصابهما بتدوين سماعه عن العرب ، وكان له ولع بالغريب والوارد حتى سمي صاحب ديوان اللغة والشعر^(٥) . وقصد عبدالله بن سعيد الاموي اعراب بني حارث بن كعب ، وسألهم عن الوارد والغريب^(٦) . وفعل فعل هؤلاء كثير من العلماء غيرهم ممن عاصروهم او جاء بعدهم ، اذ استمرت الرحلة الى البادية الى اواخر القرن الرابع ، فقد شافه الازهرري (٣٧٠) الاعراب الذين لقيهم في البادية ، وذكر ذلك في كتابه (تهذيب اللغة) كما في المواد : (دعد) و (هجع) و (دمع) ، حيث توقفت الرحلة أو قل المشاهدة بصورة عامة . في البادية او في الامصار . في هذا التاريخ ، اذ يقول ابن جني : « وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا ، لانا لا نكاد نرى بدوياً فصيحاً »^(٧) .

وفي اثناء ذلك ، وبعد بداية رحلة العلماء لمشاهدة الاعراب في البادية ، كانت هناك رحلة معاكسة كان يقوم بها الاعراب الفصحاء من مواطنهم في البادية الى

(١) انباء الرواة ٢/٢٥٧ ومجمع الاديب ١٣/١٦٩ .

(٢) بنية الرحلة ٢/٣١٦-٣١٧ .

(٣) تاريخي زيد ١ .

(٤) الاقتراح ٨٣ .

(٥) انباء الرواة ١/٢٢٤ ، ومشيح نصي بالملوسية : آنية ، وهي عربية .

(٦) انباء الرواة ٢/١٢٠ .

(٧) المختصر ٢/٥ وانتظر : النهاية في غريب الحديث ٤/١ .

حواضر العلم وعلى رأسها البصرة والكوفة ومنها إلى بغداد ، وهي المرحلة الثانية من الرواية . فبعد أن كان هؤلاء الأعراب في أول أمرهم يقصدون ، قصدوا هم محاليس العلم وحلقات الدرس^(١) . فقد توالى هجرتهم إلى المصريين الكبار ، فسمع منهم العلماء وتنافسوا في الأخذ عنهم في مريد البصرة وكاسية الكوفة وغير هذين المكانين . يقول الأصمعي (٢١٣) : « جئت إلى أبي عمرو بن العلاء فقل لي : من أين أقبلت يا أصمعي ؟ قلت : جئت من المريد . قال : هات ما معك فقرأت عليه ما كتبت في الواحي^(٢) » . ويقول أبو عبيدة (٢١٠) : « قدم علي رجل من بادية جعفر بن جعفر بن كلاب ، فكنا نأتيهم فكتب عنهم^(٣) » . ويقول باقوت متحدثاً عن الجاحظ (٢٥٥) : « وتلفف الفصاحة من العرب شعاعاً بالمريد^(٤) » . ويقول أبو الفرج : « نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن عيلان ، وكان فيهم بيان وفصاحة ، فكان يشار بأنبيهم وينشد لهم أشعاره التي يمدح بها قيساً^(٥) » .

ومن الأعراب الواصلين إلى حواضر العلم من اشتغلوا بتعليم الصبيان مهنة يعتاشون منها^(٦) . ومنهم من تكسوا بالرواية ، وتوسعوا فيها حتى عدوا في العلماء الذين يروى عنهم ويروون عن غيرهم ، واخذ عنهم العلم ، بعد أن شاركوا في وضع الكتب والمصنفات^(٧) . فالتجع بن نيهان روى عنه أبو عبيدة وأبو زيد والأصمعي^(٨) ، وابن دأب روى عنه الأصمعي^(٩) ، وأبو مهدية روى عنه أبو عبيدة

(١) انظر امثلة ذلك في : الفهرست ٧٠ / الأملاني ٢٦٥ / ٢ وزهر الأملاني ١٠١ / ٢ والامتناع والمؤانسة ١٢٩ / ٢ ونزعة الليل ١٧٨ والزمر ٢٥٥ / ٢

(٢) دبل الأملاني والنوادر ١٨٢ .

(٣) جهرة الشعراء لمروى ٣١

(٤) معجم الأسماء ٧٥ / ١٦

(٥) الأملاني ٥١ / ٣

(٦) انظر : البيان والبيان ٢٥٣ / ١ والفهرست ٧١ .

(٧) فهرست ٦٨ - ٧٤

(٨) التكملة ٢٨٧ / ١ والخصائص ٣٠٥ / ٣ وطيف النحويين واللغويين ١٧٥ .

(٩) مراتب النحويين ٩٦ .

(١٠) البيان والبيان ٢٢٥ / ٣ وطيفات النحويين واللغويين ١٧٥ .

والأصمعي^(١) ، وأبو منيع الكلبي روى عنه أبو عبيدة في النفاضة^(٢) ، وأبو نواة الأسدي روى عنه الأصمعي^(٣) ، وغيرهم كثير عن أصحابنا من الأساتذة المشتغلين وصار لهم في حواضر الدراسة مكانة مرموقة ، ومنحوا ثقة العلماء والساسة ، وحكموا في المنازعات العلمية ، كما هو معروف مثلاً في مناظرة مسيويه والكسائي في مجلس يحيى بن خالد البرمكي ، ومناظرة اليزيدي والكسائي في مجلس المهدي^(٤)

قلنا إن من الأعراب الرواة من اتصف بصفة الدارس ، وقبلهم اتصف الدارسون الذين قصدوا البوادي لمناقشة الأعراب بصفة الرواة ، فتقاربوا في كونهم رواية دارسين^(٥) إلا أنه ظل الطابع الأصلي لكل منهم هو العالب عليه ، فالأعراب الذين مر ذكرهم مثلاً ظلوا أقرب إلى كونهم رواية منهم دارسين ، كما ظل أمثال الخليل والأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني والكسائي وحمد وخلف وابن الأعرابي وغيرهم أقرب إلى كونهم دارسين منهم رواية ، ذلك أن هناك فرقاً بين الراوي المحض والدارس ، وقد التفت إلى ذلك القدماء أنفسهم ، فقالوا : « أن اللغوي (أي الراوي) شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي (أي الدارس) شأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه ، ومثاله المحدث والفقيه ، فشأن المحدث نقل الحديث برمته ، ثم إن الفقيه يتلقاه ويتصرف فيه وييسط فيه حله ، ويقيس على الأمثال والأشياء^(٦) » .

ويعد أبو عمرو بن العلاء والخليل وأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد ويونس أشهر الدارسين الرواة البصريين ، كما يعد الكسائي والفراء وأبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي والمفضل الضبي وحمد والاموي أشهر الدارسين الرواة الكوفيين . وقد تبادلت البصرة والكوفة الرواية فيما بينهما فكان من هؤلاء من يروي عن أولئك

(١) النفاضة ٣٠ .

(٢) الأصابع ٩/١٣٢ .

(٣) انظر ، محاسن العلماء ٨ ويور النفس ٢٨٨ والأشياء والتأثير ١٥/٣ .

(٤) الرازيدي عندما ترجم لرواية الكوفة (حماد بن حرير وفي البلاد الأعجمي وعبد بن عبد الأعلى بن كنانة) سباهم لعربي الكوفة : طبعته ٢٠٧ - ٢٠٩ .

(٥) نازح ١/٣٠ وانظر . الأعراب في جمل الأعراب ٤٢ .

ومن اولئك من يروي عن هؤلاء ، فالفضل الضبي كوفي اخذ عنه البصريون ، يقول ابن سلام : انه « أعلم من ورد علينا من غير اهل البصرة »^(١) ، والمفضل سناد الكسائي وابن الاعرابي ، والاخير استاذ ثعلب^(٢) ، كما اخذ البصريون عن حماد الراوية ايضاً . وبالعكس فقد روى زهير بن ميمون الفرقي من الكوفيين عن ميمون الاقرن صاحب ابي الاسود^(٣) ، كما روى ابو عثمان سعدان بن المبارك عن ابي عبيدة^(٤) ، وروى الكسائي عن الخليل وروى القراء تلميذ الكسائي عن يونس ابن حبيب البصري^(٥) ، وهكذا .

وطل أمر الرواية كذلك ، حتى وجد العلماء في أواخر القرن الرابع ان الاعراب قد دخل الستهم الفساد لطول مقامهم في الخواصر وعيشهم في مجتمعاتها التي احتلطت فيها العناصر الاجنية واندجت فيها اللغات الوافدة ، فقلّت ثقتهم فيهم وتركوا الاحذ عنهم ، كما مر بنا من تصريح ابن جني في هذا الصدد^(٦) ، وصاروا يروون عن الكتب والمصنفات التي وضعها العلماء المشافهون ، ولا يفرق عنا ما في عملية النقل عن الصحف من آفات الخطأ والتصحيف والتحريف التي ثقلت بها مصنفات القرون اللاحقة ، حين فاتها فرصة المشافهة والنقل المباشر

وكانت الرواية قبل القرن الرابع قد مرت بمرحلة جديدة تختلف عن المرحلتين السابقتين ، فبعد ان بدأت الرواية يرحلة العلماء الى البادية لجمع المادة اللغوية بمشافهة الاعراب ، ثم هجرة الاعراب الفصحاء الى الخواصر ولقي العلماء بهم فيها . أصبحت تمثل في الرواية عمن شافه العرب ، اي اصح الدارس يروي عن روى عن الاعراب الفصحاء مباشرة ، وهذا يصدق على اغلب تلاميذ اولئك الاوائل من الدارسين الذين رحلوا الى البوادي او أخفوا عن اعراب المربد و لكاسة

(١) طغيات فحول الثمراء ٢١ .

(٢) معجم الاءاء ١٨ / ١٩٠

(٣) اند الرواة ١٨ / ٢ وطغيات التحويين واللفويين ٢٤

(٤) انباء الرواة ٢ / ٥٥

(٥) معجم الاءاء ٢ / ١١ .

(٦) الخصائص ٢ / ٥

و النصره والكوفة^(١) ، على اننا لا يمكن ان تنفي عن هؤلاء التلاميذ - الذين اصبحوا اساتذة الدرس اللعوي في بغداد فيما بعد كالبرد وتعلب واصحابها - انهم شافهوا نقرأ من الاعراب ممن لم تفسد سلاتهم في حاضرة العلم بغداد ، كابي مسحل وابن ابي صبح وايي دعامة القيسي وابن فضضم الكلاي وغيرهم^(٢) ، ومن يراجع تصانيفهم يجد امثلة ذلك ، وربما لم ينصوا على اسم الاعرابي الذي شافهوه في مواطن كثيرة ، وانما بشيرون الى سماعهم عن العرب^(٣) .

ومهما يكن من امر فنحن نختم حديثنا عن الرواية بمسرد باسماء الاعراب الفصحاء الذين شافهم العلماء واخذوا عنهم مروياتهم ، حسبما تسعف به المصادر من ذكرهم ، ذلك ان احصاءهم احصاء لا مزيد عليه غير ممكن لاستحالة الوقوف على كل مؤلفات العرب اللغوية التي لم يصل اليها منها غير اقلها^(٤) .

الرجال :

- أ -

(١) الفار بن لقيط

(٢) ابو البداء اسعد بن عصمة الرياحي

(٣) ابو عرار العجلي

(٤) ابو سرار الغنوي

(٥) ابو الشمخ الطائي

(٦) ابو ثوبة الاسدي

(١) انظر مثلاً : فهداد ابن الاموي ٣٠ ، ٥٩ .

(٢) الفهرست ٥٢ - ٥٥ .

(٣) انظر مثلاً : مجلس ثعلب ١ / ١٧٠ ، ١١٧ / ٢ ، والزهر ١ / ٣٩٣ .

(٤) حده الاسماء في الفهرست ٤٩ ، ٥٥ ، ٧٣ ، ٧٦ وطبقات النحويين ١٧٥ ومراتب الحريين ٩٦ والخصائص ٣ / ٣٠٥ ومعجم البلدان ١ / ١٥٢ والبيان والبيان ٣ / ٢٢٥ والحيوان ٢ / ٨٠ ، ١٩٤ / ٤ ، ٣٣٦ والخصائص ١ / ٣٠ ، ٤٨٧ والامالي ٣ / ٦٩ والزهر ٢ / ٢٠٢ ، ٣١٨ ، ٥٤٠ ومعجم الشعراء للمرزباني ٥٠٧ - ٥١٥ ومعجم الاسماء ١٢ / ٣ وبهيد اللغة ١ / ٢٤ وبوقر اي ريد ٢٨ ، ٢٣٨ .

- (٧) ابو شبل (شبل) العقيلي
(٨) ابو مهدية الكلابي
(٩) ابو ثروان العكلي
(١٠) ابو الهيثم الاعرابي
(١١) ابو الجراح العقيلي
(١٢) ابو صاعد الكلابي
(١٣) ابو زكريا الاحمر
(١٤) ابو ادهم الكلابي
(١٥) ابو الصقر العدوي
(١٦) ابو قرة الكلابي
(١٧) ابو الحدرجان
(١٨) ابو تمام الحراد
(١٩) ابو الفهاقم الفهمي الاسدي
(٢٠) ابو زياد الاعور بن براء الكلابي
(٢١) ابو الدقيش الفاني الغنوي
(٢٢) ابو السفر الكلابي
(٢٣) ابو دثار الفهمي الاسدي
(٢٤) ابو الكبس (لعله الكبش) الباهلي
(٢٥) ابو صالح الطائي
(٢٦) ابو الكلس النعري

- (٢٧) ابو السيد الكلبي
- (٢٨) ابو علي الياسي الرهمي
- (٢٩) ابو زيد المازني
- (٣٠) ابو النعمان
- (٣١) ابو المسلم العاصي
- (٣٢) ابو مسهر الاعرابي
- (٣٣) ابو المصريح
- (٣٤) ابو دعلجة القيسي
- (٣٥) ابن داب
- (٣٦) ابو منيع الكلبي
- (٣٧) ابو طفيلة الحرمازي التميمي
- (٣٨) ابو الوجيه العكلي
- (٣٩) ابو ليلى (سكن خراسان)
- (٤٠) ابو عبدالله (سكن خراسان)
- (٤١) ابو حرام العكلي
- (٤٢) ابو مرة الكلبي (لعله ابو مرة المذكور)
- (٤٣) ابو مهدي الباهلي
- (٤٤) ابو الحسن العلوي
- (٤٥) ابو الوليد الكلبي
- (٤٦) ابو علقمة النقي

(٤٧) ابو طيبة الاعرابي

(٤٨) ابو المعنق اليشكري (البكري)

(٤٩) ابو جحوش الاعرابي

(٥٠) ابو الجاسوس ثور بن يزيد النمرى

- ج -

(٥١) جهنم بن خلف المارني

- ح -

(٥٢) ابو علي الحسن بن علي الحرمازي التميمي

(٥٣) حماس

- خ -

(٥٤) ابو محرز خلف بن حيان الاحمر

(٥٥) خالد بن كلثوم الكلبي

- د -

(٥٦) دهمج بن محرز النصري الاسدي

- ر -

(٥٧) رداد الكلبي

(٥٨) ربيعة النصري

- ز -

(٥٩) زائدة

- س -

(٦٠) ابو عثمان سعيد بن ضمضم الكلبي

- ش -

(٦١) شبل بن عزرة الضبي

- ص -

(٦٢) ابو الكميث الصفيل العقيلي

(٦٣) الصموني الكلبي

- ع -

(٦٤) ابو مالك عمرو بن كركرة

(٦٥) ابو عدنان عبدالرحمن بن عبد الاعلى السلمي

(٦٦) ابو مسحل عبدالوهاب بن حريش (من بني عامر بن صعصعة في نجد)

(٦٧) ابو الخطاب عمرو بن عامر البهلي (لعله الهذلي)

(٦٨) العديس الكسائي

(٦٩) ابو الغمر العلاء بن بكر العقيلي

(٧٠) عرام بن الاصمعي السلمي

(٧١) ابو حجار عبدالرحمن بن منصور الكلبي

(٧٢) ابو الحسن علي بن المبارك اللحياني

(٧٣) عبدالله بن سعيد الأموي

(٧٤) ابو المنهال عيينه بن المنهال

(٧٥) ابو العميش عبدالله بن خليد (او خالد سكن خراسان)

(٧٦) ابو الحسناء عباد بن كسيب العنبري

(٧٧) عبدالله بن عمرو بن ابي صبيح الملازني

- ك -

(٧٨) ابو هدام كلاب بن حمزة

- ل -

(٧٩) ابو قعس لزاز - م -

(٨٠) ابو عظم محمد بن سعد الشيباني

(٨١) ابو المجيب مزيد بن عيا الربيعي

(٨٢) ابو الحصين مكوزة الهجيمي

(٨٣) ابو فيد مؤرج السدوسي العجلي

(٨٤) محمد بن عبد الملك الصفهسي الاسدي

(٨٥) المنتجع بن نبهان النميمي

(٨٦) مبتكر الاعرابي (سكن خراسان)

- ن -

(٨٧) ابو خيرة نهشل بن زيد العدوي

(٨٨) ناهض بن ثومة الكلابي

- ه -

(٨٩) هذاب الهجيمي

(٩٠) هرم بن زيد الكلبي

- ي -

(٩١) ابو زياد يزيد بن عبدالله بن الحر الكلابي

السلم :

(٩٢) ام الحمارس السكرية

(٩٣) عيثة ام الهيثم

(٩٤) قرية ام البهلول الاسدية

(٩٥) غيبة الكلاية

(٩٦) شفاء الكلاية

القبائل التي نسبوا اليها :

بنو عجل	باهلة	كلب
بنو غني	بنو العنبر	عليء
اسد وبطونها	تميم وبطونها	بنو رياح
بكر	ربعة	كلاب
بنو عكل	يشكر بطن	كنانة
	من بكر	
امية	عمر	كليب
مازن	غاضية	بنو لحيان
شيبان	عقيل	قيس
ثقيف	هذيل	هزيمة
سليم	بنو عدي	بنو ضبع

والمدقق في هذا المسرد من أسماء الاعراب وقبائلهم ، يجد ان اغلب هؤلاء
العصحاء الذين شافهمم اللغويون يتسب الى قيس وقيم واسد، وكلها من القبائل
الكيرة التي تضم عدداً من البطون والافخاذ ، فقيس مثلاً تشمل كلاباً وعقلاً
وسلياً ، والباقيون يتسبون الى القبائل العربية الاخرى ، وعلى رأسهم عليء وشيبان
وكنانة وهذيل (انظر الخريطة التي تبين مواطن القبائل العربية في المعصل الاول من
الباب الثالث) . أفىكون من قبيل المصادفة ان توافق نسبة هؤلاء الاعراب الى هذه

القبائل ما حده اللعويون من مراتب القبائل في الفصاحة^(١) . ام انها نسبة فرصها
سهج معين في الدرس ، ورقضها منهج آخر ؟ هذا ما سيجيب عنه الفصل الخاص
بدراسة مناهج اللغويين ، في هذه الرسالة .

اختلاط الدراسات اللغوية وانفصالها

لما كان القرآن الكريم هو الحافظ الاكبر لنشأة الدراسات العربية عموماً ، كان
من الطبيعي ان تنشأ هذه الدراسات مختلطة متداخلة ، فمن الطبيعي ايضاً ان يكون
اوائل للتصدين لهذه الدراسات ذوي اختصاصات متعددة واهتمامات مختلفة ، نظراً
لهذا العامل الموحد بينها والجامع لاصولها . فقد ظهر علم التفسير وعلم الحديث
والعقود والقراءات واللغة والنحو والصرف والفلسفة وعلم الكلام والمنطق والمعاني
وكثير غيرها من العلوم في اوقات متقاربة جداً ولاسباب مشتركة ، تقف على راسها
خدمة القرآن احكاماً ولغة واعجازاً ، وصرنا نرى مفسراً لعربياً وفقهياً محدثاً ومقرناً
نحويّاً وكلامياً صرفياً وهكذا ، بل نجد من يجمع اكثر هذه المعارف او كلها جميعاً
تفاوت درجة الاتقان فيه من دارس الى آخر .

والدراسات اللغوية عموماً (اللغة والنحو والصرف) من الدراسات التي
اختلفت فيها بينها ومع غيرها ، منذ نشأتها حتى استقلالها حين وضعت اولى
المؤلفات الخاصة بكل علم من علومها ، فقد مرت بها الاشارة الى ان ابن عباس كان
يعنى بالغريب وبالشعر ويستعين بهما في عمله في تفسير القرآن ، حتى ذكر له
كتاب في (غريب القرآن) ، وعنايته بالغريب تلك والاستشهاد عليه من الشعر
عمل لغوي محض . وراينا ايضاً ان نقط القرآن على يد ابي الاسود .
اكمل باعجابه على يد نصر بن عاصم وختمها بشكله على يد الخليل ، ومرر بها أنه حين
وصفت الصواب النحوية الاولى على يد ابي الاسود وتلاميذه كانت هناك حركة
لغوية أخذت بالنمو عمادها رواية اللغة مفردات واستعمالات واساليب ، مستمدة
برواية الشعر وقراءات القرآن ولهجات العرب ، وهكذا كان اساس الدراسات
اللغوية - التي استقلت شيئاً فشيئاً ، معصلة عن بعضها بمرور الزمن وتتطور
الدرس اللغوي وتوسعه - مختلطاً ، واستمر كذلك مدة ليس بالقصيرة قبل ان
تكتمل عملية الانفصال .

(١) انظر مثلاً من الفرائد في الزهر ١/ ١١ ومن ابي زيد في الاقتراح ٨٣ .

فلو استعرضنا الدارسين الأوائل وما عرف عنهم من اهتمامهم بهذه الدراسات
لوجدنا مصداق الاختلاط بينها ووضوحاً فيهم :

قأبو الاسود (ت ٦٩) : نقط القرآن ، ووضع الضوابط النحوية الاولى ،
وقعد للفتيا في جامع البصرة يصبر الناس في امور دينهم ، وكان يعد - اصافه الى كل
دلت - من المحيطين باختلاف اللهجات العربية والعرفين بغريب اللغة ، وفي شعره
ما يدل على هذه المعرفة الواسعة^(١) .

ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) تلميذ ابي الاسود : شارك نصر بن عاصم
(ت ٨٩) في اعجام حروف القرآن ، على بعض الروايات^(٢) . واتخذ عن ابي
الاسود نقط القرآن^(٣) واضاف الى ضوابطه النحوية شيئاً في بابي الفاعل والمفعول ،
وقيل عنه انه اول من وضع النحر بعد ابي الاسود ، او انه اول من وضع العريضة على
بعض الروايات ، وكان مع هذا مقدماً في القراءة ، يقول ابو الطيب : « ولا يذكر
اهل البصرة يحيى بن يعمر من النحويين ، وكان اعلم الناس وافصحهم ، لانه
استبد بالنحو غيره . . . وانفرد يحيى بن يعمر بالقراءة » ، واشتهر ايضاً بالغريب الى
جانب اشتهاره بالنحو والقراءة ، يقول الزبيدي : « تعلم عن ابي الاسود ابيه عطاه
ابن ابي الاسود ، ثم يحيى بن يعمر العدواني وكان حليف بني ليث ، فصيحاً عالماً
بالغريب^(٤) » ، وقال يحيى نفسه : « وانما نفتي فيما استر من معاني الشعر واشكل من
غريبه^(٥) » .

ومثل يحيى زملاؤه من تلاميذ ابي الاسود : عطاه بن ابي الاسود ونصر بن
عاصم وعبد الرحمن بن هرمز وميمون الاقرن وعبيدة بن معدان الفيل (ت
١٠٠) ، فقد اخذوا النقط عن ابي الاسود^(٦) ، وعنوا بالقراءة والشعر والغريب ،

(١) عنه (البلاغ) السنة (١) العدد (١٠) ص ٤٣ ، ١٩٦٩ م ، والمعجم العربي ١/ ٩٩ تاريخ علوم اللغة العربية ٧٥

(٢) التصحيح والتحرير لابي احمد المسكري ١٠ .

(٣) المحكم ٦

(٤) طبقات النحويين واللمويين ٢٣

(٥) انباء المروءة ٢/ ١٠٧

(٦) المحكم ٦

واكملوا ما بدأه ابو الاسود من وضع الضوابط النحوية .

وعبدالله بن ابي اسحاق الحضرمي تلميذ اصحاب ابي الاسود المار ذكرهم (ت ١١٧) : من درسي النحو المطورين له ، بحيث يمكن ان يعد هو وتلاميذه نواة بالمعنى الاصطلاحي ، فقد « كان اول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل »^(١) ، وله في ذلك آراء ونظرات^(٢) ، على انه لم يؤثر عنه كتف في النحو ، ولكنه وضع كتاباً في (الممز) ، يقول ابو الطيب : « فرع عبدالله بن ابي اسحاق لنحو ، وقام وتكلم في الممز ، حتى عمل فيه كتاباً عما املأه »^(٣) ، والظاهر انه يبحث في الممز من ناحية علاقته بالقراءة ، اذ هو من القراء وله قراءة شاذة^(٤) . قد عد كتابه هذا بحثاً لغوياً محضاً ، فيكون اول بادرة لاستقلال دراسة اللغة عن النحو والصرف في مجال التأليف .

وعيسى بن عمر (ت ١٤٩) تلميذ ابن ابي اسحاق : درس النحو وتوسع فيه أخذاً بمهج استاذه في التمسك بالقياس^(٥) ، وقبل انه وضع فيه كتابين هما : الجامع والاكمال ، بحث فيها مسائل النحو وقواعده ، وهما مفقودان وقد اشار الى فقدانها ابن النديم ونفى وجود من رأها^(٦) . وعيسى بعد هذا من القراء المعروفين ، وله قراءة شاذة^(٧) . وكتاباه يمثلان استقلال النحو في التأليف اول مرة . واما ابنه في النحو - كما قالوا - دون غيره ، فيدل عليه القول المسوب الى الخليل :

بطل (النحو) جيماً كله غير ما احلث عيسى بن عمر
ذاك (اكمال) وهذا (جامع) فيها للناس شمس وقمر^(٨)

(١) طبقات فحول الشعراء ١٤ .

(٢) انظر امثلة من لوائه في : الكتاب ٥٨/٢ وشراء القراءات لابن خالويه ٣٢ وعرايه الامب ١١٥/١

(٣) مراتب النحويين ١٢ والمزهر ٣٩٨/٢

(٤) المهرست ٣٣ .

(٥) انظر امثلة من لوائه في : الكتب ١٩٩/١ ، ٢٦١ ، ٣١٣ والموضح للموزني ٤١ .

(٦) المهرست ٤٧

(٧) المهرست ٣٣

(٨) المهرست ٤٧

وابو عمرو بن العلاء تلميذ ابن ابي اسحاق (ت ١٥٤) - اشتهر بالقراءة
 ذلك انه من القراء السبعة ، وقد جلس للاقراء بمسجد البصرة الكبير ، وعسى
 بالعرب واللغات والشعر والرواية ، يقول الجاحظ : « كان اعلم الناس بالعرب
 والعربية ، وبالقراء والشعر وبأيام العرب وأيام الناس » . وهو الى جانب ذلك من
 المعنيين بالسحو وله فيه آراء متقولة^(١) . كما كان له بالصرف باع ونظر . غير انه الى
 اللغويين اقرب منه الى النحاة والصرفيين ، وسيمر علينا ذكر مؤلفاته اللغوية في
 المصالح الخاصة بالتأليف .

وابو الخطاب الاخفش الكبير (ت ١٥٧) : توجه للغة والرواية والغريب اكثر
 من توجهه للنحو ومسائله ، فلم يؤثر عنه فيه شيء ، وقد اخذ يونس وسيبويه عنه
 اللغات^(٢) .

وحامد بن سلمة بن دينار البصري : عسى بالقراءة والحديث ، واهتم بالسحو
 حتى تلمذ له يونس وسيبويه^(٣) ، ولم يؤثر عنه انه وضع كتاباً في اللغة او النحو .

والخليل بن احمد المراهيذي (ت ١٧٥) تلميذ عيسى بن عمر : اهتم بالرواية
 واشافهة ، ودرس اللغة فوضع (العين) اول معجم لفردات العربية ، وعسى
 بالسحو حتى شملت آراؤه فيه قسماً وافياً من كتاب سيبويه ، وانشأ علم العروض
 والقدمية اول مرة ، وتوجه للقراءة فرع فيها ، وكان قد شكل القرآن بالحركات قبل
 ذلك^(٤) ، وله في التصريف آراء كثيرة مجموعة في (الكتاب) .

ويونس بن حبيب (ت ١٨٢) تلميذ عيسى بن عمر وابي عمرو بن العلاء :
 شتهر باللغة والغريب حتى ألف كتاباً في (اللغات) ، وروى عنه ابو عبيدة في
 لغريب ، ونقل عنه سيبويه في (الكتاب) شواهد لغوية كثيرة . كما اشتهر
 بالسحو ، وصنع لنفسه منهجاً خاصاً فيه ، حتى قيل : « كانت ليونس مذاهب

(١) انظر اسله ذلك في المصالح ٧٣/٣ والاصناف ٢٠٧ والمص ١١٥/١

(٢) المهرست ٥٧

(٣) طبعات البراء لابن الجوزي ٢٥٨/١ ونذرة النعناظ ١٨٩/١ والفتحة ٢٤١

(٤) انظر في شكله القرآن بالحركات - المحكم ٧ وانشأه علمي العروض والنهاية - الجية ٢٤٣ والزهر ١١/١

وأفيسة تفرد بها^(١)، أفند رويت عنه آراء نحوية خالف بها المصريين وحامله فيها
الكوهيون^(٢).

وأبو جعفر الرواسي (١٨٧) تلميذ عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء
درس النحو ودرسه ووضع فيه كتاب (الفیصل)^(٣).

ومعلا الهراء (ت ١٩٠) تلميذ عيسى بن عمر : اهتم بالصرف أكثر من
اهتمامه باللغة والنحو^(٤) ؛ ويرى السيوطي أنه واضع علم الصرف ، وهو رأي مردود
بما حفل به كتاب سيبويه من مسائل الصرف . حتى أن المارني حين ألف كتابه
(التصريف) كان عيلاً على مادة (الكتاب) في هذا الباب^(٥).

وسيبويه تلميذ الخليل (ت ١٨٠) اشتهر بالسحرا أكثر من اشتهاره باللغة
والعريب والرواية والشعر والقراءة ، على طول باعه في جميعها . فقد تضمن
(كتابه) على النحو واللغة والصرف وما يتصل بذلك من المسائل .

وعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩) تلميذ الخليل : عسى بالقراءة عبادة
شديدة ، فهو من القراء السبعة ، وله كتاب في (القراءات)^(٦) ، واشتهر بالنحو
فكان رأس مدرسة فيه هي مدرسة الكوفة ، وله كتاب فيه هو (مختصر النحو) وعنى
باللغة والف (ما تلحن فيه العوام) - وسيأتي درسه في محله من الرسالة - وبالصرف
فما نقل عنه اللعويون من بعده في مصنفاتهم .

ومثل هؤلاء ممن عرضنا لهم جمع من الدارسين عاصرهم وتأخر عنهم قليلاً ،
كان مشغولاً كهؤلاء بأكثر فروع الدرس اللغوي ومهتماً بها جميعاً ، على تفاوت في
النسبة في ميل كل منهم إلى جانب من هذه الجوانب ، ذلك أن كثيراً منهم طغت

(١) أخبار النحويين البصريين ٢٣ ونزهة الألباء ٤٩ وبنية الوجة ٤٢٦ .

(٢) أطر لمنلة ذلك في : الكتاب ٤٢٩ / ١ والمختصر ٦١ / ٢ ، ٧١ / ٣ والنصف ٨٥ / ٢ والمص ٨٢ ، ٧٧٢ .

(٣) المهرست ١٠٢ وطبقات النحويين واللعويين ١٢٥ ونزهة الألباء ٥٤ .

(٤) طبقات النحويين واللعويين ١٢٥ وأنباء الرواة ٢ / ٧٨٨ .

(٥) نظر : للدارس النحوية ١٥٤ .

(٦) المهرست ٧٢ .

عليهم اللغة دون النحو ، او اشتهر بالقراءة دون غيرها او لولع بالتصريف دون
سواه ، وقد وقفنا في عرض هؤلاء الدارسين عند اواخر القرن الثاني ، لانا وجدنا في
دراساتهم بؤازر استقلال هذه الدراسات ، بحيث نستطيع ان نحدد مراحل
استقلال كل واحدة منها ، ولأن البحث اللغوي بعد هؤلاء دخل طوراً جديداً يقوم
على الاستقلال التام ، لا في اللغة كلها دون النحو ، بل في مواضيع اللغة نفسها .

وبحسب يجب ان نفرق قبل كل شيء بين استقلال الدرس وتخصص الدارس ،
والذي يعنيه في استقلال دراسة اللغة عن النحو والصرف مثلاً هو استقلال المؤلف
في اللغة دون ان يستتبع هذا الاستقلال تخصص الدارس في اللغة دون النحو
والصرف . لأنه قد يحدث ان يستقل فرع من فروع الدرس اللغوي على يد دارس
معين مهتم بهذا الفرع وبغيره من الفروع ، يميل الى هذا الجانب اكثر من الجانب
الآخرى ، او يساوي بينها في العناية ، بحيث لا يصدق عليه التخصص في حقل
واحد والتفرغ له دون سائر الحقول اللغوية .

المهم ان درس اللغة - في اكبر الظن - استقل تالياً قبل استقلال النحو
والصرف وغيرها من فروع الدراسات اللغوية ، ففي ميدان الغريب كان (غريب
القرآن) لابن عباس (ت ٦٨ هـ) اول كتاب فيه تلاه ابو فيد مؤرج السدوسي
(١٩٥) بآخيه في مثل موضوعه . وفي ميدان اللغات كان (اللغات في القرآن) لابن
عباس (٦٨)^(١) أيضاً طليعة الكتب فيها ، يحيى بعده كتاب (اللغات) ليونس بن
حبيب (١٨٢) . وفي (الحمز) أول من ألف عبدالله بن ابي اسحاق (١١٧)
واخيه قطرب (٢٠٦) بكتاب في الموضوع^(٢) . وفي (الحشرات) ألف ابو خيرة
الاهراشي (استاذ ابي عمرو بن العلاء) اول كتاب خاص . وألف ابو خيرة ايضاً
كتاباً في (الصفات) . وفي متن اللغة كان (العين) للخليل (١٧٥) اول معجم
مستفص لفردات العربية ، وهكذا نجد السبق والتبكير في اكثر حقول درس
اللغة ، التي استقلت في مصنفات الاوائل من الدارسين ، وسأنتي على تفصيل ذلك
في الفصل الخاص بالتأليف .

(١) هو كتاب صغير طبع أكثر من مرة بتحقيق د . صلاح الدين النجد - بيروت ط ٢ ١٩٧٢ م

(٢) المهرست ٥٨ .

أما (النحو) فكان كتابا عيسى بن عمر (١٤٩) (الجامع) و (الاكمال) أول ما وضع مستقلاً فيه ، تلاها كتاب سيويه الكبير (١٨٠) . على أن مصطلح (النحو) لم يكن معروفاً بعد ، فإذا اهتمنا ورود هذه اللفظة في أخبار أبي الاسود لاحتمال أن تكون مما دخل بعد استقرار المصطلح ، فلا نجد غير مصطلح (العربية) ويراد بها النحو^(١) ومصطلح (الكلام) ومصطلح (الأعراب)^(٢) . أما (النحو) فلم يرد مصطلحاً على العلم أول مرة إلا على لسان الخليل ويونس^(٣) . وهو لغة يعني المقصد والطريق ، نحاه ينحوه ويحاه نحواً وانتحاء ، ونحو اللغة العربية منه ، فهو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من أعراب وغيره^(٤) . وأما (الصرف) فأول كتبه كتاب (التصغير) لأبي جعفر الرواسي (١٨٧)^(٥) ، ثم تلميذه أبو الحسن الأحمر الذي وضع كتابه (التصريف)^(٦) ، وجاء للمارني بعد ذلك فوضع كتابه (التصريف) جامعاً مادة التصريف الموجودة في كتاب سيويه موسعاً لهاها وشارحاً لشيء منها .

الاصالة والتأثر في الدرس اللغوي .

وجه نفر من الباحثين هنايتهم إلى طمس العرب في اصالة دراساتهم اللغوية ، زاعمين تأثر هذه الدراسات على اختلافها بدراسات الأمم الأخرى في مجال البحث اللغوي ، محاولين أن يجدوا في خبر ملفق هنا وإشارة موضوعة هناك سنداً يستندون إليه في مذنبهم هذا ، مرددين مزامم بعض المستشرقين الذين قد تشوب أنفسهم في هذا العزم دواعي سئة من تعصب على العرب وعداء للإسلام .

يجب ألا يعزب عنا حين نجد تشابهاً في الدرس بين أمة وأخرى ، أن ذلك لا يعني بالضرورة وجود تأثير معين بين هاتين الامتين كان للسابقة منها أثر في اللاحقة لانه قد تتوفر لدى أكثر الأمم

(١) طبقات أبي سلام ٥ وأخبار النحويين ١٢ .

(٢) أخبار النحويين ١٢ والتمهيد إليه ٢٩ .

(٣) أخبار النحويين ٢١ وطبقات أبي سلام ١٥ .

(٤) لسان العرب ١٥ / ٣١٠ - ٣١١ ونهذب اللغة ٢٥٢ / ٥ وجامع الدروس العربية ٩ .

(٥) المهرست ٧١ .

(٦) المهرست ٧٢ - ٧٣ .

الظروف التي تستدعي قيام دراسة من الدراسات او وضع تأليف من التأليف ، كما ان الابداع والابتكار ليسا وقفاً على عقل دون آخر او شعب دون شعب ، فقد نشأ في اكثر من بقعة من بقاع الارض دراسات جيدة لهما ان تنمو وتوضح بعيدة عن التأثير بمشكلاتها في البعاع الاخرى . وخير مثال على هذا ما أشرنا اليه عدد كلامنا على اللفظ ، من ان النقط معروف لدى غير العرب من اليونانيين والسريان والعبرانيين وغيرهم ، وقد دعا الى وضعه عند العرب وعند هذه الامم دواع متشابهة ، على رأسها صيانة لغة التتزيل من الخطأ في التلاوة ، ولم يدع احد ان لاحدى هذه الامم تأثيراً في سواها في هذا الشأن ، بل أجمع الدارسون على وحدة لدافع بينها جميعاً سوى الباحثة زكية رشدي التي حلا لها ان تنهم ابا الاسود بتعلمه ذلك من السريان الذين وضع ساطرتهم طريقة الشكل الاعرابي باللفظ^(١) .

ومهما يكن من امر فان الدرس اللغوي العربي واجه حلة من التشكيك في نقائه من التأثير بغيره من دراسات الامم الاخرى ، حيث توجهت مزاعم التأثير الى المبادئ الدراسية الثلاثة : علم الاصوات ، والعمل المعجمي ، والنحو ، ونحن نتناول الآن كلا من هذه المبادئ ، ذاكرين دعوى التأثير والحجج التي تستند اليها هذه الدعوى ثم نرد عليها تفصيلاً ما أمكن ذلك :

١ - علم الاصوات : عني الخليل ، واللغويون العرب من بعده ، بدراسة الحروف من حيث انها اصوات لها مخارج معينة وترتيب عمقي في الحلق ، ووقفوا على آثار تمازجها وتجاورها في النطق ، وقالوا بوجود الرابطة الطبيعية بين الاصوات ومدلولاتها ، دهبين في نشأة اللغة الى انها كانت محاكاة للاصوات الطبيعية ، فبرعوا في ذلك مكرين . غير ان الدكتور احمد مختار عمر يرى ان للهنود اثرأ في حوائب من هذه الدراسات :

أ - في ترتيب مخارج الحروف ، فيال الى وجود تأثير هندي صوتي على الخليل ، لا يتجاوز فكرة الترتيب الصوتي للحروف الهجائية مع البدء بأعمقها محرراً^(٢) .

(١) تاريخ اللغة السريانية ٢٦٨ - ٢٦٩ نقلاً عن البحث اللغوي عند العرب ٢٢٨

(٢) البحث اللغوي عند العرب ٢٢٨

ب - في الاشتقاق الكبير ، وهو اتحاد الالفاظ في صوتين واختلافها في الصوت الثالث ، فقال : « واذا كان يلسكا او غيره من لغوي الهنود قد نجحوا في اشتقاقاتهم هذه ، فمرجع ذلك ان الجذور السنسكريتية ترجع في معظمها الى اصل ثنائي ولكن نقل النظرية الى اللغة العربية كان أمراً غريباً ، كما ان تطبيقها اظهر تكلفاً وتعسماً ، نظراً لثلاثية الاصول العربية^(١) » .

والحق ان العرب سبقوا يبحث فلاسفة اليونان والرومان لعلاقة اصوات الكلمة بمدلولاتها ، وهل هي علاقة رمزية او انها مجرد مصادفة^(٢) ، وظلوا يعالجون ذلك منقسمين الى مناد بوجود رابطة طبيعية بين الاصوات والمدلولات ، والى منكر ذلك يرى ان الامر اصطلاح عرفي . وكان سقراط وافلاطون قد اخذا بهذا الرأي الاخير ، لاعتقادهما بان صلة الاصوات بالمدلول عامضة غير واضحة في لغة عصرهما^(٣) . كما سبق العرب بدراسة الهنود لمخارج الحروف وترتيب عمقها في الخلق ، مما يدخل فيها اصطلاح عليه يعلم الاصوات الوصفية^(٤) ، وأخذوا بنظرية وحدة المعنى بين الكلمتين او الكلمات المتفقة في حرفين اثنين فقط او في حرف واحد^(٥) .

واكبر الظن ان الخليل لم يكن مطلعاً على ما انجزه الهنود في دراستهم للاصوات ، لأنه لم يثبت انه عرف الهدية القديمة او وقف على شيء من دراسات رجالها ، على اننا لا نقطع بالعمى ، اذ من المحتمل ان لا يكون وصل اليها خبر وقوفه على دراساتهم في الاصوات . ومع ذلك فان دراسة الخليل للاصوات تختلف اختلافاً كبيراً عن دراسة الهنود لها ، وبخاصة في تطبيقه نتائج هذه الدراسة في استخلاص آثار تمارج الاصوات وتجاورها^(٦) . وحتى الترتيب الصوتي للحروف ، وهي (٥١)

(١) البحث اللغوي عند الهنود ١٤٣

(٢) من اسرار اللغة ١٢٠ ودلالة الالفاظ ٩٢ .

(٣) من اسرار اللغة ١٢٦

(٤) البحث اللغوي عند العرب ٢٣٨ وعبري من البصرة ١١ - ١٢

(٥) البحث اللغوي عند الهنود ١٤٣

(٦) التطور المعري ٥ وعبري من البصرة ١٢ والبحث اللغوي عند العرب ٢٣٩

حرفاً لدى الهنود ، يختلف عن ترتيبها لدى الخليل^(١) . كما ان ما شرحه الليث في مقدمة العين من طريقة توصل الخليل الى هذا الترتيب يوحى بأنه كان بجهد الخليل الخاص وبذوقه للتمييز^(٢) . ويعضد هذا ان اللغويين العرب بعد الخليل ، خالفوا الخليل في ترتيب الحروف ، واول هؤلاء تلميذه سيويه ، وحالفها ابن جني في القرن الرابع^(٣) . مما يدل على ان المسألة لدى العرب اجتهادية اصيلة ولم يكونوا فيما اجزوه من دراسة الاصوات متأثرين دراسة معينة او مقلدين سهجاً سابقاً

وقد فات الاستاذ الباحث ايضاً ان الخليل وغيره من اللغويين ، وجدوا بعد تعصّبهم للغة واستقرائهم لموادها ما يشير الى انها كانت في طور من اطوارها التاريخية ثنائية الاصل ، وشواهدهم على ذلك لا تعدو القرآن الكريم واشعار العرب ولغاتهم المختلفة^(٤) . واذا كانت مرحلة الاصل الثاني مما تشترك العربية والسنسكريتية في الرجوع اليها ، فهذا لا يعني انها نقلت الى العربية على سبيل التقليد والمحاكاة ، ولا ادرى اي تطبيقات هذا الاشتقاق في العربية كان متكلاً متمسكاً^(٥) .

٢ - العمل المعجمي : بكر العرب ايضاً في دراستهم للمفردة العربية ، ووضعوا كتبهم ورسائلهم الخاصة بحصون ما نوعاً معيناً من الالفاظ ، كرسائلهم في الاضداد ، او المترادف ، او المشترك ، او غيرها ، كما وضعوا معجماتهم الجامعة لالفاظ اللغة ، وكان رائد المعجمات العين للخليل بن احمد المتوفى سنة (١٧٥ هـ) ، وتوالت بعده معجمات اللغويين ، يختلف في النهج فيما بينها ، على ما سندرسه في الباب القادم بالتفصيل . الا ان من الدارسين العرب والمستشرقين من شك وطمّن في اصالة هذه الاعمال لدى العرب ، فذهب بعضهم الى وجود تأثير هندي ، او عبري ، وانحر الى وجود تأثير يوناني ، او اعجمي عام ، وايد آخرون هذا المذهب او ذلك .

(١) البحث النمرى عن العرب ٢٢٨

(٢) العين (المطبوع) ٥٢ .

(٣) العين (لطبوع) ٥٣ وكتب سيويه ٤٠٤ / ٢ وسر صناعة الاحرف ٥٠ / ١

(٤) الخصائص ١٥٧ / ٢ والاكتشف ١٠١ / ١ والفاق ٥٠٨ / ١

(٥) انظر رسالتنا - الاضداد في اللغة ٨٥

فممن ذهب الى التأثير الهندي الدكتور محمد اسماعيل الندي ، والدكتور احمد مختار عمر ، وذهب الثاني الى التأثير العبري ايضاً ، وعن ذهب الى التأثير اليوناني المستشرق بارتولد ، وذهب نفسه ايضاً الى تأثير الاعاجم عموماً في مجمل العلوم العربية ومنها العمل المعجمي :

أ - يقول الدكتور الندي : « ان الهنود قد اثروا في وضع المصاحح للنواميس (كذا) العربية^(١) »

ب - يقول الدكتور احمد مختار عمر : « ان وضع العرب المبكرين لهذا النوع من المصنفات الخاصة بالترادف والمشتراك كان من اثر دراسات لغويي الهنود في هذا المجال من البحث^(٢) » فدل على ذلك بذكر معجم (امارسها) الذي كتب قبل القرن السادس الميلادي في المترادفات والمشارك ، ومعجم (ماسفاتا) للمشارك اللفظي الذي استشهد فيه بالآيات وانصاف الآيات وأرباعها ، ومعجم (هياكاندرا) للمشارك اللفظي الذي رتب بدءاً بذات المقطع الواحد ثم ذات المقطعين الى ذات الستة المقاطع^(٣) .

ج - يقول الدكتور احمد مختار عمر ايضاً : « المجال الوحيد لاحتفال التأثير العبري على العرب في مجال الدراسات اللغوية هو الترتيب المعجمي بحسب الفدية او الباب او الفصل . وقد سبق ان ذكرنا ان سعيداً الفيومي (ت ٢٢١ هـ) قد وضع عملاً معجمياً أسماه Agnon (اكرون) رتبه او رتب قسماً منه على الاواخر وأول من عرفه من المعجميين العرب يرتب على الاواخر ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم المارابي (ت ٣٥٠ او ٣٧٠)^(٤) .

د - يقول المستشرق بارتولد : « الف الخليل كتابه المذكور - أي العين - في حراسان ، ويتضح من هذا المأموس (كذا) تأثير اليونان في علوم العرب^(٥) »

(١) تاريخ الصلوات بين الهند والبلاد العربية ١١٤

(٢) البحث اللغوي عند الهنود ١٢٣ .

(٣) البحث اللغوي عند الهنود ٩٤ - ٩٦ .

(٤) البحث اللغوي عند العرب ٢٤٩

(٥) تاريخ الحضارة الاسلامية ٣٩

هـ- يقول المستشرق بارتولد ايضا : « ولكن لم يكن اكثر هؤلاء الواصفين للعلوم العربية ايضا من العرب بل كانوا اعجلاً » .

هـ- وقد أسرف الدكتور الندوي فيما ذهب اليه ، غافلاً عن ان الهود حتى ظهور اوائل المعجمات العربية لم يكن لديهم من مناهج المعجمات ما يمكن ان يكون للؤثر ، وليس فيما ظهر من أعمالهم للعجمية ما بلغ النموذج الذي يصلح للتنفيذ ، وان معجماتهم الناصجة تأخرت في الظهور ، اذ لم توضع المعجمات الهندية المهمة الا بعد ان وضع العرب اوائل معجماتهم الرائدة في القرنين الثامن والثالث الهجريين^(١) . بل نذهب الى ابعد من ذلك مع المستشرق Hay Wood (هيوود) الذي يقول : « الحقيقة ان العرب في مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء في الثمان او المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والغرب المعجم العربي منذ نشأته كان يهدف الى تسجيل المادة اللغوية بطريقة منظمة . وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الاولى للامم الاخرى . التي كان هدفها شرح الكلمات النادرة او الصعبة »^(٢)

ومثله الدكتور احمد مختار عمر الذي فاته ان هذه الكتب او المعجمات العربية الخاصة في المتراصف والمشارك وضعت لسد ظواهر لغوية شائعة في العربية لفقت نظر اللغويين وشغلت اذهانهم ، وكانوا قد نحسوا مشكلاتها ، فاندفعوا بحصون ويعالجون موادها ، بدافع خدمة القرآن والعيرة على اللغة مرة وبدافع المفاخرة بالبضاعة اخرى ، ولكن الاساس هو هو ، ولا يمكن ان يكونوا في هذا متأثرين بـ فعل الهود او مدفوعين بدافع التقليد والمحاكاة . وحسبنا هنا ان يورد للدكتور الباحث قولاً يدحض به قوله السابق ذكره في كتاب آخر ، يقول : « ليس هناك احتمال لوجود تأثير هندي على فن المعاجم العربية ، بل العكس هو الاحتمال القائم . وليست اسبقية العرب في مجال المعاجم مفررة بالنسبة للهنود وحدهم بل بالنسبة للعالم اجمع (كذا) »^(٣) .

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية ٢٨

(٢) البحث اللغوي عند العرب ٢٢٧ ، ٢٥٢

(٣) Arabic Lexicography ص ٢ مقلا عن البحث اللغوي عند العرب ٢٢٨

(٤) البحث اللغوي عند العرب ٢٢٧

أما ما زعمه الدكتور الباحث من وجود تأثير عبري في المعجمات العربية .
مستنداً في ذلك على سبق سعيد الفيومي الى نظام القافية او الحرف الاخير ، ادى
احذه الفارابي وطبعه في ديوان الادب ، فيه وهم كبير ، ذلك ان الفارابي لم يكن
أول من اخذ بنظام القافية في ترتيب مواد معجمه من اللغويين العرب كما يقرر
الباحث المأصل ، فقد سبقه ابو بشر اليمان بن ابي اليمان السنجي (ت ٢٨٤ هـ)
الى هذا النظام في معجمه (التفهيم) يستفاد عليه طويلاً في الباب القام - مرتب
مواده بحسب الحرف الاخير او القافية كما يسميه البندنجي نفسه ، وهذا سبق
البندنجي سعيداً الفيومي ايضاً ، اذ توفي البندنجي والفيومي خمس سنين من
لعمري .

ولعل أعرب هذه الآراء ما ذهب اليه بارتولد من وجود التأثير اليوناني في
(العين) ، ولم يشر الى مواطن هذا التأثير ووجوهه . ولا (ينصح) لدارس المعجم
مكامن التأثير ، أهو في الدراسة الصوتية التي صممتها المقدمة ، ام في منهج حصر
الالفاظ ، ام في مادته اللغوية ، وقد مرت الاشارة الى ابداع التحليل في دراسته
للأصوات : في ترتيب مخارجها ، وصفاتها ، ونتائج تجاورها ، وما الى ذلك ، وقلد
انه لم يثبت اتصاله على دراسة الأصوات الهندية فضلاً عن دراسات الامم
الاخرى ، ولم يؤثر عن اليونان انهم درسوا مخارج الأصوات وصفاتها ونتائج
تجاورها ، بل اهتموا دراسة هذا الجانب من الأصوات وانما عنوا بعلاقة الأصوات
بالدالات ، وقلنا ان سقراط وافلاطون كانا قد ذهبا الى انكار وجود علاقة طبيعية
بين الأصوات ودالاتها ، ومذهبهما يخالف ما اثر عن التحليل من القول بوجود هذه
الروابط الطبيعية بينهما حتى عد قائلاً بنظرية محاكاة الأصوات الطبيعية في نشأة
اللغة

وأما منهج الكتاب الذي حصر به التحليل العاطف اللغة ، فقد أملاء عليه ذمه
المعقري ومظهره الخلاق وحسه الموسيقي وولعه بالرياضة ، فقد اهتم الى طريقة
يخصيها مفردات اللغة بحيث لا تشذ عنها واحدة ، كما اهتم الى طريقة يحصر بها
اوران شعر العرب ، وطريقة يحصر بها اللحون والانغام ، وطريقة تتعلمها الحاربه

فتذهب الى السوق فلا يغلبها البائع^(١) . كما أنه لم يزعم أحد ممن انكر على الخليل كتبه أنه أحد مسهبه عن مثال سبقه لامة من الأمم او فرد من الافراد ، ولو كان هذا الرعم ممكناً لكان أول ما يرمى به الكتاب حين ورد على الدارسين في البصرة ومثل هذا ما نقوله في مادة الكتاب ، فهي مفردات اللغة العربية ، وشواهدا من القرآن الكريم والشعر العربي والأمثال العربية ولغات القبائل العربية .

فما الاثر اليوناني في (العين) ؟ والخليل لم يعرف اليونانية ، ولا غير اليونانية من اللغات القريبة والبعيدة حتى الساميات ، فلم ينسب اليه أنه اتقن احداها ، ولا نذهب الى ما ذهب اليه الدكتور رمضان عبدالنواب من معرفة الخليل بالكنعانية^(٢) مستنداً الى قول الخليل في العين : « وكنعان بن سام بن نوح ، ينسب اليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية^(٣) » فمجرد معرفته بمصارعة الكنعانية العربية لا تعني معرفته بالكنعانية . ومهما يكن فإن التعصب على الخليل وعلى العرب هو الذي دفع من دفع الى اتهام العرب بتأثرهم بغيرهم ، وكأن الغاية من ذلك تجريد العرب من الابداع والمقدرة على الابتكار .

وبغير ما يدل على هذا محاولة بارتولد نفسه في انكار سبق العرب الى دراسة العلوم العربية وجهودهم الكبيرة في ذلك ، داهياً الى ان ذلك تم على ايدي غير العرب من الاحاجم . ولا ادري كيف جاز عليه ان كل الواضعين للعلوم العربية الاوائل هم من العرب ، ولم يكن بينهم من غير العرب احد ، فلو بدأ بابي الاسود ماراً بتلاميذه وبعمى بن عمر وابي عمرو بن الملا وابي اسحاق والخليل ، وجمهرة كبيرة من اللغويين والنحاة والقراء الذين هم اول الواضعين للعلوم اللغوية العربية على وجه الخصوص ، لما وجد غير العرب .

٣ - النحو : لم يسلم النحو العربي ايضاً من مزاعم التأثير بالنحو الاحسي ، فقد تشكك عدد من الدارسين العرب والمستشرقين باصاليته ونقائه ، فذهب بعضهم

(١) وحيات الاعيان ٢٠٧/١ والبعية ٢٤٥ .

(٢) اصول في لغة العربية ٢٩ - ٣٠ .

(٣) المعجم (الجزء المطبوع) ٢٣٢ .

الى تأثره بالنحو الفارسي على يد ابن المقفع ، وذهب آخرون الى تأثره بالنحو اليوناني على يد ابن المقفع وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق بن حنين ، وذهبت طائفة ثالثة الى تأثره بالنحو السرياني على يد يعقوب الرهاوي ، ومنهم من أجمل التأثير المرسوم بالحكمة الاجنبية عموماً :

أ - ذهب المستشرق دي بور الى تأثر النحو العربي بالنحو الفارسي القديم ، راعياً ان ابن المقفع « يسر للعرب الاطلاع على كل ما كان في اللغة المملوكة من ابحاث لغوية ومنطقية »^(١) . وجعل الدكتور شوقي ضيف ابن المقفع طريقاً الى تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني ، لأن ابن المقفع ترجم منطق ارسطو الى العربية ، وبصداقته للتحليل وقرأ - اي التحليل - كل ما ترجمه وخاصة منطق ارسطوطاليس^(٢) .

ب - وذهب دي بور ايضاً الى تأثر النحو العربي باليوناني على يد حنين بن اسحاق وابنه اسحاق بن حنين وتلاميذهما ، فقد « شملت ترجمتهم كل علوم ذلك الزمان »^(٣) . ويرى الدكتور احمد امين ان حنباً تعلم اليونانية ولازم التحليل^(٤) . وأيده الدكتور ابراهيم بيومي مذكور وذهب الى ان حنباً تبادل مع التحليل فيما تبادل بعض القواعد النحوية^(٥) ، وعصدها الاستاذ مصطفى نظيف ورأى ان حنباً تعلم العربية على التحليل^(٦) .

ج - وذهب الدكتور ابراهيم بيومي ايضاً الى تأثر النحو العربي بالنحو السرياني على يد يعقوب الرهاوي الذي كان « له شأنه في وضع النحو السرياني ، وهو معروف في الاوساط العربية »^(٧) وكان جرجي زيدان يأخذ بهذا المذهب ،

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٣٨

(٢) المدخل الى النحوية ٣٠

(٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٢٥ .

(٤) معنى الاسلام ١ / ٢٩٨

(٥) مجلة الاور ، مجلد ٢٣ ج ٩ ، ١٠ - ١٣٧١ هـ

(٦) محضر الجلسة السابعة لؤمر الله العربية ١٩٤٨ / ١٩٤٩ م

(٧) مجلة الاور ، مجلد ٢٣ ص ٤٢ .

ودليل صحته لديه ان « اقسام الكلام في العربية هي نفس اقسامه في السريانية »^(١)

د - وذهب دي مور الى ان النحو العربي تأثر بالفلسفة والمنطق الاجبيين دون ان يحدد مصدرهما ، وربما كان يحاول ان يربط نشأة النحو في البصرة بالمنطق اليوناني والفلسفة الهندية والنحو السرياني عموماً ، قال : « كان بين نحلة البصرة كثير من الشيعة والمعتزلة الذين فسحوا السبيل للحكمة الاجسية لكي تؤثر في مذاهبهم الكلامية »^(٢) ، وهو يعني في (مذاهبهم الكلامية) مذاهبهم في دراسة النحو ، لانه ذكر نحلة البصرة .

اما الزعم بان ابن المقفع كان الطريق لتأثير النحو الفارسي او اليوناني في النحو العربي فباطل من جهتين ، الاولى : صداقة ابن المقفع للخليل ، والثانية ترجمته لمنطق ارسطو . فالصداقة تلك لم تثبت ولم تصح ، والمصادر تشير الى ما يشعر بغير ذلك ، اذ تورد خبر رغبة ابن المقفع بلقاء الخليل ، وحدث هذا اللقاء مرة واحدة ، ولم يتكرر كما يبدو^(٣) وترجمة ابن المقفع لمنطق ارسطو لم تثبت ايضاً ، بل « اثبت الاستاد بول كراوس ان الذي ترجم منطق ارسطو هو محمد بن عبد الله بن المقفع ، لا ابن المقفع نفسه »^(٤) . وعليه فترجمة منطق ارسطو - التي زعم ان الخليل قرأها - تمت بعد وفاة الخليل .

وشبه بهذا ما ذهب اليه الفائلون بتأثير النحو اليوناني على يد حنين بن اسحاق وصحبه للخليل ، ذلك ان هذه الصحبة لم تثبت ، وكشف البحث العلمي الوهم فيها . ذلك انهم حين اعتمدوا على الخبر الذي اوردته ابن جلعجل (٣٨٤) اول مرة^(٥) ، ونقله عنه القفطي (ت ٦٤٦ هـ)^(٦) ، وابن ابي اصيبعة (ت ٦٦٨)^(٧)

(١) تاريخ ادب اللغة العربية ١ / ٢٥١ .

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٣٨

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٤٥

(٤) جغري من البصرة ٨٨

(٥) طبقات الاطباء والحكباء ٦٨ - ٦٩ .

(٦) احوال العلماء ١١٨

(٧) حيون الاسماء ١ / ١٨٤

حول صحبة حنين للخليل ، لم يحصوه فظلوا داخل نطاق وهمه . وقد ابدان استاذنا الدكتور المخزومي وجه الغلط فيه ، اذ وجد ان حنيناً لم يولد الا بعد وفاة الخليل بنحو تسعة عشر عاماً ، لأن الخليل توفي سنة (١٧٥ هـ) وحيناً ولد سنة (١٩٤ هـ) ، وقال : « والعجيب ان يذهب صاحب ضحى الاسلام الى هذا ، وكان قد نص في الجزء الاول من ضحى الاسلام على سنة ولادة حنين ووفاته ، وبصر في الجزء الثاني على سنة ولادة الخليل ووفاته » .

كما ان دعوى التأثير بالنحو السرياني لا يستلها دليل علمي ، ذلك ان بطريقة العمل مثلاً في النحو العربي لا وجود لها في اي نحو آخر^(١) . وان وجود تشبه في تقسيم الكلمة الى اسم وفعل واداة في العربية والسريانية لا يدل على تأثير العربية بالسريانية ، لان هذا التقسيم موجود في اكثر لغات العالم ، فما يصدق على العربية والسريانية يصدق على اي لغتين اخريين . بل هناك ما يدل على تأثير النحو السرياني بالنحو العربي تأثيراً كبيراً سنأتي على الاشارة اليه بعد قليل .

وأما ما زعمه دي بور من تأثير النحو العربي في البصرة بالحكمة الاجنبية ، فلا دليل عليه في مرحلة الشاة الاول حتى عصر الخليل ، وما قلناه سابقاً في رد المزاعم كفيلاً بتأييد ما نقوله الآن ، اذ لم تكن الثقافات الاجنبية حتى العصر المذكور بقادرة على التأثير ، فلم يفد منها الا اقلها ، نعم كان لهذه الثقافات اثر يزداد بروزاً منذ القرن الثالث ، فلا يبعد ان يكون النحاة العرب بعد الخليل - وبخاصة منذ او سط القرن الثالث - قد اطلعوا على نحو اللغات الاخرى ودروها فلسفاتها ، الا ان ترسمهم لذلك النحو عند وضعهم النحو العربي بعيد جداً .

ولتتبع الدارس المتخصص اثر العرب في الدراسات اللغوية الاجنبية ، لعجب من مزاعم هؤلاء في تأثيرهم بالهند واليونان والسريان وغيرهم ، ولاطمأن الى بطلان هذه الدعوى وتصفها بحق العرب .

وعلى صعيد المعاجم فقد تأثر الاتراك بالعرب ، ومن مظاهر هذا التأثير

(١) عبرى من البصرة ٩٠

(٢) المدروس النحوية ٧٠

ترجمة (الصحاح) الى التركية ، ووضع الكاشغري (ت ٤٦٦) معجمه (ديوان لغات الترك) على منهج (ديوان الادب للفارابي) ، ووضع شيخ الاسلام ملا صالح اهدى (من المتأخرين) معجمه (قاموس الاروام في نظام الكلام) على منهج (الصحاح للجوهري)^(١) . كما تأثر الفرس بالعرب في هذا المجال من الدرس اللغوي ، فقد ترجم ابو الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشي عام ٦٨١ صحاح الجوهري ما عدا شواهد ، وسمى هذه الترجمة (الصراح من الصحاح) ، والف همدوشاه بن سنجر الكيزاني (كان حياً ٧٣٠) صحاح المعجم على منهج واسلوب صحاح الجوهري ونص المؤلف على ذلك ، ووضع الزوزني (٤٨٦) معجمه (المصادر) على ترتيب (ديوان الادب للفارابي) ونص المؤلف على ذلك ايضاً ، كما تأثر بديوان الادب ايضاً ابو جعفر (ت ٥٤٤) في معجمه (تاج المصادر)^(٢) .

هذا عدا تأثر الفرس والأتراك بالكتابة العربية وحروفها الهجائية ، التي ما زالت مستعملة عند الفرس الى اليوم ، وعند الأتراك الى عهد قريب ، وهذا تأثر الفرس والأتراك ايضاً ومعهم السريان بالعروض العربي وموسيقى الشعر ونظام القوافي العربي ، وذلك واضح لدى الشاعر سوجهري (الفارسي) والشاعر يوحنا ابن حلدون (السرياني)^(٣) .

كما تأثر النحو السرياني بالنحو العربي تأثراً كبيراً حتى بلغ ان وضع ابن العبري (كتاب الاشعة) على غرار (المفصل) للزمخشري ، كما تأثر النحو العبري بالنحو العربي تأثراً واضحاً في مؤلفات ابي يوسف القرقساني ومؤلفات يهوذا بن حيرج النحوية ، وكتاب (التمع) لابي الوليد بن جراح^(٤) . وتأثر النحاة الاقباط وعلى رأسهم ابن كاتب فيصر بالنحو العربي الى درجة دعت الشيخ الوجيه الفليوي صاحب (الكفاية) الى لوم النحاة الاقباط لتأثرهم البالغ بمنهج النحو العربي في

(١) البحث اللغوي عند العرب ٢٥٢ - ٢٥٦ .

(٢) نفسه ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٣) تاريخ اللغة السريانية ٣٦٨ - ٣٧٠ ملاحظ البحث اللغوي عند العرب ٢٥٧ .

(٤) البحث اللغوي عند العرب ٢٥٠ - ٢٥٢ .

أصوله وفروعه وسيطرته على مؤلفاتهم^(١)

من هذا يظهر أثر العرب البالغ في سواهم من الأمم في مجال الدرس اللغوي ،
وإذا كان العرب على هذه الدرجة من التأثير فكيف يمكن أن تقبل حكاية تأثيرهم
باليونان والسرمان ، التي لم يثبتها دليل ولم يدعمها مستند يركن إليه ، وما هي
إلا مزاعم واقتراضات ، اعتمدت السبق الزمني فثبتت عليه فكرة التأثير والتأثير



(١) تاريخ اللغة العربية في مصر ١٥٤ - ١٥٥

الباب الثاني

التأليف

الفصل الأول التأليف المختلط

الفصل الثاني كتب الموضوعات اللغوية المستفيدة

الفصل الثالث المعجمات اللغوية

الفصل الأول

التأليف المختلط

مقدمة - التأليف المختلط بين موضوعات اللفظ والنحو والصرف وغيرها -
كتب معاني القرآن ومجازه وتأويله - التأليف المختلط بين موضوعات اللفظ - كتب
النواذر والامالي .

مقدمة •

اشرنا في الفصل السابق عند كلامنا على (اختلاط الدراسات اللغوية وانحصالها) الى ان الدرس اللغوي نشأ مختلطاً متداخلاً في غيره من فروع الدراسات اللغوية وغير اللغوية . وكانت حيازة الدارسين الاوائل موزعة على اكثر ميادين المعرفة حينذاك . والسبب في ذلك - كما قررنا - خدمة القرآن الكريم في توضيح مراميه التشريعية وتفسير دقائقه اللغوية . ولا بد على هذا الاساس ان يحاط نصه المقدس بالاهتمام المتنوع الذي ادى الى اختلاط الدراسات فيما بينها ، حيث وضعت الكتب والمصنفات اللغوية ، وهي على هذا الحومس الاختلاط والتداخل والتنوع ، وهي بذلك تمثل المرحلة الاولى من مراحل التأليف الذي كان لا يقوم على خطة ، ولا على تخصص ، فكانت تجمع الالفاظ كيفما اتفق ، « فالعالم يرحل الى البادية يسمع كلمة في المطر ، ويسمع كلمة في اسم السيف ، واخرى في الزرع والنبات ، وغيرها في وصف الفتى او الشيخ ، الى غير ذلك . فيدون ذلك كله حسبما سمع ، من غير ترتيب الا ترتيب السماع »^(١)

وحين نعد التأليف المختلط ممثلاً المرحلة الاولى ، لا نمنى انه كان يفصل بينها وبين مرحلة التأليف المستقل التي تلتها فاصل زمني ، بل تراكمت المرحلتان منذ نشوئها ، كما تدل على ذلك آثار الاوائل الذين مر بسا عرض اسمائهم وتسرع احتصاصاتهم ، ومنخصص الفصل القادم لدراسة كتبهم المستقلة في موضوعات

(١) ص ٢ / ٢٦٣

مختارة . الا ان تقديم هذه المرحلة على اختها كان لأمرين ، الاول : ما يقتضيه التسلسل المنطقي في تشوؤ الدراسات وتطورها ، فالاختلاط فيها من مستلزمات تشابها ، والاستعلال من امارات التضيغ والتطور . والثاني : ان ظاهرة الاختلاط هذه ظلت تسير التأليف في اللغة حتى بعد ظهور معجمات الالفاظ والمعاني ولم تختف في وقت ما ، اذ استمرت الى نهاية القرن الثالث حيث سقف في هذه الرسالة ، بل طلت هذه الظاهرة حية الى القرون المتأخرة الفرية من عصرنا

ولعل ابرر مثل على ما نزعمه - من مؤلفات العصر الذي نؤرخ له - كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) الذي عاصر مرحلة التأليف المستقل ، ومعجم (العين) . وكذلك كتاب المفتضب للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) الذي عاصر مرحلة وضع المعجمات ، بل جاء بعد ظهور عدد منها كالعين والحيم وغيرها . ومثل الكتاب والمفتضب مجموعة من المصنفات سارت على مهجها ، وضعها مؤلفوها لتكون مراجع الدارسين في احتوائها على اغلب فروع الدراسات اللغوية وابوابها المعروفة في ذلك الحين ، ففيها البحث اللغوي والصرفي والحووي والعروضي وما اليه . وقد طغت عليها صفة النحو ، واشتهرت على انها من كنه ، وهي لم تتمحض له . وانما كان هذا التخليب لأمرين ، الاول : غلبة الدراسة النحوية على غيرها في هذه الكتب ، والثاني : غلبة صفة النحو على مؤلفيها . وسنرجع اليها في تضاعيف الرسالة .

وتقتضي الدقة ان نقسم كتب التأليف المحتلط على قسمين ، يدخل في القسم الاول الكتب التي احتلطت فيها الدراسات اللغوية عموما منها ونحوها وصرفا غيرها من الموضوعات الدينية والكلامية والادبية وما الى ذلك ، وسيرما يمثل هذا القسم كتب معاني القرآن ومجازه وتأويله . اما القسم الثاني فيدخل فيه الكتب التي اختلطت فيها موضوعات اللغة ، ففيها الغريب واللغات والحيوان والنبات والمعرّب والمترايف والاصداد وما الى ذلك مما يدخل في اطار اضيق من اطار القسم الاول ، وذلك انها لم تخرج عن مجال فقه اللغة وموضوعاته كثيرا ، وسيرما يمثل هذا القسم كتب النواحر والامالي .

ولا يعني هذا التقسيم انه لم توجد في احد القسمين ظواهر من القسم الآخر فلم يكن القدماء يعرفون هذه الحدية في التأليف ، ذلك انهم لم يتعمقوا ان يصعوا كتبهم هكذا ، فوجد في بعض كتب القسم الاول اهتمام خاص بجانب من الجوانب الدعوية ، كما نثر في كتب القسم الثاني على كلام يخرج المؤلف من دائرة كتابه الى موضوع بعيد احيانا ، فوجود هذه الاستثناءات لا يطمح في صحة هذا التقسيم وسعف من خلال دراستنا لما وصل اليها من مؤلفات هذين الميدانين المحترمين على طريقة وضعها ومنهج المعالجة فيها وتبع تطورها ، معتمدين في التسلسل على السبق في الظهور ، وهذا الاخير يحدده تاريخ وفاة المؤلف فان وقع لنا ما يكشف عن تاريخ تأليف الكتاب نصمنا على ذلك وافدنا منه .

لتأليف المختلط بين موضوعات اللغة والنحو والصرف وغيرها

كتب معاني القرآن ونجازه وتاويله :

وهي المؤلفات التي وضعها مؤلفوها لبيان معاني آيات الكتاب الكريم وبيان مشكلاتها اللغوية والنحوية والصرفية ، وشرح غوامض الفاظها وغريب مفرداتها ، وازالة اللبس في تعارضها ومتشابهها ، فهي على هذا آخذة من اللغة بطرف ومن التفسير وبيان الاحكام بطرف ، ولا غنى لمن يريد الوقوف على الناحيتين من الرجوع اليها ، وهي تأخذ بمبدأ الانتخاب من الآيات القرآنية ، فيما تريد ان تبحث فيه موضوعا او تناقش مسألة ، وهذه هي الخصيصة التي تختلف فيها عن كتب التفسير التي تستقصى آيات القرآن بيانا وشرحا .

واول من وصل اليها خبر تأليفه واصل بن عطاء (١٣١) ، ثم يونس بن حبيب (١٨٢) فقد وضع في معاني القرآن كتابين صغيرا وكبيرا ، ثم ابو جعفر محمد ابن الحسن الرواسي (١٨٧) والكسائي (١٨٩) ، وابو فيد مؤرج السدوسي (١٩٥) ، وقطرب (٢٠٦) ، وابو محمد اليزيدي (٢٠٢) ، والفراء (٢٠٧) ، وابو عبيدة (٢١٠) ، ^(١) والاختش (٢١١) ، وابو عبيد القاسم بن سلام

(١) وقد وهم الخطيب البغدادي في عدلي عبيدة هذا قول من قال في معاني القرآن ، انظر تاريخ بغداد

١٣ / ٢٥٢ ، ومثله ليس خبر في فهرسته ١٣٤

(٢٢٤) ، وابن قتيبة (٢٧٦) ، والميرد (٢٨٥) ، وثعلب (٢٩١) ، وابن كيسان (٢٩٩) ، والمفضل بن سلمة (٣٠٠) . وقد وصل إلينا من هذه المجموعة كتب المراء وأبي عبيدة والاختفش وابن قتيبة .

معاني القرآن للقراء :

أما كتاب معاني القرآن للقراء^(١) ، فقد وصلت إلينا إحدى روايته وهي التي طبع منها الكتاب ، وهي رواية محمد بن الجهم السمرقي (ت ٢٧٧) ، الذي حدد لنا في صدر الكتاب زمن إملاء المراء له ، وكان ذلك سنة اثنتين وثلاث وأربع ومائتين^(٢) وهذا يعني أنه إملأه في أواخر حياته إذ توفي القراء سنة (٢٠٧) أما الرواية الثانية التي لم تصل إلينا نسختها فهي رواية سلمة بن عاصم ، التي اعتمدها القدماء ومضلوها على إختها^(٣) . وكان سبب قعود القراء لإملأه هذا الكتاب أن عمر بن بكير صاحبه الذي كان منقطعاً للحسن بن مهمل قد كتب إليه أن يضع كتاب في معاني القرآن يرجع إليه حين يسأله ابنه الحسن بن مهمل عن شيء من القرآن^(٤) وقد سماه السمرقي راويه (تفسير مشكل أعراب القرآن ومعانيه) وهي تسمية نعتمد موضوع الكتاب في إطلاقها ، وهي لا تختلف في جوهرها عن عنوانه المشهور .

عالج القراء في كتابه آيات القرآن الكريم التي يرى فيها مشكلة معينة ، وأهمل الآيات التي لا أشكال فيها ، فهو إذن لا يستقصي آيات القرآن وإنما ينف على ما أشكل منها ، على أنه التزم في تناوله الآيات ترتيبها في السورة ، والتزم بترتيب السور في القرآن ، فالمناخ ثم البقرة ثم آل عمران وهكذا ، والآية الثانية مثلاً ثم

(١) طبع الجزء الأول سنة ١٩٥٥ بتحقيق أحمد يوسف بجاتي ومحمد علي السجار ، والجزء الثاني د . ت . منحميز محمد علي السجار ، والجزء الثالث سنة ١٩٧٣ بتحقيق د . عبد الصالح سماعيل شليبي . كلها في القاهرة ، الأول دار الكتب والوثائق والثالث لفيقة المصرية العامة للكتاب

(٢) معاني القرآن ١ / ١

(٣) طبقات السمرقيين واللفظيون ١٥٠

(٤) الفهرست ٩٩

الخامسة ثم التاسعة وهكذا ، واكبر الظن انه لم يجد عن هذا الترتيب في كتابه
ويختلف الجانب الذي يعالج منه الآية ، باختلاف ما يراه من اشكالاتها ، فمرة يكون
كلامه على الرسم ، ومرة على لغة وردت في لفظة ، وتارة يوجه قراءة معينة ، أو
شاهداً على استعمال خاص ، واخرى يناقش مسألة نحوية ، أو صرفية ، واحياناً
يتكلم على اسباب التزول ، والاحكام الشرعية بمظاهر الاعجاز ، والفواصل ،
والوقف وما الى ذلك من موضوعات تتصل جميعاً بهذه الآيات التي تدب العراء نفسه
للدفاع عن لغتها واحكامها واعجازها في هذا الكتاب .

فقد تحدث عن الرسم حين عرض لحذف الالف من (اسم) في البسمة ،
معللاً ذلك بالتخفيف ، والعرب كثيراً ما تلجأ الى الحذف إذا كثرت في كلامها ^(١) .
واعتمد على القراءة والقراء في قوله تعالى : (الحمد لله) برفع الحمد ، وعلى العرب
بفتح لدال وعليهم ايضاً بضم الدال واللام التي بعدها ، وعلى الذوق اللغوي في
كسر الدال . ^(٢) وناقش اعراب (غير) و (لا) في قوله تعالى : (غير المصوب
عليهم ولا الصالحين) نقاشاً نحوياً قائماً على تحليل الشواهد وتوضيح اوجهها
الجائزة في العطف والزيادة . وبين مواطن استعمالها ^(٣) . ووقفه قوله تعالى :
(وقرمها وعدسها وبصلها) على ظاهرة الامدال في العربية ، واستشهد لوقوعها
بأمثلة من كلام العرب ونص على سماعه من بني اسد ابدالهم الفاء من الشاء كثيراً ^(٤)
واطال الوقوف على ظاهرة تذكير الفعل وتأنيشه صد قوله تعالى : (زين للذين
كفروا الحياة الدنيا) فلم يدع شيئاً الا قاله واستشهد به ^(٥)

والقراء - عملاً بمهجه المدرسي - يعتمد على الرواية والنقل كثيراً في معاملته
للآيات ، فيحتج بقول امرأة من طيء سمعها هو في توجيه الحمز في دريت ودرأت في
قوله تعالى (قل لو شاء الله ما تلوثت عليكم ولا أدراككم به ويخرج على اساس هذا

(١) معي ٢/١ - ٣

(٢) ٢/١

(٣) ٨/١

(٤) ٤١/١

(٥) ١٢٥/١ - ١٣١

النساج فراعة الحسن^(١) . ويحتج على أبي عبيدة بلفظة من المشترك أحد القراء بأحد معانيها في تفسير الشاهد ، وكان أبو عبيدة قد أخذ المعنى الآخر في تفسيره^(٢) وهو قد يفسر الآية الكريمة بالقرآن نفسه^(٣) ، أو ينقل فيها آراء المفسرين الذين بحالهم أحيانا ويرد عليهم كما حدث في معالجته لقوله تعالى : (ولمن خوف مقام ربه جنتان)^(٤) ، وخالفهم أيضا في تفسير قوله تعالى : (ما منعك ألا تسجد) قائلا بزيادة (لا)^(٥) . وهو من القائلين بهذه الزيادة في القرآن معبرا عنها بالصلة ، مخالفًا بذلك جمهرة من المفسرين المتكررين لحروف الزيادة في القرآن .

وهو إلى جانب تحكيمه التل فيا يوضح من معان ويقرر من حقائق ، كان يخلد إلى ذوقه الخاص وفهمه المتميز ، فقد آمن أن اللغة تتطور تطورا لا يخضع لمنطق الدرس أو قواعده^(٦) . فعني بالإشارة إلى تعدد أساليب العرب في التعبير وبعضها بعيد عن المؤلف فيظن فيه الخطأ^(٧) . وانطلق من قوله تعالى : (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) يحدد دخول الباء على الثمن والمبيع والمبادل^(٨) ، ويضع في ذلك القواعد العامة . واستنادا إلى هذا الذوق كان كثيرا ما يكرر عبارة (ولا أشتبه ذلك) وهو يصدد الرد على رأي معين أو تنفيذ مذهب حاص^(٩) ، وهو خلال ذلك يعتمد إلى أمثلة يصطبغها دعما لرأيه أو شاهده^(١٠) . مشيرا إلى أوجه بلاغة الآيات ، فذكر الالتفاف ، والمجاز ، والابحاز ، والمخف ، والاستعهام ، والتعبير عن النفي بالتعجب ، وعن الأمر بالجاء ، وما إلى ذلك^(١١) .

(١) ٤٥٩/١

(٢) ٨/١

(٣) ١٩ ، ١٥/١

(٤) ٤٨ ، ٤٠ ، ٣٧/١

(٥) ٣٧٤/١ ، وانظر : ٢١/١ ، ٢٦ ، ٢٤٤

(٦) ٣٢ ، ٢٥/١

(٧) ٣٧/١

(٨) ٣٠/١

(٩) ١٢٥/١

(١٠) ٣٤٨ ، ٨٨ ، ٢٩ ، ٢/١

(١١) ٤٤١ ، ٤٢٣ ، ٦٣ ، ٤٨ ، ٢٣ ، ١٤/١

وأكثر القراء من النقل عن المفسرين والقراء كابن عباس ومجاهد وغيرها^(١) وعن أسانئذته اللغويين وكثرتهم الكثرة من الكوفيين ، على أننا لا نعلم أن نعر على نقيه عن يونس بن حبيب وهو بصري^(٢) . واخذ عن الاعراب الفصحاء ، والتهانيل الفصيحة وعلى رأسها اسد^(٣) . وشواهد كثيرة متنوعة ، فمنها القرآن نفسه ، وقد أشرنا الى استشهاده بلأية على الآية ، وبلغات العرب^(٤) ، وبالشعر الجاهلي والإسلامي ، ينسبه مرة ويعفله أخرى ، والكثير أن ينسبه الى القائل^(٥) ، وقد ينقله في موضع دينسبه في موضع آخر أن تكرر استشهاده بالبيت^(٦) ، مما يدل على عدم جهله بصاحبه . وقد يكتفي بالنص على قبيلة اللائل دون تعيينه^(٧) ، اتهاماً باللغة التي يريد الاستشهاد بها . وكذلك فعل في استشهاده بالقراءات ، فأكثرها متسرب^(٨) ، وأقلها غفل من النسبة ، وكان يرجع أحيانا قراءة شاذة على أخرى مشهورة^(٩) . أو يعادل بينها دون ترجيح^(١٠) . ولم يهمل في كثير من الآيات الكلام على أسباب النزول^(١١) . والاستطراد الى ذكر عادات الجاهليين وأخبارهم^(١٢) .

هذه هي أهم ظواهر الكتاب ، الذي اجتمع لاملأته خلق لم يضبط عددهم وراقوا القراء الذين حضروا وأرادوا أن يعدوا الناس المجتبعين^(١٣) ، ويكفي أن نعلم أنه كان بينهم ثمانون قاضيا^(١٤) ، وأن الوراقين خزنة بعد أن تم ليكتسبوا به ، فنسخوا كل

(١) ٣١٩/١

(٢) ١٢٧/١

(٣) ٤١/١

(٤) ٢٨٦/٣

(٥) ٢٣/١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٦٨

(٦) ٢٨٨/١ ، ٤٨٠

(٧) ٤١/١ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ١٨٢

(٨) ١١/١ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٧٥

(٩) ١٢٥/١

(١٠) ٤٣/١

(١١) ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٤

(١٢) ١٢٢/١

(١٣) معجم الأدباء ١٧/٢٠

(١٤) دحيات الأعيان ٣٠١/٢

خمس أوراق منه بندهم ^(١) . وهذا كله يدل على اثر الكتاب في الدراسات اللغوية والقرآنية ، وقيمته العلمية لدى الدارسين ، وحاجة الخلفات العلمية اليه

مجاز القرآن لأبي عبيدة :

واما كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ^(٢) . فقد وصلت الينا رواية أبي الحسن علي بن عبد العزيز له عن أبي الحسن علي بن المعيرة الأثرم عن أبي عبيدة مؤلفه ، كما وصلت رواية أبي محمد ثابت بن أبي ثابت عن الأثرم ايضا ، ومن نسخ هاتين الروايتين المعرعتين عن رواية الأثرم طبع الكتاب . اما رواية أبي حاتم السجستاني التي نقلها عنه أبو سعيد السكري ، ورواية ثعلب عن الأثرم ^(٣) ، فلم تصلا اليها . وقد وقفنا ياقوت الحموي من خلال حواشي حواشيه عن مقدم أبي عبيدة الى الفضل بن الربيع ، وما حدث له في مجلسه من تفسير آية سئل عنها أبو عبيدة ، على ان أبا عبيدة قد ألف (مجاز) سنة (١٨٨ هـ) ^(٤) ، وهذا يعني ان الكتاب ألف قبل معاني القرآن للمفراء بحوالي ست عشرة سنة ، ولولا ان الزمنا انفسنا باعتداد تاريخ الوفاة في التسلسل ، لكان من حق هذا ان يتقدم ذلك .

وحين اطلق أبو عبيدة على كتابه عبارة المجاز ، لم يكن يعني فيها ما يعنيه البلاغيون من وجوه المصطلح المعروف ، وانما عني فيها ما تعني كلمة تفسير وغريب وتقدير ومعنى وتأويل وما الى ذلك ، فهو قد يبدأ كلامه على الآية بأي واحدة من العبارات المذكورة من غير معيار معين او اساس ملزم . ومن هنا يداخليا الشك في صحة ما فعله ابن النديم من نسبة كتاب (معاني القرآن) وكتاب (غريب القرآن) وكتاب (اعراب القرآن) له ، على انها كتب مستقلة غير كتابه في مجاز القرآن ، ونحن نعتقد مع محقق المجاز انها جميعا كتاب واحد هو كتاب مجاز القرآن تعددت عناوينه كشموله هذه الفنون القرآنية ، ^(٥) ، يؤيد ذلك ان بعض المصادر القديمة

(١) معجم الادباء ١٣/٢٠

(٢) طبع بمطبعي دمشق د . محمد قزاد سركيس نشر الخليلي بمصر سنة ١٩٥٤ ، ١٩٦٢

(٣) فهرسته ابن خلدون ٢٠

(٤) معجم الادباء ١٩ / ١٥٨

(٥) مجاز القرآن (مقدمة للمحقق) ١٨

نصت على ان معاني القرآن لا يبي عبيدة هو كتابه المجاز ، لو ان غريب القرآن له هو المسمى بالمجاز^(١) .

وشبه الدافع الذي دفع ابا عبيدة الى تأليف مجاز الدافع الذي دفع الفراء الى تأليف معانيه ، وذلك ان ابراهيم بن اسماعيل كاتب الفضل بن الربيع سأل ابا عبيدة عن تفسير شيء من القرآن ، في المجلس الذي اشرنا اليه قبل قليل ، فعهد الامر على وضع كتاب في معاني القرآن بعد ان اجاب السائل^(٢) ، وبعد ان وجد - من خلال هذه الآية - ما يدعو الى بيان وشرح وجلاء في آيات القرآن معاني والفاظا بعد ان بعد العهد بعصر التنزيل ، فلم يحتج السلف ولا الذين ادركوا وحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان يسألوا عن معانيه ، لانهم كانوا عرب الالسن ، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص ، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب ومن الغريب والمعاني^(٣) . فزيادة على الدافع المباشر من مسألة السائل عن معنى الآية - وهو الدافع المشترك بينه وبين الفراء - كان ابو عبيدة مدفوعا باعتقاده ان بالناس حاجة الى مثل هذا الكتاب وقد قصروا عن ادراك معانيه وغريبه وفهم اساليبه واستعمالاته التي هي جميعا على سنن العربية في قواعدها واغراضها .

واشبهه في الترتيب ايضا - واعني كتاب الفراء - اذ التزم ابو عبيدة بتناوله السور حسب ورودها في القرآن فبدأ بالقائمة وانتهى بالناس ، كما التزم بترتيب الآيات حسب ورودها في كل سورة ، وسار على مبدأ الانتخاب نفسه ، فاختار من الآيات ما يرى فيها مشكلا ، فيتكلم فيها بحسب نوع المشكلة ، غير انه بصفة عامة أكثر اختصارا من كتاب الفراء ، فقد يتفق الا يزيد تعليقه على الآية على كلمة واحدة^(٤) . ولكن ابا عبيدة لم يبدأ بالتفسير والشرح منذ الصفحة الاولى من كتابه كما فعل الفراء وإنما قدم

(١) طبقات المحربين ١٢٥ وقهرة ابن خبير ١٣٤

(٢) وفيات الاعيان ٢ / ١٥٥

(٣) مجاز القرآن ١ / ٨

(٤) انظر مثلا : ١ / ١٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠ .

لكتابيه بمهمة مهمة قسمها قسمين ، خص القسم الاول منها بالكلام على معنى كلمة (القرآن) ولماذا سمي كتاب الله قرآنا ، وعلى معنى (السورة) وعلى اللغة التي تهمزها ، وجمعها ومعناها ، وعلى معنى (الآية) وجمعها وتعدد اسمائها ، وعلى تعدد أسماء بعض السور ، وأسماء مجموعة منها ، ولا يقلل أثناء ذلك الاستشهاد بالشعر والرجز والنص على اللغات ^(١) . وأفرد القسم الثاني من المقدمة للكلام على الظواهر اللغوية العلمية في القرآن كالاختصار والاضمار والحذف ، والتعبير بلفظ الواحد عن الجمع ، ولفظ الجمع عن الواحد ، ولفظ الواحد عن الاثنين ، وبالعكس ، وبخطبة العائب والمراد الشاهد ، وبالعكس ، وحروف الزيادة في الكلام ، والتكرار للتوكيد ، ولفظ الفاعل والمراد المفعول ، وبالعكس ووضع الصفة موضع المصدر أو الاسم ، واختلاف اللغات في القراءة ، وأتابة الأدوات بعضها عن بعض ، والتعبير بلفظ المذكر والمراد المؤنث ، ووضع الكتابات مواضع الأسماء ، واختلاف وجود الأعراب ، حتى يختم ذلك بالكلام على (بسم الله) فيتناول معناها دون رسمها ، خلاف العراء الذي عني برسمها كما مر ، ثم يستطرده إلى أشياء كان قد ذكرها في صدر المقدمة فإعاد فيها الكلام . مثل تفسير معنى (قرآن) ، وتعرض موجز للظواهر اللغوية التي فصل فيها القول قبل قليل ، وكان قد اشبع هذا القسم من المقدمة بالشواهد القرآنية التي تؤيد ما يزعمه من الظواهر وبالشواهد الشعرية ولغات العرب والقراءات ^(٢) .

وتشابه الكتابان في الظواهر المنهجية الجريئة ، من حيث اختلاط الموضوعات اللغوية بالسحوية والصرفية والتفسيرية ، ففي عجز القرآن أيضا نهاية واضحة بالمسائل الصوتية واللهجية ^(٣) ، واهتمام بالقراءات جميعا المشهور منها والشاذ ^(٤) ، ووقوف عند قضايا الأعراب والأماليب اللغوية ^(٥) ، وحين أكثر أبو عبيدة من الاستشهاد بالشعر والرجز فإنه لم يدع الشاهد يردون تعليق عليه بشرح أو تفسير ^(٦) .

(١) الجاز من ١/١ - ٧

(٢) للجاز من ١/٨ - ١٩

(٣) انظر مثلا : ١/٢٢٤

(٤) مثلا : ١/٦٨ - ٦٩

(٥) ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧

(٦) ٢/٢٢٧

كما استشهد بالقرآن نفسه ^(١) ، وبالحدِيث الشريف ^(٢) ، وامثال العرب ^(٣) ،
وعر دلت بما عرضنا لأمثلته في معاني القرآن للفراء ، وحسبنا بها امثلة على ما ندعيه
في هذا الكتاب . غير ان الكتّابين اختلفا في ظواهر عامة يمكن اجمالها في امور ،
مهما طعنا التاجية اللغوية (بمعناها الضيق) على كتاب ابي عبيدة ، وضمور
الواحي الاخرى او قلتها ، في حين كان البحث التحوي وعلم الفراءات هو الجانب
الدرر في كتاب الفراء ، اكثر من الجوانب الاخرى ، وتفسير ذلك لدى العلمين
يعود الى توجه كل منهما في دراساته المختلفة الى الجانب الذي برر في كتابه ، وكلاهما
مشهور بميدانه العلمي . ومنها : تبين علاجها لبعض الاستعمالات اللغوية
القرآنية ، وقد مرت الاشارة الى ذلك في الكلام على كتاب الفراء ، ومن امثلة هذا
خلاف ، دهاب ابي عبيدة الى ان (لا) في قوله تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا
الضالين) من حروف الزوائد لتسيم الكلام ، والمعنى الفلأها ، ومجاز الآية -
حسب تعبيرة - غير المغضوب عليهم والضالين ^(٤) . اما الفراء فقد رد عليه دون ان
يسميه ونما وصفه بقوله : (قال بعض من لا يعرف العربية ان معنى . . .) ^(٥) ،
ويتضح من الرد انه يعني ابا عبيدة . وبسبب رده على انكار زيادة (لا) في هذه الآية ،
ون قال بزيادة بعض الحروف في القرآن ، ف (لا) في الآية غير زائدة وهي
الصحيحة في الجحد - كما يعبر الفراء - وشرط زيادتها ان تكون متصلة بجحد
قبلها ، ومن هذا المنطلق رد شواهد ابي عبيدة وحررها ^(٦) . والفراء في هذا الموضع
وغيره يعبر عن حروف الزيادة بـ (الصلة) ناديا ومخرجا ، في حين يمر ابي عبيدة
عنه بحروف الروائد . ومنها ايضا : اختلاف ممالك الرجلين في تفسير القرآن ،
ففي الوقت الذي نجد فيه الفراء متمسكا بالنقل عن الاوائل ومتمسدا على المأثور عن

(١) ١٧٤/٢

(٢) ٢٠٨/٢

(٣) ١٢٠/٢

(٤) المجاز ٢٥/١

(٥) المعاني ٨/١

(٦) المعاني ٨/١

السلف ، نجد قبائله أبا عبيدة متحرراً من هذا الارتباط بالسلف وآثارهم محكما اللغة بما تزجر من شواهد في تفسير الالفاظ وبيان معاني الآيات ، لأنه لم يجد القرآن خارجا على أساليب اللغة وقواعدها ، كما نص في مقدمته التي أشرنا إليها ، ولم يجد ضيرا من استخدام عقله ورأيه الخاص في تفسير القرآن ، ثم في ذلك ثقافته اللغوية والأدبية والمنطقية ، وربما كان هذا الاختلاف بين الاثنين صدى للخلاف المدرسي بينهما ، إذ صدر الفراء عن منهج الكوفيين في اعتماد المنقول والمأثور ، وصدر أبو عبيدة عن منهج البصريين في اعتماد المعقول والمعبر .

وكان صبيح أبي عبيدة من تفسير القرآن بالرأي - كما سماه معاصروه - قد قوبل بالرفض والإنكار ، لخروجه على المؤلف لدى الدارسين القدماء كوفيين وبصريين ، فلا يجب أن نعجب من حدة إنكار الفراء عليه إذ يقول : « لو حملني إلى أبو عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز »^(١) ، هناك من البصريين من بلغ به الإنكار هذا الحد ، وأولهم الأصمعي الذي اشتهر بتحرجه من القول في القرآن ، فقد حمل على أبي عبيدة وتفسيره القرآن برأيه^(٢) ، ومثله أبو حاتم السجستاني الذي قال : « إنه لكتاب ما يحمل لأحد أن يكتبه ، وما كان شيء أشد علي من أن أقرأه قبل اليوم ، ولقد كان أن أضرب بالسياط أهون علي من أن أقرأه »^(٣) . وغير ذلك من مواقف العلماء التي تدل على مدى التأثم الذي كان يغمر نفوس هؤلاء وهم يقرأون تفسيراً وضعه أبو عبيدة معتمداً فيه على رأيه ، ومع ذلك فإن هذه الحملة على الكتاب لم تقلل من شأنه في الدراسات القرآنية اللغوية .

معاني القرآن للأخفش :

وأما كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة^(٤) ، فساخته المخطوطة العريضة ناقصة الأول ، إذ تبدأ بالكلام على ألف (اسم) وانها موصولة

(١) معجم الأدباء ١٥٩/١٩ وانظر ترويح جندب ، ٢٥٥/١٣

(٢) أخبار النحويين ٦١ ومعجم الأدباء ١٥٩/١٩

(٣) طبقات النحويين ١٩٤

(٤) مخطوط في مكتبة آستانه قلمس مايراني رقمه (٢٢٠) ، يخضع السيد عبد الأمير الورود رسالة للدكتوراه

سهب بالتصغير^(١) ، فرما فائنا فيما سقط منها معرفة سند الرواية ومقدمة المؤلف ، وأشياء من هذا القبيل تنير لنا السبيل في دراسة الكتاب ، إلا أننا وجدنا في آخر الكتاب ذكراً لعرض الكتاب من أوله إلى آخره قام به أبو عبد الله الزبدي على عمه أبي جعفر أحمد بن محمد الزبدي سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وكان الأخير قد عرّضه على الأخفش نفسه في حياته^(٢) . وهو خير يوثق نسبة الكتاب إلى مؤلفه ويصحح مادته . ونجمع للمصادر على أن الأخفش ألف كتابه معاني القرآن مطلب من الكسائي بعد أن لقيه في بغداد اثر حدوث المناظرة الزنبورية بين الكسائي وسيبويه ، ومجيء الأخفش للنثر من الكسائي الذي انتصر في هذه المناظرة وانفق فيها سيبويه ، فألف الأخفش كتابه المعاني ، وعمل الكسائي كتابه عليه ، وعمل الفراء كتابه على كتاب الأخفش وكتاب الكسائي^(٣) . واستنداً إلى هذه الرواية رجح أحد الدارسين المحدثين أن يكون زمن تأليف الأخفش لكتابه محصوراً بين سنتي ١٧٩ و ١٨٢ ، مقدراً بينها وفاة سيبويه^(٤)

وقد وهم هذا الباحث فيما رجحه وقدره ، فلا يمكن أن يكون الأخفش ألف كتابه قبل سنة (١٨٨) ، وهي السنة التي ألف فيها أبو عبيدة كتابه مجاز القرآن^(٥) . وقد مر بنا ذكر ذلك في موضعه . لأن الأخفش أفاد من كتاب أبي عبيدة وتأثر به ، أن لم نقل مقالة أبي حاتم من أنه : « أحد كتاب أبي عبيدة في القرآن فأسقط منه شيئاً وراد شيئاً وأبدل منه شيئاً ، قال أبو حاتم : فقلت له : أي شيء هذا الذي تصنع ، من أعرف بالغريب أنت أو أبو عبيدة ؟ فقال : أبو عبيدة ، فقلت هذا الذي تصنع ليس شيء . فقال : الكتاب لمن أصلحه وليس لمن أسدده^(٦) » . وعلى الرغم من مبالغة أبي حاتم في تصوير الافادة والتأثر ، فليس في كتاب الأخفش ما يدل على

(١) ف/١ ب

(٢) ف/١٨٥ ب

(٣) طبقات المحويين ٧٠ واهل الرواد ٣٦/٢ .

(٤) عبد الأمير الوراد : مسهب الأخفش الأوسط في الترواة المحوية ١١٢

(٥) معجم الأئمة ١٥٨/١٩

(٦) طبقات المحويين ٧٤ - ٧٥ .

صححة زعمه ، إلا أن الرواية تشير في الأقل إلى سبق أبي عبيدة في التأليف في القرآن ، وتأخر تأليف الأخفش عن سنة (١٨٨) فضلاً عن سنة (١٨٢) ومقلها .

وترتيب كتاب الأخفش ترتيب الكتابين السابقين ، من حيث ترتيبه السور وأياتها ، إذ التزم بتسلسلها القرآني نفسه ، سوى ما وقع فيه من اضطراب في تسلسل بعض الآيات داخل السورة ، فقدم منها ما حمله أن يتأخر ، وأخر ما يجب أن يتقدم ، كالذي حدث مثلاً لعدد من آيات سورتي (البقرة) و (النساء) وغيرها وإذا كان الأخفش قد سار على مبدأ الانتخاب الذي سار عليه سابقاه فيتناول ما أشكل من الآيات دون استقصائها ، فإن عدد الآيات التي يعالجها من كل سورة تفسيراً وبياناً يتناقص حسب تسلسل السور ، لأن من آيات السورة المتأخرة ما يشبه في شكله آيات السور السابقة فيكتفي بما وصحه أولاً ، مستغنياً عن الإعادة والتكرار . هذا إلى أنه يميل بعض الآيات دون تعليق أو شرح ^(١) ، ويعمل في نص بعضها الآخر ، إذ تكون الآية ملففة من آيتين في سورتين ^(٢) . كالذي حدث في الآية الثانية والستين من سورة التوبة والآية الخامسة والتسعين من سورة براءة .

كان الأخفش في (معانيه) متعدد المصادر والشواهد والموضوعات ، وهذا التعدد هو الذي سلك الكتاب في كتب التأليف المحتاط ، فقد عني باللغات عنابة واضحة وبص على كثير منها ^(٣) . وعمد إلى القراءات فذكرها في مواضع الخلاف وذكر الوجه اللعوي لكل منها ^(٤) . وناقش مسائل تتصل بالرسم ومال إلى رسم المصحف وكره مخالفته وإن حالف القياس ^(٥) . واهتم بالنحو اهتماماً بالغاً ، فأطال بحث المصايب الاعرابية في الآيات ، متميماً من خلال هذا البحث إلى مدرسته

(١) ق ١/١٦٢

(٢) ق ١/١٠٥ ب ، ق ١/١٣٧ أ . وطر في جميع ما قلناه . منهج الأعشى في الدراسة السجدة ١١٩ - ١٢١

(٣) ق ١/١٢ ب ، ق ١/١٤ أ ، ق ١/٢٦ ب ، ق ١/٣٢ ب ، ق ١/٣٥ ب ، ق ١/٧٤ ب

(٤) ق ١/١٤٨ ب ، ق ١/٤٥ أ ، ق ١/٩٥ أ ، ق ١/١٩ ب

(٥) ق ١/٨ أ ، ق ١/١١٩ أ ، ق ١/٥٠ أ ، ق ١/٣٣ ب

المصرية ^(١) . وكان للجوانب الصرفية نصيب من دراسته لمعاني القرآن ، فوقف عندها وبين فواعدها ^(٢) . ولم ينس الكلام على النواحي التفسيرية المحصنة من الآيه ، فيذهب الى تأويلها غير مبتعد عن مرماها ^(٣) . وهو في أثناء ذلك كله كثير الرواية عن أساتذته ، يدعم بآرائهم رأيه أمثال : عيسى بن عمر ^(٤) ، ويونس بن حبيب ^(٥) ، وأبي زيد الأنصاري ^(٦) ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ^(٧) ، وغيرهم . كما روى عن عمه لقيه من الأعراب الفصحاء أمثال : أبي السمال ^(٨) ، وأبي عبد الله ^(٩) ، وغيرهما . عدا ما نقله من آراء المفسرين والفقهاء وأهل التأويل ^(١٠) . وشواهد كثيرة ومتنوعة ، من القرآن نفسه ، والأمثال ، ولغات العرب ، وأكثرها من الشعر والرجز ، ومنه قسم غير قليل لم ينسبه لفائله ^(١١) .

ولما كان الأخفش معروفاً بالنحو أكثر من سواه من فروع الدرس اللغوي ، كان السحر هو الغالب على كتابه ، مشبهاً في ذلك الفراء في معاني القرآن ، ولما كان معتزلياً يؤمن بتحكيم العقل ، كان سهجه العام يشير الى تفسيره القرآن بالرأي ، مشبهاً في ذلك أبا عبيدة في مجاز القرآن . وعلى الرغم من أن كتاب الأخفش لم يبلغ شأن الكتبيين السابقين ، سهجاً ، ولم يصف الى مادتيها مادة جديدة ، فإنه نال من المدارس اهتماماً كبيراً ، واعتمد عليه المفسرون ونقلوا عنه ، وكان له في حلقات القراءة مكانة مرموقة ^(١٢) .

(١) ق ١٠٤ / ب ، ق ٩٧ / ب ، ق ٢٢ / ب ، ق ١١٣ / ب ، ق ٥٤ / ب ، ق ١٣٠ / أ

(٢) ق ٥١ / ب

(٣) ق ١٥٥ / أ ، ق ١٧٧ / ب .

(٤) ق ٥٢ / ب ، ق ١٦٠ / ب ، ق ١٨٣ / ب

(٥) ق ٢٢ / ب ، ق ٦٩ / أ ، ق ١٣٢ / أ

(٦) ق ١٤ / ب ، ق ١١٦ / أ

(٧) ق ٥٤ / ب

(٨) ق ٣٨ / ب

(٩) ق ٣٤ / ب

(١٠) ق ٥٧ / ب ، ق ٧٤ / ب ، ق ١٢١ / ب

(١١) ق ٥٤ / ب ، ق ٣٣ / ب ، ق ٩٨ / ب

(١٢) انظر : اسد دلائل الأملري ٢٩٨ ومعجم الأدباء ١٨ / ١٩٨ ومعجم المراجع ٢ / ٣٠ ومعني اللبيب ٢ / ٥٧٤

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة :

بقي لدينا من هذه المجموعه كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ^(١) . ولا نطيل في الكلام عليه ، بل نصف منه على أمثلة قليلة سوفها دعماً لملاحظات لاحظناها في الكتاب ، ذلك انه أبعد الكتب الأربعة - هو والثلاثة السابغات عن اللغة وموضوعاتها ، وأقربها جميعاً الى موضوعه الذي ألف لأجله وهو التأويل . بين ابن قتيبة في مقدمة الكتاب ان سب تأليفه الرد على الملحدين الذين اعترضوا كتاب الله بالعظم والتعريف واللغو ^(٢) . وهذه الحميفة تشير الى الدقة في تدوين الموضوع حين يفرد في كتاب ، فابن قتيبة ألف كتابه هذا وبحث فيه ما يتصل بالتأويل والخلاف والسنة وما الى ذلك ، مدحراً في الوقت نفسه موضوعات اللغة لقراءة وما يتصل بها من تفسير لعمريها وشرح لقردانها وبيان لأمالها وغير هذا من الموضوعات لكتاب آخر ألفه بعد كتابه الأول ، الا وهو (تفسير عريب القرآن) الذي سنأتي الى درسه في الفصل القادم ، إذ تصادفنا في مواطن كثيرة منه أحالته الفارسي على كتابه الأول ^(٣) ، حين يرى انه في موقف (تأويل) لا موقف (تفسير عريب) وكان قد ذكره في ذلك الكتاب .

و (تأويل مشكل القرآن) صدى من أصدااء اهتمام ابن قتيبة بالبحث في أمور العقيدة ، فقد حرف عنه ولعه بالتأليف في هذا الجانب ، إذ وضع : دلائل النبوة ، جامع اللغة ، الألفاظ والرد على الجهمية والمشبهة ، الرد على القائل بحلق القرآن ، الحوارات الحاضرة ، المسائل والأجوبة ^(٤) ، وأشياء ذلك مما يسلك جميعاً - مع كتابه تأويل مشكل القرآن - في كتب الدين وفقهه والكلام وحججه . فكانت عديته في الكتاب الذي نحن بصدده تنصب على د العرب وما حصهم الله به من المعارضة ، وقوة البيان واتساع المجاز ، ووجوه القرآن واللحن والتأقص والاختلاف والمتشابه

(١) طبع بتحقيق السيد أحمد صفر بمطبعة عيسى البلي في القاهرة سنة ١٩٥٤ م

(٢) تأويل مشكل القرآن ١٧

(٣) انظر مثلاً - ص ٢١٠ ، ٢١٤ من تفسير عريب القرآن و ص ٢١٧/١ من المعطى

(٤) فهرست ١١٥ والرحمة ١٤٣ والانه ١٤٣/٢ والبيعة ٢٩١

من القرآن ، والمول في المجاز والاستعارة والمطلوب والحذف والاختصار ، وتكرار الكلام والزيادة فيه والكتاتبة ، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه واللفظ الواحد للمعاني المختلفة ، ودجول بعض الصفات مكان بعض^(١) ، وغير ذلك من الموضوعات نرى إيراد كلاً منها بالكلام عليه والتمثيل له ومن ثم بثها في كتابه كلاً في موضعه^(٢)

وعلى الرغم مما قلناه من قرب انطباق العنوان على مادة الكتاب ومحاولة ابن فتيبة عدم الخروج على ما رسمه له ، فإننا نجد مادة لغوية ليست بقليلة مشوثة فيه ، كما نجد في كتابه تفسير غريب القرآن مادة تأويلية مشوثة فيه ، بل نعث في الكتابين على كلام يكاد يكون بنصه الموحد في تفسير الآية نفسها ، كما في تعليقه على قوله تعالى : (الله نور السماوات والأرض مثل نور . .)^(٣) ، فقد أورد هذه الآية بتفسير واحد في كلا الكتابين^(٤) . وربما تكون هذه المادة المتشابهة هي التي دفعت ابن مطرف الكشاني (٤٥٤) - مع الدوافع التي ذكرها في المقدمة - إلى الجمع بين الكتابين في كتابه (الفرطين)^(٥) . وهذه المادة اللغوية تتعلق بما ذكرناه قبل قليل من عنايته بالمجاز والمطلوب والحذف والزيادة والتكرار وما إلى ذلك^(٦) ، وينقل خلال ذلك آراء أشياحه ومن قبلهم من اللغويين أو يروي عنهم الشواهد ، أمثال : عيسى ابن عمر^(٧) ، وأبي عبيدة^(٨) ، والفراء^(٩) ، والأصمعي^(١٠) ، والمزني^(١١) ، وأبي

(١) الفرطين : مقدمة الناحية ومقدمة المؤلف ٢ / ١

(٢) انظر مثلاً : أول سورة البقرة والفرطين ١ / ٥ - ١٠

(٣) سورة النور ٣٥

(٤) تفسير الغريب ٣٠٥ وتأويل الشكل ٢٥٢

(٥) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٥ هـ بمطبعة نائبة محمد أمين الخطمي .

(٦) تأويل مشكل القرآن . ٧٩ ، ٣٤٢ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧

(٧) الفرطين ١٥٤

(٨) ص ٢٦٩

(٩) ص ٨ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٢٦٩

(١٠) ص ٩٢ ، ١٥٤ .

(١١) ص ٩٢ .

حاتم^(١) ، وغيرهم . والكتاب كثير الشواهد متنوعة ، إلا أن أغلبها من الشعر وأغلبه مسوب . ويعد هذه هي الملامح الرئيسة لكتاب تأويل مشكل القرآن لأس فتيه ، وقد رسمت لنا صورة كتاب يقترب من مسائل اللغة ولا يطيل عندها . إذ كانت عنايته متوجهة إلى الجدل والحجاج والتأويل ، فأشبع ذلك بعمق العالم للتمرس والمناقش القوي ، وعلى ذلك نختلف مع من ذهب إلى أن الكتاب في مجموعه كتاب لغة وإن اتخذ صورة المجادلة مع الطاعين على القرآن والدين^(٢) .

وحلاصة البحث في كتب هذا الميدان ، أنها مؤلفات وصغت لخدمة القرآن ، فدخلت منه المقدس من جوانب مختلفة ، فاحتلقت فيها المادة اللغوية بالنحوية والصرفية والتشريعية والتفسيرية .

التأليف المختلط بين موضوعات اللغة

كتب النوادر والامالي :

وتمثل هذه الكتب المجموعة الثانية من النصائيف التي احتلقت فيها موضوعات اللغة نفسها ، إذ نقف فيها إلى جانب اهتمامها بذكر اللفظ النادر والاستعمال الغريب والنص على اللغات المختلفة ، على عناية بالمسائل النحوية والصرفية ، وسرد لأخبار العرب وأنسابهم ، وتعرض للقواعد العروضية مما ترويه من شعر ، وما إلى ذلك من المعارف التي اهتم بها واضعو هذه الكتب في ذلك العصر ، على أننا يجب أن نقرر أن الجانب اللغوي الذي تنصرف إليه عبارة (النوادر) في العنوان ، ابرز الجوانب في كتب النوادر وهو الطائفي على مادتها . ولما كان المؤلف يميل على تلاميذه مادة النوادر ، ويقوم التلاميذ بتدوين ذلك في كتاب ينسب إلى الشيخ ، فقد عرفت بعض كتب النوادر باسم الامالي وهي تسمية تدل على ما تدل عليه الأولى ، إلى حد بعيد .

وأول من وصل إلينا خبر تأليفه كتاباً في النوادر هو أبو عمرو بن العلاء (ت

(١) نق ١٥٤ ، ٢٦٩

(٢) د . عبد الحميد الشلتقي . رواية اللغة ٢٦٨ .

(١٥٧) ، ولعل كتابه خير مثل على ما أشرنا إليه من طريقة تدوين الكتاب عن المؤلف املاء . اذ يقول ابن النديم : « كتاب النوادر عن أبي عمرو بن العلاء »^(١) ثم ألف الخليل بن أحمد في النوادر (ت ١٧٥) ، على ما وحده بروكلمان من ذكر الكتاب في لسان العرب ٩ / ٢٤٤^(٢) . ولم أجد هذا الذكر فيما توفر من طبعات اللسان ثم ألف معاصر الخليل أبو عبدالله القاسم بن معمر المسعودي الكوفي (١٧٥) ، ويونس بن حبيب (١٨٢) كتابين كبيراً وصغيراً ، نقل من أحدهما السيوطي بعض مادته^(٣) ، وأبو مالك عمرو بن كركرة (معاصر يونس) نقل من السيوطي أيضاً نصاً واحداً^(٤) . والكسائي (١٨٩) ثلاثة كتب أكبر وأوسط وأصغر ، نقل الزبيدي في معجمه نصاً من أحدها^(٥) ، وأبو اليقطين سحيم بن حفص السابة ، وأبو شبل العقيلي (عهد الرشيد ١٧٠ - ١٩٣) ، قال ابن النديم : « رأيت بخط عتيق بإصلاح أبي عمر الزاهد نحو ثلثائة ورقة »^(٦) . وأبو المضرحي ، رأى كتابه ابن النديم بخط ابن أبي سعد^(٧) .

وفي القرن الثالث ألف في النوادر أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢) ، ونقل لنا السيوطي من كتابه بعضاً من مادته^(٨) . وقطرب (٢٠٦) ، وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦) ثلاثة كتب أكبر وأوسط وأصغر ، وأورد السيوطي شيئاً من مادة الأولى^(٩) . والفراء (٢٠٧) ووصلت إلينا اقتباسات منه في التكملة والتاج^(١٠) ، وأبو عبدالرحمن الهيثم بن عدي الطائي (٢٠٧) ، وأبو محمد عبدالله بن سعيد

(١) المهرست ١٣٠

(٢) تاريخ الأدب العربي ١٣٤ / ٢

(٣) المزهري ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ٢٨٩ والاختصاص ١٩٣ ، ٢٠٥ وتاج العروس (لب) ١١٧ / ١

(٤) المزهري ١ / ٢١٤

(٥) تاج العروس (حصر) ١١ / ٤٦

(٦) المهرست ٥١

(٧) نسخة ٥٣

(٨) المزهري ١ / ١١٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٩ / ٢ ، ١٠٦ ، ١٤٤ ، ١٥١

(٩) نسخة ١ / ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٤٦١ / ٢ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ١٠٥ ، ١٥١ .

(١٠) التكملة والتدليل والصفة (خود) ٢ / ٢٧٨ وتاج العروس (فرط) ٥ / ٢٥٩ و (عند) ٣ / ٤٢٣

الأموي (استاذ أبي عبيد) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠) ، والأصمعي (٢١٣) كتابين : النوادر ، ونوادر الأعراب ، وعبدالرحمن بن يزرع (معاصر الأصمعي) ، استحسن الأزهرى كتابه ووجد فيه فوائد كثيرة^(١) . وأبو ريد الانصارى (٢١٥) ، والاختصاص الأوسط سعيد بن مسعدة (٢١١) ، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني (٢١٥) ، وأبو زياد عبدالله بن الحر الكلابي (٢١٥) ، وأبو لذهال عينة بن عبدالرحمن (تلميذ الخليل) ، وأبو الحسن علي بن المبارك اللحياني (تلميذ الكسائي) ، روى السيوطي لما مضاهه^(٢) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤) ، وأبو عبدالله محمد بن يحيى بن المبارك البريدي (٢٢٧) ، وأبو مسهل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش (تلميذ اللحياني) ، وابن الأعرابي محمد ابن زياد (٢٣١) ثلاثة كتب تحمل عنوان النوادر هي : النوادر ، ونوادر الربيعين ، ونوادر بني فقص ، ورابعاً عنوانه الأماطي ، ومن الأخير يقول في بعض المصادر^(٣) . وعمر بن أبي عمرو الشيباني (٢٣١) ، وعلي بن المغيرة الأثرم (٢٣٢) ، وأبو محمد عبدالله بن محمد النوري (٢٣٣) ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي (٢٣٥) كتابين : النوادر المتخيرة ، والاختيار في النوادر ، ولعلها كتاب واحد . وهو عبدالرحمن عبدالله بن محمد بن هانيء السيابوري (٢٣٦) ، وكتابه أكثر من العي ورقة ، نظيره الأزهرى^(٤) ، وأبو الوارث محمد بن عبد الخالق ، واسم كتابه (نوادر الأعراب الذين كانوا مع ابن طاهر ببساور) ، ودمج بن عوز البصري ، رآه ابن النديم نحو مائة وخمسين ورقة ، وفيه اصلاح بخط أبي عمر الزاهد^(٥) . وقرية أم الجهلول الأسدية ، وكتابها (النوادر والمصادر) ، وأبو إسحاق إبراهيم بن سديان ابن حبان النهمي ، وأبو العيثل عبد الله بن خليل (٢٤٠) ، وابن السكيت (٢٤٦) ، وأبو حاتم السجستاني (٢٥٥) ، والربيع بن بكار القرشي (٢٥٦) كتابين : نوادر المدنيين ، نوادر النسب . وأحمد بن أبي عبد الله الرقي ، وأبو حنيفة

(١) تهذيب اللغة ١٩ / ١ .

(٢) الأزهر ٢ / ٢٠٠ وفتح (بر) ١ / ١٤٥ و (وجد) ٩ / ٢٥٨

(٣) فوه المواضع ٧٤ وشرح معج البلاغة ٥ / ٣٠ وحرثه الأدب ٢ / ٤٠٧

(٤) تهذيب اللغة ١ / ٢٤

(٥) الفهرست ٦٨ ، ١٣٠

الدينوري (٢٨٢) ، واسماعيل بن اسحاق القاضي (٢٨٢) ، والحسن بن علي
المزي (٢٩٠) وكتابه (النوادر عن العرب) ، وثلث (٢٩١) كتابين : النوادر ،
والمجالس ، وقد يسمى الأخير بالامالي . ونصر بن مضر الاسدي ، الذي روى عنه
كتابه محمد بن الحجاج بن نصر الانباري^(١) .

ولم يصل اليانا من هذه المجموعة الكبيرة سوى اربعة كتب ، هي : النوادر في
اللغة لأبي زيد الانصاري ، والنوادر لأبي مسحل الاعرابي ، وقطعة من السواد
لابن الاعرابي ، والمجالس لثعلب . وقبل ان نستقل الى دراسة هذه الكتب اود ب
شيراي وهمين وقع فيهما بعض الدارسين المحدثين^(٢) ، الاول انه عد ابن قتيبة
(٢٧٦ هـ) فممن ألف في النوادر عددا لا يقبله الشك ، ثم لا يكون هذا التأليف
سوى صفحتين من كتابه (أدب الكاتب) تكلم فيها ابن قتيبة على السواد والثاني :
سب كتاباً في السواد الى من سباه (دلامز البهلول) معتمداً في ذلك - على الأرجح -
على لمهرست لابن النديم . والحقيقة انه لا وجود لشخص بهذا الاسم ، ذلك ان
الطبعة التي رجع اليها هذا الباحث من الفهرست (ط الرحمانية) اوقعت واثقت
غيره من الباحثين بمثل هذا الوهم^(٣) . وقد كشفت لنا الطبعة الاخيرة منه (ط
طهران) لتحريف الذي اصاب الاولى ، والسفط الذي شوه العبارة ، فابن النديم
يذكر أسماء الاعراب الفصحاء ويذكر من بينهم قرية ام البهلول الاسدية ، ثم
يقول : ولأم البهلول كتاب النوادر^(٤) فكلمة (ولأم) حرفت في تلك السخنة الى
(دلامز) بعد ان سقط من هذه الاحيرة اسم (قرية) ، والتحريف قريب بين
الكلمتين فلما أسرع ما تقرأ الواد دالا ، والميم التي ترسم احياناً هكذا (مر) مما
وزبا . ويكون من حراء ذلك هذا الوهم الذي سبب في حلق مؤلف لا وجود له

السواد في اللغة لأبي زيد :

أقدم ما وصل اليانا من هذه الكتب ، كتاب (السواد في اللغة) لأبي زيد

(١) فهرست ٦٨ ، ١٣٠

(٢) د . حسين نصر ، الحجم العربي ١/١٣٦ ، ١٤٢

(٣) د . حبة حسن ، مقدمة السواد لأبي مسحل ٢٧ ، د . عبد الحيد الشلتاني ، رواية اللغة ٩٣

(٤) الفهرست ٥٣ ، وانظر : امه الرواد ٤/١١٥

الانصاري ، وضمت النسخة التي طبع منها الكتاب طريقتين من الرواية^(١) ، الاولى رواية الاحفش الاصغر ابي الحسن علي بن سليمان عن المبرد عن الثوري وابي حاتم عن ابي زيد ، والثانية رواية ابي سعيد السكري عن ابي الفضل الرياشي وابي حاتم عن ابي زيد . ونجد في حتام ذكر الروائتين في صدر الكتاب ما نصه : « قال ابو سعيد - ابي السكري - هذا كتاب ابي زيد سعيد بن اوس بن ثابت ما سمعته من الفضل بن محمد الضبي ومن العرب^(٢) » . فماذا سمع من الفضل الضبي من مواد الكتاب ، وماذا سمع من العرب ؟

اختلف رواية الكتاب في تحديد ذلك ، فقال ابو حاتم : « قال لي ابو زيد ما كان فيه من شعر الفصيد فهو سماعي من الفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وابواب الرجز فذلك سماعي من العرب^(٣) » . اما المبرد فنقل عن الثوري : « ان ابا زيد قال : ما كان فيه من رجز فهو سماعي من الفضل ، وما كان فيه من قصيد او لغات فهو سماعي من العرب^(٤) » . فلا خلاف في ان اللغات من سماع ابي زيد عن العرب ، وانما الخلاف في سماعه الرجز او القصيد من الفضل ، والكتاب يفصل في هذا الخلاف بان يقدم لنا نصوحا تصرح بسماع ابي زيد كلا النوعين الرجز والقصيد من الفضل^(٥) ومن العرب^(٦) . وما دمتنا في الحديث عن سماع ابي زيد من الفضل ، يجدر بنا ان نشير الى ان احد السامعين المحدثين ، كبا حين اسرع الى نكار هذا السماع بقوله : « بالاضافة الى ان جزءاً من القصيد والرجز الذي ينسب عليه الكتاب كان رواية عن الفضل الضبي الكوفي ، وهو امر لم يكن للبصريين به عهد ولا عدة^(٧) » . ذلك ان المصادر نصت على ان الفضل الضبي قصد البصرة ، وانه

(١) نشر الكتاب أول مرة بتعمير سعيد الخوري الشرطوي ، انطبعة الكاثوليكية ، بيروت عام ١٨٩٤ م . واحد نشره بالانكليزية ، بيروت سنة ١٩٦٧ م .

(٢) الرازي ١

(٣) ح ١

(٤) ح ٢

(٥) الرازي ٢ ، ١٥ ، ٣٣ ، ٥٣ ، ١١٤

(٦) الرازي ٥٧ ، ١١١

(٧) د . عبد الحميد الشافعي : رواه اللمعة ٩٦

اعلم من هبط عليها من غير البصريين^(١) وان ابا زيد - خاصة - روى عنه اشعار العرب^(٢) . فلا غرابة اذن من الرواية عنه في كتاب النواذر .

قسم ابو زيد كتابه الى خمسة عشر باباً ، ثلاثة ابواب منها للشعر ، وسبعة للرجز ، وخمسة للنواذر . سوى كتاب (مسائية) وهو باب في النواذر ، يفرد به باسم ، ويلحقه احرون بالكتاب ، وقد وضعه المحقق في آخر الكتاب وهو يشبه ابواب النواذر الى حد بعيد اسلوباً ومادة . وخلط هذه الابواب فيما بينها تديماً وتأخيراً ، فلم يجعل ابواب كل نوع من هذه الانواع الثلاثة متتابعة بعضها يلي بعضاً . فقد يتكلم على باب من ابواب الشعر ، يتبعه باب في الرجز ، ثم يعود الى الشعر ، فباب في النواذر ، وباب في الرجز وهكذا . ولم يقنعما بجدوى هذا التقسيم فضلاً عن اضطراب الترتيب ، فلا تختلف ابواب الشعر فيما بينها من حيث طبيعة المادة وطريقة المعالجة ، وكذلك ابواب الرجز ، بل لا تختلف ابواب النوعين الا من حيث ان الاولى خاصة بالشعر والثانية بالرجز ، اما ابواب النواذر فاما ان اختلفت شيئاً عن ابواب الشعر وابواب الرجز ، فاما لا تختلف فيما بينها ايضاً . يضاف الى ذلك تفاوت الابواب في الطول والقصر ، اذ يصل عدد صفحات بعضها الى اكثر من العشرين ، في حين لا يتجاوز الخمسة في بعضها الآخر^(٣) .

ومسح ابي زيد في ابواب القصيد والرجز يقوم على ايراد القصيدة او القطعة ايراداً كاملاً ثم يقوم بشرح غريبها وتفسير الفاظها الباردة ، اما في ابواب النواذر فعلى النقيض من ذلك ، فهو يذكر اللمعة الغريبة ، او الاستعمال الشاذ ويعلق عليه ثم يأتي بالشعر شاهداً على ما يقول ، ولا ترتيب في مواد كل باب من ابواب الكتاب ، فلا الفصائد والمقطعات مرتبة ترتيباً ما في ابواب الشعر والرجز ، ولا الالفاظ في ابواب النواذر ، وانما يأتي بمواد الباب متتابعة كيفما اتفق . والفصائد بشكل عام ليست بالطوال ، اذ لا تتجاوز اطول قصائد الكتاب خمسة وعشرين بيتاً^(٤) . وقد

(١) ص ٢٩ من سلام ٢٩

(٢) برهانه الانباء ٦٧

(٣) النواذر ١١ ، ٥٧

(٤) النواذر ١٠٩

بعض المقطعة فلا تتجاوز البيت أو البيتين^(١) .

كان كثيراً ما يسب هذه القصائد والمقطعات والاراجير والشواهد المبردة إلى فائليها ، وقليلاً ما يهمل ذلك^(٢) . فإن اعمى نفسه من ذكر اسم المائل احبب ، فإنه يذكر قبيلته أو موطنه للدلالة على البيئة اللعوية للنص ، كأن يقول : « وقال رحر من حمير^(٣) » . ومصدره في جميع ذلك سماعه من العرب وسماعه من المفصل ، كما شربنا في صدر الحديث . وغالباً ما يحدد عصر الشاعر ، ويذكر بعد اسمه به جاهلي ، أو ادرك الاسلام ، أو اسلامي^(٤) ، وربما زاد في الدقة فحدد عصره بعصر شاعر آخر ، كأن يقول : ادرك الفرزدق^(٥) . ثم لا نجد رواية الشعر تجورت عصر الفرزدق وجري^(٦) في جميع الابواب .

والى جانب استشهاده بالشعر في ابواب السواد استشهد بالقرآن الكريم^(٧) ، وامثال العرب^(٨) ، ولعناتهم المختلفة^(٩) ، ولم يكن النص على هذه اللغات مقتصر على ابواب السواد ، بل نحه في سائر ابواب الكتاب ، وكثرته دليل اهتمامه به ، ولم يجرح في نصه على لعنات القائل عن الاطلس اللعوي الذي اعتمده المصريون في اسمهم المنهجية ، فذكر لعنات غميم ، وبني كلاب ، واهل العالية ، وعلب مصر ، وسهل مضر ، وسي كليب ، وسي عليل ، وقيس ، وبني كعب ، وبني اسد^(١٠) وغيرها . وذكر استعمالات خاصة نص على انها لغات ، دون ان يسمي

(١) السواد ١٨٥

(٢) نفسه ١٨٤ ، ٥١

(٣) نفسه ١٠٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨١

(٤) نفسه ٢٣ ، ٤١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٠٥

(٥) نفسه ١٠٥

(٦) من ٢٣٧

(٧) من ١١ ، ٢٥٥

(٨) من ٩٦ ، ١٣٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥١

(٩) من ٣ ، ٢٤ ، ٩٧ ، ١٧١

(١٠) من ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٩٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣

فمثل هذه اللغات^(١١) ونبه على بعض الاستعمالات العامة وخاصة في البصرة^(١٢) وكان يستعمل هذه المادة اللغوية من الاعراب انفسهم بمشاققتها ، فيذكر اسماءهم مره ويتركها مرات ، وعن ذكر من هؤلاء القاصحاء : الحرمازي^(١٣) ، وشيخ فصيحة من كلاب^(١٤) ، ومتجج ، وابو حيرة^(١٥) . وغيرهم .

واهم ما يلاحظ على الكتاب ان ابا زيد لم يحصه للتوادر وان ساء بها ، ذلك ان السدر في اللغة هو الساقط^(١٦) ، وما سقط شد عن الجمهور ، وبهذا المعنى ينهني ان تكون نواذر الكلام الا ان الذي وجدناه في كتاب ابي زيد غير هذا ، فقد تجرر المؤلف في مهم نواذر اللغة ، ووسع مدلول اللفظة لتشمل ما شد عن القياس . وما قل في الاستعمال وكان معدوداً في باب ، وبهذا وضع ابو زيد مصطلحاً جديداً لنواذر ، أخذ به من جاء بعده ممن الف في هذا الفن كابن الاعرابي وابي مسجل . كما ستبين ذلك بعد .

فزجر الكتاب بأمثلة كثيرة عما شد عن القياس^(١٧) ، وما غرب وقل في الاستعمال^(١٨) ، وما تفرق من الفاظ الظواهر اللغوية ، كالاضداد^(١٩) ، والمشتراك^(٢٠) ، والمترادف^(٢١) ، والابدال^(٢٢) وغير ذلك . وكان يعرض من خلال شرحه للآيات وتفسيره للالفاظ النواذر الى الفروق اللغوية بين الالفاظ^(٢٣) ، والفوائس الصوتية التي

(١) ص ٨٧

(٢) ص ٢٤٥

(٣) ص ١٠٢

(٤) ص ٢٨ ، ٢٣٨

(٥) ص ١٩٦

(٦) كتاب العرب (مدر) ٢٠٠ / ٥

(٧) ١٣٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠

(٨) ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ١٧١

(٩) ٨٩ ، ٤

(١٠) ١٦٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٤٣

(١١) ١٠٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٥

(١٢) ١٠٤ ، ١٣٩ ، ٢٠١

(١٣) ٨١ ، ٨٧ ، ١٣٤ ، ١٦٩ ، ١٨٧ ، ٢١٢ ، ٢٠٤

تتعلق بمخارج الحروف وبالمعز^(١) ، وهواعد الادغام^(٢) ، وغير ذلك . على انه اورد ايضاً المأطأ لا ينطبق عليها مفهوم التدرج لديه ، فلم تخرج عن القياس ، وهي كثيرة الاستعمال^(٣) . ومنها يكن من امر فان كل ذلك يعطينا صورة طعيان اللعبة وموضوعاتها على الكتاب ، وذلك امر طبيعي لأن البحث في السوادد الدعوية من صميم بحوث اللعبة ، ولكن الكتاب اشتمل الى جانب ذلك على مادة واسعة تنصص بالحو^(٤) ، ونقل خلالها رأي الخليل في مثل قول العرب : (جُحِرْتُ صَبِّ حَرْبٍ) بأنهم اتبعوا علطاً منهم^(٥) . كما اشتمل على التفناتات كثيرة الى مسائل الصرف^(٦) ، وكان يصير احياناً على بعضها بأنها جارية على القياس في العربية^(٧) . كما اشار الى الصرورة الشعرية مما يتصل بالعروض^(٨)

وليس جميع ما في الكتاب لأبي زيد مؤلفه ، وانما اصاف رواية الكتاب الى مادته كثيراً من آرائهم وتعليقاتهم وشروحاتهم^(٩) ، فنجد مثلاً الاحفش الاصغر يسه على تصحيف وقع به ابو زيد^(١٠) ، وينقل رأيا لابن الاعرابي^(١١) . كما نجد ابا حاتم يذكر مذهب شيخه ابي عبدة والاصمعي^(١٢) ، ونجد الرياشي يشير الى رواية اخرى له اتشده ابو زيد^(١٣) . واحيانا يصوب هؤلاء الرواة بعضهم بعضاً ، فابو حاتم يغلط ابا زيد في موضع من الكتاب ، فينري الاحفش فيوهم ابا حاتم في تغليظه ويصحح

(١) ٢٩ ، ٢٠١

(٢) ص ٣

(٣) ٩٠ ، ١٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣

(٤) ص ١٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١٣٩ ، ٢٠٣

(٥) ص ٢٣٩

(٦) ٣٠ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٨٤

(٧) ١٧٢

(٨) ص ٢١٠ ، ٢٠٣

(٩) مثلاً : ٢ ، ٦ ، ١٣١

(١٠) ص ١٦

(١١) ص ١٦

(١٢) ص ١٣

(١٣) ص ١٩

مذهب أبي زيد^(١) ، وامثال ذلك كثير جداً في الكتاب ، بحيث لو اردنا ان نخرج هذه المادة انصافاً الى اصل الكتاب منه ، لكانت تساوي ثلث الكتاب او تزيد وهذا هو الذي يفسر لنا كثرة ورود اسماء الفراء وابن الاعرابي واللحياني وشعبل من الكوفيين^(٢) ، اذ كان الطريق الى آرائهم احد روافد الكتاب وهو علي بن سليمان الاحفش الاصغر الذي نطالعه في هذا الكتاب كوفياً محضاً ، بآرائه ومواقفه في الدفاع والرد وشيوجه^(٣) ، مضافاً الى اسماء البصريين كأبي عبيدة والاصمعي ، سوى روافد الكتاب منهم كأبي حاتم والسكري والتوزي والمبرد والرياشي وغيرهم عن نقلوا آراء شيوحيهم اولئك . وعلى اية حال فقد لقي الكتاب اهتماماً كبيراً من لدن الدارسين ، وأكبروا عليه يهلون منه ، وعن قرطه واعتمد عليه الأزهرى^(٤) ، ونقل منه أبو علي الفارسي ، وتلميذه ابن جني^(٥) ، واعتمدها^(٦) .

كتاب النوادر لابن الاعرابي :

ما كتاب (النوادر) لابن الاعرابي ، فلم تصل اليها منه سوى قطعة مكونة من عشرين صفحة ، محفوظة في دار الكتب المصرية رقمها (٤٦٠ لغة - تيمور) ، وهي تمثل نسباً من الجزء الاول من الكتاب ، وكان هذا الجزء الذي يقع في سبع وثلاثين ومئتي صفحة (ثلاث واربعين ومائة ورقة) محفوظة في المكتبة الخالدية في القدس ، حين وصفه احمد سالمح الخالدي ونشره اربع صفحات في مجلة الرسالة لقاهرة سنة ١٩٤٨ ، الا ان هذا الجزء قد ثبت ضياعه الآن^(٧) .

روى الكتاب عن ابن الاعرابي ثلاثة من تلاميذه هم : محمد بن حبيب (ت ٢٤٥) ، وعلي بن عبد الله بن سنان الطوسي ، وابو العباس احمد بن يحيى ثعلب

(١) ص ١٨

(٢) ص ٢٨ ، ١٦ ، ٥١ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٦ ، ٧٤ ، ٧٥

(٣) ص ٢٨

(٤) تهذيب اللغة ١/ ١٢

(٥) الخصائص ٣/ ١٥٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦

(٦) المحكم ٣/ ٢٧١

(٧) ابن الاعرابي ٢٢٠ (رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكتبية)

(ت ٢٩١)^(١) . ورواية الاخير هي التي وصلت اليها في الجزء المفقود ، وفي القطعة الصغيرة الباقية منه . وقد رواه عن هؤلاء الثلاثة وسمعه منهم كثير من العلما ، وللفويين مدى قرنين او اكثر من الزمان ، و قلم بعضهم بشرحه والتعليق عليه ، والرد على ابن الاعرابي فيه^(٢) . وقد حقق السيد كامل سعيد هذه القطعة المحفوظة من الكتاب ودرسها بعد ان اضاف اليها ما استطاع جمعه من نصوص الكتاب المشورة في المصادر المختلفة ، وعددها قريب من مائتي نص ، وقد ضم كل ذلك في دراسته عن ابن الاعرابي ، التي تعد بحكم المحفوظة حتى الآن^(٣)

لم يقسم ابن الاعرابي كتابه على الابواب كما فعل ابو زيد ، كما لم يحاول ترتيب مادته ترتيباً ما ، وانما جاء بهذه المادة متتابعة لا يفصل بينها فاصل ، ومحتلطة لا ينظمها موضوع ، وغاية ما هناك انه قدم حديث السي ﴿ص﴾ في وصف السحابة وجعله في اول الكتاب^(٤) ، وكأنه يلحق في هذا الى ترتيب ، الا اننا وجدناه يعود الى حديث آخر للبي ﴿ص﴾ في وسط الكتاب^(٥) ، بعد ان فصل بين الحديثين بصفحات من تفسير الالفاظ الغريبة ، وانشاد الشعر ، وسرد الاخبار مما يجعلنا نعتقد ان تقديم الحديث الاول لم يكن مقصوداً من حيث انه تقديم ترتيب

كان عمله في الكتاب يقوم على شرح الالفاظ الساذرة والاستعمالات الغريبة^(٦) ، مستشهداً على ما يقول بآيات القرآن الكريم^(٧) والشعر العربي^(٨) قصيده ورجزه ، ولغات الفائل^(٩) ، مورداً خلال ذلك ما يحفظه من اخبار لعرب

(١) تهذيب اللغة ٢١ / ١ والفهرست ١٠٩

(٢) ابن الاعرابي (طبع مائة الكتبة) ٢٠٦ - ٢٠٩

(٣) رسالة ماجستير مطبوعة مائة الكتبة ١٩٧٦

(٤) ابن الاعرابي ٢٣٢

(٥) نفسه ٢٥١

(٦) ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤

(٧) ص ٢٣٩

(٨) ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

(٩) ص ٢٤١ ، ٢٥٠

وأيامهم وأنسابهم وأسمائهم وحكمهم^(١) ، وما إلى ذلك من موضوعات ، ولكنه كان قليلاً ما يسب البيت إلى قائله واللغة إلى أصحابها^(٢) . وبهذا يختلف عن أبي زيد الذي كان شديد العناية بهذه السبب ، وإن فاق أبا زيد بكثرة الاستشهاد والتوسع بالأخبار والتاريخ والأنساب . وما ذلك إلا صدى من اصدااء الانتهاء المنرسي ، فالكوفيون - وابن الأعرابي واحد منهم - عنوا بهذه الجوانب عناية فائقة . ومن هنا كنت تظهر على كتاب ابن الأعرابي صفة الأدب والتاريخ إلى جانب الصفة اللغوية التي طعت على كتاب أبي زيد طغياناً كبيراً . ومنجد هذه الخصائص واضحة أيضاً فيما سطره من كتب ابن الأعرابي في المعمل المدام . وضمت هذه القطعة من السوادد أيضاً المقاطع من بعض الظواهر اللغوية ، تشير إلى اهتمام ابن الأعرابي بالثقافتها وجمعها ، وتعتبر ضمناً عن الأساس الذي بنى عليه ابن الأعرابي فهمه مصطلح السوادد ، وهو كما يبدو قريب من معناه السابق لدى أبي زيد في أبواب السوادد من كتابه فأورد عدداً من المقاطع المترادف ، والمشتك ، والاصداد ، والقلب والأبدن ، والاشتقاق ، وما إلى ذلك^(٣) . والفت إلى المروق الدقيقة بين بعض الالفاظ وما تؤدبه من دلالة^(٤) . يضاف إلى ذلك ما نثر عليه في النصوص المتفرقة التي جمعها دارس ابن الأعرابي من كتابه السوادد ؛ من معالجات نحوية^(٥) ، وصرفية^(٦) ، ونقدية^(٧) ، وغيرها . بحيث تقصا ظواهر الكتاب هذه وخصائسه المنهجية أمام مؤلف تظهر عليه الزعة الكوفية في العناية برواية الشعر والاكثار منه دون لعناية بسبب ، وفي الاهتمام بلغات العرب المختلفة دون الاهتمام بعروها ، وفي الاحتفال بأخبار العرب وأنسابهم وأديهم وحكمهم وما دارت عليه محالهم وأسماءهم . وتقفا أمام كتاب يجمع بين اللغة والأدب والتاريخ ، دون أن يتمحض لأحد هذه الجوانب ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما دلث عليه النصوص المروية عنه من

(١) ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

(٢) من ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢

(٣) من ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٤٩

(٤) من ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٧

(٥) ابن الأعرابي ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥

(٦) من ٢٤٧

(٧) ٣٤٨ - ٣٤٧

مسائل النحو والصرف برزت صورة الكتاب الحقيقية ، وانجلت معالنه الاصلية

كتب النوادر لأبي سهل :

واما كتاب (النوادر) لأبي سهل الاعرابي ، فقد وصلت اليه ثلاث روايات ، الأولى رواية أبي العباس ثعلب ، والثانية رواية أبي العباس ابن الاعرابي أبي عبد الله ابن الاعرابي الذي مرت قبل قليل دراستنا لروايته ، والثالثة رواية أبي عبد الرحمن أحمد بن سهل (صاحب أبي عبيد) ، ونسخت هذه الروايات جميعاً في كتاب ، ومن مخطوطته طبع الكتاب^(١) . واكثر هذه الروايات رواية ثعلب ، ولا نعلم لماذا جعلها النسخ قسمين مفصولين برواية أبي العباس ابن الاعرابي وهي اصغر الروايات ، وأخر رواية ابن سهل وبها ينتهي الكتاب . وقرأ الكتاب على ثعلب تلميذه أبو عمر الزاهد (٣٤٥) وعلى الزاهد قراء ابن خالويه (ت ٣٧٠) وعلى ابن خالويه قراء محمد بن بلبل البغدادي ، وعلى نسخة الأخير نسخ عن ابن عبيد الله الشيرازي مخطوطته التي وصلت اليها^(٢) .

وبين الروايات الثلاث اختلاف كبير في المادة الروية يشمل معظمها ، وبينها أيضاً اتفاق في بعض المواد ، وهذا الاتفاق لا يصل الى درجة اتحاد النص ، وإنما اختلفت الروايات في المادة المتفق عليها في اثبات الشاهد المشد وحذفه او اثبات اعلام الشيوخ وحذفها . مما اتفقت فيه روايتنا ثعلب وابن الاعرابي مادة (أبدأ)^(٣) و (أنت ماشية فلان)^(٤) . وما اتفقت فيه روايتنا ثعلب وابن سهل مادة (أرث نارك)^(٥) و (أرثت بين القوم)^(٦) . على ان رواية ابن سهل - وقد قرئت على ثعلب^(٧) - اقل الروايات شواهد واعلاماً ، وكان الراوي يجمع منها ، كما قلل ابن

(١) نشره محققاد : عزة حسن يلمشق ١٩٦١ م

(٢) النوادر : نسخة الحزان والتي نلها

(٣) النوادر ١/ ٧٨ ، ١٨٧

(٤) نسخة ١/ ٦٤ ، ١٧٧

(٥) ١/ ٢٦ ، ٤٨٣

(٦) ١/ ١٠٦ ، ٤٨٤/٢

(٧) ٢/ ٢٢٣

سهل من نسق الشواهد الى قائلها ، وذكر اللغات وعزوها الى اصحابها ، خلافاً لما عني به الراويان الآخران من هذه الجوانب .

وإذا كان كتاب أبي سهل أقرب كتب النواجر الى اللغة ، وأكثرها تحصيماً لموادها ، فإنه يكاد يكون كتاباً في المشترك اللفظي ، لعنايته الكبيرة برصد المعاني المشتركة ومحاولة احصاء مفردات هذه الظاهرة ، إذ لا تعدم أن نعثر في معظم صفحات الكتاب على مواد المشترك^(١) . على أنه التفت الى الطواهر اللغوية الأخرى ، ونص على مفرداتها ، كالأصداد^(٢) ، والقلب^(٣) ، والابدال^(٤) ، والاتباع^(٥) ، والمعرّب^(٦) ، والمثنى^(٧) . إضافة الى تعرضه لبعض مسائل النحر والصرف ، فذكر حذف الالف في (حير) و (شر) حين تستعملان للتفضيل ، مورداً فيها رأي الكسائي والبصريين^(٨) . وذكر نزاع الخافض^(٩) ، والنصب على المصدر^(١٠) ، وعرض للمصدر واسم المصدر^(١١) ، وصيغة مفاعيل ومفاعيل^(١٢) ، وفعل ومفعول^(١٣) ، والمقصور والمدود وورثتها^(١٤) ، والمنقوص واحكامه^(١٥) ، وما الى ذلك من أمور . سوى استطراده أحياناً في إيراد أخبار العرب وأنسابهم ، وما

(١) انظر مثلا : ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٣٦ ، ١٦٠

(٢) ١٨٢ / ١ ، ٢٢٧ ، ٤٩١ / ٢

(٣) ٧٩ / ١ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٢٧١

(٤) ٣٢ / ١ ، ٨١ ، ٣٩٥ ، ٤٠٦ / ٢

(٥) ١٤٤ / ١ ، ١٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

(٦) ٨٢ / ١ ، ٢٢٧ ، ٣٧١

(٧) ١٢٢ / ١ ، ٣٩١ ، ٤٦٧ / ٢

(٨) ٣٥٥ / ١

(٩) ١٥٦ / ١

(١٠) ٥٢٢ / ٢

(١١) ٢٢٠ / ١ ، ٤٤٦ / ٢

(١٢) ٤١٩ / ١

(١٣) ٨٨ / ١

(١٤) ٤٤٩ / ٢ ، ٤٥٠ ، ٤٧٦

(١٥) ٥٠٨ / ٢

منه حلال معالجته للمعوية^(١)

ونادر ابي مسحل كوادرن الاعرابي من حيث عدم التخصيم والترتيب، فلا أبواب للموضوعات، ولا تنظيم معين للمواد، سوى ما تجده في القسم لدى روه احمد من سهل من افراد باب خاص بالنخل^(٢) - منقف عنه بعد قليل - و باب بعد بلا عنوان، يعنى بذكر اللفاظ النادرة والاستعمالات الغريبة^(٣)، لعله يسهل بهابه الكتاب، اذ ليس هناك ما يشعرنا بانتهاه قل ذلك، وعليه فهو باب كبير، يستغرق اكثر رواية ابن سهل، وفيما عدا هذين البابين، لا نثر الا على محاوله حصر المواد المتشابهة في مكان واحد دون تسميتها، كالذي فعل من ايراد ما كان على افعل من الامثال واحداً بعد الآخر^(٤)، وجمع عدد من الصفات وذكر مصدريها^(٥)، وجمع ما كان على مفاعل ومفاعيل من المجموع^(٦)، واشباه ذلك.

ونحصى باب النخل لكل ما يتصل بموضوعه، ففيه كلام على الفيل وخرسه، والسعف وانواعه، والنمر ومراحل نضجه، واللقاح واوانه، والنخل واصنافه، الى آخر ما هالك من امور تخص النخل - ووجود مثل هذا الباب في كتاب حلا من التوبيخ والتخصيم واحتلقت فيه المواد واضطرب ترتيبها، امر يثير التساؤل ويدعو الى الشك - فرحنا نحتمل ان يكون مفعلاً على الكتاب، ورجعنا الى اقدم ما وصل اليها من كتب النخل، وهو كتاب (النخل) المنسوب الى الاصمعي^(٧)، نعارض مادة هذا الباب عليه، فبين من هذه المعارضة ان باب النخل في نوادر ابي مسحل ما هو الا كتاب النخل المنسوب للاصمعي، تقدمت بعض فقراته وتأخر بعضها الآخر، فما نجده في الصفحة الاولى من باب النخل مثلاً

(١) ٢٩٢/١ - ٤١٣

(٢) من ٤٤٠ - ٤٢٥ / ٢

(٣) من ٤٤١/٢ - ٥٢٣

(٤) ٢٩٢ - ٢٥٨ / ١

(٥) ٣٢٥ - ٣٢٠ / ١

(٦) ٤٦١ - ٤١٩ / ١

(٧) نشره الات لويس شيخو في (الجنة) للطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٤ م.

معه في الصفحة الثانية من كتاب النحل ، وما قرؤه في الصفحة الثالثة مثلاً من
الاب قرؤه في الخامسة من الكتاب وهكذا ، أما اللادة فهي هي تقريباً في كلا
الموضعين ، فما الذي جاء بها هنا ، ومن كان وراء ذلك ؟ ونحن نعلم انه لم يكن
بـ الاصمعي الصري . ان صحت نسبة كتاب النحل اليه - وايي مسجل وروء
كتابه الكوفيين اي صحبة دراسية .

نشر كتاب النحل الذي نحن بمصدد الحديث عنه في اعداد السنة الخامسة من
مجلة المشرق بتحقيق المستشرق اونغست هفتر ، ثم نشر مرة اخرى مستقلاً وفي كلنا
الشرنين كان الكتاب منصوباً الى الاصمعي على الرغم من عدم ورود اسمه في صفحة
العمود ، الا ان كثرة ما ورد من اقتباسات لسان العرب من هذا الكتاب معزوة الى
الاصمعي هي التي جعلت محققه لا يتأري في نسبته اليه^(١) . ونحن نشر الاب لويس
شيخو هذا الكتاب - بعد ان اصلح غلط طبعه السافتين وصيغه بالشكل والحق به
فهرس مفرداته - في مجموعته (البلفة) ، حالف هفتر في نسبته الى الاصمعي وقال :
« ما نسبة الدكتور هفتر هذا الكتاب الى الاصمعي فهي على ما نظر تغليب ، لان
نسختنا التي اخذ عنها لا تصرح باسم الاصمعي . ومن المحتمل ان يكون الكتاب
لأبي عبيد معاصر الاصمعي المتوفى سنة (٢٢٤ للهجرة) وما يحملنا الى نسبته لأبي
عبيد ان الشروح للمفردات توافق ما جاء في لسان العرب والمخصص لابن سيده
منسوباً لأبي عبيد اكثر منها للاصمعي »^(٢) .

وقد حفر هذا الاحتمال الذي صرح به الاب شيخو احد الباحثين الى القيام
بمعارضة الكتاب على باب النحل في (الغريب للمصنف) لأبي عبيد^(٣) ، وبعد ان
تمت له هذه المعارضة وجد ان الكتاب ليس الا هذه القطعة من الغريب المصنف ،
حذفت منها اسماء الرواة ومعظم الشواهد الشعرية ، وثبتت الامثلة التي ذكرها هذا
المباحث صحة ما توصل اليه^(٤) . وهذا لا يعني ان الاصمعي لم يؤلف كتاباً في

(١) النحل (البلفة) ٦٤

(٢) ح ٦٣

(٣) د . رمضان عبد التواب : اصول في لغة العربية ٢١٣

(٤) ح ٢١٤

السجل ذكرته مصادر ترجمته^(١) . ولكن يعني انه ليس هذا الكتاب الذي نشره هصر وشيخو ، بل هو كتاب آخر قد ضاع مع ما ضاع من تراثنا القديم ، ومن الراجح ان يكون ابو عبيد نفسه قد اعتمده في هذا الباب الخاص بالنخل من كتابه الغريب المصنف ، لورود ذكر الاصمعي اكثر من مرة خلاله^(٢) . وما يعضد هذا المذهب ان ابا عبيد ذكر الاصمعي منشداً لايات غير موجودة في الكتاب المنسوب اليه^(٣) ، غير انها موجودة في باب النخل من كتاب النوادر لأبي مسحل^(٤) ، مما يدل على ان هذا الباب منسوخ عن باب النخل في الغريب المصنف لأبي عبيد ، ثم اقيم في كتاب النوادر وهو ليس منه . يضاف الى ذلك ما نجده في الكتاب المنسوب للاصمعي من الرواية عن الكسائي^(٥) ، وهو امر لم يكن بين الكسائي الكوفي والاصمعي البصري على الرغم من تعاصرها في بغداد . في حين روى ابو عبيد في كتابه الغريب المصنف ، وفي باب النخل بالخصوص عن الكوفيين والبصريين^(٦) .

نخلص من ذلك الى ان باب النخل في نوادر ابي مسحل هو باب النخل في الغريب المصنف لأبي عبيد ، نسخ مستقلاً من الاخير ثم اقيم سهواً في الاول ، ويبدو ان ذلك قد حدث بعيد وفاة ابي مسحل (حدود ٢٥٠ هـ) وفي حياة ثعلب (المتوفى ٢٩١) ، ذلك ان هذا الباب قرئ على ثعلب ضمن كتاب النوادر . يدل على ذلك امران : الاول : النص على هذه القراءة في آخر المخطوطة^(٧) . والثاني : وجود التعليقات الممهودة في الكتاب على حواشي هذا الباب^(٨) وهذه التعليقات كان قد وجدها الشيرازي (كان حياً سنة ٤٤٧) ناسخ الاصل الذي طبع منه الكتاب ، على حواشي النسخة التي نقل عنها ، فنقل هذه التعليقات ايضاً^(٩) . ولا بد

(١) المهرست ٦٩

(٢) الغريب المصنف ٢٥٩

(٣) المصدر والمصنف اتسها

(٤) النوادر ٢ / ٤٢٨

(٥) النخل (البلغة) ٦٩

(٦) الغريب المصنف ٢٥٩

(٧) النوادر ٢ / ٥٢٢

(٨) انظر مثلاً ٢ / ٤٢٨ ، ٤٣٦

(٩) انظر النوادر (مقدمة للحق) ١٤

ان تكون لأحد الذين قرأوا الكتاب عن ذكر ما في صدر الموضوع . والذي نرجحه من أمر باب النحل ان الذي كان وراء وجوده في نواتر أبي مسحل هو أبو عبد الرحمن محمد بن سهل أحد الرواة الثلاثة للكتاب ، فقد عرف بمصاحبة أبي عبيد القاسم بن سلام كما ذكر ذلك في صدر روايته في الكتاب^(١) ، وهذه الصحة مستبقة بواقعه على عرب لمصنف ، فتسح منه باب النحل . ثم لما دون روايته لنواتر أبي مسحل ، وقد وصلب الى الشيرازي بنسخ الاصل بخطه ، اتجم ذلك الباب فيها غلطاً وسهواً ، وهذا هو الذي يفسر عدم وجدانا لباب النحل في روايتي ثعلب وأبي العباس ابن الأعرابي واحتصاص رواية ابن سهل به .

نعود الآن الى الكتاب لنكمل دراستنا لخصائصه المنهجية ، فجدد نسرع لشواهد فيه ، اذ استشهد أبو مسحل بالقرآن^(٢) ، والحديث^(٣) ، والامثال^(٤) ، والشعر^(٥) ، والرجز^(٦) . واستشهد بالحدِيث بعد مخالفة للمهجع الذي اخذ به غيره عن توقف ازاء الاحد بالحديث وهو في الغالب منهج البصريين . وأبو مسحل في هذا وسع على نفسه مجال الدرس ، وانظم مع اشباحه الكوفيين في الاعتماد على النقل والاثار . وكان في الشعر على هذا المنهج ايضاً ، اذ لم ينف عند العصر الذي وقف عنده عبره من الدارسين ، فقد امتد عصر الاستشهاد فيه الى ما بعد الفرزدق وجرير وابن هرمة ، فإضافة الى استشهاده بالشعر الجاهلي^(٧) ، والاسلامي^(٨) ، والاموي^(٩) ، استشهد لمعاد الهراء المتوفى سنة (١٩٠ هـ) اي في عصر الرشيد العباسي ، بيت لم يحزه أبو مسحل ، وانما رواه عن الاموي استاده . ولكن المصادر

(١) النواتر ١/ ٣١٥

(٢) انظر : ٩٣/١ ، ١٥٤ ، ٣٤٧ ، ٤٦٤/٢

(٣) ١٤٢/١ ، ٣٥٥ ، ٣٧٤

(٤) ١٦١/١ ، ١٦٨ ، ٢٥٨

(٥) ٦٨/١ ، ١٤٦ ، ٣٠٦ ، ٤٦٤/٢

(٦) ٧٧٤/١ ، ٢٠٠/٢

(٧) ١١٣/١ ، ١٦٩

(٨) ٤٦/١ ، ١٦٢

(٩) ١٠٧/١ ، ١٥٣

التي ذكرها للمحقق لتخريج البيت نسبه الى الهراء^(١) . وفي هذا مخالفة وجده وهو حين يستشهد بالشعر او الرجز يشير احياناً الى الروايه الاخرى للبيت ، وقد يفسر بعض الالفاظ الغريبه فيه . بقول مثلاً : « قال الراجز :

ماديت في الحي الا مديدا فأقلت فتبانهم تحويدا

وبعضهم يروونها : تهويدا . والمديد : المعين . والتحويد . الاحصار الشديد^(٢) .

وكان اطلسه اللغوي واسعا ايضا ، قد لم يقتصر اخذه من لغات القبائل التي نبأني البصريون على فصاحتها فقط ، وانما جازها الى قبائل اخرى ، على جانب ذكره لغات : اسد ،^(٣) ونعيم ،^(٤) وقيس ،^(٥) وكلاب ،^(٦) وكلب ،^(٧) وهذيل ،^(٨) وطى ،^(٩) ذكر لغات اهل اليمن ،^(١٠) وبني الحارث ،^(١١) وغيرها مما استبعد عن لدرس اللغوي . وشافه في هذا اترابه الاعراب الفصحاء كابي السمال العدوي^(١٢) ، وابي خيرة العدوي ،^(١٣) وابي مرة الكلابي ،^(١٤) وابي ثروان العكلي ،^(١٥)

(١)

(٢) ٢٧٤/١ ونظر : ٤٠٦/١ ، ٤٠٨

(٣) ٨٥/١ ، ١٠٨ ، ١٢٢

(٤) ٢٥٢/١ ، ٣٠٧ ، ٣٤٣

(٥) ٢٥٢/١ ، ٢٦٢ ، ٢٥٠/٢

(٦) ٤٦٣/٢ ، ٤٩٥

(٧) ٣٤٤/١

(٨) ٣٦٩/١

(٩) ٢٩٥/١ ، ٣٢٦ ، ٤٦٢/٢

(١٠) ٤٩/١

(١١) ٤٢٧/٢

(١٢) ٤٦٣/٢

(١٣) ٤٨٢/٢

(١٤) ٤٨٢/٢

(١٥) ٢٧٦/١

وابي عون الحرمازي ، ^(١١) وغيرهم . وروى عن شيوخه الكوفيين كالكسائي ، ^(١٢)
والعراء ، ^(١٣) والاموي ، ^(١٤) وغيرهم ، ونقل طرفاً من حلافانهم كالنبي كن بين
الكسائي والقراء حول ضم الغين وفتحها في (غسلة) . ^(١٥) كما روى عن
المصريين كأبي عبيدة مباشرة ، ^(١٦) وعيسى بن عمر بوساطة الكسائي ، ^(١٧) ريوس
ابن حبيب بوساطة العراء . ^(١٨)

ولولا هذه العناية الفائقة بالفاظ المشترك التي طغت على الكتاب ، لما اختلف
مفهوم (النوادر) لدى ابي مسحل عما كان عليه لدى ابي زيد وابن الاعرابي ،
فالنادر : استعمال شاذ ، ومخالفة للقياس ، وفروق دلالية بين الالفاظ . فمن
الاستعمال الشاذ ما نقله عن العباسيين انهم يقولون (مغزل) بفتح الميم ، ^(١٩) وعن
الكلايين انهم يقولون (نعم) في أنعم . ^(٢٠) ومن مخالفة القياس قولهم : (ما حيره
وما شره من رجل) بحذف الالف . ^(٢١) وجمعهم مثل حرة وكنة ولصة على حرائر
وكائن ولصائن . ^(٢٢) ونص في كلا للموضعين على انه نادر لمخالفته للقياس . ومن
العروق المعنوية بين الالفاظ ما اوردته في مادة (شرفة) وقول العرب (عيشي
جعدر) . ^(٢٣) وأمثال هذا كثير في كتابه . غير انه اغنى مصطلح النوادر برافد آخر هو
الفاظ الظواهر اللغوية لا سيما طائفة الاشتراك ، بما اوردته في كتابه من ثروة لغوية
منها .

(١) ٤٥٨/٢

(٢) ٢٤٤ ، ٢٢٣ ، ٨٦ ، ٥٢/١

(٣) ٥١٤/٢ ، ٢٤٧ ، ١٤٤ ، ١٢٣/١

(٤) ٥٠٥/٢ ، ١٥١ ، ٥٦ ، ٤٨/١

(٥) ١٤٤/١

(٦) ٢٢٤/١

(٧) ٢٤١/١

(٨) ٢٥١/١

(٩) ٢٠٤/١

(١٠) ٤٦٣/٢

(١١) ٣٥٥/١

(١٢) ٢٣٩/١

(١٣) ٤٩٨/٢

وبعد فنحن وأنجلون في الكتاب ، ولا سيما الباب الذي يلي باب السجل في رواية ابن سهل ، مادة تشبه ما في نوادر أبي زيد إلى حد كبير بعضها يتصل بالغريب مثل : ملحوجة ،^(١) وقتي وضي ،^(٢) وبعضها يتصل بالشعر والرجز ،^(٣) ولعل المصدر الذي استقى منه الاثنان ماتيهما واحد ، فما كان من الغريب ولغات العرب ، فما حكياء عن العرب . وما كان من القصيد والرجز فما روياء عن المفضل الصبي . فأبو زيد روى عنه مباشرة كما مر ، وأبو مسحل روى عن أبيه عنه .

بجالس ثعلب :

وأما مجالس ثعلب أو أماليه كما تسميها بعض المصادر ،^(٤) فهو الكتاب الوحيد بين هذه الكتب الأربعة لا يحمل في عنوانه لفظ النوادر ،^(٥) وكان ذلك لعله تستمد من الفرق الواضح بين مادته ومادة أي من تلك الكتب . فكتب النوادر - وإن كان بعضها يمل على الطلاب - كانت مادتها تتصل بالنوادر في معيها الذي شرد إليه لدى أصحابها ، وما خرج عن ذلك منها لا يعد كثيرا عن موضوعها الأصلي الذي لاجله وضع الكتاب . في حين لا نجد في مجالس ثعلب موضوعا رئيسا لاجله عقدت المجالس وحررت الأمالي فيها . وإنما قرأ اشتاتا من الموضوعات ، لا يربط بينها رابطا ، سوى كونها مدونة في حلقة تعليمية خاصة فيها يلقي ثعلب ما يعن له من شعر أو خبر أو تفسير أو مسألة في اللغة أو النحو والصرف أو جواب عن سؤال يوجه إليه ، فيسجل خلال ذلك طلابه ما تتابع عليهم من هذا الخليط العلمي الممتع ، فكان هذا الكتاب .

وذكرت لنا المصادر أسماء عدد من روى الكتاب ،^(٦) أشهرهم أبو بكر من

(١) ٤٥٤/٢ . ٤٨٣ وانظر نوادر أبي زيد ١٣٥

(٢) ٤٥٥/٢ . ٤٣٦ وانظر في نوادر أبي زيد : ١٣٣

(٣) ٤٧٧/٢ وانظر في نوادر أبي زيد ١٣٣

(٤) انظر المجالس ٣٨/١ ولما في الفاي ١٧٧/١ واللؤطف والمخطف ١٧ ومعجم الادباء ١١٥/١٦ ولسان العرب

٢٠٦/٩ والزهر ١٤٨/١ وشرح شواهد المعنى ٦٧ وخزانة الادب ١٢٥/٢

(٥) طبع بتحقيق عبد السلام محمد حلوان في دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٨ واعيد مشروعه سنة ١٩٥٦ م

(٦) المعجم (الرحمانيه) ١١١ .

الامباري ، وابوعبد الله الزبيدي ، وابوعمر الزاهد ، وابن دوستويه ، وابن مقسم المقرئ العطار ، وجل هؤلاء عن تلمذ ثعلب . ولم يصل اليها من رواياتهم سوى رواية ابن مقسم ، وهي التي طبع منها الكتاب . ويبدو ان ابن مقسم هذا قد راد في الكتاب شيئا ، بعضه له وبعضه لغيره ، حسب ما ينص عليه في موطنه .^(١) كما يبدو من رواية ابن مقسم عن ثعلب هذه المجالس ، ان ثعلبا كان يملئ هذه المادة في السنوات المتأخرة من حياته ، ذلك اتنا نعرف ان ابن مقسم للتوفي (٣٥٤) كان قد ولد سنة (٢٦٥ هـ) ،^(٢) وان ثعلبا توفي سنة (٢٩١ هـ) فيس ولادة الاول ووفاته الثاني ست وعشرون سنة ، فاذا افترضنا حضور ابن مقسم حلقة ثعلب وهو ابن عشرين في الاقل ، استطعنا ان نحدد زمن هذه المجالس في السنوات الست الاخيرة من حياة ثعلب أي بين سنتي ٢٨٥ - ٢٩١ هـ .

الكتاب - في مخطوطته التي نشرتها - مقسم الى اثني عشر جزءا ، ولعل هذا التقسيم من عمل ابن مقسم راوي الكتاب ، لاذ لا نجد فرقا واصحابا بين جزء وآخر من حيث طبيعة الخليل الذي يحويه كل جزء ، كما لا يوجد ما يدل على ان الجزء اللاحق يتمم الجزء الذي قبله ، فكل جزء من اجزاء الكتاب وحدة قائمة بذاتها . فلا قيمة فعلية لهذا التقسيم ، ولا قيمة ايضا لما نجده في بعض هذه الاجزاء من ذكر لفظة (مجلس) عنوانا لقطعة من الجزء لا تختلف في شيء من سائر الجزء مادة ومنهجيا .^(٣) غير اننا نعثر في الجزء الثاني من هذا التقسيم على عنوان خاص هو (الاجزاء في القرآن) تكلم تحته ثعلب على عدد حروف القرآن ، كلها ، ونصفها ، وربعها ، وثلاثها ، وخمسها ، وستسها ، وسبعها . الخ .^(٤) مسترقا ست صفحات ، نقرأ في آخرها : (تم اجزاء القرآن) وهذا هو العنوان السليم في كل الكتاب ، وقد سبغ وصغه على هذه القطعة منه ، لانطباقه على ما تحته .

اكثر ثعلب في مجالسه من انشاد الشعر ، فأنشد للمجاهدين امثال رهير

(١) انظر مثلا : ٢٨/١ ، ١٣٦ - ١٣٨

(٢) تاريخ بغداد ٢/٢٠٦ والعمدة ٣٦

(٣) انظر : ٢٤/١ ، ١٢٨ ، ١٦٦ ، ٢٠٧ ، ٢٧١

(٤) ٥٦ - ٥٠ / ١

والاعشى^(١)، والمخصر من امثال حسان وكعب^(٢)، والاسلامي من امثال ذي الرمة وابن
هرمة^(٣)، والعباسيين امثال بشر وأبي نواس^(٤)، حتى انشد لهه ايضا^(٥) تارك
الاعلى الاعم مما ينشده من قصائد ومقطعات دون تعليق، وكأنه يرمي من ذلك الى
تسيه الطلاب على ما فيها من بلاغة، او قصة، او نكتة وقد يفسر بعض ما ورد
فيها من القاط غريبة^(٦)، او يذكر اختلاف رواية احد ابيائها^(٧) ليتصل الى يرد
احبار العرب وقصص الاوائل^(٨)، تاركا في الاكثر ما يورده دون تعليق، وبشرح
احيانا بعض القاط الخبر او القصة^(٩) غير اننا كثيرا ما مجده يفسر القاط مختلفة لم
ترد في الخبر المذكور قبلها والايات المشددة فيه^(١٠) وكان موقفه منصوص اقرآن
غنتها، فلم يورد آية من آياته الكريمات الا علق عليها بذكر تأويلها، او بين
حكمها الشرعي، او تفسير غريبها^(١١) وكذلك كان مع الحديث الشريف يفسره
ويستشهد به^(١٢) ومع الامثال فصيحها وعاميتها^(١٣).

وليس عريبا ان نجد تعليقا في مجاله يحويها قبل كل شيء، على الرغم مما طبعت
به الاشعار والقصص والاحبار هذه المحاليس بطابع الادب والتاريخ^(١٤) وكان
لرياسته مذهب الكوفيين اثر واضح في الكتاب، يتجلى بهذه الكثرة من المسائل
النحوية التي عاجلها وفصل القول فيها، موردا رأيه وآراء شيوخه الكوفيين، مثل

(١) ١٨٧، ٩٩/١

(٢) ٤٢٩، ٤١٠/٢

(٣) ١٠١، ١٢/١

(٤) ٩١١/٢، ٢٤/١

(٥) ١١٤/١

(٦) ١٦٨/١

(٧) ٤٦١/٢

(٨) ١٠، ٧، ٥، ٤/١

(٩) ٨/١

(١٠) ٧، ٦، ٥/١

(١١) ١١، ٩، ٨، ٦/١

(١٢) ٦٦١/٢، ١١/١

(١٣) ١١١، ٥٣٧/٢، ٢٦٨، ٩٣، ٥٩/١

(١٤) نظرا ايضا ٤٠٨، ٤٠٧/٢

رأيه في نصب (عبد) في قولهم: (أعبد الله ثوباً كسوته)،^(١) والاستثناء وجواز النصب في قوله تعالى: (قالوا أساطير الأولين)،^(٢) ووجهه على المترسي في شذوذ دخول الباء على الفاعل،^(٣) وعسى واحكامها^(٤)، والاستثناء المنقطع،^(٥) و(إلا من) في الاستثناء،^(٦) وذكر رأى القراء والبصريين في بثها ولعلها،^(٧) وما لي ذلك مما يرسم له صورة التحوي المصروف لما يعرض له من هذه الاستعمالات ولا ساليب تصريف العالم المتمكن.

وعرض أيضاً لمسائل التصريف وموضوعاته، فذكر صيغ اسم الآلة، والصفة لمشبهة، وافعل التفضيل، والمبالغة وباء فعلل وفعل وفعليل،^(٨) وخالف أصحابه للكوفيين في حذف الواو من (يَعْد) و(يَزِن) موافقاً البصريين،^(٩) وعرج على الفاظ الطواهر اللغوية يصر عليها ويعالجها، فأورد عدداً من الفاظ المشترك،^(١٠) والاتباع،^(١١) والمقلوب من التراكيب مما أدخله اللغويون في الأضداد،^(١٢) والتذكير والتانيث،^(١٣) وغير ذلك. سوى ما ذكره من مفردات تفتتها من أفواه العرب لم ترد في المعجمات وفاتت جماع اللغة،^(١٤) وكان معتمده في كل ذلك لغات العرب يستقي منها قوانين اللغة ومفرداتها وحماضها وظواهرها، وقد توسع في الأخذ عن القبائل، فراد حديثها عنده، وبعد موطنها لديه، فذكر

(١) ١٠/١

(٢) ١١٠/٢

(٣) ٣٣٠/١

(٤) ١٦٣/٢

(٥) ١٢٤/٢

(٦) ١٣/١

(٧) ٤١١/٢

(٨) ١٥٠/١ ، ١٧٩ ، ٢٠٨ ، ٢٨٢ ، ٢٢١/٢ ، ١١٣

(٩) ٤٢٨/٢

(١٠) ١١/١ ، ٤١٠/٢

(١١) ٧/١

(١٢) ٤٣٨/٢

(١٣) ٢٢١/١ ، ٤٩٠/٢

(١٤) ٧٩/١ ، ٩٠ ، ١٦٥ ، ٢٤٨ ، ٤١١/٢ ، ٤٨٦ ، ٥٥٤

لغات : الازد ، واسد ، وبكر ، وتيم ، والحجاز ، وحير ، وحطنه ، وحيفة ،
وسليم ، وضبة ، وطية ، وعكل ، وفقعى ، وقريش ، وقيس ، وقصاعة ،
وكلاب ، وكتب ، وكنة ، وهولزن ، وغيرها .^(١) وذكر من ظواهر هذه اللغات
الكشكشة والكسكة .^(٢)

وروى ثعلب عن عدد من الشيوخ واللغويين ، وجلهم من الكوفيين ، امثال
الكسائي ، والقراء ،^(٣) وكان اذا اختلف هذان في مسألة فهو مع المرء ،^(٤) كما
روى عن ابن قادم ، وابن الاعرابي ، والاثرم ، ومحمد بن حبيب ، وابي العالمة ،
وابن شبة ، وابي نصر وغيرهم .^(٥) وكانت روايته عن البصريين بوساطة غيرهم ،
فقد روى عن ابن سلام ويونس بوساطة ابن شبة ، وعن الاصمعي بوساطة ابي
نصر ،^(٦) وهكذا .

نخلص من ذلك الى ان مجالس ثعلب يختلف عن كتب النوادر باستيعابه لكل
ما يحسن للاستاد الممثل من مسائل اللغة والنحو والصرف والادب والشعر والتفسير
والقصص والاختبار والنوادر ، فهو ابعد من تلك الكتب عن النوادر بمعناها الذي
وضعه ابو زيد وطوره ابو مسحل . وانفق معها في انه مجموعة امالي دونها الطلاب ،
وانه وعاء اختلطت فيه الموضوعات اللغوية بغيرها .
وبخلاصة القول في هذه المجموعة من كتب النوادر والامالي ، انها مؤلفات
اشبهت كتب المعاني والمجاز في كونها مختلطة المادة ، واختلفت عن تلك في انها اقرب
للغة واكثر تحضيا لها ، وانضح منها ودرسا ومادة .

(١) ١/٧٣ ، ٢/٣١٤ ، ٣/٥٩ ، ٤/١٠٤ ، ٥/٩١ ، ٦/١٥٢ ، ٧/٣١٦ ، ٨/٧٦ ، ٩/٥١ ، ١٠/١٣ ، ١١/٢٢ ، ١٢/٣١ .
١١٣ ، ١٨٥ ، ٢/٤٢٢ ، ٣/٥٥٦ ، ٤/٥٩٩ ، ٥/٥٤٢ ، ٦/٥٠٥ ، ٧/٤١٦ .
(٢) ١/١٠٠ ، ٢/١٤١ .
(٣) ١/١٣ ، ٢/٥٣ ، ٣/٧٤ ، ٤/١٦٩ ، ٥/١٩٠ .
(٤) ٢/٤٢٢ ، ٣/٥١٤ .
(٥) ١/٧ ، ٢/٨ ، ٣/١٢ ، ٤/١٣ ، ٥/١٥٨ .
(٦) ٨/١ .

الفصل الثاني

كتب الموضوعات اللغوية المستقلة

مقدمة - كتب الغريب : غريب القرآن ، غريب الحديث ، غريب اللغة - كتب
اللغات : لغات القرآن ، لغات القبائل ، لحن العامة ، كتب الأمثال - كتب الاصوات :
الهمز ، الحروف ، الوقف والابتداء ، الاصوات - كتب الحيوان : الحشرات ، الطير ،
الابل والغنم ، الخيل ، الوحوش .

مقدمة :

كنا قد اشرنا في الفصل السابق الى ان التأليف في موضوعات اللغة وجمع مفرداتها مختلفة ومستقلة كان اسبق في الظهور من التأليف في موضوعات النحو والصرف على الرغم من تكبير اللغويين في وضع كتبهم في الميدانين الاخيرين ودلنا على ذلك بما ذكرنا من اسماء الكتب ومؤلفيها ، ناصحين على تواريخ وميات هؤلاء المؤلفين ، لتكون هذه التواريخ معياراً لنا على تحديد السبق في كل تأليف . ذلك اننا لا يمكن أن نحدد بالدقة تاريخ تأليف الكتاب خلال حياة المؤلف ، فنعمد الى هذه الطريقة المرتضاه في البحث على ما فيها من احتمال الغش الذي يقع بحق المؤلف الذي يتأخر تاريخ وفاته عن تاريخ وفاة مؤلف آخر ، في حين يكون الأول اسبق من الثاني في التأليف في فن من الفنون اللغوية التي اسندكرها في هذا الفصل .

وحيث كانت المؤلفات الخاصة بمبنى اللغة قد سقت مؤلفات النحو والصرف ، كانت من هذه المؤلفات اللغوية متفاوتة في الظهور ، فقد سبق بعضها بعضاً ، لآخر في الزمن ايضاً . والتأليف في العريب او الامثال او اللغات مثلاً سبق التأليف في الحيوان والنبات وغيرها من الموضوعات تبعاً للدافع والظرف الخاصين ونحس في هذا الفصل بمصر كلامنا على عدد من الفنون اللغوية التي ألف فيها المستمعون في القرون الثلاثة الاولى ، مبتدئين في دراسة هذه الموضوعات المختارة بأوها ظهوراً والثاني وهكذا ، ذاكرين في كل منها اول الكتب ظهوراً والثاني وهكذا

أيضاً ، واقفين على ما وصل إلينا منها وقفة مترتبة نستجلي بها مسهب الكتاب ومدته
لصنع إيدينا - بعد ذلك - على تطور منهج التأليف في كل فن ، مرجئين إلى الفصل
الثالث من هذا الباب الكلام على المعجمات اللغوية .

وقبل البدء بدراسة هذه المؤلفات لا بد لنا من تكرار ما سبق القول فيه ، من
أن القرآن الكريم كان الحافظ الأكبر لنشأة الدراسات اللغوية التي أصبحت شيئاً
فشيئاً مكتبة لغوية ضخمة - فانتلاقاً من حرص المسلمين على صون القرآن من
الخطأ نشأت المؤلفات الخاصة بنقطه وشكله وأعجابه ، ورغبة في فهمه واستيعاب
أحكامه نشأت الدراسات الخاصة بتفسيره وتوضيح معانيه ومراميهِ الدبية ، وخدمة
للمعنى ودفاعاً عنها نشأت المحاولات الخاصة بذكر عربيهِ والنص على لغانه ، ثم
توسعت هذه الدراسات بمرور الزمن ، وأخذت تبتعد عن ميدانها الأول الأ وهو
القرآن ، وصارت تطلب لذاتها ، ويؤلف فيها مستقلة عن الدافع القديم دفع
خدمة القرآن ، حتى تصال وكاد يختفي في مثل كتب الحيوان والنبات وأشباههما .

كتب الغريب

١ - غريب القرآن :

يعد التأليف في غريب القرآن أول ما ظهر من فنون التأليف اللغوي ، وذلك
أنه نسب لابن عباس (ت ٦٨ هـ) كتاب في هذا الموضوع ، ويؤمن مروكلمان أنه
كانت منه نسخة في برلين قبل الحرب العالمية الثانية^(١) ، ولا ندري مدى صحة هذه
النية بعد أن أحجمت المصادر القديمة عن ذكرها ، فمن ذلك فهرست ابن النديم
الذي ذكر أن أول كتاب ألف في تفسير القرآن هو كتاب ابن عباس الذي رواه مجاهد
عنه^(٢) . وهو - فيما نعتقد - غير الكتاب الذي نحن بصددده ، لأن كتاب (تصوير
المقاس من تفسير ابن عباس) الذي استخرجه الفيروز آبادي لا يعد كتاباً في غريب

(١) تاريخ الأدب العربي ١/ ٣٣ عن المعجم العربي ١/ ٢٩ .

(٢) الفهرست ٥٠

القرآن وأما هو كتاب في التفسير ، ولا يخفى ما بين الغريب والتفسير من الاختلاف في المعالجة .

غير أننا نعرف أن ابن عباس كان يسأل عن معاني مفردات القرآن ، وأنه كان يفسرها تفسيراً لغوياً ، مستشهداً على ما يقول بالشعر العربي القديم ، يقول سعيد ابن جبير ويوسف بن مهران : « سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا ، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا »^(١) . ونقل السيوطي أنه : « قال أبو عبيد في فضائله : حدثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ، قال أبو عبيد : يعني كان يستشهد به على التفسير »^(٢) . وفي كتب التفسير واللغة والأدب نقول كثيرة عن ابن عباس تعضد هذا المنهج ، وتنقل عنه أقواله التي يدعوقها إلى اتباع هذه الطريقة في فهم غريب القرآن^(٣) .

وإذا كنا لا نستطيع الجزم بحقيقة كتاب ابن عباس فستطيع الظن أنه من مرويات تلاميذه عنه ، إذ يحلو لأحد الرواة في حيل متأخر أن يجمع ما رواه متصلاً بابن عباس في كتاب ينسب إليه ، بقوي ذلك في نفوسنا امران ، الأول : أن السيوطي نقل لنا كثيراً من أقوال ابن عباس في غريب القرآن مروية عن ابن جرير عن المشي عن عبد الله بن صالح عن علي بن طلحة^(٤) ، وربما كان الكتاب الذي نقل منه السيوطي برواية أحد هؤلاء مسنداً إلى ابن عباس . والثاني : أن كتاب (اللغات في القرآن) لابن عباس قد وصل إلينا برواية اسماعيل بن عمرو بن راشد الخزاز عن عبد الله بن الحسين بن حسون المقرئ بامتناده إلى ابن عباس . فاسماعيل أو ابن حسون هو الجامع لشتات آراء ابن عباس في لغات القرآن ، حيث لم يؤلف ابن عباس هذا الكتاب . ومثله كتاب (تنوير المقباس) الذي مررت الإشارة إليه قبل قليل ، فهو من رواية محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٤ / ١

(٢) الألفاظ ١٢١ / ١ .

(٣) القفاصل ١٠ وادب الأملاء والأسئلة ٧٦ والافتان ٢٠٦ / ١

(٤) الألفاظ ١١٤ / ١

وبإمكاننا ان نتخذ من هذين الكتابين فريضة تكشف حقيقة كتابه الاول (غريب
«لعرآن»

واشهر هذه الاسئلة الموجهة الى ابن عباس ما كان من نافع بن الازرق وسحرة
ابن عويمر ، حيث قصدها في المسجد الحرام وتوجهها له بسؤالها عن مفردات
العرآن وعريبه ، فاجاب عنها ابن عباس واحلة واحلة على المنهج الذي اشرنا اليه ،
ويوضحه المثل الآتي : « فعلا : يا ابن عباس احبرنا عن قول الله عز وجل : (عَنْ
الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ)^(١) ، قال : عيزين : حلق الرفاق . قلا : وهل تعرف
العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى يكونوا حول منبره عيزينا

قال نافع . يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عز وجل : (وَأَبْتَغُوا إِلَهَ
الْوَسِيلَةِ)^(٢) .

قال : الوسيلة : الحاجة ، قال : او تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما
سمعت عنترة العبسي وهو يقول :^(٣) :

إن الرجال لهم اليك وسيلة إن بأحذولك تكحلي وتخصي^(٤) ،

وعلى هذا الموال من السؤال والجواب المدعم بالشاهد الشعري يفسر ابن
عباس ما يقرب من خمسين ومائتي لفظة من القرآن الكريم . وقد قام استاذنا الدكتور
ابراهيم السامرائي بشرح هذه السؤالات محقة عن مخطوطة حديثة النسخ . بعدد
سنة ١٩٦٨ بعنوان : سؤالات نافع بن الازرق الى عبد الله بن عباس

وبصفت المخطوطة على سند رواية السؤالات وهو قول الراوي . « حدث ابو

(١) سورة الماعج ٢٧

(٢) ص ٥ المائدة ٣٥

(٣) ديوان عنترة ٢٠

(٤) سؤالات نافع بن الازرق ٩

الحسين عند الصمد بن علي بن محمد مكرم المعروف بابن الطوسي قراءة عليه من لمعه في مسجده بدرب رباح يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة قال : حدثنا أبو سهل السري بن سهل بن حريش الحنظلي يسابوري بعند يسابور قراءة عليه سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، قال : حدثنا يحيى بن عبيدة الللي واسم أبي عبيدة بحر بن فروخ ، قال : أخبرنا سعيد بن أبي سعيد قال : حدثنا عيسى بن دأب عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه^(١) .

وقد شك في حقيقة وقوع هذه السؤالات عدد من الباحثين ، أشهرهم من العرب الشيخ محمد حسن آل ياسين^(٢) ، ومن المستشرقين كولد سيهر^(٣) . داهين لي أنها موضوعة ، قصد من ورائها الفائدة التعليمية ، إذ لا يمكن أن تتم كل هذه السؤالات وأجوبتها في جلسة واحدة كما يزعم روايتها ، كما أنه لا يمكن أن تحفظ هذه السؤالات وأجوبتها هذا الحفظ الدقيق الذي تناقلته الأجيال شفاهاً حتى دون بعد ابن عباس بعشرات بل مئات السنين . ومثل هذا الشك قبل في نسبة (توير المقباس) إلى ابن عباس أيضاً^(٤) .

وأقدم من نصت المصادر على تأليفه كتاباً في عريب القرآن هو أبو سعيد أبان بن تعب بن رباح البكري (ت ١٤١ هـ) يقول ياقوت الحموي في وصف هذا لكتاب : « وصف - أي أبان - كتاب العريب في القرآن الكريم ، وذكر شواهد من شعر ، وجاء فيها بعد عبدالرحمن بن محمد الأردي الكوفي مجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب وأبي روق عطية بن الحارث ، فجعله كتاباً فيها احتلموا فيه وما انفقوا عليه . فتارة يحيى كتاب أبان مفرداً ، وتارة يحيى مشتركاً ، على ما عملته عبد نرحم^(٥) . ولا غم لك عن هذا الكتاب من المعلومات غير هذه ، وهي تفيدنا على

(١) سؤالات باقم ٨

(٢) منهج الطوسي في تفسير القرآن ٢١

(٣) مدافع التصحيح الإسلامي ٨٩

(٤) منهج الطوسي ٢٠ - ٢١

(٥) معجم الأدباء ١٠٨/١

احتصارها انه كان سائراً على منهج ابن عباس في تفسيره الغريب من الامتنع من الاستشهاد بالشعر ، والطاهر ان طريقة الاستشهاد هذه راقية لمن جاء بعد ابن عباس عن لف في الغريب ، فالتفتوا بها دعماً لأرائهم ونوحيها لمعاتهم ، ادخلت متبعة الى عصر ابن قتيبة كما سنرى ذلك من دراسته كتابه .

وقد ألف أبو فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٥ هـ) في غريب القرآن ، وذكر الخطيب البغدادي والمفطلي ان هذا الكتاب « رواء عنه اهل مرو »^(١) ، وألف في الموضوع بعده أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢) ، والبصر بن شميل (ت ٢٠٣) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠) ، والأصمعي (ت ٢١٣) ، الذي اتفق مع الدكتور حسين نصار في شكه في نسبة كتاب في غريب القرآن اليه ،^(٢) فمع ان هذه النسبة لم يزعمها غير السيوطي ، فانه عرف عن الأصمعي تخرج شديد من التعرض لالفاظ القرآن^(٣) . وألف بعده الاحفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١١) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) الذي قال فيه ياقوت ان كتابه في غريب القرآن « متزع من كتاب أبي عبيدة »^(٤) . ثم ألف محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١) وأبو عبد الرحمن عبدالله بن محمد العدوي المعروف بابن اليزيدي (تلمذ الفراء) ، وأمن قتيبة (ت ٢٧٦) وكتابه هو الكتاب الوحيد الذي وصل الينا دون سائر الكتب السابقة .

غريب القرآن لابن قتيبة :

والكتاب - وقد نشره محققاً في القاهرة سنة ١٩٥٨ السيد احمد صقر - يمثل في منهجه نهجاً علمياً وعقلياً واضحاً . يمثل ذلك بتقديمه للكتاب وتبويب وترتيب ومعالجته تفسير الالفاظ . فقد افتتح مقدمته بذكره انه قسم كتابه ثلاثة اقسام ، الاول : لتأويل اسماء الله الحسنى وصفاته واشتقاقها ، والثاني : لتفسير المفردات

(١) تاريخ بغداد ١٣/٢٥٨ وتبليغ الرواة ٣/٣٢٧

(٢) المعجم العربي ١/٤٠

(٣) مراتب المحررين ٤٨

(٤) معجم الالفاظ ١٦/٢٦٠ .

التي تكررت كثيراً في القرآن ، والثالث : لتفسير الغريب^(١) . ثم يذكر عرضه ومهجه في الكتاب وذلك انه اراد ان يختصر دون احلال ، ويوضح دون اسهاب ، وان لا يستشهد على اللفظ المعروف ، ولا يحشو الكتاب بآراء النحاة واهل الحديث ، لأن ذلك يقلل الانتفاع به ، ويجعله شبيهاً بكتب السلف التي كان غرض هذا لكتاب ان يأتي على غير منوالها^(٢) . ثم يقرر ابن قتيبة ان كتابه مستنبط من كتب من سبقه من المفسرين واصحاب اللغة الكبار ، يختار منها ما كان اقرب به في الدلالة الدعوية واشبهه بقصة الآية ، تاركاً التأويل البعيد والتفسير المكذوب ، ثم يمثل للتأويل البعيد والمحول امثلة عديدة من القرآن مسجلاً حيرته بقوله : « لا يدري أمن جهة المفسرين لها وقع العلق ؟ او من جهة النقلة ؟ »^(٣) وبهذا يهيء المقدمة ليدخل في صلب الكتاب .

والاول اقسام كتابه الثلاثة بعنوان (اشتقاق اسماء الله وصفاته واظهار معانيها) ويذكر فيه اسماء الباري عز وجل مبيناً دلالتها اللغوية واشتقاقها وما يتصل بذلك من كلام ، مافلاً آراء غيره من العلماء كما في (الرحمن الرحيم)^(٤) ، مستشهداً على ما يقول بالقرآن نفسه كما في (السلام)^(٥) ، وبالشعر كما في (سُبُوح)^(٦) ، وهكذا حتى يأتي على ستة عشر اسماً من اسمائه الحسنى ، يردفها ببعض صفاته جل شأنه وعددها عشر صفات فيكون مجموع العاط هذا القسم من الكتاب سناً وعشرين لفظة ، وهي تحتل خمس عشرة صفحة من مطبوع الكتاب^(٧) . وما يلاحظ عليه في تسلسل هذه الاسماء والصفات انه لم يراع فيها ترتيباً معيناً ، اذ ليست مرتبة على الحروف الاولى ولا الاحيرة ، فمثلاً تبدأ هكذا : الرحمن الرحيم ، السلام ، القيوم والفيام ، سوح . . الخ . كما انها ليست مرتبة حسب ورودها في القرآن ، اذ

(١) غريب القرآن ٣

(٢) غريب القرآن ٣

(٣) المصدر نفسه ٥

(٤) غريب القرآن ٦

(٥) المصدر نفسه ٦

(٦) المصدر نفسه ٨

(٧) المصدر نفسه ٦ - ٢٠

يسعى ان يأتي بعد السلام المؤ من قالمهمن حسب ورودها في قوله تعالى (السلام
المؤ من المهنين)^(١) ولكن شيئاً من هذا غير موجود ، فهي غير مرتبة حسب ترتيب
معنى

واما القسم الثاني فهو بعنوان (باب تأويل حروف كثرت في الكتاب) مثل
الحس ، الاس ، الضلان ، الملائكة ، اليبس ، الشيطان ، يتوفى الأنفس ، يوم
ينصح في الصور وغيرها . ويتضح من ذلك انه لم يقصد بالحروف الالفاظ فقط و
قصد الالفاظ والحمل عما شاع وروده وكثر في القرآن . وعداد هذه الحروف في هذا
القسم اربعون حرفاً^(٢) ، والترتيب هنا معقود كالقسم الاول ، فليست هذه الالفاظ
والجمل مرتبة حسب نظام معين ، وهو يوحي كلامه هنا ايضاً بأراء
العلماء كما في (اساطير الاولين)^(٣) . وبالشعر كما في (السورة)^(٤) . وبالقرآن كما
في (الالفك)^(٥) . وهو يعنى بالاشتقاق في تفسير كل حرف ثم بدلالته اللغوية ، وقد
يحملها متكلماً على ذكر نزول الآية او ما اشبه ذلك كما في (السبع الطوال)^(٦) .

اما القسم الثالث وهو عمدة الكتاب واصله فهو لتفسير غريب القرآن^(٧) ،
وقد رتب على ترتيب السور في القرآن ، فقد بدأ بالحمد والبقرة وانتهى بالنس كما
رتب الآيات داخل السور ترتيبها الاصلي في القرآن ، فالغريب الوارد في آية (٣) مثلاً
يأتي قبل الغريب الوارد في الآية (٧) ، وما في الآية (١٠) قبل ما في الآية (١٢)
وهكذا حتى يأتي على السورة باكملها ، فهو يتحجب الالفاظ غريبة من الآيات دون ان
يخصي ذلك في كل آية ، وذلك حسبما يعتمد بغرابته او بعلمها

وشرحه للغريب قصير مختصر ، فهو أحياناً لا يتعدى الكلمة الواحدة . كما ي

(١) سورة الحشر ٢٣

(٢) غريب القرآن ٢١ - ٣٧

(٣) المصدر ص ٣٧

(٤) ص ٣٤

(٥) ص ٣٠

(٦) ص ٣٥

(٧) ص ٣٨ - ٤٤

قوله تعالى : (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)^(١) أي : الموت^(٢) . وأحياناً يبلغ الصفحة الواحدة ، كما في قوله تعالى (لِيَسْتَذِيقَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)^(٣) وبعد استشهاده بالشعر والحديث والمثل قليلاً بالنسبة لعدد الألفاظ الغريبة المفسرة في الكتاب ، وكان أكثر ما يقل من آراء العلماء في غريب القرآن عن أبي عبيدة (ت ٢١٠) في كتابه بحر القرآن ، والمراء (ت ٢٠٧) في كتابه معاني القرآن^(٤) ، وفي الاشتقاق عن الأصمعي (ت ٢١٣)^(٥) . وفي التفسير عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وغيرهم^(٦) . ورجع الهري في كثير من مواطن الكتاب تربو على مائة ، إلى كتابه تأويل مشكل القرآن^(٧) ، مما جعلنا نعتمد - بعد الرجوع إلى مواطنها في التأويل ومقارنتها بالعرب - بأن هناك تشابهاً كبيراً في معالجة الآيات في الكتابين ، كان السبب فيه تأثير كتاب تأويل مشكل القرآن على ذهن ابن قتيبة وهو يؤلف كتابه غريب القرآن ، فحدث طواهر كثيرة من ذلك الكتاب إلى هذا ، بحيث اشتمل كتاب غريب القرآن على مادة تتصل بالتأويل والخلاف والسنة مما بعد حارجاً عن العمل اللغوي الذي يتطلبه تفسير لغريب . وقد سبقنا الإشارة إلى هذه الحقيقة - ، ومن يرجع إلى الكتابين يجد مثلاً التشابه الكبير مبثوثة فيها كما في تفسير قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ)^(٨) مثلاً ، ومع ذلك كله يظل كتاب ابن قتيبة من أجل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع التي كانت البار الذي سارت على هداه كتب اللاحقين .

وقد ألف بعده ثعلب (ت ٢٩١) ، ومحمد بن الحسن بن دينار الاحول ، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن يرداد الطبري وكتبهم جميعاً في عداد المفقود إلى الآن .

(١) سورة الحجر ٩٩

(٢) غريب القرآن ٢٤٠

(٣) سورة النور ٥٨

(٤) غريب القرآن ٧٤ ، ١٥٠

(٥) ص ٢١٥

(٦) ص ٢٢١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤

(٧) ص ٢١٠ ، ٢١٤ مثلاً

(٨) سورة النور ٣٥ ، نظر لغريب القرآن ٣٠٥ وتأويل مشكل القرآن ٢٥٢

أول من تشير المصادر الى تأليفه كتاباً في غريب الحديث - حسب تاريخ وفاته - هو النصر بن شميل (ت ٢٠٣) ثم ابو بكر الحسين بن عياش الناجداني (ت ٢٠٤) . إلا انها هذه المرة نصت على ان المؤلف الأول في هذا الفن - وان تأخرت وفاته - هو ابو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠) ، اذ يقول ابن الاثير : « أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، فجمع من المصادر غريب الحديث والآثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ولم تكن قلته بلهله بعينه من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمري : أحدهما ان كل مبتدئ شيء لم يسبق اليه ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فانه يكون قليلاً ثم يكثر وصغيراً ثم يكبر . والثاني ان الناس يومئذ كان فيهم بقية ، عندهم معرفة ، فلم يكن الجاهل قد عم ولا الخطيب قد ظم » .^(١) ثم قال عن كتاب النصر بن شميل : « ثم جمع ابو الحسن النصر بن شميل المازني بعده كتاباً في غريب الحديث اكبر من كتاب ابي عبيدة وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه » .^(٢)

فعبارة ابن الاثير صريحة في من ابي عبيدة غيره في التأليف في غريب الحديث ومعنى ذلك انه وصل الى علمه ان ابا عبيدة قد ألفه خلال القرن الثاني قبل تأليف النصر بن شميل ومعاصريه من سفت وفاتهم وفاة ابي عبيدة ، في حين لم تكن عبارة ابن التميمي في سبق ابي عدنان عبد الرحمن بن عبد الاعلى السلمي (معاصر ابي عبيدة) بهذا الوضوح اذ يقول : « وله من الكتب . كتاب غريب الحديث وترجمته » . ما جاء من الحديث المأثور عن النبي عليه السلام مفسراً وعلى اثره ما فسر العلماء من السلف^(٣) . فعبارة : (على اثره ما فسر العلماء من السلف) لا تقطع باسبغيته ، وإنما تشير الى اثره في الكتب المؤلفة بعده وهو امر يصدق على كثير من الكتب المتأخرة المؤلفة في موضوعات مختلفة ، اذ يكون لها من الرواج ما يؤثر به فيها

(١) النهاية في غريب الحديث ٤ / ١

(٢) النهاية ٤ / ١

(٣) الفهرست ٥١

يؤلف بعدها في موضوعها . وعليه يكون حل قول ابن التميمي على معنى الاولى عند الدكتور حسين نصار وترجيحه على قطع ابن الاثير في هذا الشأن فيه تكلف ظاهر^(١) .

وألف بعد هؤلاء في غريب الحديث : ابو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) وفطرب (ت ٢٠٦) والقراء (ت ٢٠٧) والاصمعي (ت ٢١٣) الذي قال ابن التميمي عن كتابه : « نحو مائتين (كذا) ورقة ، رأيت بخط السكري^(٢) » وقال عنه ابن الاثير ايضا : « ثم جمع عبد الملك بن قريب الاصمعي ، وكان في عصر ابي عبيدة ونأحر عنه كتابا احسن فيه الصنع واجاد ، ونيف على كتابه وزاد^(٣) » وألف بعده ابو زيد الانصاري (ت ٢١٥) والحسن بن محبوب السراذ (٢٢٤) وسلمة بن عاصم الكوفي (تلميذ القراء) كتابا في غريب الحديث لم يكتب لها النسخ ، وهي مع الكتب السابقة لم تصل اليها ، وتعد جميعا - الى الآن - من الكتب المفقودة غريب الحديث لأبي عبيد :

أما كتاب ابي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤) فقد وصل اليها (وطبع في حيدر آباد بمراقبة د . محمد عبد المعين خان سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٧) ، بأربعة اجزاء ضخمة ، كان المؤلف قد مكث في تصليفه اربعين سنة^(٤) فجاء كتابا جامعاً مستوعباً عميقاً ، اثنى عليه العلماء على مر العصور ونهلوا منه واعتمدوه في تصانيفهم وزادوا عليه ، وشهر من زاد عليه ابو الهيثم الرازي (ت ٢٧٦) ،^(٥) على انه لم يسلم على لرهم من ذلك من النقد والتجريح والانهام .^(٦) وألفت في الرد عليه كتب اشهرها الذي الفه ابن قتيبة .^(٧)

(١) معجم العربي ٥٠ / ١

(٢) المهرست ٦٦

(٣) النهاية ٤ / ١

(٤) النهاية ٦ / ١

(٥) تاريخ بغداد ٤٠٥ / ١٢ ونزهة الاكباد ١٩١ ولسان الرواة ١٨٢ / ٢

(٦) انظر : معجم الاقياء ١٦٣ / ٦ - ١٧١ / ١ وتاريخ بغداد ٤١٣ / ١٢

(٧) في مؤلفات كتب ابي عبيد الطبري نقول كتبه من كتب (اصلاح الفلظ في غريب الحديث لأبي عبيد) لا من

والكتاب، بعد؛ حال من مقدمة يشرح فيها المؤلف سبب تأليفه الكتاب ويبين فيها منهجه فيه ، على ما هو مألوف في كتب المعاصرين لامي عبيد ، فهو يدحل الى صلب موضوعه مباشرة بشرحه حديث النبي (ص) : زُوت في الأرض الح

ورتب ابو عبيد كتابه بان افرد احاديث النبي والصحابة كلا على حدة ، دون ان تتداخل احاديثهم فيما بينها ، فبدأ بأحاديث النبي ثم احاديث ابي بكر وعمر وعثمان فعلي قالزبير فطلحة حتى يأتي على الصحابة جميعاً عن اثر عنه الحديث ثم يدحل في كتابه ، حتى يختتمه بأحاديث عبيد الله بن جحش . ثم بأحاديث لا يعرف اصحابها وسها ينتهي الجزء الرابع وهو آخر الكتاب ، غير انه لم يرب الأحاديث في كل مسند من هذه المساند أو كل قسم من هذه الاقسام على ترتيب معين ، فهي غير مرتبة على الحروف ولا على الموضوعات وانما ذكرها الواحد بعد الآخر دون نظام .

وهو يتناول من الحديث اللفظة الغريبة ، فيذكر اشهر دلالاتها ان كانت تدل على اكثر من معنى ، ثم يتعرض لاشتقاقها ، بان يذكر العمل وتصاريفه والمصدر ، وقد يزيد على ذلك بعض المشتقات الاخرى ، ثم يستشهد على ما يفسر بالقرآن والشعر والحديث نفسه وما الى ذلك من الاستعمالات الفصيحة التي يوردها ليدعم بها رأيه ، وهو بهذا وسع على نفسه وفسح لموضوعه ان يفتي ويعمق ويكون اكثر فائدة باشتاله على هذه الكمية من الرويات والاستشهاد .

فقد استشهد لزهير وعبيد بن الابرص والاحطل والمجاح ومالك بن الريب وطرماح والكميث^(١) وغيرهم من جاهليين ومخضرمين واملايين وقد وقف عند حدود دولة بني العباس لا يستشهد لشعرائها ، مما يظهر انه من القائلين بشرك الاستشهاد بشعرهم لشكه في فصاحتهم وهو موقف عدد غير قليل من العلماء ، الا انه لا يسجهم احياناً مع موقف اصحابه الكوفيين الذين كانوا اقل حذراً من غيرهم تجاه الشعراء العباسيين .

= كتاب المطبوعات ١٩٧١ - ٦٨ وقد نشره المشرق الفرنسي جبرار لوكوت في محله (كلية العلوم ببيروت)

١٩٦٨ ربيع فبيروت المطبوع

(١) عرب احاديث ١/٧ - ٨٨ - ١٣٢ - ٢٠٨ - ٢٢٤ - ٢٦٠ - ١٧٧/٢

على أن أبا عبيد حين نقل آراء العلماء السابقين في تفسيره للالفاظ العربية لم يقصر نقله على الكوفيين وان كانوا هم الأكثر من بين هؤلاء العلماء ، فإلى جانب نقله لآراء الكسائي^(١) والعلاء^(٢) وأبي عمرو الشيباني^(٣) والاموي^(٤) ، ولاجر^(٥) وغيرهم من الكوفيين . نقل آراء أبي عبيدة^(٦) ، والاصمعي^(٧) ، وأبي ريد^(٨) وغيرهم من البصريين ، وكان ينص أحيانا على أنه سأل أبا عمرو والاصمعي عن تفسير البقعة التي هو يسميها^(٩) . مشركا في ذلك اثنين أحدهما كوفي والآخر بصري مما يدل على عدم تعصبه لمذهب مدرسي معين في معالجته لعريب الحديث

ولم يحمل أبو عبيد النص على اللغات المختلفة خلال شرحه للالف والغريبة^(١٠) كما لم يحمل التعرض للقراءات وذكر اختلافها ، حين يحتاج إلى مثل هذا التعرض^(١١) . وكان خلال ذلك كله يذكر مذاهب (أهل العلم) وآراءهم تاركاً هذه العبارة أعني أهل العلم ، مطلقاً في دلالتها على مسيئها ، وكأنه هنا لا يريد أن يذكر اسم صاحب الرأي ، أو أنه تذكر الرأي ونسي اسم صاحبه . وعلى كل حال فكتاب أبي عبيد من أهم الكتب المؤلفة في عريب الحديث إن لم يكن أهمها جميعاً خلا كتاب ابن قتيبة الذي سيأتي الحديث عنه .

وألّف بعد أبي عبيد في هذا النص ابن الاعرابي (ت ٢٣١) وعمرو بن أبي

(١) العريب/١ : ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٨٨ ، ٢٤٩ ، ١٥٦ / ١

(٢) نسخة ٢ / ٣٠٧ ، ٤٨٧ / ٤

(٣) نسخة ٤ / ١١٨ ، ٤٨٧

(٤) نسخة ١ / ١٥٦ ، ١٥٧

(٥) نسخة ١ / ٢٤٩

(٦) نسخة ١ / ٣ ، ١٣١

(٧) نسخة ١ / ٥٤ ، ٥٥ ، ٨٩ ، ١٣٠ ، ١٢١ / ٢

(٨) نسخة ٢ / ٢٢٥ ، ٤٥ / ٤ ، ٤٨٧

(٩) نص ٤ / ٦٧

(١٠) نسخة ١ / ٥٤ ، ٧٨٠ ، ٦٤ / ٤

(١١) نسخة ١ / ٣٢٨

عمر و الشيباني (ت ٢٣١) وعلي بن المغيرة الاثرم (ت ٢٣٢) وعبد الملك بن حبيب الالبيري (ت ٢٣٩) وابو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥) وابو عبد الله احمد بن عمران الاخفش (ت قبل ٢٥٠) وابو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم (ت ٢٥١) وشعر بن مخلوبه المروزي (ت ٢٥٥) وثابت بن عبد العزيز (وراق ابي عبيد) ومحمد بن سحنون (ت ٢٥٦) غير ان جميع هذه الكتب في عداد المفقود الى الآن .

غريب الحديث لابن قتيبة :

ان كتاب ابن قتيبة (ت ٢٧٦) وصل اليها وطبع بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري ببغداد ١٩٧٧ ، وهو في الحقيقة المتمم لكتاب ابي عبيد ، والسائر على طريقته ومنهجه ، وابن قتيبة نفسه يبين ذلك فيقول في المقدمة : « وقد كنت زماناً أرى ان كتاب ابي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ، وان الناظر فيه يستغن به ، ثم تعقبت ذلك بالطر والضمير والمداكرة ، فوجدت ما تركه نحواً عما ذكر أو أكثر منه ، فتتبع ما أغفل وفسرته على نحو ما مر ، بالاسناد لما عرفت اسناده ، والقطع لما لم اعرفه ، واشبعت ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر ، وكرهت ان يكون الكتاب مفسوراً على الغريب ، فأودعته من قصار اخبار العرب وامثالها ، واحاديث السلف والماطهم ما يشاكل الحديث او يوافق لفظه لفظه ، لتكثر فائدة الكتاب ، ويمتد فائده ، ويكون ذلك عوناً على معرفته وتحفظه » .^(١) فالدافع الأساسي الذي دفع ابن قتيبة لوضع كتابه ، هو اكمال كتاب ابي عبيد ، لأن الاخير لم يستطع ان يأتي على جميع الاحاديث ، فقد توفر ابن قتيبة على عدد مه يقارب ما في كتاب ابي عبيد ، جدير ان يوضع لأجل تفسير غريبها كتاب آخر ، وهو يرجو : « ان لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال » .^(٢)

ثم يبين ابن قتيبة ما خالف فيه منهج ابي عبيد ، وما تحصه فيه ، فيقول :

(١) غريب الحديث ١/٥ .

(٢) ص ٦٠٦ .

« ولم أعرض لشيء مما ذكره أبو عبيد ، إلا أحاديث وقع فيها زلل ، فسبغت عليه ودلت على الصواب فيه ، واقردت لها كتاباً يدعى كتاب : (اصلاح الغلط) ، وإلا حرّوفاً تعرض في باب ولا يكمل ذلك الباب إلا بذكرها ، فذكرتها بزيادة في التفسير والمائدة ، ولن يحفى ذلك على من جمع بين الكتابين » .^(١) وهو ادّعى لم يقتصر على ما أهمله أبو عبيد من الأحاديث ، بل نبه على زلله وحطئه ، حتى اذا وجد ان هذه التنبهات كثيرة امردها في كتاب سماه (اصلاح غلط أبي عبيد في غريبه) ، وزاد في تفسير عدد من الالفاظ الواردة في كتاب أبي عبيد حين وجد انها بحاجة الى زيادة في الشرح ، لتكمل بها للدارس العائلة .

وكتابه الذي بين ايدينا كتابان في الاصل ، جمع احدهما الى الآخر ، وبوضح بن قتيبة امرهما بقوله : « وكنت حين ابتدأت في عمل الكتاب اطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطلالين له ، واعجلتهم الرغبة فيه والمحرص على تدوينه عن انتظار فراغ منه ، وسألوا ان اخرج لهم من العمل ما يرتفع في كل اسبوع ، ففعلت ذلك ، حتى تم لهم الكتاب وسموه وحمله قوم منهم الى الامصار ، ثم عرضت بعد ذلك احاديث كثيرة فعملت بها كتاباً ثانياً يدعى كتاب : (الزوائد في غريب الحديث) ، ثم تدبرت الكتابين ، فرأيت الاصول في الرأي ان اجمعها وأقدم ما سبيله ان يقدم ، وأؤخر ما سبيله ان يؤخر واحذف ما سبيله ان يحذف ، فمن رأى دينك الكتابين على غير تأليف هذا الكتاب ، فليعلم انها شيء واحد ، وان الاختلاف بينهما انما هو بتقديم وتأخير وحذف مكرر من التفسير » .^(٢)

نعود الآن الى صلب الكتاب فبدأ بترتيبه ، وأول ما نلاحظه في هذا الترتيب انه نهج أبي عبيد في تقسيم الكتاب على المساند ، اذ افرد احاديث النبي (ص) وصحابة وتابعيه ومن بعدهم من تابعي التابعين ونفر من الخلفاء والولاة كلا على حدة ، ثم افرد بعد ذلك باباً لأحاديث النساء ، وختم الكتاب بأحاديث غير منسوبة وسمعت اصحاب اللغة يذكرونها ، لا أعرف اصحابها ولا طرقها ، حسنة الالفاظ لطاف المعاني ، تضعف على الاحاديث التي ختم بها أبو عبيد كتابه

(١) غريب الحديث ٩ / ٥ .

(٢) ص ٩ / ٥ .

اصعافاً^(١) وهو مثل أبي عبيد في إهماله ترسب الأحاديث ضمن هذا التفسير ، فلم يرتها على الحروف ولا على الموضوعات ، فهي أحاديث النبي (ص) تبدأ بتفسير حديثه (اهل الجنة الصعفاء المفلئون . .) ثم بحديثه : (عليكم بالإنكار ومن أعدب أمواها .) ثم بحديثه : (ما رأيت كالיום طاعة قوم) وهكذا ، واللفظة العربية المفسرة في الحديث الأول هي (حواظ) ، وفي الثاني (اتق) ، وفي الثالث (القرون)^(٢) .

إلا أن ابن قتيبة قلق أبا عبيد بدراسته في أول الكتاب ، التي وضعها ، لتبين اللفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه ، والمروص وأحكامها ، لتعرف من أين أحدث تلك الحروف فيستدل باصولها في اللغة على معانيها ، كالوصوء والصلاة والركاة والأذان والصيام والعنق والطلاق والظهار والتدبير ، وأشباهها مما لا يكمل علم المتصف والمتمني إلا بمعرفة أصوله . ثم اتبع ذلك « تفسير ما جاء في الحديث والكتاب من ذكر الكافرين والعالمين والفاسقين والمنافقين والعاجرين والملحدين ، ومن أين أخذ كل اسم منها ، ثم ما جاء في الحديث من ذكر أهل الأهواء والرافضة والمرجئة والفدرية والخوارج »^(٣) ، فإنا لم نجد مثل هذا في كتاب أبي عبيد ، بل لم نجد مقدمة مختصرة للكتاب كما أشرنا من قبل ، بل بدأ كتابه بذكر أحاديث النبي وتفسيرها

وأما طريقة ابن قتيبة في الشرح ، فهي أن يبدأ بذكر الحديث كاملاً ، ثم يعقبه بذكر طرق السند - في الأحاديث التي يعرف أسادها - مهما طالت ، ثم يأخذ بتفسير اللفظة أو اللفاظ التي يرى غرامتها في هذا الحديث ، في حين كان أبو عبيد يقدم السد على نص الحديث في كتابه ، وهذا وجه آخر من أوجه الاختلاف بين الطريقتين . ويضمن ابن قتيبة تفسيره للغريب مختلف الشواهد من القرآن والشعر والأمثال وغيرها ، على المنهج الذي اتبعه أبو عبيد في غريبه ، وعلى منهجه أيضاً في

(١) غريب الحديث ٩/١

(٢) ص ١٠١/١ - ١٠٤

(٣) ص ٦٦١

عدم التعصب لمذهب مدرسي معين ، ذلك انه روى عن علماء المدرستين آراءهم دون التحيز منه الى رأى او مذهب ، فقد روى عن عيسى بن عمر ،^(١) وابي عمرو اس لعلاء ،^(٢) والاصمعي ،^(٣) والرياشي^(٤) ، وابي حاتم ،^(٥) وابي عبيدة ،^(٦) وابي زيد^(٧) وغيرهم من المصريين ، كما روى عن الكسائي ،^(٨) والفراء ،^(٩) واس الاعرابي ،^(١٠) وابي عمرو الشيباني^(١١) وغيرهم من الكوفيين ، وروياته عنهم متنوعة ، فيها الشعر وفيها التفسير وفيها اختلاف مذاهبهم اللغوية ، غير مهملة النص على ما يعرض له من الظواهر اللغوية واللغات .^(١٢)

إصلاح الغلط لابن قتيبة .

ولا يكمل صبيح ابن قتيبة في تنوع ابي عبيد وتسقطه الا بكتابه الآخر (اصلاح غلط ابي عبيد في عريبه) ، وقد وصل إلينا ايضا ، فمنه نسخة في مكتبة ابا صوبيا رقمها ص ٤٥٧ مصورة بدار الكتب المصرية ، ونسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق . ويأخذ ابن قتيبة فيه على ابي عبيد في ثلاثة وحسين حديثا ، يرى ان ابا عبيد لم يفسرها تفسيرا صحيحا ، ووقع له فيها زلل بحسب التنبه عليه . إلا ان ابن قتيبة لم يغفل ثناءه على ابي عبيد وكتابه فقال في المقدمة : . . . ونذكر الاحاديث التي حالفنا الشيخ ابا عبيد رحمه الله في تفسيرها ، على قلتها في جنب صوابه ،

(١) حريب الحديث ٢ / ٤٨٦

(٢) نسخة ١ / ٥٠٢

(٣) نسخة ١ / ٣٣٢ ، ٣٨١ ، ٥١٦

(٤) نسخة ١ / ٣٤٨ ، ٤٧٨ ، ٢ / ٣٧٩

(٥) نسخة ١ / ٢٦٠ ، ٤٧٥ ، ٤٤٢

(٦) نسخة ١ / ٤٢٠

(٧) نسخة ٢ / ٣٣٢

(٨) نسخة ١ / ٤٢٤ ، ٢ / ٦١٩

(٩) نسخة ٢ / ٦٣٩

(١٠) نسخة ١ / ٣٠٩

(١١) نسخة ٢ / ٦٤٠

(١٢) نسخة ١ / ٤٧٤

وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه»^(١)

ولنأخذ نموذجاً من كلام ابن قتيبة يمثل لنا طريقته في الرد بعد ان نذكر نص كلام ابي عبيد . ففي حديثه عليه السلام : (إن قريشاً كانوا يقولون : إن محمداً صنوبر) قال أبو عبيد : « قال أبو عبيدة : الصنوبر : النخلة تخرج من أصل السحرة الأخرى لم تغرس . وقال الأصمعي : الصنوبر : النخلة تبصى مفردة ويدى أسفلها . قال أبو عبيد : فشيء بهما يقولون : انه فرد ليس له ولد ولا أخ ودا مات انقطع ذكره . قال أبو عبيد : وقول الأصمعي في الصنوبر اعجب الى من قول ابي عبيدة ، لأن السبي عليه السلام لم يكن احد من اعدائه من مشركي العرب ولا غيرهم يطعن عليه في نسبه . . »^(٢)

أما رد ابن قتيبة على ذلك فعوله : « تدبرت هذا التفسير فلم أر النخلة اذا دق أسفلها وليس أسفلها اولى بان تشبه بالفرد الذي لا ولد له ولا أخ ، من السحرة اذا غلط أسفلها ورطب سمها ، لأن هذه في الافراد بمنزلة هذه ، ولا أدري أي شيء اوحشه من قول ابي عبيدة وهو الصواب ، فانما ارادوا ان محمداً ناشيء حدث بمنزلة الصنوبر الذي يخرج من أصل السحرة ، يقولون : فكيف تتبعه المشايخ والكبراء وهو كذلك . . »^(٣) وعلى هذا المهج من المناقشة والرد يسير ابن قتيبة في كتابه في جميع المواطن التي اشرنا الى عددها الا اننا يجب ان نسجل للحقيقة ان ابن قتيبة في هذا الرد المقتبس ها خلا في تغليب ابي عبيد ، ذلك ان المعنى الذي تمسك به ابو عبيد في (الصنوبر) وهو : الفرد المقطوع السب ، هو المعنى اللغوي الذي ذهب اليه غيره من مفسري غريب الحديث في كتبهم ، ففي المائق ان الصنوبر : هو الابتر لذي لا عقب له^(٤) وكان قريشاً كانت تمني نفسها بموته فيقطع حبره وحبر دعوته .

(١) اصلاح المخطوط ١ - ٢

(٢) غريب ابي عبيد ١٠ - ١١

(٣) اصلاح المخطوط ٣٤ نقلاً عن غريب ابي عبيد ١٠ - ١١

(٤) المائق ٢ / ٣٩

المسائل والأجوبة لابن قتيبة :

ولابن قتيبة رسالة صغيرة بعنوان (المسائل والأجوبة) ، وصلت اليها قبل
وصول من مؤلفاته ، نشرها القلمي في القاهرة/مطبعة السعادة ١٣٤٩هـ ونشرها بعد
دلت شاعر العشور في مجلة المورد الخدادية العدد ٤ / ١٩٧٤ . وهي مما يلحق
بدرسته في غريب الحديث ، فالمؤلف يشرح ويقرر عددا من احاديث السي
(ص) مما يتضمن الفاظا غريبة تحتاج الى بيان ، وكلامه فيها يشعرنا - اضافة لما
يشعر به عوامها - انه يجيب عن اسئلة وردته مستفهمة عن هذا الغريب ، فيقول
مثلاً : (سألت عن قوله : (لا ذاء ولا عاتلة ولا حنة) . . وقوله (ولا عاتلة) هو
من قولك اعتالي فلان اذا احتال عليك بحيلة يتلف بها بعض مالك ، يقال . غالت
فلانا عول اذا ادهيته ، والعصب غول الحلم ، والخمر عول العقل ، والمعنى لا
حيلة عليك في هذا البيع يفنل بها مالك . . ^(١) على ان هذه الاسئلة لم تتمحض
لغريب الحديث ، وانما شملت مواضع فقهية كثيرة ومصطلحات قرآنية واحكاماً
شرعية ، وطواهر لغوية تتصل بالترادف والاشتراك وما الى ذلك بحيث كان ما يخص
غريب الحديث يمثل جانباً من جوانب مادتها .

دخلت هذه الرسالة من مقدمة نجد فيها ما يفيدنا في تحديد زمن تأليفها بالنسبة
للكتابين السابقين ، إلا ان في اثنائها ما يدل على تأليفها بعد كتابه الكبير (تفسير
غريب الحديث) ، ذلك انه يقول : (سألت عن احاديث ذكرت انك لم تجدها في
كتبي المؤلف في تفسير غريب الحديث ^(٢) ثم يشرح مذكر هذه الاحاديث واحداً
واحداً ويشرح غريبها ، فهذا الساب من هذه الرسالة اذن استدراك على كتابه
الاول ، وعليه يكون صحيحاً اعتبار هذه الرسالة تنمة لجهود في غريب الحديث
وتكملة لكتابه (غريب الحديث) (اصلاح غلط امي عيد) . ومن مجموع هذه
الكتب - وكتابه (تأويل مختلف الحديث) - يبرز امامنا ابن قتيبة علماً من اعلام
الحديث - نعة وسدا وتأويلاً - بحيث فاق سابقيه بما وضع في ذلك ، وكان معق
المركز السابق في هذا الميدان .

(١) مسائل والأجوبة ٣

(٢) المسائل والأجوبة ١٥

غريب الحديث للحري :

وَأَلَّفَ بَعْدَ ابْنِ قَتِيْبَةٍ فِي هَذَا الْقِسْمِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمَ بْنَ إِسْحَاقَ الْحَرَبِيِّ (ت ٢٨٥) ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِهِ غَيْرُ الْجُزْءِ الْخَامِسِ ، وَرَقْمُهُ فِي الْمَكْتَبَةِ الطَّاهِرِيَّةِ بِدِمَشْقَ (١٥٨٠) ، وَفِي فَهْرَسِ هَذِهِ الْمَكْتَبَةِ : « . . . وَيَقَعُ فِي خَمْسِ مَجْلَدَاتٍ ثَلَاثُ الطَّاهِرِيَّةِ مِنْهُ الْمَجْلُدَةُ الْخَامِسَةُ فَقَطْ »^(١) وَالظَّاهِرُ عَمَّا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَحْصَاءُ أَنَّ الْكِتَابَ كَانَ فِي الْأَصْلِ فِي عَشْرِ مَجْلَدَاتٍ .^(٢) إِلَّا أَنَّ يَكُونُ نَاسِخُ نَسْخَةِ الطَّاهِرِيَّةِ قَدْ أُعِيدَ تَنْسِيْمُهُ لِلْكِتَابِ عَلَى خَمْسِ مَجْلَدَاتٍ ، وَأَنَّ يَكُونُ فِي مَخْطُوطَةِ الْمَجْلُدِ الْخَامِسِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ .

وَيَبْدَأُ هَذَا الْجُزْءُ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ بِبَابِ (سَجَر) وَقَوْلِهِ : « حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ حَرِيْثَ بْنِ . . . بْنِ حُسَيْنَ بْنِ وَقْدٍ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ . حَدَّثَنِي بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ) . . . » وَيَنْتَهِي الْجُزْءُ بِفَهْرَسِ أَبْوَابِهِ (تَسْمِيَةِ أَبْوَابِ الْمَجْلُدَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى مَتْنِ الْكِتَابِ) .^(٣)

وَالْكِتَابُ مَبْنُوعٌ عَلَى الْمُسَانَدِ ، وَهُوَ بِهَذَا التَّوْبِيْعِ يَحْذُو حَذُو كِتَابِي أَبِي حَبِيْبٍ وَأَبِي قَتِيْبَةٍ فِي تَقْسِيْمِهَا كِتَابِيَّيْهَا عَلَى الْمُسَانَدِ . وَعَدَدُ مُسَانَدِ كِتَابِ الْحَرَبِيِّ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مُسَدَّدًا مَذْكُورَةً فِي كِتَابِ التَّرَاجِمِ^(٤) وَقَدْ وَصَفَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ وَصْفًا دَقِيقًا فَقَالَ : « وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ ذُو مَجْلَدَاتٍ عَدَّةٌ ، جَمَعَ فِيهِ وَسْطَ الْقَوْلِ وَشَرَحَ وَاسْتَفْصَى الْأَحَادِيثَ بِطَرَقٍ إِسَانِيْدَهَا ، وَأَطَالَهُ بِذِكْرِ مَتْنِهَا وَالْعَاطَفُهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا لَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ غَرَبِيَّةٌ ، فَطَالَ لِذَلِكَ كِتَابُهُ ، وَيَسَبِّبُ طَوْلُهُ تَرْكَ وَهَجَرِ ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْفَوَائِدِ جَمَّ الْمَنَافِعِ فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِمَامًا حَاضِرًا مَتَقًّا عِلْمًا بِالْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . »^(٥) وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَفْسِرُ لَنَا تَضَخُّمَ الْكِتَابِ وَصِغَرُورَتَهُ عَلَى عَشْرِ مَجْلَدَاتٍ .

(١) « مخطوطات دار الكتب القطرية / علوم اللغة العربية ١٠٩ »

(٢) « كتاب التسمية ١٢١ / ٥ »

(٣) « مخطوطات دار الكتب القطرية ١٠٧ - ١٠٦ »

(٤) « فهرست التوقيعات ٧١١ »

(٥) « لسانه ٥١١ »

أما مهجته في الشرح داخل كل مسد ، فهو مهج التعليقات ، الذي أحده كتاب (العن) للتحليل وذلك بأن تأخذ عرب احاديث كل صحابي على حدة ، فبعد هذه الاحاديث ويشرح في كل عدد مصاريح عدد من الخروف ، فإذا ذكر غريب حديث ابن عباس ، قال مثلاً : الحديث الخامس ، باب فرع . . باب عرف . باب عفر . باب رعف وهكذا ^(١) ، ثم هذا التنظيم للمواد لم يشاهده لدى بي عبيد وابن قتيبة ، فقد قافها الخرمي فيه ، ولعل تربيته هذا على التعليقات . مع م فيه من دفع وتنظيم في التأليف - هو الذي يفسر جانباً من ترك الناس الكتاب ومحرمهم له . لصعوبة الرجوع فيه الى المادة المطلوبة وفي ذلك يقول ابن الاثير : لم يكن فيها - أي كتب غريب الحديث - كتاب صنف مرتباً ومفصلاً يرجع اليه عند طلب الحديث اليه الا كتاب الخرمي ، وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه إلا بعد تعب وعناء ^(٢) .

ثم ألف في غريب الحديث المسرد (ت ٢٨٥) ، ومحمد بن عبد السلام الخنسي (٢٨٦) وكتابه فيف على عشرين جزءاً ، حصص احد عشر جزءاً منها لحديث نبي ، وستة اجزاء لحديث الصحابة ^(٣) ثم ألف ثعلب (٢٩١) وابن كيسان (٢٩٩) وذكر ابن النديم ان كتبه نحو اربعمائة ورقة ^(٤) ولم يصل اليها منها شيء .

٣ - غريب اللغة :

تعدت مؤلفات العلماء في الغريب حدود القرآن والحديث الى اللغة : شعراً ومثلاً وكلاماً ، فوضع نفر من اللغويين كتبهم لتفسير مفرداتها العربية ، وصنيعهم تعبير صادق عن اهتمامهم بهذه اللغة التي جاء فيها التنزيل العزيز والاثر الشريف ، ولحققة ان اهتمامهم بعريب اللغة وافق دروسهم لغريب القرآن وغريب الحديث .

(١) غريب ابن قتيبة ٢١٢/١

(٢) النهاية ١/١

(٣) فهرست ابن خلدون ١٩٥

(٤) المهرست ٨٩

وقد مر علينا في الفصل الثاني من الباب الأول في عرضنا لاحتلاط الدرس اللغوي لدى الدارسين اهتمام أكثرهم بالغريب والنص عليه والاستشهاد فيه ، إلا أن أول من وصل اليها خسر تأليفه كتاباً في ذلك هو : بزرج بن محمد العروصي (معصر الكسائي) وكتابه (تفسير الغريب) ، ثم الأصمعي (ت ٢١٣) وكتابه (غريب الحديث والكلام الوحشي) وهو غير كتابه في غريب الحديث ، واسوريه (ت ٢١٥) وكتابه (غريب الاسماء) وابو مسحل عبد الوهاب بن حربش الأعرسي تلميذ الكسائي وكتابه (الغريب الوحشي) ، وابو عمر الجرمي (ت ٢٢٥) وكتابه (تفسير غريب سيبويه) ، وابن الأعرابي (ت ٢٣١) وكتابه (تفسير الأمثال) ، وهارون بن الحائك (ت ٢٩٠) وكتابه (الغريب الهاشمي) ولعبه تفسير غريب الهاشمي ، على نمط كتاب الحرمي السابق ، أي سر العرب لواردي كتاب الهاشمي ، والراجع أنه محمد بن عيسى الهاشمي ، من شيوخ بني بكر ابن المباري (ت ٣٢٨ هـ)^(١) . ولم يصل اليها أي من هذه الكتب لتبين مساهمة أصحابها في اختيار الغريب ، وفي الاستشهاد عليه ، وطريقة التوثيق والترتيب وما إلى ذلك . إلا أننا نستطيع أن نمرحح أهم اختلافوا في طبيعة المادة التي ضمتها كتبهم ، ذلك أن حد الغرابة في اللفظة يتغير بتغير العصر ، فما تصدق عليه الغرابة من الألفاظ في زمن معين ، ولمترض أنه زمن المؤلف الأول بزرج بن محمد العروصي ، لا تصدق عليه بعد أكثر من مائة عام أي في زمن ابن الحائك المؤلف الأخير ، والعكس بالعكس ، والمسألة سببة فيما بينهما من مؤلفات .

ذلك أنه قد تهجر بعض الألفاظ في الاستعمال فتدخل في عداد الغريب ولم تكن كذلك ، أو نحا اللفاظ في الاستعمال بعد موتها ، فتخرج من حظيرة الغريب إلى غيرها وهكذا ، ويجب ألا ننسى أيضاً أن البيئات التي أخذ اللغويون منها مادتهم تختلف غرابة باختلاف لهجاتها ، فهناك لهجات معينة اتفق العلماء على وفرة غريبها ووحشيها وخروجها عن سائر اللهجات الأخرى ، كلهجة أرد شوية وبلحارث من كعب وعبرها .

(١) معجم الأدباء ١٨/١٩٦ وانباء الرواة ٣/١٣٦ .

(٢) الزاهر (رسالة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة) ص ٧٩٨ .

كتب اللغات

١ - لغات القرآن :

كأن من مظاهر عناية الدارسين بالقرآن عنايتهم بلغاته ، وهي عناية غديرة
مكره ، اد ظهرت اولى مؤلفاتهم في ذلك على يد ابن عباس (ت ٦٨) ايضا ،
بكتاب وصل اليها برواية ابن حنون للمقرئ مسندة الى ابن عباس ، عوبه
(لغات في القرآن) ، وهذا يعني ان التأليف في الغريب واللغات نشأ في وقت
واحد ، ذلك ان التأليف في هذين الفنين من الفنون اللغوية ولد على يد مؤلف
واحد .

والكتاب يشمر ان ابن عباس لم يكن المؤلف له على الشكل الذي وصلت
اليها صورته ، ذلك انه حدث به اسما عيل بن عمرو بن راشد الحداد (ت ٤٢٩)
عن عبد الله بن الحسين بن حسون المقرئ (ت ٣٨٦) باسناد الى ابن عباس ،
فهو من جمع وترتيب احد هذين المقرئين ، وما ابرء عباس الا صاحب هذه المادة
لمهمة لتي يزخر بها الكتاب على صفه ، فالاهتمام بلغات القرآن - اذا تحريرا بدقة
في التعبير - واحصائها والنص عليها واحدة واحدة في الكتاب المقدس ، هو الذي
نشأ على يد ابن عباس ، ثم رويت عنه هذه المعلومات اللغوية جيلا بعد جيل حتى
جمعها احد المذكورين السابقين في كتاب نسب الى ابن عباس ، والامر في الحقيقة على
هذه الصورة التي نظنها ظناً .

ورببت السور في الكتاب ترتيبها في المصحف ، فابتدا بالبقرة وانتهى
بالعاديات ، اد يظهر انه لا لغات فيما بعدها من السور ، كما ربت الآيات في كل
سورة ترتيبها في المصحف ايضا ، ولكن هذا الترتيب الاخير - اعني ترتيب الآيات في
السور - من عمل المحقق ، حيث ينص في مقدمته على ذلك^(١) ، والمنهج فيه ان يذكر
الآية التي فيها الاستعمال الخاص الذي يريد النص عليه ثم يذكر اللفظة ذاتها ، ثم
يذكر بعدها اللفظة التي اخذت منها عربية او اجنبية ، كقوله مثلا : « قال الله عز

(١) لغات في القرآن ١٣

• حل - (أنو من كيا امس السّفهاء^(١١)) والسّميه الخاهل بلعة كناية^(١٢) « وقوله ايضاً
 « قوله . (فأتلّهم الله^(١٣)) يعي لعهم بلعة حمر^(١٤) » وقوله ايضاً : (مماليد
 السّموات والأرض^(١٥)) يعي مفاتيح وافقت لعة الفرس والاباط والخشة^(١٦) ، ولا
 يستشهد على ما يقول شيء سوى ما يذكره احياناً من آيات من سور اخرى فيها نفس
 اللمظة التي هو يصدد البصر على لغتها^(١٧)

ويرى ابن عباس ان هذه الالفاظ جميعاً عربية وافقت فيها العربية غيرها من
 اللغات فاللمظ عربي وهو مرياني في آن واحد ، او هو عربي وحشي في وقت
 واحد . وكثيراً ما يقول بعد نصه على اللغة بانه وافقت فيه العربية البعة القلاية
 فهو في هذا المبدأ مع من يرى ان ليس في القرآن شيء غير عربي فهو حال من كل
 استعمال احبي ، خلاف من يرى ان القرآن استعار العاطف غير عربية وادخلها في
 الاستعمال حتى اصبحت من المؤلف الشائع^(١٨) .

ويوضح لنا هذا الكتيب ان لمحة فريش من بين لهجات العربية كانت هي
 الغالبة على لغة القرآن على كبرة ، نلبها هذيل فكانة فحمير الى آخر القبائل ، وقد
 عمل محقق الكتاب جدولاً سنة الالفاظ الى هذه القبائل^(١٩) ويكشف لنا ايضاً ان
 عدد القبائل القحطانية المأخوذة من لهجاتها اكبر من عدد القبائل العدنانية ، غير ان
 عدد الالفاظ المأخوذة من القبائل العدنانية اكبر بكثير من عدد الالفاظ المأخوذة من
 القبائل القحطانية^(٢٠)

(١) سورة البقرة ١٣

(٢) اللغات في القرآن ١٧

(٣) سورة النافير ٤

(٤) اللغات في القرآن ٤٧

(٥) سورة الزمر ٦٣

(٦) اللغات في القرآن ٤١

(٧) ص ١٨ ، ٢٢

(٨) ص ٨٠ (مقلعة المحقق) ٨٠ و انظر . الاصل ١/ ٢٣١

(٩) اللغات في القرآن ٧

(١٠) ص ٨٧ (مقلعة المحقق) ٨٧

و محذر بها احيرا ان تشير الى ان الدكتور حسين نصار قد كشف الوهم في سنة
هد الكتاب الى ابي عبيد القاسم بن سلام حين نشر على هامش تفسير الجلالين طبعة
دار احياء الكتب العربية ، وان هذه الرسالة المنشورة على هذا الهامش هي كتاب
(اللغات في القرآن) لابن عباس ، زيد عليها وهذب فيها في القرمين الخامس
والسادس على يد رواة متأخرين يتصلون بسندا برواة النسخة التي حفظها المسجد^١

وقد فتح هذا الكتاب الباب امام الدارسين للتأليف في لغات القرآن ، فالف
مقاتل بن سليمان ، وهشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤) والهيثم بن عدي (ت
٢٠٦) والقراء (ت ٢٠٧) والاصمعي (ت ٢١٣) وابو ريد الانصاري (ت
٢١٥) كتب لم تصل اليها جميعا ، على اننا نشك - مع الدكتور حسين نصار - في
صحة ما سبه ابن الدليم الى الاصمعي من تأليفه كتابا في لغات القرآن^٢ ، لما عرف
عنه من تخرج في التعرض لالفاظ القرآن

٢ - لغات القبائل .

يتصل التأليف في لغات القبائل من حيث المنهج بلغات القرآن ، غير انه تميز
منه بتمحيصه للهجات العربية بعيدا عن القرآن ، واول من وضع كتابا في هذا الفن
هو يونس بن حبيب (ت ١٨٢) ثم القراء (ت ٢٠٧) وابو عبيدة (ت ٢١٠)
والاصمعي (ت ٢١٣) وابو ريد الانصاري (ت ٢١٥) وعمرو بن ابي عمرو
الشياني (ت ٢٣١) وعمر بن العصل الهذلي ، ولم يصل اليها واحد من هذه
الكتب حتى الآن . ونسجل هنا اختلافنا مع الدكتور حسين نصار في عدة انا عمرو
الشياني ممن الف في هذا الفن باعتباره (الحميم) من كتب لغات القبائل^٣ ، ونحن
نميل الى عد الحميم من معجمات اللغة ندرسه مع (العيين) في مكانها ان شاء الله

٣ - لحن العامة :

وهو موضوع يتصل بدراسة التطور اللغوي من جهة ، وبأثار الاختلاط

(١) المعجم العربي ٧٤/١

(٢) ص ٧٥٠

(٣) ص ٧٨/١

اللفوي الذي حدث في الامصار الاسلامية من جهة اخرى ، ذلك ان كتب لحن العامة تبحث في تصويب الاستعمال غير الصحيح والتنبه عليه . فهي من هذه الساحة تعد كتباً تدرس الاساليب اللغوية اكثر من كونها كتباً تدرس المفردات ، على انها اهتمت بالمفردة وبالصوت وبالحركة ، غير ان اهتمامها بكل اولئك كان صمير اهتمامها بالاسلوب ، وهي ايضا تحفظ لنا تاريخ تسرب العامة الى الالف ، من حيث ان هذا الخطأ الذي تنبه عليه هو الذي صار فيما بعد الصورة التي استقرت عليها اللغة في امصارنا العربية . والملاحظ في كتب لحن العامة انها اختلفت في صوابها واختلفت في مبادئها ومنهجها الا انها تشترك في موضوعها وهدفها وسنعرض لاقسامها من خلال حديثنا عما وصل اليها منها .

ما تلحن فيه العوام للكسائي :

اول ما وصل اليها من كتب لحن العامة ، كتاب صغير مسوب لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩) وضعه هارون الرشيد بعنوان (هذا كتاب ما تلحن فيه لعمام بما وضعه علي بن حمزة الكسائي للرشيد هارون . ولا بد لاهل الفصاحة من معرفته) وقد طبعت هذه الرسالة طبعين : الاول بتحقيق وتقديم بروكلمان في برسلاو ، وفي دار الكتب المصرية نسخة من هذا المطوع رقمها (٢٣٧) لغة . والثانية بتحقيق وتقديم عبدالعزيم الميني في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤ هـ مع رسالة (مقالة في كلا) لابن فارس و (رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازي) . وقد شك في نسبتها الى الكسائي محققها الميني وذلك لان المصادر القديمة التي ترجمت للكسائي وعددت آثاره لم تنسب له رسالة كهذه ، اضافة الى ان بعض من مادة هذه الرسالة لا يلائم ما روى عن الكسائي من آراء في متون اللغة ومصادرها^(١) . كما شك في نسبتها ايضا الدكتور حين نصار مستندا الى ان في الرسالة رواية عن ابي زيد ، ولم يعرف عن الكسائي انه روى عنه شيئا ، لذا فهو يرجع نسبتها الى احد تلاميذ ابي زيد عن الف في لحن العوام وهم : ابو عبيدة والاصمعي وابو نصر احمد بن حاتم والمارني وابو حاتم السجستاني وابو عبيد القاسم ابن سلام ، وقد استبعد من هؤلاء الاصمعي وابو حاتم السجستاني لعشورته في

(١) ما تلحن فيه العوام ٢٢

مصدرون قديمين على نصين مقتبسين من كتابيهما ، غير موجودين في هذه الرسالة ، ثم صرح بعدم امكانه نسبة الكتاب الى احد بعينه من هؤلاء المذكورين لأن كتبهم لم توصف^(١) .

والحق اننا لسنا مع الباحثين فيما ذهبوا اليه ، ذلك ان ما ذكرناه من اسباب لشك ، لا تشكل ادلة قوية تطعن في نسبة الكتاب الى مؤلفه ، فعلم ذكره بين مؤلفات الكسائي في الفهارس القديمة ليس بدعا في هذا الكتاب ، فقد حدث مثل هذا في كتب اخرى ، اثبت الدرس انها صحيحة النسبة لمؤلفيها على الرغم من عدم ذكرها في ترجماتهم القديمة ، ولعل اقرب الامثلة الى ذلك كتاب (الحروف التي يتكلم بها في عبر موضعها) لابن السكيت ، الذي يعد من كتب لحن العامة وسدرسه بعد قليل ، فهو ايضا غير مذكور في مؤلفات ابن السكيت في مصادر ترجمته . واما ما يخالف رأي الكسائي من مصمون الكتاب فيرد الى ظاهرة شائعة بين اللغويين من اختلاف بين آرائهم في المسألة الواحدة ، وسبب ذلك - كما يبدو - انه يتنبأ لندرس بعد ذلك من المعلومات ما يدعو الى ان يصحح رأياً سابقاً له ، ويغير على اساسها موقفه منه ، فادا حدد الكسائي في هذا الكتاب مثلاً ان الصحيح في (نغم) فتح القاف لا غير ، ويحد ان الجوهر يبروي عنه كسر القاف ، فمعنى ذلك انه قد نهى للكسائي معرفة جديدة ، وهي ان الكسر لغة ، فيصحح عن اساسها الاستعمال ، فيروي عنه خلاف ما حدد اولاً .

واما الرواية عن ابي زيد الانصاري في موطن واحد ، فهي ايضا لا تطعن في النسبة ، اذ قد يكون ذلك من اضافات الناسخ ، يؤيد هذا ان الكسائي قد الزم نفسه بعدم الرواية عن احد من العلماء : شيوخه وغير شيوخه ، بصريين وغير بصريين ، فوجود اسم ابي زيد في الكتاب^(٢) يوضح ان في ذكره اقبحاً متأخراً قام به احد النسخ . وعليه فان هذه الشبهة المثارة حول نسبة الكتاب الى الكسائي شبه لا يكفي دليلاً قاطعاً على نفي هذه النسبة والشك فيها . على اننا - من جانب آخر - حين

(١) المعجم العربي ٩٨ / ١

(٢) ما نلخص فيه المعجم ٣٠

نناقش هذه الشكوك ونختلف مع الباحثين في صحة النتيجة التي وصلوا اليها ، فليس معنى ذلك اننا نكتفي بذكر الكسائي في صفحة العنوان من الكتاب لنقطع بصحة نسبته اليه . ولكننا نميل الى هذه النسبة بتحفظ بالغ ورائدنا في ذلك جواز الايمان بصحة نسبة الكتاب .

والكتاب يرصد الظواهر الجديدة في اللغة ، تلك التي برزت على السمس المتكلمين في الحواضر العراقية ، حين ظهرت نتائج احتلاط اللغات فيها ، فكان من اثر هذا الاحتلاط الخطأ في استعمال الصيغ والحركات ومن هنا تعد رسالة الكسائي اول عمل من نوعه في تاريخ الدرس اللغوي اذ لم يسبق الى مثله ، وان وردت في مصنفات الاقدمين اشارات مشابهة قيمة ، غير انها لا ترقى الى اهمية التأليف فيها ولذلك جاءت رسالة الكسائي صغيرة مختصرة ، فكل سابق صغير ثم يكبر وقليل ثم يكثر كما يقول ابن الاثير^(١) .

ومسججه في هذا الكتاب ان يذكر الوجه الصحيح في لفظ الكلمة ، ثم يستشهد على ما يقول من القرآن او الشعر او كليهما ، ثم يذكر الخطأ في لفظ الكلمة وهو ما تلحق فيه العامة ، هذا هو الاكثر ، ومثاله قوله : « تقول حَرَصْتُ بفلان ، بفتح الراء وقال الله عز وجل : (وما اكثر الناس لو حَرَصْتِ بِمُؤْمِنِينَ) ولا تقول تُحَرِّصُ بفتح الراء قال الله تعالى : (ان تحَرِّصْ على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل)^(٢) » وهو احياناً يذكر الوجه الصحيح مستشهداً عليه مهملاً النص على وجه الخطأ فيه مكتفياً بما ذكر من صوابه ، وكان اللحن في ذلك معروف معلوم ، يقول : « ونقول كَسَرْتُ ظُفْرَ رَيْدٍ ، بضم الطاء والفاء جميعاً . قال الله تعالى : (وعلى الذين هادوا حَرُمًا كُلُّ ذِي ظُفْرٍ)^(٣) » . وفي بعض المرات يهمل الاستشهاد ايضاً ، ويكتفي بالنص على صواب التلفظ بالكلمة فقط ، يقول : « ونقول دَمَعَتْ عيني بفتح الميم^(٤) »

(١) لهجه ١ / ٤

(٢) ما نصه في العموم ٢٣

(٣) حـ ٢٤

(٤) حـ ٢٧

والكتاب يعالج على هذه الشاكلة مائة لفظة ولعطين ، وفي اغلب هذه الالفاظ
يصبُ التصويب على (الحركة) التي تعين باب الفعل ، او رنة الاسم ، وفي
مواضع اخرى يكون التصويب خاصا بملئتي والجمع ، او بعض المشتقات ، او
التذكير و لتأنيث ولم يعتمد الكسائي في عرض المواد ترتيبيا معينا ، فهو يبدأ بذكر
حرم ، نغم ، دع ، نقد ، عجز . . وهكذا دون ان تقسمها فصول على
الموضوعات ، ودون ان يقطعها ترتيب القبايى ، على نحو ما حدث في مؤلفات
لاحقيه . وهي حميصة واضحة في اكثر المؤلفات القديمة التي تؤلف لأول مرة في
موضوعها .

وقد توالى بعد الكسائي كتب لحن العامة ، فألف ابو عبيدة (ت ٢١٠)
والاصمعي (ت ٢١٣) وابو نصر احمد بن حاتم ، وابو عبيد القاسم بن سلام (ت
٢٢٤) والمدني (ت ٢٢٥) وابن السكيت (ت ٢٤٤) ولم يصل اليها - فيما عدنا
كتاب ابن السكيت - مها شيء ، سوى نص واحد من كتاب الاصمعي نقله ابن
بعش^(١) ، لا يفي شيئا في معرفة منهج الكتاب

الحروف لابن السكيت :

اما كتاب ابن السكيت فهو (الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها) ، وقد
وصل ليا وطبعه محققا الدكتور رمضان عبد التواب في القاهرة ١٩٦٩ ، وقد اجتهد
المحقق في نسق الكتاب الى ابن السكيت ، ذلك ان المصادر القديمة لم تذكر لابن
السكيت كتابا بهذا العنوان ، وانما ذكرت له بين مؤلفاته كتابه (مجاز ما جاء في الشعر
وحرف عن جهته) ، فقال المحقق : « ولعله هو الكتاب الذي حققه هنا ونشره
لأول مرة^(٢) » وللمحقق الحق في هذا المذهب ، ذلك ان كثيرا من مواد الكتاب ،
يدخل ضمن الاستعمال المجازي ، اي ان الذي حرف عن جهته في الاستعمال كان
سبب الاستعارة ، كما سرى ذلك ، هذا اضافة الى ان كثيرا مما جاء في الباب الرابع

(١) شرح الفصل ٨ / ١

(٢) الحروف (مقدمه المحقق) ٢٥٤

من الكتاب يتفق مع ما رواه السيوطي عن كتاب المثني لابن السكيت^(١) ، وهذا يعني ان الآراء هما هي لآراء ابن السكيت . ثم يقول المحقق : « والكتاب فضلا عن . . . يبدأ برواية صريحة تنص على نسبه الى ابن السكيت - فهو يحمل طابعه في مؤلفاته ، ويتفق في بعض عبارته مع ما روي عنه في مصادر اخرى وهذا لا شك لحظة في انه له ، وان لم تذكره المصادر التي ترجمت له^(٢) » .

قسم ابن السكيت كتابه الصغير على اربعة ابواب بحسب الموضوعات التي يريد ان يبحثها ، فالاول عنوانه : (باب حروف تقع مستعملة) والمقصود بهذا مثلا استعمال (الأظلاف) للانسان وهي للشاء والبقر . او استعمال (المشافر) للانسان وهي للابل . وهكذا . وطريقته ان يذكر هذا الاستعمال المجازي (المحرف) ثم ينص على استعماله الحقيقي (الصواب) ، ثم يستشهد بالشعر على ما ذكر من الاستعمال المجازي باكثر من شاهد ، ولا يستشهد على غيره ، لان معناه الحقيقي لا يحتاج الى الشاهد . ومثال ذلك قوله : « ويقال للرجل : إنه غليظ المشافر ، وأنه غليظ الحمافل ، والمما المشاعر للابل ، والمحمافل لذوات الخوافر . . . قال الخطيئة :

سَكُوا جارك العَيَّان لما تركته وقُلصَ عن برد الشتاء مشافره
وقال آخر (الفرزدق)

فلو كنت ضَيًّا عَرِمْتَ قرابتي ولكن زنجياً غليظ المشافر^(٣) ،

ثم ينتقل الى الباب الثاني وهو (باب الحروف التي جوزتها العرب او خلطت فيها) وفيه يذكر ابن السكيت نماذج من اغلاط الشعراء في استعمالهم بعض الالفاظ من حيث انهم عنوا غيرها قرية منها في مجال الدلالة ، كاستعمال الحسل وهم يريدون الحسل او الأبله وهم يريدون البصرة . او في استعمالهم اسماء الاعلام على غير نطقها الصحيح ، كاستعمالهم (سلام) والمقصود سُلَيَّان او (سير) والمقصود

(١) الزهر ٢ / ١٩١ - ١٩٢

(٢) الحروف (مقتلة الحق) ٣١

(٣) الحروف ٣٦

سيار ، وطربعته في هذا الباب ذكر البيت الذي فيه اللفظة ثم ذكر الغلط في استعمالها
بالتسوية على المقصود . ومثاله قوله : « وقال الحنّدي :

تقولُ النصارى قتلنا المسيح ولم يقتلوه ولم يُصلب
واعلم يريد . اليهود^(١) » وقد وجه ابن السكيت هذه الاستعمالات المغلوطة فيها
بما نقل عن الأصمعي قوله : « ولما أرادوا أن يحيثوا بالشيء فلا يمكن ، فيأبون بشيء
من سببه ، يستبدل عليه به^(٢) » وهذا هو التوجيه الصحيح الشامل لاغلط هذا
الباب ، وليس في توجيه ذلك برده إلى الضرورة الشعرية عند قدامة بن جعفر ومن
تابعه من المحدثين^(٣) ، مذهب منطقي ، لأن ذلك لو صدق على تحريف الاعلام فانه
لا يصدق على الشاهد المذكور ، إذ يمكن استبدال النصارى باليهود ، ثم لا
يضطرب الوزن .

وعقد الباب الثالث وهو (باب الاسمين يغلب احدهما على صاحبه) لما ورد في
الشعر من تغليب احد الاسمين على الآخر ، كقولهم (القمران) والمقصود به
الشمس والقمر ، غلبوا القمر لتذكيره ، كتغليبهم الاب في الابوين . او قولهم
(القمران) والمراد ابو بكر وعمر ، غلب عمر لانه اخف الاسمين ، ولم يلتزم في
هذا لباب ذكر البيت فيما يريد النص عليه من التحريف كما فعل في البابين الاولين ،
ولما اهتم ذلك في مواد كثيرة ، واكتفى بذكرها علوية عن شاهدها كما في
(الاحمران) و (الأصفرمان) و (الجديدان) و (الجوثان) وغيرها^(٤) .. اما مثال
الاول فقرنه : « وقال آخر :

فقرى العراق مسير يوم واحد
والبصرقان وواسط تكمله
اراد الكوفة والبصرة^(٥) . وهو يعطى المسوخ لهذا التغليب في بعض

(١) الحروف ٤٣ .

(٢) هـ ٢٤

(٣) هـ (معلمة للمضن) ٢٨

(٤) هـ ٥٢

(٥) هـ ٤٩

المواظى ، فالتذكير مسوع للتغليب ، والخفه مسوع ، والفهم مسوع انصا في تعصب
الخبرة على الكوفة في استعمال (الحيرتين) ، وهكذا .

وقد ألف ابو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥) رسالة مستقلة في هذا
الموضوع بعنوان (ما جاء اسماء احدهما اشهر من صاحبه فسميا به) نشره محمد
حميد الله في المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي العراقي من ١ / ٣٧ - ٤٢
وليس فيها اكثر من ذكر للمثنى وسبب تغليب احدهما على الآخر ، وليس فيها تعرض
الى لحن للعلماء في ذلك .

اما الباب الرابع فهو (باب ما جاء مجموعا وانما هو اثنان او واحد في لاص)
ويعنى هذا الباب بذكر استعمالات العرب لصيغة المجمع وهم يطلقونها على اثنى او
لمفرد خطأ مثلاً « يقال رجل عظيم المالك ، وانما له مكبان^(١) » ومثله
« شديد المرافق ، وضخم الماحر » وغلبت الوجدات وامرأة ذات اوراك^(٢) وغيرها
عما هو على هذه الشاكلة وهذا الباب اقصر الابواب ، فلما استشهد فيه ابن
السكيت ، بل كان يكتفى في هذه الفلة بذكر صدر البيت او عجزه دون ثمانية
وهذا الباب ينتهي الكتاب .

ومما يلاحظ على هذا الكتاب انه يمثل تطوراً في التنظيم والتقسيم بالنسبة
الى كتاب الكسائي ، وذلك بتبويبه الى ابواب ، على انه ظل يمتقر الى ترتيب المواد
داخل كل باب فهي غير مرتبة ترتيباً معيناً . ثم يمثل تطوراً آخر في نوع المادة التي
يبحثها ، فهو لم يعد يعالج الخطأ في الحركة والصيغة والورد ، كما كانت عليه الحال
عند الكسائي ، بل اتعبت معالجته للخطأ في الاستعارة والدلالة والمثنى والمجمع ،
وهي امور اكثر تعقيداً من الاولى ، وسببه تطور العامية وعشوها حتى صارت تشمل
كل اولئك في لغة الناس ، على اننا يجب ان لا نعالج في عدد جمع ما ذكر ابن السكيت
من اوجه الاستعمالات لحننا جد في الكلام ، لأن كثيراً من هذه المواد قديم ، ورد في

(١) الحروف ٥٣

(٢) نونه ٥٤

اشعار اجهليين ولغة صدر الاسلام ، ولها ما يسوغ استعمالها فيما دأبت عليه قوايين
اللغة في المحاز والخمة والعميم والمثابة وما الى ذلك ، واذا وقع لأولئك القدماء
شيء منها فهو على جهة التوسع في الاستعمال ، لا على جهة التحريف . على ان
القسم الاكبر من الكتاب يخص ما طرأ من التحريف على اللغة ، وهو الداخل في
موضوع لحن العامة .

والف بعد ابن السكيت في هذا الفن ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) وابو
حبيمة ندينوري (ت ٢٨٢) وثعلب (ت ٢٩١) والمفضل بن سلمة (ت ٣٠٠)
ولم يصل اليها منها سوى كتاب ابن سلمة ، وبیت منقول من كتاب ابن حاتم في
المؤلف والمختلف^(١) .

الفاخر لابن سلمة :

و (الفاخر فيها يلحن فيه العامة) للمفضل بن سلمة ، نشره اول مرة
لستشرق : تشارلس ايتروس ستوري في لندن سنة ١٩١٥ م واعاد نشره محققا :
عبد العليم الطحاوي سنة ١٩٦١ في القاهرة . وهو من اجل ما ألف في هذا
لموضوع ، ذلك انه يمثل تطورا ملحوظا في النظر الى مشكلة لحن العامة . فالمؤلف
لم ينظر الى اللحن على انه مخالفة الاعراب ، او تحريف اللفظ عن موضعه في
الاستعمال ، كما كان مفهوم اللحن عند سابقيه ، وانما ينظر اليه على انه المدول عن
معنى اللفظ الى معنى غيره ، وفهمه على غير ما فسر به ائمة اللغة وارباب
العلماء^(٢) على انه لم يميل بحث نماذج من اللحن بمفهومه الاول القديم كقول
مثلا : فوهم حاء بصرب ماصدرية ، هذا مما تغلط فيه العامة . لأن العرب انما
تقول : حاء بصرب اردرية ، اذا حاء فارغا^(٣) ، فهو هنا ينص على غلط يتصل
بتحريف اللفظ في الاستعمال يشبه منيع ابن السكيت في بعض ابواب كتابه ، وقليل

(١) المؤلف والمختلف ٢٢

(٢) الفصح (مقسمه المعنى) و

(٣) العلم ٢٤٦

من صبيح الكسائي قبله . ومثل هذا في مواضع قليلة في الكتاب ، اما الأكثر الذي لاجله وضع التأليف ، فهو انه بعالج العبارات الشائعة على السن الناس وما كان بدور في كلامهم من الجمل التي تنشأ الامثال في ثبات تركيبها ، فيردها - ما استطاع الى دلت سبيلا - الى اصولها اللغوية ، وجدورها الاولى التي اخذت واشتقت صيغها ومعانيها منها

وقد بسط المؤلف في مقدمته للكتاب غرضه من وضعه فقال : « هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك . فبينما من وجوهه على اختلاف العلماء في تفسيره ، ليكون من نظر في هذا الكتاب عالما بما يجري من لفظه وبدور في كلامه » ، ومن ذلك فهم ان كتاب (الماخر) ليس كتابا في الامثال بمفهومها الذي وصفت فيه كتب الامثال المعروفة ، وان دخلت الامثال في مادة الكتاب ، وشرط دخولها ، ان تكون في (شعبية) العبارات الاخرى الدارجة في اللغة اليومية ، ومن هنا يختلف مع رهايم في عد الماخر كتابا متمحضا للامثال ، مع اعترافه بأن الامثال لا تبلغ في مجموعها نصف الماخر^(١) . ومثال ذلك قوله . « قولهم : اخزاه الله ، اي كسره واهانه وادله ، واصل الخزي ان يعمل الرجل فعلة يستحي منها وينكسر لها . وقال ذو الرمة :

حَرَايَةُ اَدْرَكَتْهُ عَدَّ جَوْلَتِهِ مِنْ جَانِبِ الْحَبْلِ مَخْلُوطًا بِهَا لَفْصُ

ويقال من الاستحياء خزي يخزي حَرَايَةُ والخزي . الهلاك والدُّل يقال منه خَزِي يَخْزِي خَرِيًا^(٢) . ويتفاوت طول الكلام على العارة الواحدة ، من الاسطر القليلة الى الصفحات الاربع او الخمس . كما يختلف الحديث عن العارة باختلاف العارة نفسها ، فلم يلزم المؤلف نفسه بمنهج معين في الشرح والتفسير ، كما انه لم يلزم نفسه بمنهج في الاستشهاد ، فتارة يستشهد على ما يورد من معان وآراء شهود او اكثر من الشعر والقرآن والحديث والمثل ، وتارة يترك الاستشهاد تركا تاما

(١) الامثال العربية النادرة ١٧٣

(٢) الماخر ٩

ودارس الكتاب لا يشعر بان المؤلف يسير على مذهب مدرسي معين فيما يورده من من اراء ائمة اللغة ، فقد روى عن كوفيين امثال : القراء ، وابن الاعرابي ، ومي عبيد ، وابي عمرو الشيباني ، والفضل الضبي ، وروى ايضا عن بصريين امثال الاصمعي وابي عبيدة ، وابي زيد ، ويونس بن حبيب ، والضرب بن شمير ، فالتعصية الكوفية التي يفترض ان نجدها في كتاب ابن سلعة غير موجودة ، وقد يكشف لنا ذلك عن علية الدرس المصري في بغداد وتأثيره حتى على الكوفيين من امثال مؤلفيها . وقد ضم كتابه احدى وعشرين وخمسةائة عبارة من هذه العبارات الشائعة ، وطول العبارة يختلف من الكلمة الواحدة كفوفهم (احتلظ)^(١) . الى الحملة بطويلة كفوفهم (ما يقدر على هذا من هو اعظم حكمة منك) . وهو لا يسي خلال كلامه على بعض من هذه العبارات النص على الظواهر اللغوية التي كانت تعرض له فيها ، فأشار الى المشترك ، والاتباع ، والمغرب ، والقلب وغيرها^(٢) . غير ان المود غير مرتبة في الكتاب ترتيباً ما ، فلم يقسم كتابه ابواباً ومصولاً ، ولم ينظم الاقوال نظماً لغوياً على الحرف الاول او الاحير او اي صورة اخرى . ومع ذلك كنه يطل كتاب (الفاحر) يمثل التطور الكبير الذي حصل في الدرس اللغوي في عصر لفضل ، ذلك ان الكتاب انصب في معالجته على (الاساليب) اللغوية ، بعد ان كان كتب ابن السكيت خاصاً بـ (المفردات) ، وكتاب الكسائي خاصاً بـ (الاصوات) ، وهذا الاختلاف في جوانب المعالجة قد يكشف لنا عن تطور اللغة العامية في تلك العصور بعد ان كان اللحن لم يشمل غير اصوات الالفاظ ، اصبحت بعد مدة تشمل اللفظة كلها وهي في سياق الكلام ، ثم صار اللحن يشمل لاسلوب كله ، اي التركيب العام للجمل ، وهذا هو الذي وصحه كتاب ابن سلعة

...

(١) العام ١١٤

(٢) ص ٦٠٠ ، ٤٠٤ ، ٦٠٠

كتب الأمثال

يكر العرب المسلمون في وضع كتبهم في الأمثال ، ذلك ان التأليف في هذا الفن لم يتأخر في اغلب الظن عن التأليف في الغريب واللغات ادمر ان ابن عباس (ت ٦٨ هـ) اول من ألف في الموضوعين الاخيرين ، وكان يعاصره المؤلف الاول في الأمثال . ذلك اننا اذا تجاوزنا (الصحيفه) التي دونت فيها بعض الأمثال في العصر الجاهلي (١) . يكون عبيد بن شربة الجهمي (معاصر معاوية) اول من ألف في الأمثال ، وكتابه من مصادر الميداني في كتابه (٢) وفي زمانه مؤلف آخر هو صحر ابن عباس (او عياش) العدي (معاصر معاوية) ، ثم الف علاقة بن كرم (و كرم او كرم) الكلابي (معاصر يزيد بن معاوية) الذي يقول ابن النديم انه رى من كتابه حسين ورقة (٣) وابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٧ هـ) والشرقي بن القطامي واسمه ابو المثني الوليد بن الحسين (ت ١٥٨ هـ) الذي ذكر الميداني ان كتابه من مصادر ابيصا (٤) ، والمفضل الصبي (حوالي ١٧٠ هـ) الذي وصل اليه كتابه ، وقد طبع اول مرة بالخرائط سنة ١٢٠٠ هـ ثم في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

امثال المفضل الصبي :

وأول ما يمكن ملاحظته على الكتاب بعده عن الميدان اللعوي الذي يحس بصدده ، لخلوه تقريباً من الشروح اللغوية والتفسيرات المعوية وذكر غريب لالها واشتقاقاتها وما يتصل بذلك ، الا في مواضع قليلة جداً لا تجعل منه كتاباً في اللغة (٥) . والسبب في ذلك واضح ، هو ان الجانب الادبي كان هو اسمى لأعمال المفضل ، وهو طامع آثاره النافذة ، التي تشير الى عابته برواية الشعر ، وأحاديث العرب وأيامهم وأسابهم ، اكثر مما تشير الى اي عاية اخرى . ولهذا جاء كتبه في

(١) الأمثال العربية النادرة ٤٤

(٢) مجمع الأمثال ١

(٣) الفهست ٩٠

(٤) عنه الأمثال ٤/١

(٥) امثال الصبي ٥ . ١٢ . ١٦ . ٢٥ . ٢٦

الامثال . حرأ بقصص هذه الامثال وما تتضمنه من ذكر الاشعار والاحبار والابام وما
الى ذلك مما كان هو مصدر روايتها جميعاً ، سوى ما رواه عن غيره في مواضع
فله^(١)

ولسحة التي طبع منها الكتاب لا تمثل الكتاب كما وضعه المفضل ، ذلك ان
فيه زيادة واصححه ، وبمضامناً واصحها ، فالزيادة في وجود أسماء لغويين مباحرين عن
المفضل يروى عنهم كالكسائي (ت ١٨٩ هـ) وابس الاعرابي (ت ٢٣١ هـ)
وعنه^(٢) ، اما نقصان فعدم وجود بعض قصص الامثال المروية عنه في
كتابه^(٣) ، على ان اكثر مادة الكتاب وهي (١٦٠) مثلاً ، قد نقلت بنقصها من
كتابه ان كتب الامثال للمؤلفة بعده ، الا عدداً لا يتجاوز الربع ، لم يفل عنه في
كتب الامثال هذه .

وقد ألف بعده في الامثال يونس بن حبيب (ت ١٨٢) ، ومن كتابه اقتباس
في كتاب الامثال لخمرة الاصهاني^(٤) وعطاء بن مصعب (اسناد ابي عبيدة)
وكتبه من مصادر كتاب الميداني^(٥) . وافرقت مؤرخ السدوسي (ت ١٩٥) ، وقد
حصل اليه كتابه وطبع بتحقيق الدكتور رمضان عبدالنواب في القاهرة ١٩٧١

الامثال لسدوسي :

اهم ما يميز كتاب السدوسي عن كتاب الضبي السابق رعاية المؤلف باللغة ،
فهو لا يميل التفسير اللغوي والاستطراد فيه الى ذكر امور تتعلق بما ذكر في الشرح لا
علاقة لها بالمثل ، وهو في هذه الصفة يدحل الميدان اللغوي الذي لم يدحله كتاب
المفضل الضبي ، وادا كان الكتانان قد تشابها في عدم ترتيب المواد (الامثال) ترتيباً
م ، فسيما قد احتلما في عرض المادة والاستشهاد عليها وذكر المصادر .

(١) امثال الضبي ١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٦٧

(٢) ح ٩ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٥٦ ، ٨٢

(٣) اسناد ابي حبيد في ٢٤ ، ٤٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٣٩ مثلاً عن : الامثال العربية القديمة ٧٥

(٤) ما كان على اصل من الامثال (مخطوط) : باب العير

(٥) مجمع الامثال ١/٤٠٠

فالسدوسي أكثر من ذكر الرواة الذين صمم مهم تفسيراً أو بيتاً أو قصة تتعلق
 بأحد الأمثال المذكورة في كتابه ، وأغلب هؤلاء من الأعراب الذين شابههم في
 موادهم أو عن لقيهم بعد تزوجهم للمحواضر ، كأبي خالد الكلابي^(١) ، وأبي
 الحساء^(٢) ، وأبي الدقيش^(٣) وكثير غيرهم . إلا أنني لم أجده راوياً عن اللعوي إلا
 في موضع واحد ، ذكر فيه عيسى بن عمر (ت ١٥٤)^(٤) والسب هو تقدم عصر
 السدوسي فهو لم يأخذ إلا عن طبقة الخليل وأساتذته .

والشعر هو الأغلب الأعم من بين شواهد السدوسي ، إذ لم يستشهد
 بالقرآن إلا في موضع واحد^(٥) في تفسير لفظة (الميسل) ، ولم يستشهد بالحدث لا
 في موضعين^(٦) ولم يسبب الأول ، إلا أنه لا يكاد يخلو تفسيره لمثل من أمثله من
 استشهاد بالشعر ، وقد يجزه هذا الاستشهاد إلى شرح لفظة غريبة وردت في البيت ،
 والتفسير هذا يجزه إلى الاستشهاد ببيت آخر ، وهذا يعطي الصورة الوضحة عن
 السدوسي اللعوي ، الذي يدفعه احتياجه بعيداً عن الميدان الخاص متوخلاً في
 الغريب واللغات والتفسير المعنوي والاشتقاق وما إلى ذلك كما في التعليق على مثل
 الأول (إقدح وأنت مسترخ ، إقدح بدلي في مَرَح)^(٧) . وهناك أمثال تركها المؤلف
 دون شرح ودون استشهاد مثل (لا أعمله ما حن بعير) و (لا أعمله حتى تهرّ الأطباء)
 و (جاء بالذاهية الخنفيق)^(٨) .

وعني السدوسي باللغات كما أسلفنا ، وبصر على كثير منها ، وانشد لشعر ثب
 حتى أنه أحياناً كان يوثق صحة استعمال الشاعر بأن يسأل قوم الشاعر عن ذلك ،

(١) أمثال السدوسي ٥٣

(٢) ص ٨١

(٣) نفسه ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٠

(٤) ص ٨٦

(٥) أمثال السدوسي ٥٣

(٦) ص ٧٧ ، ٥٢

(٧) ص ٢٨

(٨) ص ٧٤

مثال ذلك انه كان يفسر معنى لفظه وردت في بيت للأسود بن يعفر وبعد ذلك قال
 « علم امثال احداً من عشيرته ، الا قال ما وصفت^(١) » . وقال في موضع آخر :
 « وسمعت رجلاً من هذيل^(٢) » .

وبما بلغت النظر في كتاب السدوسي انه يعد احياناً الفاظاً مفردة عداد الامثال
 مثل (الحمة) و (العرض) و (الدليف) وغيرها^(٣) ، فهل كانت هذه الالفاظ
 تطلق ويراد بها المثل ؟ اذ لا يظهر من تفسير المؤلف لها انها كذلك ، لأن غاية ما يفعل
 بعد ذكرها ، ان يذكر معانيها اللغوية الذي تستعمل له ، وقد يستشهد ببيت يدل
 على هذا المعنى ، فقد يجوز ان تكون هذه الالفاظ متزعة من امثال سقطت
 من المخطوطة ، سها النسخ فلم ينسخ نص امثالها ، ذلك ان محقق الكتاب وجد فيه
 نقصاً يتمثل بخصوص منقولة عنه لا توجد في المخطوطة^(٤) . أو ان تكون هذه الالفاظ
 قد يجب ان يلحق بالباب الموجود في آخر الكتاب وهو من الزيادات في السحرة ، فيه
 تفسيرات وشروح لالفاظ لغوية وردت في ابيات من الشعر^(٥) ، فربما يكون هناك
 نسخ نقل من هذا الباب اشياء ووضعها في أماكن متفرقة في صلب الكتاب وعلى
 كل حال ، فكتاب الامثال للسدوسي يمثل تطوراً في معالجة الامثال ، من حيث انها
 مادة لغوية لا مادة قصصية كما كانت عند المصنف الصبي .

ثم الف في هذا الفن النصر بن شميل (ت ٢٠٣) وهشام الكلبي (ت
 ٢٠٦) وابو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) وابو عبيدة (ت ٢١٠) والاصمعي (ت
 ٢١٣) وابو زيد (ت ٢١٥) وابو عثمان سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠) فقد الف في
 الامثال ، وروى كتاب ابي عبيدة في الامثال^(٦) . وابو عبيد (٢٢٤) الذي وصل
 لب كتابه ، وما زالت نسخته الاصلية بعيدة عن ابدننا . ذلك ان الذي نشره

(١) امثال السدوسي ٦٠

(٢) ص ٥٥

(٣) ص ٥٧ ، ٦٩

(٤) امثال السدوسي (مقدمة المحقق) ٢٢

(٥) ص ٨٣ - ٨٦

(٦) بنية الرعة ٢٥٤

المستشرق برتو سبه (١٨٣٦) لا يمثل غير فصلين من الكتاب ، كما ان الكتاب المشهور في (التحفة الالهية) المطبوع في بخواتب باستنبول ١٣٠٢ هـ من ص ٢ - ص ١٦ ليس الا امراغ الامثال من كتاب ابي عبيد وترتيبها على الحروف وهو غير ترتيب المؤلف ، ثم ان الذي نقله ابن عبد ربه في (العقد العربي) ط القاهرة ١٩٤٢ ح ٣ ص ٨١ - ص ١٣٦ ما هو الا مختصر لكتاب ابي عبيد واما صبيح ابي عبيد السكري في كتاب (فصل المقال في شرح كتاب الامثال لابي عبيد) الذي طبع في الخرطوم ١٩٥٨ م بتحقيق عبد المجيد عابدين واحسان عباس فهو الشرح والاختصار لا الشرح فقط ، وعلى هذا فان الصورة الكاملة للكتاب ما زالت بعيدة عن النور^(١) . وقد درس كتاب ابي عبيد دراسة موسعة المستشرق الالماني رهايم في كتابه (الامثال العربية القديمة) ، من خلال عنايته بتحقيق (فصل المقال) للبكري فبسط القول في وصف مخطوطات الكتاب ، ومقدمة المؤلف ، وابواب الكتاب ، ومصادر ابي عبيد واساتذته ، ومصمرون الكتاب ومهجه وترتيبه ، واحيراً نشره في لافاق^(٢) ، وهي دراسة مستعينة معنية .

مختصر امثال ابي عبيد :

اذا شئنا استجلاء المختصر الذي ضمه ابن عبد ربه الى كتابه (العقد الفريد) ، بررت امامنا طواهر عدة ، منها . دقة التنظيم ، لند نجد لأول مرة في كتب الامثال مادة موزنة على الموضوعات ، فقد قسم ابو عبيد امثاله اقساماً بحسب الظروف التي تضرب بها ، فقسم لامثال الرجال واختلاف نهوتهم^(٣) وقسم للامثال في القريب^(٤) . وقسم للامثال في مكارم الاخلاق^(٥) . وهكذا وكل قسم من هذه الاقسام يتنظم ابواباً ، ففي القسم الخاص بامثال العرب في الكلام . باب

(١) الامثال العربية القديمة ٩٥

(٢) ح ٨٥ - ١٢٩

(٣) العقد الفريد ٩١ / ٣ .

(٤) ح ١٠١ / ٣

(٥) ح ١٠٤ / ٣

(في حفظ اللسان) واخر في (اكثار الكلام وما يتصلى منه) وثالث في (لصمت)^(١) ، وهكذا . ومنها : العناية باللغة في التفسير ، وهذه العناية تشمل ذكر معاني الالفاظ الغريبة ، واشتقاقها ، ومصدرها ، ولغاتها ، واختلاف الآراء فيها وما الى ذلك من امور تشير الى الميدان الذي فرصه المؤلف على كتابه^(٢) ومنها : اعتبار المؤلف كثيراً من الاحاديث والحكم والاقوال الشائعة من الامثال^(٣) وهي في حقيقتها ليست امثالا ، فنقول انس بن مالك : (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحرز من لسانه ولسان غيره) لا يمكن ان يعد مثلاً ، فليس في هذه النصيحة ذلك المعنى التحريدي - ان صح التعبير - المقترض في المثل . وليس فيها تلك القوة الدافعة لذكرها في موطن البلاء الذي يحجره على الانسان لسانه ، غير اننا نجد هذه القوة الدافعة في (ان البلاء موكل بالمطلق) مثلاً . ومن الطواهر ايضاً : قلة الاستشهاد وقلة ذكر العلماء الذين يذكر آراءهم ، وربما كان ذلك بسبب الاختصار ، فلم نجد ذكر لاصمعي مثلاً الا في مواضع قليلة جداً^(٤) . في حين حدثنا دارس الكتاب (زهايم) حديثاً طويلاً عن شيوخه المذكورين في كتابه وكثرة عددهم فيه ووفرة مروياته عنهم . واخيراً فتحن لا ندعي ان هذه الطواهر هي كل طواهر كتاب ابي عبيد ذلك ان الذي بين ايدينا الآن هو المختصر ، ولا يخفى ما في الاختصار من طمس كثير منها . غير انها بمجملها تشير الى مصحح واضح في النظر للامثال من ناحية اللغوية ، ذلك ان الاهتمام بالجانب اللغوي اطفئ من الجانب القصصي فيه .

وَلَفَّ مَعْدِ أَبِي عَبِيدٍ فِي الْأَمْثَالِ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ اللَّحْيَانِي (تلميذ الكسائي) ،
وَأَسْ لَأَعْرَابِي (ت ٢٣١) وَالتَّوْزِي (ت ٢٣٣) وَابْنُ السَّكَيْتِ (ت ٢٤٤) الَّذِي
فَسَّرَ مِنْ كِتَابِهِ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ وَابُو عَبِيدٍ الْبَكْرِيُّ^(٥) ، وَأَلْفَ ابْنُ حَمَرٍ

(١) المقادير ٨١/٣ - ٨٢

(٢) منه ٨٣/٣ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٨

(٣) منه ٨١/٣

(٤) منه ٩٨/٣ ، ٩٩

(٥) الاعرابي (سلمي) ١٣٢/٢١ وفصل المقال ٢١٧

محمد بن حبيب (ت ٢٤٥) ، الذي لم يصل إلينا من كتابه الا قطعة واحدة نبدأ
بعبارة (من كتاب الامثال عن محمد بن حبيب اللغوي) مما يشير الى انها مترعة من
كتابه المفقود ، وقد نشرها محمد حميد الله مع كتابه (ما جاء اسماء احدهما أشهر من
صاحبه فسميا به) الذي أشرنا اليه سابقاً في المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي
المعاني ١٩٥٦ من ص ٤٤ ٤٥ وقوام هذه القطعة صفحتان من المجلة المنشورة
فيها

قطعة من امثال ابن حبيب :

ليس في هذه القطعة من الكتاب سوى سعة امثال ، وكلها تبدأ بـ (اعمل
من) ، وقد يشير هذا الى ان كتاب ابن حبيب في الامثال ، كان يحوي (ما كان على
اعمل من الامثال) كالذي وضعه بعد ذلك حمزة بن الحسن الاصفهاني في القرن
الرابع . ويتضح الجوانب اللغوي في شرحه للامثال باهتمامه بتفسير الالفاظ الغريبة
وبالاستشهاد عليها وتفسير الالفاظ الغريبة في الشاهد نفسه . ويذكر لكل مثل من هذه
الامثال قصة ، وينص على اسم الرجل الذي اطلق عليه المثل أول مرة ، الا المثل
لاول فقد اكتفى بشرح لفظة غريبة فيه فقال : « أبرد من عطرش » وهو الماء
الجامد^(١) وليس في هذه القطعة ما يشير الى رواية عن رواية او رأي لاستاد او أحد
عن شيخ ، الا ما ذكره في قصة حاتم الطائي من خبر نقله ابن ابي مويه زوجة
حاتم^(٢) . وبعد فهي قطعة صغيرة لا يمكن ان تعطي الصورة الكاملة عن الكتاب
الصالح الا ما ذكرناه

ثم انف في الامثال ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان الريادي (ت ٢٤٩) و ابو
عكرمة الضبي (ت ٢٥٠ هـ) ، وقد وصل اليها كتاب الاخير وطبع بتحقيق لدكتور
رمضان عبدالنواب في دمشق ١٩٧٤ م .

(١) مجلة المجمع العلمي المعاني ٤ / ٤٤

(٢) ص ٤ / ٤٥

امثال أبي عكرمة :

أول ما نلاحظه على هذا الكتاب انه هو المثل الذي حذا حذوه ابن سلمة في (الفجر) ، ذلك ان ابا عكرمة يقول في المقدمة مبيناً غرضه من تأليفه : « هذا كتاب الفناء من معاني كلام العرب السائر ، مما يحتاج الى تفسيره لكثرة استعماله ، وبيده شواهد من الشعر واللغة ، وفسرنا ذلك ونسبنا الى كل عالم قوله^(١) » وادارحما بالذاكرة الى مقدمة الفاجر نجد الكلام هناك يشبه الكلام هنا ، والعرض واحد ، وهو تفسير التعبيرات والاقوال الشائعة على السنة الناس شيوع الامثال . حتى اننا نجد ابا عكرمة يبدأ بقولهم (حياك الله ويياك)^(٢) . وهو مفتتح تعبيرات الفاجر ايضاً . وعلى هذا الاساس زعمنا ان المفضل بن سلمة قصد في فاجره تقليد ابي عكرمة بشيء من التوسيع والبسط . الا ان هناك فرقاً جوهرياً بين الاثنين ، جعلنا نعد (الفاجر) في كتب اللحن . الا وهو تعبير ابن سلمة في المقدمة : « هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة . . من كلام العرب »^(٣) . وهو يختلف عن قول ابي عكرمة : « هذا كتاب الفناء من معاني كلام العرب السائر » فالاول نص على ان مادة كتابه مأخوذة من السن (العامة) وهي في الاصل من كلام العرب ، فغلطت العامة في نطقها وفي معانيها ، وهو في الكتاب يصحح ويصوب ، وسقامته امثلة في كلامنا على كتابه في حين نجد ان مادة ابي عكرمة لا تخرج عن (كلام العرب) العتيق كما ينص هو نفسه .

وكتاب الامثال لابي عكرمة غير مرتب على الحروف ولا على الموضوعات وهو بهذا يشبه كتاب السدوسي ويشبه ابا عبيد في توسيع دائرة المثل ، فيشمل الحكم لقصر والاحاديث واقوال الزهاد^(٤) . ويشبهها في كثرة الاستشهاد ، وشواهد من القرآن والحديث والشعر ، وكثيراً ما يستطرد في شرح المثل الى شرح غريب

(١) امثال ابي عكرمة ٢٣

(٢) ص ٢٤

(٣) الفجر : المقدمة

(٤) امثال ابي عكرمة ٣٠ ، ١٠٣ ، ١٠٩

الشاهد ، وهو حين بذكر المثل أو التعبير الذي يريد تفسيره يبدأ بقوله (وقولهم)
واحد ابن سلمة بهذا السنن في فاحره كما مر . وعنايته باللغة عناية كبيرة ، تنجلي
في «ستقصائه لمعاني الالفاظ ومصادرها واشتقاقها وما يتصل بذلك من امور ، كما
بصر على لواء العلماء فيما يشرح وحلافهم فيه ، فيوجه هذه الآراء ويأخذ باصوبها
حسب رأيه»^(١) . واذا يعف بشواهد الشعرية عند الحدود المتعارف عليها عند
الدعويين اعني عند شعراء العصر الاموي لا يتعداهم ، لا يقف عند حدود مدرسة
لعوية معينة لا يتعداها ، فقد روى عن البصريين امثال الاصمعي^(٢) وابي عبيدة^(٣)
والمازني^(٤) ويونس^(٥) كما روى عن الكوفيين امثال : ابن الاعرابي^(٦) والفراء^(٧)
والكسائي^(٨) وابن السكيت^(٩) ، الا انه قد نذرت منه عبارات يستعمل فيها
مصطلحات الكوفيين التي تميز دروسهم عن درس البصريين^(١٠) . هذا ولا يغفل كتابه
من تعبيرات مثلية غير موجودة في سواه من كتب الامثال المتوفرة ، انفرد بذكرها ابو
عكرمة الضبي^(١١) . وحين قلل ابو عكرمة من اهمية بذكر قصص الامثال كسلفه
السدوسي ، فقد اكرم من الاهتمام باللغات قصص على عدد منها خلال شروحه للامثال
وتفسيره لغريبها^(١٢) . وقد اهمل ابو عكرمة ذكر المناسبة والظرف الذي يضرب فيه
المثل ، وذكر اول من أطلق عليه هذا المثل لو ذاك . واذا قل اهتمام الدارسين بكتاب
ابي عكرمة فلم يذكروه ولم يفلوا منه لاكتفائهم بكتاب ابي عبيد وغيره من الكتب
الضخمة ، فان ذلك لا يقلل من اهميته وجدواه ، وخصوصاً بعد ان عرفنا انه المعين

(١) امثال ابي عكرمة ٧٤ - ٧٥ ، ٣٢ - ٣٣ ، ٤١ - ٤٢

(٢) عنه ٧٥ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٤١

(٣) عنه ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٧

(٤) عنه ٣٤ ، ٤١

(٥) عنه ٤٨ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢

(٦) عنه ٣٥ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٧) عنه ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٤٨

(٨) عنه ٢٩ ، ٤١ ، ٥٨

(٩) عنه ٣٠ ، ٨٦

(١٠) عنه ٦٧ ، ٧٨

(١١) عنه ٦٥ ، ٩٧ ، ١١٦

(١٢) عنه ٢٩ ، ٦٤ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١٢٣

الذي نزل منه ابن سلعة في كتابه الفاخر .
وقد ألف بعده الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، وأبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله البرقي
(ت ٢٧٤ هـ) وأبو قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وعلي بن المهدي الأصمعي (ت بين ٢٧٨ -
٢٨٩ هـ) وثعلب (ت ٢٩١ هـ) والحيد بن محمد بن الحفيد الفواريري (ت ٢٩٨ هـ)
، كتباً في الأمثال لم تصل إلينا جميعاً .

كتب الأصوات

١ - الهمز :

يعد التأليف في الهمز أول ما ظهر من العناية ببحث علم الأصوات عند
العرب ، لاتصاله - على ما يبدو - بمعانيهم بالقراءات القرآنية ، ذلك ان عبد الله بن
أبي اسحاق الخصري (ت ١١٧) ، الذي نصر على انه أول من ألف في الهمز ، او
ول من عمل كتاباً مما أملاه في الهمز ، كان من المهتمين بالقراءة معروفاً بقراءة
شاذة^(١) ثم ألف بعده قطرب (ت ٢٠٦) والأصمعي (ت ٢١٣) وأبو زيد (ت
٢١٥) الذي وضع كتابين هما : كتاب تحقيق الهمز ، وكتاب الهمز ، والآخر وصل
إلينا وطبع بتحقيق الأب لويس شيخو في بيروت سنة ١٩١٠ بعنوان (الهمز لأبي
زيد) . ولم يصل من كتابه الأول (تحقيق الهمز) غير أسطر قليلة ملحقة بكتابه
الثاني (الهمز) فتركها المحقق^(٢) وقبل ان نتكلم عليه ، نود ان نشير الى ان ابن
النديم قد ذكر له كتاباً بعنوان (اللين)^(٣) ، ونظن انه تصحيف (اللين) استناداً الى
طبعة (فلوحل) من فهرست . كما صحف كتابه الأول (تحقيق الهمز) الى
تحصيف الهمز في طبعة الفهرست المشار اليها^(٤)

(١) الفهرست ٣٣ ومراثي النحويين ١٢

(٢) الهمز (مقدمة للمحقق) ٣

(٣) الفهرست (طاهران) ٦٠

(٤) الفهرست (طاهران) ٦٠

الهمز لابي زيد :

قسم ابو زيد كتابه ابواباً ، تختلف صغراً وكبراً ، فمها ما يستغرق الاسطر القليلة ومنها ما يستغرق الصفحات القليلة ، ولكنه لم يسم هذه الابواب الستة والعشرين ، وانما يقول في اول كل باب (وتقول في باب من الهمز) او (وتقول في باب اخر من الهمز) ، ودارس مادة الكتاب يجد ان هذا التقسيم جاء بحسب موقع الهمزة من اللفظ ، او بحسب حركة الهمزة نفسها ، او بحسب حركة الحرف الذي قبلها ، فمثلاً باب لما كانت فيه الهمزة احيرة على الالف . بساً ، أباً ، مكأً وهكذا^(١) ، وباب لما كانت فيه الهمزة متوسطة على الواو . يؤس ، رؤف ، رؤم وهكذا^(٢) الا انه لم يلتزم هذا القيد التزاماً كاملاً فجاءت اغلب ابوابه مصطربة الترتيب في موادها ، بحيث يمكن ان يخرج من هذا الباب ما يدخل في ذلك ، ومن ذلك ما يدخل في هذا ، كما انه لم يراع ترتيباً معيناً لمواده داخل كل باب ، لا على الاحرف الاولى للمادة ولا على الاحرف الاخيرة ، وبالتالي نجد صعوبة في العثور على اللفظة المهموزة في كتابه .

وعلاجه للالفاظ يقوم على ذكر العمل الذي فيه الهمزة ، وهو في صيغة الماضي ، ثم يذكر مضارعه او لا يذكر ، ثم يذكر المصدر فالمعنى ، وقد يستشهد عليه من الشعر ، كقوله مثلاً : « وتقول : جأ الرجل يجأ جؤاً على الشيء اذا أكتأ عليه . قال الشاعر :

أعاصيرُ لو شهدت غداةً بثمَّ جئوا العائِدات على وسادي »^(٣)

واستطراده الى المعاني الثانوية قليل جداً ، كما في (مآت)^(٤) وعزوه الشواهد الشعرية الى اصحابها قليل ايضاً^(٥) ، فأغلب هذه الشواهد غير منسوبة ، وهي لا

(١) اعر ٦

(٢) اعر ٧

(٣) اعر ١٧

(٤) اعر ٢٤

(٥) اعر ٢٥ ، ٢٦

تعدى الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، أمثال: زهير بن أبي سلمى ومنعم بن بري، وذو الرمة^(١). وأحياناً يكتفى بشطر من البيت فيه موطن الشاهد^(٢). ولا نجد في كل كتابه رواية عن مشايخه اللغويين، اللهم إلا رواية واحدة عن أبي لهدي وهو من الرواة الأعراب الذين لقيهم أبو زيد^(٣). والتفت إلى اللغات واختلافها في معاني اللفاظ ونص على بعض منها^(٤). في حين نجد في كتابه الفصاً من العربون على انصرافها إلى معنيين، وردوا كلا منهما إلى لغة بعينها كالقرء التي قالوا إنها تعني الطهر عند أهل العراق والحيض عند أهل الحجاز^(٥) في حين أحسن ذلك أبو زيد في كتابه فقال: «أقرأت المرأة أقرأء فهي مفرىء إذا حاضت، وأقرأء الخيصة، وجماعها المأروء»^(٦)، فهي عنده بمعنى واحد هو الخيصة لا غير

ومهما يكن فإن كتاب أبي زيد - وهو من الكتب الأولى في هذا الفن - قد مهد لغيره التأليف فيه، وعن ألف بعد ذلك في نهاية القرن الثالث. أحمد بن محمد بن رستم بن يزداد الطبري (معاصر المبرد) وعنوان كتابه: صورة الهمز، وهو مفقود.

٢ - الحروف :

لاصل في الكتب المؤلفة في الحروف، أن يتناول المؤلف الحروف العربية حرفاً حرفاً، ويبين خصائصه الصوتية، مفرداً ومع غيره، وبذلك يكون الكتاب دراسة لغوية فيها بحث الحروف المهموسة والمجهورة، والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفحة، والمستعلية والمخفضة، وحروف القلقلة، ومخارج هذه الحروف واستعمالاتها وما إلى ذلك مما يدخل ضمن الدراسة الصوتية، وخير من يمثل هذا النوع من التأليف - وإن تأخر عن القرن الثالث - أحمد بن محمد بن المطهر الرازي (ت ٦٣١) في كتابه الحروف (مخطوط مصور في معهد المخطوطات عن نسخة مكتبة لالي باستاسول رقمه في المعهد ١١٤ لغة) إلا أن الذي وصل إلينا من كتب الحروف في الفرون التي ندرسها لا يمثل ذلك

(١) المسز ١٩، ٢٨، ٢٩

(٢) قصه ٢٥، ٢٩

(٣) اقتدلا الأسمي ٥

(٤) المسز ٣٢

(١) المسز ١٩، ٢٨، ٢٩

(٢) قصه ٢٥، ٢٩، ١١

(٣) قصه ٢٩

الحروف للخليل .

اول من نسب له كتاب في الحروف الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥) ، وأقدم من ذكر له هذا الكتاب الرازي المذكور قل ليل ، ثم الذهبي (ت ٧٤٨) ثم الصبر و ابادي (ت ٨١٧) ثم السيوطي (ت ٩١١) . وعدم ذكره في المصادر القديمه لتي ترجمت للخليل وذكرت آثاره هو الذي دفع الدكتور رمضان عبدالتواب محقق الكتاب الى الشك في صيته الى الخليل^(١) ، ونحن مع المحقق في هذا الشك ، الا اننا نصيب الى سده سداً آخر نستخرجه من مادة الكتاب الخيالية ومدى بعدها عن عقلية الخليل المبدعة ، فالكتاب - وهو في خمس صفحات - يقوم على تصور لا اساس له لمعاني اسماء الحروف ، وذلك بان يذكر الحرف ويذكر ان معناه كذا ، على المثال التالي : هـ الالف : الرجل الخفي الضعيف . قال اوس

هَذَاكَ أَنْتَ لَا الْفُ مَهِينَا

الباء : هو الرجل الكثير الجماع . قال المؤمل :

انْبَثُّ أَنْتَ بَاءٌ حِينَ تَلْقَاهَا وفي المعركة لَا تَسْتَعْمِلُ الْبَاهَا^(٢)

وهكذا حتى يأتي على الحروف جميعاً .

والخليل كما نعرفه مبتكراً عميماً - يقوم درسه على النظر الموضوعي والملاحظة الدقيقة - يستبعد ان يضع شيئاً من هذا ، لبعده عن روح الدرس الرصين الذي تميز به - يضاف الى ذلك ان هـ ابيات الاستشهاد في الكتاب لا توجد في دواوين الشعراء الذين تنسب اليهم ، ولا في اي مكان آخر^(٣) . كما ان معاني الحروف غير موجودة في المعجمات اللغوية المتوفرة لدينا ، ولا تشبهها ايضاً معاني الحروف لدى لسانيين انذين تقترب اسماء الحروف لديهم من معانيها في اللفظ ، او متحد احيناً بالباء في العبرية مثلاً تلعط (بَيْت) ومعناها لديهم (بَيْت) ابصاً وهو الدار . والراء تلعظ

(١) الحروف (مقدمة للمحقق) ٤

(٢) الحروف ٢٨

(٣) نفسه (مقدمة للمحقق) ٥

(ريش) ومعناها (روش) وهو الرأس وهكذا . فاليد التي صنعت هذه الشواهد
وافقت هذه المعاني هي التي نسبت الكتاب الى الخليل

والف الكسائي (ت ١٨٩) في هذا الفن كتابين : الحروف ، وانهايات
المكى بها في القرآن ، ثم النضر بن شميل (ت ٢٠٣) ووصل كتاب الاحير
وطع .

الحروف لنضر بن شميل :

حققه لويس شيخو اليسوعي في (البلغة) المطبوعة في المطبعة الكاثوليكية ببيروت
١٩١٤ بعنوان (رسالة في الحروف العربية ، مسوبة الى النضر بن الشميل) ولغة
(مسوبة) تشير الى شك الباشر بنسبتها الى المؤلف . وكان المحقق قد نشرها اول
مرة في محله (المشرق) ح ١٤ ص ٢٦٥ سنة ١٩١١ دون نسبة ، ثم نشرت في مجده
(لعدم) البعدادية السنة الثانية / العدد الثالث ص ١٢٨ - ١٣٣ سنة ١٣٢٩ مسوبة
الى النضر بن شميل بعنوان (تشرح الحروف على الوجوه اللغوية) ، وبمقدمة
قصيرة تقول : « . . . رسالة وجيزة بادرة الوجود قديمة الخط والتأليف من مؤلفات
العالم النحوي النحوي النضر بن شميل من قدماء العلماء ، فاعتمد ناشرها في البديهة
على هذه النسبة ونقلها بتحفظ الى نشرته الجديدة على الرغم من تصريحه بعدم عثوره
على ذكرها بين مؤلفات النضر في مصادر ترجمته القديمة .

ومهما يكن من امر فان مادة هذه الرسالة تشير الى قدم تأليفها ، اذ لا يعد ان
تكون مؤلفة في عصر النضر ، وادان لم يهدنا البحث الى معرفة مؤلفها الحقيقي ، فاننا
نجتزئ منها مصاً فتبين فيه مهج الرسالة . يقول : « الباء على حمزة اوحة : باء
الاصل مثل باء كُتِبَ وضُرِبَ ، باء الوصل كقولك : مرَّ ريدٌ مصري ، باء البدل عن
لميم نحو : سُدَّ رأسه معناه سُدَّ رأسه ، باء القسم نحو : يا لله ، باء التثنية نحو
خُشِرَيتَ يذَرهم^(١) ، وكان المؤلف في الاصل قد عدد معاني الحرف واحداً بعد
الآخر ثم ذكر الأمثلة ، الا ان المحقق رأى ان يردف بكل معنى مثاله توصيحاً له

والرسالة على هذا تختلف في نظرتها للحروف عن رسالة الخليل ، ومادتها عيّل إلى مادة النحو ، فقد تعارف الدرس اللغوي على أن البحث في معاني الحروف على هذا النحو من اختصاص النحو . على أننا لا نعلم أن نجد فيها إشارات إلى الإبدال كما مر في النص السابق أو في مواطن أخرى قليلة^(١) . وليس في الرسالة سوى شاهدين شعريين غير منسويين ، الأول في إبدال الجيم من الياء ، والثاني في إبدال الشين من الكاف . وسوى شاهدين من القرآن ، الأول في كاف التشبيه ، والثاني في لام التوكيد^(٢) .

ثم ألف الأحفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١١) اللامات ، وأبو عثمان الحريري (ت ٢٤٩) الألف واللام ، وخلف البزاز (من أهل مكة) حروف القرآن ، وسبب إلى ابن قتيبة (ت ٢٧٦) أرجوزة في الضاد والطاء .

أرجوزة في الضاد والطاء لابن قتيبة .

نشرها الدكتور داود الحلبي الموصل في مجلة لغة العرب الجزء (٦) السنة (٧) من ص ٤٦١ - ٤٦٣ عن مجموع وجده في مدرسة الحجابيات في الموصل ، ولا ذكر لها في مصادر ترجمة ابن قتيبة ، ونشك على هذا وعلى حدائث لعتها في نسبتها إليه ، وهي في خمسة وأربعين بيتاً ، ضمها العاط الضاد والطاء المنخقة في اللفظ والمحتلفة في المعنى ، فالغَيْض (بالصاد) ما يمرض للهاء من النقصان والغَيْظ (بالطاء) هو الغضب . وهكذا ، ولولا غمك الأرجوزة بالضاد والطاء دون غيرها من الحروف لكنت مادتها أقرب إلى المشترك اللغوي ، إلا أن العناية فيها مصسة على التفريق بين دلائل هذين الصوتين في الكلمة . ومن أمثلة آياتها :

واعلم بأن الظاهر ظهر الرجل . والصهر أيضاً صخرة فسي الخيل .
والظن في الإنسان إحدى التهم . وهكذا الصنّ التخيّل فافهم .

ولا تصيف هذه الأرجوزة إلى اللغة مادة جليّة ، إلا ما دغمه الناشر من أن

(١) الجزء ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ص ١٦٥

للعص الالفاظ المذكورة فيها كالفيظ والختصل والظب والمرط والظد والضجة والعبطة معاني في المعجم تختلف عن المعاني التي اوردها الناظم لها^(١) .

ودكر للمرد (ت ٢٨٥) بعد ذلك كتابان في عنوانها لفظة الحروف الاول (الحروف) ، ويطن انه هو الداحل في هذا الباب من الدراسة ، والثاني (الحروف في معاني القرآن الى طه) وهو في معاني القرآن ، كما يتضح من هذا العنوان وكلاهما لم يصل اليها اما كتاب (الحروف في اللغة) الذي ذكر في بعض ترجمات ابي عمرو شيباني (ت ٢٠٦) على انه له ، فما هو الا كتابه (الحميم) المعجم المشهور ، يسمى بالحروف في اللغة ايضاً^(٢) . وسأني الى تفصيل ذلك في الفصل القادم .

٣ - الوقف والابتداء :

وهو من العلوم الصوتية المتصلة بالقراءة الشريفة ايضاً . وقد عني بالتأليف فيه اللغويون منذ عصر مبكر ، فكان ابو جعفر الرواسي (ت ١٨٧) اول من ألف فيه كتابين كبيراً وصغيراً ، ثم الفراء (ت ٢٠٧) ، وابو عبد الرحمن عبد الله بن ابي محمد البزدي (تلميذ الفراء) ، وابو العباس ثعلب (ت ٢٩١) وابو الحسن ابن كيسان (ت ٢٩٩) وكتبهم جميعاً مفقودة .

٤ - الأصوات :

هذا العنوان ألف اللغويون ايضاً كتباً مستقلة ، لا نستطيع ان نقطع - وكلها مفقودة - بشيء عن طبيعة المادة اللغوية التي ضمتها هذه الكتب ، غير اننا نرجع ان نكون في علم الأصوات ، على اننا نحتمل ان يكون بعضها بعيداً عن هذا الميدان ، اد بمكسها تصور أحدها وهو يدور حول أصوات الحيوانات والاشياء والطبيعة وما وضع في اللغة لكل منها من لفظ .

(١) محله لغة العرب ١/ ٤٦١

(٢) تشك الرواة ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٧

وأول من ألف كتاباً بهذا العنوان : قطرب (ت ٢٠٦) ، ثم الاحفش (ت ٢١١) ، والاصمعي (ت ٢١٣) ، وابن السكيت (ت ٢٤٤) ، وابن أبي الدب (ت ٢٨١) . اما ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) فكتابه يحمل عنواناً صريحاً في دلالة على مادته اللغوية الصوتية وهو (الادغام) ، وبحث ظاهرة الادغام في اللغة بدخل ضمن الدراسة الصوتية في كلا المنهجين القديم والحديث

كتب الحيوان

كثرت مؤلفات اللغويين في الحيوان كثرة هائلة ، وتناولوا منذ عصر مبكر جداً أنواعه المختلفة بالدرس والشرح لكل ما يتصل بها من صفات وأسماء وخصائص ، حتى كان ما وضعوه في الحيوان يفوق ما وضعوه في سائر الموضوعات المفردة الأخرى ، وإذا كان الأغلب الأعم من هذه الكتب يعالج نوعاً معيناً من أنواع الحيوان كالكتب الموضوعية للحشرات ، أو الموضوعية للطير ، أو الأيل أو الغنم ، وأشياء ذلك ، فإنهم وضعوا أيضاً موسوعات تناولوا فيها أكثر هذه الأنواع ، وهي التي أطلقوا عليها اسم الحيوان ، ككتاب الحيوان لابن عبيدة (ت ٢١٠ هـ) . وكتاب الحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وإذا لم يصل إلينا الأول ، فقد وصل الثاني ونشره محققاً الأستاذ عبدالسلام هارون في القاهرة أول مرة سنة ١٣٥٧ هـ ، وأعاد نشره سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

وبدوا ان العرب سُقوا الى مثل هذه الكتب الجامعة في الحيوان ، سبقهم اليها علماء اليونان ، ذكر حاجي خليفة : « منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومساعيه ، وكتاب الحيوان لارسططاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن الطريق من اليوناني الى العربي ولا رسطوايضاً كتاب في نعت الحيوان المعروف بالاطي [كذا] ، وما فيه من المنافع والمضار » . وأكبر الظن ان هذه الكتب لم

(١) المهرج ٥٩

(٢) كتب الطون ١/ ٤٥٦

تكن تولى الخائب اللغوي عناية كبيرة ، وانما تناولت الحيوان من جانب العلمي الذي يتصل بالدراسة الطبيعية ، ولم نجد - غير الجاحظ - من اللغويين العرب من وصلت اليها مؤلفاتهم الحيوانية ، من يشير كتابه الى وقوفه على بعض تلك الآثار اليونانية المعروفة . اما الجاحظ فانه يصرح في مواضع متعددة من كتابه بالفيل عن كتاب الحيوان لأرسطو ، ساكتاً عما ينطه مرة ، ومناقشاً أخرى ، ومعتدراً عنه بسوء الترجمة ^(١)

الحيوان للجاحظ :

يتضح من دراسة حيوان الجاحظ ، انه عني بالجوانب الطبيعية في دراسة الحيوان اكثر من الجانب اللغوي الذي تميزت به كتب الحيوان الأخرى ، ولعله تأثر في هذا كتاب أرسطو ، كما عني كثيراً بالفنصص المتصلة بالحيوان وأخبار العرب وأشعارهم وما قالوه فيه ^(٢) ، على انه لم يحمل الناحية اللغوية اهمالاً كاملاً ، فكثيراً ما يعرض للافظ بالشرح والتفسير والاستشهاد ^(٣) والكتاب يدل على سعة ثقافة الجاحظ ، اذ شمل النواحي العلمية والأدبية أولاً ، واللغوية ثانياً ، وأشبه في احتوائه على انواع الحيوان التي افردتها اللغويون برسائل مستقلة ، معجمات المعاني التي ضمت مختلف الموضوعات التي افردت برسائل ايضاً .

١ - الحشرات :

ويشمل هذا اللفظ عند القدماء الحشرات بالمصطلح المعاصر واكثر الرواحف والدواب ، بل أطلقوه أحياناً على الصيد مطلقاً كبرام صفر ، وهذا واضح من النص الذي نقله ابن سيده عن أبي حنيفة يعرف فيه بالحشرات ^(٤) ، وأول من أفرد هذا الفن في كتاب هو أبو حنيفة نهشل بن زيد الأعرابي (استاذ أبي عمرو بن العلاء) وقد

(١) الحيوان ١ / ١٨٥ ، ٢ / ٥٧ ، ٥ / ٥٠٢ ، ٦ / ١٩ ، ٧ / ٢٢٨

(٢) الحيوان ٧ / ٢٥٤ ، ٢٥٥

(٣) ح ٣ / ٩٧ ، ٥ / ٥٠٢ ، ٦ / ١٢٨ ، ٧ / ١٧٧ .

(٤) المعجم ٨ / ٩١

روى عنه تلميذه المذكور كتابه الحشرات ، ثم الف ابو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) كتاب النحل والعسل ، وابو عبيدة (ت ٢١٠) كتابي الحيات ، والعقرب ، والاصمعي (ت ٢١٣) كتاب النحل والعسل ، وعلي بن عبيدة الريماني (عنه المأمون ١٩٨ - ٢١٨) كتاب النحلة والبعوضة او العمل والبعوض^(١) ، واسر الاعرابي (٢٣١) كتاب الذباب ، وابو نصر احمد بن حاتم (ت ٢٣١) كتاب الجراد ، وابن السكيت (٢٤٤) كتاب الحشرات ، وابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) كتبه الثلاثة : الحشرات ، والجراد ، والنحل والعسل ، وهشام بن ابراهيم الكرنباني (تلميذ الاصمعي) كتاب الحشرات ، وابو بكر محمد بن اسحاق الاهوازي كتاب النحل واجناسه ، ولم يصل اليها اي من هذه الكتب الا ن الفصول المعقودة لهذا الفن في الموسوعات المعجمية كالعريب المصنف والمخصص وغيرهما تشير الى ان المادة كانت تدور حول انواع هذه الحشرات واصواتها وبيوتها وعضها والوانها وما يتصل بذلك من أمور^(٢) .

٢ - الطير :

وقد خصص اللغويون الطير بتأليف مستقل ، يتناولون فيه هذا الحيوان من الجوانب التي تناولوا فيها الحشرات ، وأول هؤلاء ابو عبيدة (ت ٢١٠) بكتبه اللحم ، ثم ابو نصر احمد بن حاتم (ت ٢٣١) بكتابه الطير ، وابن السكيت (٢٤٤) بكتابه مطلق الطير ، وابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) بكتابه الطير ، ولم تصل اليها هذه الكتب جميعاً .

٣ - الابل والغنم :

وشملت عناية اللغويين الابل والغنم فأكثروا التأليف فيها ووصفوا كتبهم يتحدثون فيها عن اعضائها واعمارها ونتاجها وادوائها وفوائدها وما الى ذلك مما يشغل باهتمامهم العائق فيها ، وليس ذلك بمستغرب ، اذ تعرف حق المعرفة ما كان هذين

(١) الهرست ١٣٣

(٢) المخصص : السفر ٨

الحيوانيين من اثر في حياة اجدادنا العرب . وأول من ألف في ذلك ابو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) كتاب الابل ، ثم ابو عبيد (ت ٢١٠) كتاب الابل ، والاحفش الاوسط (ت ٢١١) صفات العنم والوانها وعلاجها واستانها ، والاصمعي (ت ٢١٣) كتابي الابل ، والشاء ، وقد وصلا اليها .

ثم الف ابو ريد الكلابي (ت ٢١٥) كتاب الابل ، وابو زيد الانصاري (ت ٢١٥) كتبه الثلاثة : الابل والشاء ، ونعت الغنم ، والمعزى ، ونصر من يوسف (تلميذ الكسابي) كتاب الابل ، وابو نصر احمد بن حاتم (ت ٢٣١) كتاب الابل ، وابن السكيت (ت ٢٤٤) الابل ، وابو حاتم السجستاني (٢٥٥) الابل ، وما كتاب (الحمل) لابي عبدالله محمد بن خالد البرقي فليس كتاباً مستقلاً ، وانما هو فصل من كتابه المحاسن^(١) وكذلك كتاب النعم والبهائم والوحش المسبوب لابن قتيبة (ت ٢٧٦) الذي نشره موديس بوج بيروت سنة ١٩٠٨ شكاً في سببه الى ابن قتيبة ومرجعاً سببه الى ابي عبيد القاسم بن سلام ، فيما هو الا الباب الخاص بهذا الفن في العربي المصنف بعد حذف الشواهد واسماء الرواة من الاعراب واللمويين^(٢) . وسأني الى الكلام عليه في الفصل القادم .

وقد وهم ابن قاضي شهبة فعلاً لابن قتيبة كتاباً مستقلاً في (الابل)^(٣) ، وما هو الا جزء من كتابه المعاني الكبير^(٤) . وسأني اليه في الفصل القادم أيضاً .

كتاب الابل للاصمعي :

اما كتاب (الابل) للاصمعي فقد نشره محققاً المشرق اوغست هفتر في (لكتر النفوي) بيروت سنة ١٩٠٣ ، بعد ان وصلت اليها روايتان مختلفتان له ، وقد احسن المحقق صماً بنشر الروايتين كلا على حدة ، ليضع امر اختلافهما بين يدي الدارسين . ولا غرابة في ورود روايتين مختلفتين لكتاب واحد للاصمعي ، فقد

(١) المهرست ٢٧٧ .

(٢) المعجم العربي ١ / ١٢٥ .

(٣) سمات ابن قاضي شهبة ٣٤٦ .

(٤) غريب الحديث ١ / ١٢٨ .

عرف عنه انه كان يملئ بعض كتبه بشكل يخالف املاء السابغ للكتاب نفسه^(١) .
 المهم ان احدى النسختين لا تحمل صد روايتها ، بل تبدأ بعبارة (قال ابو سعيد
 عبد الملك بن قريش الاصمعي . .) اما الاخرى فهي تبدأ بسند الرواية ، وذلك
 انها : « رواه ابي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن ابن ابي الاصمعي ، عن
 رواه لنا الشيخ ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد الصيرفي عن ابي علي الحسن
 بن محمد بن موسى المقرئ المعروف بالشاموحي عن ابي العاسم عمر بن محمد بن
 سيف عن ابي عبد الله اليزيدي (سماع)^(٢) لموهوب بن احمد بن محمد بن الخضر
 الحواليقي نفع به^(٣) » .

وتكاد السختان او الروايتان يتفقان في المادة الاصلية للكتاب ، وتتضمنان في
 طريقة العرض والاستشهاد ، ولوضح اختلافاتها ما كان في تقديم بعض الابواب
 وتأخيرها ، ففي السخة الاولى رتب الابواب هكذا : وما يذكر به غرارة الابل ،
 ما يذكر به البكاء ، وما يذكر من اسماء الابل ، وما يذكر من ادواء الابل ، وما يذكر
 من سير الابل ، وما يذكر من الوان الابل . . الخ اما ترتيب هذه الابواب في
 الرواية الثانية فهكذا : ومن سير الابل ، الوان الابل ، اسماء الاطباء ، ادواء الابل ،
 اسماء عدد الابل . فرى ان الترتيب مختلف غير ان المادة واحدة مقدمة او مؤخرة ،
 سوى ما نجد من ورود عنوان باب او بابين في احدى النسختين غير موجود في
 النسخة الاخرى ، على ان مادة هذه الابواب موحدة في كلتا النسختين ، مدرجة
 تحت باب آخر ، او متروكة بلا عنوان .

والمواد في كل باب من هذه الابواب غير مرتبة ترتيباً معيماً كالابواب نفسها ،
 ففي باب ادواء الابل مثلاً نجد انه يبدأ بـ (للمغلة) فـ (الحفلة) فـ (الرمث) فـ
 (الحنج) الخ . . ومثال معالجته المواد قوله : « ومن ادوائها الشك يقال بصير
 شك وقد شك يشك شكاً ، اي به شيء من شك ، ومن ادوائها الطي وهو ان تلق

(١) شرح حماد ابي تمام ٦٧

(٢) صالحة من الاصل والسابق يستعملها معية على من السند في كتاب (الشاء) الانى

(٣) الكبر للمؤيد ١٣٧ .

الرثة بالحَب يقال طَنَى البعيرُ يَطْنِي طَنًى شديداً ، قال واتشدنا للمحارث بن
مصرف :

أَكُوِيهَ إِمَّا أَرَادَ الْكَيَّ مُعْتَرِضًا كَيَّ الْمُطْنَى مِنَ النَّحْرِ الطَّنَى الطَّحِيلَا
وَالْمُطْنَى الْعَبْرُ إِذَا خُوِيَّ مِنَ الطَّنَى . . .^(١) .

ونجد أنه بمعنى يذكر صيغ الفعل ومشتقاته ، ويستعين بالشرح والتفسير لـ
بره أهلاً لذلك ، ولا يعمل الاستشهاد حين يجد ضرورته ، ذلك أنه تركه في كثير من
مواد كتبه ، والعالم الأعظم من شواهد كانت من الشعر والرجز ، كما يصرح
حين بعد ذكر الشاهد للتعليق على لفظة فيه أو شرح معناها أو إيجاز معنى البيت
والشطر بعبارة مختصرة واضحة ، كقوله مثلاً : « وقال آخر : داء بهم غمٌّ من
الأفعال . أي بهم حسد »^(٢) . والكثير من شواهد الشعرية والأرجاز غير منسوب ،
وهو لم يتعد في زمن هذه الشواهد عصر بني أمية ، سائراً في ذلك على منهج
معاصريه من اللغويين والنحاة .

كذب الشاء للأصمعي :

وأما كتابه الثاني (الشاء) فقد نشره المحقق نفسه واعني به المستشرق هفتر في
فيينا سنة ١٨٩٦ م . وأول ما يطالعنا في الكتاب سرد روايته ، فهو رواية أبي علي
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي السجوي عن أبي بكر محمد بن السري السرح
عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري عن أبي إسحاق الزبائدي عن
الأصمعي ، مما رواه لنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي
(راوي كتاب الأبل السابق) عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد
ابن عبدوس بن كامل السراج عن أبي علي الفارسي ، سماع لموهوب من أحمد بن محمد
ابن الخضر بن الحسن بن محمد الجواليقي نفع به^(٣) ، ولو بجزء الرسالة إلى آخرها نجد

(١) الكبر النعوي ١٥٣

(٢) ص ١٥٣

(٣) الشاء ٤

انها مذيبة بذكر ساعات كثيرة للغويين ومعلّوضات بنسخ الآخرين ، يتأخر بعضها الى اواسط القرن السادس ^(١) والرسالة على اختصارها - إذ لا تسجور بصع صفحات - انت على جميع ما يذكر في حمل الشاء وولادتها وصفاتها وحليها وامراضها وعيوبها وما يتصل بذلك ، بطريقة تشبه كثيراً طريقة المؤلف في كتابه (الابل) ، الا انه ترك التبويب في هذا الكتاب ، فلم يقسم المادة على الموضوعات كما فعل هناك ، بل ترك كلامه مرصلاً متصلاً ، يتقل فيه من موضوع الى آخر دون فاصل .

وأعفى نفسه من ذكر مصادر علمه في هذا الفن فلم ينص على استاذ بعينه اللهم الا نصه على سؤاله بعض الاعراب دون ان يسميهم عن بعض الامور ، كقوله : « قلت لاصراحي : ما آية حمل الشاة ؟ قال : أن تدجو شعرئها وتستظف شعرئها ، ويحشك حولها . تستظف تستفح لثين . وتدجو تحسن وتصفو . » ^(٢) ونقف في هذا النص على ما وقفنا عليه من قبل من منهج الاصمعي في شرح غريب الالفاظ الواردة في النصوص ، وان خرج به هذا الصنيع عن كلامه الذي هو فيه . كما ان عنايته بذكر صيغ الافعال واشتقاقاتها وما يتصل بها من لغات واضحة في هذا الكتاب ، يقول مثلاً : « فإذا كان لبها قليلاً قيل قد بكأت تبكأت وبكأت تبكأت وهي شاة بكى ، والصرد والذهين مثل البكى من الابل والغنم ، قال الفلاح :

هأج وليس هيجه بمؤتمن
على صماريد كأمثال الخون

وقال آخر :

ها أحور أحوى متى يدع تابه جواد يسىء الحاليس ذهين ^(٣)

فتجد انه لم يستشهد هنا على مادة (بكأت) التي هو في صدد ذكرها وانما

(١) الشاء ١٨ - ١٩

(٢) هـ ٦

(٣) الشاء ٩ - ١٠

ستشهد على ما جاء به مرادفاً لمعناها وهو (صباريد) في الشاهد الاول و (قعين) في
لشاهد الثاني .

وشواهد على العموم قليلة في هذا الكتاب اذا فيست بشواهد في (الابل)
مثلاً ، واعليها من الشعر والرجز ، وبعضها غير منسوب الى اصحابه ، اما نصه
على سبيل اللغات فيكاد يكون معلوماً ، الا في موضعين او ثلاثة ، منها قوله : « قل
والعمروس الخمل بلعة أهل الشام »^(١) . ومنها يكن من شأن هذا الكتاب فان قيمته
في كونه الكتاب الوحيد الذي بقي لنا من مجموع ما وضع في وصف الغنم

٤ - الخيل :

ويدخل في هذا الفن الكتب المؤلفة في أسماء الخيل وأنسابها وحملها وردها
والفرس ونحلقه ، وقد أكثر العرب من التأليف في هذا المجال ، لما للخيل من أهمية
بالغة في حياتهم ، ولما كان لهم من عناية خاصة بها ، فافت عانيتهم بانفسهم . واول
من ألف في الخيل ابو مالك عمرو بن كركرة (استاذ الخيل) ، ثم ابو عمرو كلثوم
ابن عمرو بن ايوب العتابي (عهد الرشيد) ، وابو المنذر هشام بن محمد الكلبي
(ت ٢٠٤) انساب الخيل ، وابو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) ، وقطرب (ت
٢٠٦) خلق الفرس ، وابو عبيدة (ت ٢١٠) ثلاثة كتب هي الخيل ،
وسمى الخيل ، وحفبر الخيل ، والاصمعي (ت ٢١٣) كتابين هما الخيل ، وخلق
الفرس ، وعلي بن عبيدة الريماني (ت ٢١٩) صفة الفرس ، والمدائسي (ت
٢٢٥) الخيل والرهاة ، ومحمد بن عبدالله العنبي (ت ٢٢٨) ، وابن الاعرابي
(ت ٢٣١) اسماء حيل العرب وفرسانها ، وابو نصر احمد بن حاتم (ت ٢٣١) .
وعمر بن ابي عمرو الشيباني (ت ٢٣١) ، والنوزي (ت ٢٣٢) ، وهشام بن
ابراهيم الكرساني (تلميذ الاصمعي) ، ومحمد بن حبيب (ت ٢٤٥) ، وابو محلم
الشيباني (ت ٢٤٥) ، وابو ثروان العكلي : خلق الفرس ، وابو عكرمة عامر بن
عمران الضبي (ت ٢٥٠) ، وابو الفضل العباس بن الصرح الرناثي (ت

(١) انباء ١٨

(٢٥٧) ، وابو محمد ثابت بن ابي ثابت (تلميذ ابي عبيد) ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦)
كتابين هما الخيل ، والفرس . واحمد بن ابي طاهر (ت ٢٨٠) .

اما كتاب (الخيل) المنسوب الى ابي عبدالله محمد بن الحسن (ت ١٨٩) في
لطعة الطهرانية من الفهرست لابن التميم^(١) ، فما هو الا كتاب (الخيل) وقد
صحف في تلك النسخة ، وقد ورد صحيحاً في نسخة (فلوجل)^(٢) ، واثبت محقق
الطهرانية ما ورد عند فلوجل في هامش نسخته مرجحاً عليه ما ورد في الاصل
لمصحف الذي بين يديه . ولو كلف المحقق نفسه معرفة اختصاص الرجل لأدرك
بعده عن اللغة وانه فقيه مترجم مع الفقهاء ، فمن مؤلفاته : الكعالة ، الاقرار ،
الدعوى ، البيات ، الخيل . . . الى آخر ما هناك من فصول الفقه واصوله
وأحكامه ، فيكون كتابه في الخيل منسجماً مع سائر كتبه في الاختصاص . واما كتاب
الخيل المنسوب الى الضر بن شميل (ت ٢٠٣) على انه كتاب مستقل في هذا
الفن^(٣) ، فما هو الا باب من ابواب الجزء الخامس من كتابه الكبير (الصفات)^(٤) .
وعلى أية حال فان الذي وصل اليها من كتب هذا الفن لا يتجاوز الاربعة ، وهو عدد
قليل بالنسبة لكثرتها ، وهي كتاب (انساب الخيل) للكلبي ، و (الخيل) لابي
عبيدة ، و (الخيل) للاصمعي ، و (أسماء خيل العرب ورسائلها) لابن
الاعرابي .

انساب الخيل للكلبي :

كتاب انساب الخيل للكلبي مطبوع بتحقيق احمد ركي باشا في القاهرة بمطبعة
دار الكتب المصرية ١٩٤٦ م ، وهو يبدأ بسد الرواية ، يقول ابو منصور موهوب
ابن احمد الخواليقي : اخبرنا ابو الحسين محمد بن عبدالواحد بن رزمة البرار ،
احدرة ، قال . حدثنا ابو محمد علي بن عبدالله بن العباس بن العباس بن المغيرة

(١) الفهرست (طهران) ٢٥٧

(٢) نسخة (فلوجل) ٢٠٤ .

(٣) التلخيص العربي ١/ ١٢٦

(٤) الفهرست (فلوجل) ٥٢

الشيبي الجوهري ، قال : حدثنا ابو الحسن الاسدي قال : حدثنا محمد بن صالح ابن لسطح ، قال : أخبرنا هشام بن محمد السائب عن ابيه ، قال : هذا كتاب من فحول الخيل في الجاهلية والاسلام^(١) . فالجواليقي سمع الكتاب وسمعه آخرون وقرأه غيرهم ، وكل هذه القراءات ملوثة في آخر النسخة المحفقة . وتاريخ يدونها سنة (٤٥٠ هـ)^(٢) .

وينصب اهتمام المؤلف في الكتاب على الاحبار المتعلقة بفصل الخيل وفصل رتباتها وركوبها ، والاحاديث الشريفة الواردة في ذلك ، وعلى انساب هذه الخيل ، وقبائل التي احتضنت بالمشهور منها ، واسماء الخيل المشهورة وفي مقدمتها حين النبي ﷺ وما الى ذلك مما يدخل في البحث التاريخي السحت السعيد عن الميدان للعوي .

والكتاب غير مبوب ولا مرتب ترتيباً معيناً ، اللهم الا ملامح من التسلسل لتاريخي في الكلام على فحول الخيل ، فبعد ان بشع الصفحات الاولى من الكتاب بذكر فصل الخيل بما يورده من احاديث عن الرسول في ذلك ينتقل الى ذكر ابتداء العرب بانتاج الجياد من الخيل ، يقول : « فقال الازديون : ما لفرسا هذا اسم الا (راد لراكب) فكان ذلك اول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل . فلما سمعت بو تعلق ، اتوهم فاستطرقوهم ، فتح لهم من زاد الراكب (المجيس) فكان اجود من زاد لراكب . فلما سمعت بكر بن وائل ، اتوهم فاستطرقوهم ، فنتجوا من المجيس (الدياري) فكان اجود من المجيس^(٣) . . . » وهكذا يسير به الموضوع حتى يقف عند حيول رسول الله ﷺ فيسبها ويتحدث عنها . لينتقل بعدها الى كلام على المشهور من الخيول لدى القبائل ، فيمددها واحداً واحداً ويذكر بعد كل منها اسم القبيلة المالكه ، حتى يقترب من نهاية الكتاب ، فيحتمه بذكر اسماء الخيول الجياد لدى العرب في الجاهلية والاسلام التي ذكرت في تضاعيف كتابه . فيكون كانه (الملخص) الملحق بالكتاب ، ويسمى في هذا الملخص مائة وسبعة

(١) اساب الخيل ٦ - ٥

(٢) سنة ١٣٤ - ١٣٦

(٣) اساب الخيل ١٤ - ١٥ .

وحسين فرسا سوى أفراس رسول الله وهي خمسة .

والكتاب مشحون بالشعر ، فهو لا يكاد يذكر اسم فرس او قبيلة او ما يتصل بذلك من نسه وشهرته الا انشد ما يتيسر من الشعر الجاهلي والاسلامي مسبوياً وغير مسوب ، وهو يوثق بذلك مادته ، بل يصرح بهذا المعنى فيقول : «الخيل المشهورة المعروفة بالنسوبة وحيول العرب ، لا يختلفون في ذلك . ووجدنا في اشعار العرب دلالات على ما قالوا»^(١) . فهو يعتمد على الشعر ويحكمه على صحة ما يقال في شهرة الخيل ونسبها ، فهو من مصادر المؤلف المهمة ، اضافة الى ما يرويه من اخبارها من المحدثين والمفسرين امثال ابن عباس^(٢) ، والواقدي^(٣) ، وابي يوسف ، والاوزاعي^(٤) ، وغيرهم . فالكتاب - بهذه المادة وهذا المنهج - من كتب التاريخ والادب لا من كتب اللغة ، وقيمته اللغوية لا تذكر .

الخيل لأبي عبيدة :

اما كتاب ابي عبيدة الذي وقف على طبعه المستشرق كرنكو في حيدر اباد في الهند ١٣٥٨ هـ فهو يمثل نمطاً آخر من التأليف في الخيل ، ويعد تطوراً في تناول هذا الموضوع ، ويتضح هذا التطور في سعة المادة ، ومحاولة الترتيب ، والعناية بالبررة في اللغة . رواه ابو يوسف الاصبهاني عن ابي حاتم السجستاني عن ابي عبيدة مؤلفه^(٥) ، وقد بدأه ابو عبيدة بمثل ما بدأ به الكلبي كتابه ، بمقدمة يذكر فيها فضل الخيل والاخبار الواردة فيها ، واهميتها ، مستعباً بما ورد في القرآن الكريم واحديث الرسول واشعار العرب مما يؤيد ذلك .

وقسم ابو عبيدة كتابه ابواباً ، بعضها غير مسماة ، فبدأ برأس الفرس بصفه عضواً عضواً ، وانتقل الى صدره وكفيه وانتهى بالارجل والظهر ، ثم انتقل الى ما

(١) انساب الخيل ٢٠

(٢) ح ٢١

(٣) ح ١٨

(٤) ح ١٠

(٥) خيل ابي عبيدة ٢ .

سماه - (باب آخر) تكلم فيه على الكلكل والجوانح والركل ، مما يشعر بأنه لم ينترم بريئاً معيماً في وصف جسد الفرس . ثم تحدث عن فحول الخيل وأماها وأولادها ، وعن أسماء العليز في الفرس ، ودعاء الخيل ، وعبوبها ، وجودة خلقها ، وصفة عتفها ، وما يخالف الذكر فيه الأنثى ، وأسمائها ، وما يستحب منها ، والواهب ، وشيائها ، وصفاتها ، وقيامها ومشيتها ، ونشاطها ، وأصواتها ، وحتم الكتاب بما (قالت العرب في أشعارها من صفة الخيل)^(١) . إلا أنه يلاحظ على أبوابه شيء من الاصطراب وذلك لتكراره الكلام على الموضوع نفسه في أكثر من باب . أو تقسيم الموضوع الواحد على أكثر من باب^(٢) . وتختلف هذه الأبواب فصراً وطولاً ، فمن الأسطر القليلة إلى الصفحات الكثيرة . وهو في أثناء ذلك يستشهد بالشعر والرجز ، فيكثر منه أحياناً ، ويعتدل أحياناً أخرى ، ويترك الاستشهاد تركاً في مواضع أخرى قد تستغرق عدة صفحات ، فلم يلزم نفسه - مرة أخرى - بمهج معين في الاستشهاد ، ولا يعلق على الشاهد أي تعليق ، فلا يصر فيه لفظة ، ولا يوجز معناه ، ولا يستطرد لاستشهاد آخر غير متعلق بالمادة المذكورة تعلقاً مباشراً إلا في مواطن قليلة جداً^(٣) ، وأغلب هذه الشواهد الشعرية منسوب لقائلها ، من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين^(٤) . واسلوبه في ذلك كله اسلوب اللغوي الممسك بزمام مادته يصر فيها إلى شيء ، يقول مثلاً في باب ما تستحب العرب في الخيل : « تستحب أن تكون ناصية الفرس شديدة السواد ، وتستحب لينها ولين شكيرها وطمانينة عصفورها . والشكير ما أطراف بمس ناصيته من الزغب ، والعصفور منس الناصية وذلك كله للحسن إلا لين ناصيته ولين شكيرها ، فإن ذلك مما يستدل به على عتفه ، وهو ابن شاهد في الفرس على عتفه ، يجلد اللامس تحت يديه كأنه السخام من لينه ، فإن وجد فيه خشونة فإنه لم يسلم من هجة شائنة من لعروقي من غير العرب . وتكره المخر في الفرس والزعر والسقي والسعف في الناصية للفسح ، قال ابن مقبل العجلاني :

(١) خيل أبي حنيفة ١٣٦ - ١٧٣ .

(٢) ص ٤٧ . ٥٠ . ٥٢ . ٥٣ . ٥٤ . ٦٨ . ١٣١ .

(٣) ص ٦٩ .

(٤) ص ٣٠ . ٤٧ . ٤٣ . ٥٧ . ٧٣ . ٧٨ . ٧٩ . ٨٨ . ٨٩ .

درعتُ به العينَ مستورياً شكير حَافِلَه قد كثر
كثر أي لترح ، وقال ايضاً :

كَأَنَّ تَقَاعَةَ حَظْمِيَةِ عَلَى حَدِّ مَرَسَمِهِ إِذْ رَسَمَ^(١)

وعلى هذا المصحح سار كتاب أبي عبيدة الذي قدم مادة غنية أعاد منها كثر من
ألف في الخيل يعده .

الخيل للأصمعي :

وجاء كتاب الخيل للأصمعي الذي نشره المستشرق أوجست هينر في مجلة
(SBWA) فياح ١٣٢ x سنة ١٨٨٨ ثم أعاد طبعه في بيروت سنة ١٨٩٥ ثم حققه
الدكتور نوري حمودي القيسي ونشره في مجلة كلية الآداب بغداد ع ١٢ سنة ١٩٦٩
م . بأكثر من رواية ، أهمها رواية أبي علي الفارسي عن أبي عبد الله البزهد عن
عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه^(٢) ، وقرأ الكتاب جماعة وسمعه آخرون
كلهم علماء ، عرف بهم المحقق^(٣) . ولم يقدم الأصمعي لكتابه كما فعل سابقه
الكلبي وأبو عبيدة ، وإنما بدأ بقوله : « كل ذات حافر : أجود وقت الحمل عليها
بعد نتاجها بسبعة أيام ، وحيث تكون فريشاً ، والجماع الفرائش . قال ذو الرمة :
بأنت يقحمها دو أرملة وسقت له الفرائش والسلب القيادي »

ويقال لها إذا أرادت الفحل : قد استودقت ، وهي وديق . .^(٤) فهو هنا
يتكلم على وقت حملها ونتاجها ، ثم يتكلم على ولادتها ، وحال المهور وسن
قطامها . ثم يتحدث عن بعض صفات الفرس وصفات أعصائها ، وهو أطول
حديث أو فصل في الكتاب ، ذلك أنه لم يترك عضواً من أعضاء الخيل دون ذكر

(١) خيل أبي عبيدة ٦٨ - ٦٩ .

(٢) مجلة كلية الآداب ١٢ / ٣٤٩

(٣) ص ٣٥٠ / ١٢

(٤) مجلة كلية الآداب ١٢ / ٣٥١

ثم يعقد فصلاً لما (يستحب في الخيل)^(١) ، و آخر لما (يكره من الخيل)^(٢) ، وثالثاً لموصوع (العيوب في الخافر)^(٣) ، وفصلاً سماء (صفة مشي الخيل وعدوها)^(٤) ، وفصلاً (ألوان الخيل)^(٥) ، وفصلاً بعنوان (ومن الشيات)^(٦) ويختم كتابه بفصل طويل عن (الخيل المشهورة)^(٧) ، تحدث فيه عن أشهر خيول العرب في الجاهلية والاسلام واسماؤها واحيلها واخبار فرسانها .

وكتاب الاصمعي - كما نستشف من دراسته - كتاب عني بالخائب اللعوي كثر من عناية ابي عبيدة بهذا الجانب ، فان كتاب الاحير كما مر من دراسته مال الى الادب وذكر الاشعار والاحبار والروايات الى جانب ميله الى اللغة ، ولهذا جاء كتاب الاصمعي صغيراً بالنسبة لكتاب ابي عبيدة اذ لا يتجاوز ربعة او ثلثة - وعلى لرغم من تماثل المادة اللعوية في الكتابين ، فالاحتلاف واضح في منهج الاستشهاد وذكر الاشعار ، اذ ان الاصمعي لم يعن بالشعر الا حين يستشهد فكان قليلاً منطهاً .

ويستشف كذلك من دراسة الكتاب ان الاصمعي اعتمد على معرفة دقيقة باحول الخيل وصفات خلقتها الى جانب حفظه للغة ، في حين لا تتضح هذه الخصيصة لدى ابي عبيدة ، بل على العكس فان الدارس يقف في كتابه امام راجع من العرب مادة كتابه دون ان يكون له علم بحقيقة معانيها ومسمياتها . يدل على ما ذهب اليه الخبر المروي عن الاصمعي ، اذ يقول : و دخلت انا وابو عبيدة على الفصل بن الربيع فقال يا اصمعي : كم كتابك في الخيل ؟ فقلت . جلد ، قال : فقال اب عبيدة فقال : حمون جلدأ . فأمر باحصار الكتابين واحصار فرس ، فقال لابي

(١) مجه كنية الادب ٣٦٧/١٢

(٢) مجه ٣٧٠/١٢

(٣) مجه ٣٧٢/١٢

(٤) مجه ٣٧٣/١٢

(٥) مجه ٣٧٥/١٢

(٦) مجه ٣٧٧/١٢

(٧) مجه ٣٧٩ ١٢

عينه : اقرأ كتابك حرفاً حرفاً وضع يدك على موضع موضع من القوس ، فقال ابو عبيدة : لست بيطارا ، وانما هذا شيء اخذته وسمعته من العرب ، فقال : ثم يا اصمعي فضع يدك على موضع موضع من القوس . فوثبت فأخذت بأذني القوس ووضعت يدي على ناصيته فجعلت أقول : هذا اسمه كذا ، حتى بلغت حذره فأمر لي بالقوس^(١) .

وقد روى الاصمعي في كتابه عن كبار اللعويين والاعراب الفصحاء .
« حدثني حبيب بن شبيب ، وكان من أهل نجد ، وكان ينزل خريبة ، وهو مس^(٢) »
و « سمعت ابا عمرو بن العلاء يحدث^(٣) » و « حدثني رجل من أهل الشام^(٤) » و « حدثني جعفر بن سليمان » و « أخبرني عصام بن حليف السلمي^(٥) » و « أشدني حلف الأحمر لرجل يقال له ميسرة^(٦) » . وغير هذه الامثلة كثير ، مما يدل على سلامة منهجه العلمي .

أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الاعرابي :

بقي لدينا من هذا الفن كتاب (أسماء خيل العرب وفرسانها) لابن الاعرابي وقد نشره المستشرق دلافيدا في لندن سنة ١٩٢٨ م مع كتاب انساب الخيل للكبي ، وعلى الرغم من عدم ذكره - بهذا العنوان - في كتب التراجم والفهارس القديمة ، إلا أن وفرة نسخة المخطوطة وقدم بعضها ، ترك اطمئناناً على صحة نسبة الكتاب الى ابن الاعرابي لدى نفوس الباحثين ، وعلى رأسهم بروكلمان^(٧) ، وفؤاد سزكين^(٨) .

(١) برهه الاكبه ١٦٦ - ١٦٧

(٢) مجلة كلية الآداب ٣٨٢ / ١٩ .

(٣) برهه ٣٨٣ / ١٢

(٤) برهه ٣٨٤ / ١٢ ، ٣٨٦

(٥) برهه ٣٨٥ / ١٢

(٦) برهه ٣٨٧ / ١٢

(٧) G. der Arab Literatur, S. 179

(٨) Gesch des Arab Schriftums, 3: ١٦٠

يضاف الى ذلك ان جبهة كبيرة من المصادر ومن أهمها : الفهرست ١٠٩
ومعجم الادباء ١٨/١٩٦ وانساب الرواة ٣/١٣١ ووفيات الاعيان ٤/٣٠٨ والوفيات
٣/٧٩ وبعية الوعاة ٤٣ ، ذكرت له كتاباً بعنوان « الخيل » مما يحملنا على
الظن ان يكون المقصود به الكتاب الذي نحن بصدده ، اذ لا يمكن - لو كانا كتابين
مختلفين لابن الاعرابي - ان يحمل الاول فلا يذكر في كل المصادر التي تذكر الثاني .

ومادة الكتاب تمثل العنوان تمثيلاً صليداً ، فقد انصبت رعاية ابن الاعرابي فيه
على ذكر القبائل وما اشتهرت به من خيول ، فبعد ان تحدث في أول الكتاب عن
تاريخ استخدام العرب للحيل واصول الخيول العربية ، قسم كتابه تقسماً قبلياً ،
فجعل لكل قبيلة فقرة خاصة يتحدث بها عن حيل تلك القبيلة فعلاً : حيل بني
هاشم ، حيل قريش ، حيل الانصار ، حيل بني اسد ، وهكذا ، وهو خلال ذلك
لا يسي بطون كل قبيلة واصحابها ، فيعرض على خيولها جميعاً^(١) . ولا يحمل النص
على سم الفارس الذي اشتهر فرسه ، وبكامل ذلك بذكر احبائه وما قيل في فرسه من
شعر ، وما يتميز له من ذكر نسبه ونسب فرسه^(٢) .

على اننا لا نعلم ان نجد في الكتاب مادة لمعربة مهمة تتمثل بشرح غريب
الشعر الذي ينشده ويذكر رواياته المختلفة ، ويوجز في احاديث كثيرة معنى البيت في
عبارة او جملة ، واداء تعددت الابيات المشددة ، وكانت من قصيدة واحدة ، فلا ينتظر
ان يكتملها فيبدأ بشرح عربيها ، وانما يجعل شرح كل بيت منها تحت^(٣) . ومع ذلك
فقيمة الكتاب من الناحية اللغوية اقل منها من الناحيتين التاريخية والادبية شأن
كتاب انساب الخيل للكلبي الذي سبق الكلام عليه .

• - الخوخ :

وهو لفظ اطلقته مؤلفات اللغويين على جميع الحيوانات البرية ، كالاسد
والدب والصح والنعلب والخمار الوحشي والظبي والوعل وما شابه ذلك . وأول من

(١) سماء حيل العرب ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) ص ٩٠ ، ٩٢ .

(٣) اسماء حيل العرب ٨٢ - ٨٣ .

عرفنا وضعه مؤلفاً في هذا الفن . قطرب (ت ٢٠٦) وعنوان كتابه (ما حالف فيه
الإنسان الهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها) وقد وصل اليها . وطبع بتحقيق
المستشرق رودلف جاير ، اذ جعله ملحفاً بكتاب الوحوش للاصمعي بتحقيقه في
سنة ١٨٨٨ . ثم ألف الاصمعي (ت ٢١٣) بعده كتابه الوحوش ، ووصل اليه
أيضاً ، وجمعه المستشرق (رودلف جاير) نفسه ، في فيبا سنة ١٨٨٨ م

وألف في الوحوش أيضاً أبو زيد (ت ٢١٥) ، وهشام بن ابراهيم
الكرمائي ، وأبو عثمان سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠) ، وابن السكيت (ت
٢٤٤) ، وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) ، وأبو محمد ثابت بن أبي ثابت ،
والسكري (ت ٢٧٥) وبندار بن عبد الحميد الكرخي (تلميذ ابن السكيت) ،
وبن قتيبة (ت ٢٧٦) وقد ذكر له كتابان : الوحش ، والسباع والوحوش ، ما
الاول فقد ذكره ابن قتيبة نفسه^(١) . واما الثاني فليس كتاباً مستقلاً وإنما هو باب من
أبواب كتابه المعاني الكبير^(٢) . وسأني الى الكلام عليه في الفصل القادم

الوحوش لقطرب :

قسم قطرب كتابه الصغير الى ابواب ، تحدث في كل منها عن أسماء اوصاف
وحش معين ، فبدأ بأسماء الخمار ، ثم بأسماء النقر ، ثم الطيئة ، فالوعل ، فالأسد
فالذئب ، فالثعلب ، فالضبع ، فالارب ، فالعمام ، ثم باب في أسماء المصطع ،
وحتم باب في أصوات هذه الوحوش . ونحى حين يعرف ان الرسالة عبارة عن
صفحات معدودات ينضج مدى الاختصار في الكلام على كل من هذه الوحوش ،
لا يتجاوز كل باب من الابواب المذكورة الاسطر القليلة ، فمادة هذه الرسالة قل من
مادة رسالة الاصمعي في الوحوش التي ذكرها ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة الى قطرب
لأنه الباديء بالتأليف بالوحوش ، وكل ملديء مقل ، كما قررنا ذلك من قبل

ومع ذلك فلا نعلم ان نجد فيها عناية واصحة بالاستشهاد ، اذ يكاد لا يترك

(١) الاثر ٤١

(٢) التمهيد ٨٥

مادة دون شاهد ، وأكثر هذه الشواهد من الشعر والرجز ، للشعراء الجاهليين
والاسلاميين لا يتعداهم ، يسب بعضها لقائلها ويترك بعضها الآخر^(١) ،
واستشهد بالمران ابصاراً في مواطن قبله جداً^(٢) ، ونص على اللغات ، في مواطن
اختلف في الاسم ، يقول مثلاً في باب أسماء الخمار : « ويقال له العيوق والعقور
ويعفور وبعما يا هذا لعة^(٣) » ويقول في مكان آخر : « والخزومة البفرة طفلة أهل
ليمن وأهل العالية^(٤) »

على انما من جانب آخر نتمتع النص على المصادر ، فلا نعثر على ذكر لعوي او
راي مستقى منه شيئاً من مادته ، سوى ما يذكره عن (بعضهم) دون تسمية ،
كقوله : « الا ان بعضهم زعم أن النخعة العيد^(٥) » وهو بهذا يشبه صنيع
الاصمعي في ابله ، الا انه يخالفه في عدم اعتداده بذكر صيغ الفعل واشتقاقاته ، او
الاستطراد في شرح لفظة غريبة وردت في شاهد ، او التعليق على عبارة جانبية ،
وكل همه ما هو في صدره ، وقد يكون هذا من اسباب عدم تفحص الرسالة ،
يصاد الى سبب الاسبقية . وهو الى هذا كله لم يرتب المواد في كل باب ترتيباً معيناً ،
فمرة يبدأ بانثى الوحش ، ثم بالذكر او بالعكس^(٦) . وأخرى يبدأ بولد الوحش ثم
بأبويه او بالعكس^(٧) . كما ان الالفاظ غير مرتبة ترتيباً معيناً ، ففي باب الاصوات
مثلاً نجد الالفاظ هكذا : نهق ، شحج ، سحل ، حشرج . الخ^(٨) . وعلى كل
فالكتاب بداية فتحت الباب للدارسين ، فادلوا من بعده بدلائلهم ، وبقي للأول
فضل السبق .

(١) ما خالف فيه الاسان ٣٨ ، ٣٩

(٢) ص ٤٠

(٣) ص ٣٠

(٤) ص ٣٩

(٥) ص ٣٨

(٦) ما خالف فيه الاسان ٣٧

(٧) ص ٣٦

(٨) ص ٤٠

الوحوش للأصمعي :

أما تقسيم الأصمعي لكتابه فيشبه الى حد كبير تقسيم قطرب ، وذلك بافراده لكل وحش من الوحوش باباً خاصاً يتكلم فيه على اسمائه وصفاته ، والوحوش عند الأصمعي بعضها التي عند قطرب ، وهي الخمار والبحر والظاء والوعول والنعام والاسود والدثاب والضباع والثعالب والارانب ، وهي بهذا التسلسل الذي يوافق تسلسلها عند قطرب بفرق يسير . الا ان الأصمعي خالف قطرباً بافراده في بعض الابواب فصلاً تنزع مواضعها من أصل الباب ، ففي باب أسماء البقر وصفاتها افرد فصلاً لأسماء اولادها ، وفصلاً لأسماء أقطيعها . ومثل ذلك في باب أسماء الطياء وصفاتها . وهذا التوزيع الجديد يدل على تطور في المنهج يقرب خطوة نحو البضج . فبعد ان كانت هذه المادة مضطربة متداخلة عند قطرب ، أحلت مواضعها تنكشف وتتوضح وتنفرد عند الأصمعي ، على ان الباب الذي عقده قطرب لاصوات الوحوش في آخر رسالته ، دخلت مادته في مكانها من كل باب لدى الأصمعي ، فحين يتحدث عن الاسد مثلاً يتحدث عن زئيره في الباب نفسه ، وذلك أجمع لمادة الباب .

أما مواد الكتاب فهي أوسع من مواد قطرب ، ففيه إضافات في أسماء الوحوش وفي صفاتها وطباعها وبيوتها وأسماء اولادها واصواتها وكل ما يتعلق بها . وفيه ما درج عليه الأصمعي من استطراد وشرح غريب واهتمام بالتصريف وتعليق على الالفاظ والشواهد كمثل قوله : « ويقال للأسد الرثال والمحرب والمعيط » وقال ابو فؤاد :

كَأَنَّ عَرَبًا مِنْ أَسَدٍ تُرْجِ بُنَازِلَهُمْ لِنَابِيهِ قَبِ

أَي صَوْتٍ هِيَ الْقَبَّةُ . . . ويقال ليث هصور والحجاء هُصْرُ ، ويقال هُصْرَتُ الشَّيْءِ إِذَا ثَنِيَتْ ، وقال الآخر :

تُطَلِّي جَمَاجِمَهُمْ وَالْبَيْضُ تَأْخِذُهُمْ كَاللَّيْثِ يَسْرُعُ فِيهِمْ وَهُوَ مُهْتَمِرُ

ومنهصور وهصر إسمان اشتقا من هذا^(١) .

وحين ترك الاصمعي النص على المصدر الذي استقى منه ، أكثر من الشواهد الشعرية ، قصيداً ورحزاً ، وكأنه يعرض بذلك عن اغفال ذكر أساتذته ورواته ، وكفى بالشعر مصدراً ، وأنحصه الذي يقول فيه (أنشدني)^(٢) . وبين أيدينا في هذا الكتاب ما يدل على ذلك . اعني اعتماده على الشعر فيما يشت من معان والفاظ . فهو يقول : « والصيّدن لم أسمعه الا في شعر كثير »^(٣) . فالشعر هو الحكم وهو المصدر والمورد . كما استشهد بأمثال العرب ، كتوله : « والأنسى أرويةً والجميع أروي » وأروي يقال في مثل من أمثال العرب : أنت كبارح الأروى قليلاً ما تُرى . يقال ذلك للرجل اذا استبطىء في الزيادة^(٤) . ونص على لغات العرب في مواطن قليلة كمثل قوله : « الجشف والغرال والجحش في لغة هذيل »^(٥) . وقوله : « الهجرس في لغة اهل الحجاز القرد وفي لغة غيرهم الثعلب » قال والسرطان في لغة هذيل الاسد وفي لغة غيرهم اللرب^(٦) .

وأهم ما يؤخذ على الكتاب ، عدم ترتيبه مواد كل باب ترتيباً الفبائياً او أي ترتيب آخر ، شأنه في ذلك شأن كتاب قطرب . بحيث يصعب العثور على المستقى من الالفاظ او المعاني الا بعد قراءة الباب من أوله . ومع ذلك فيعد كتاب الاصمعي أكثر مادة وأوضح منهجاً من سابقه .

(١) الروحوش ٢٦

(٢) ص ٢١

(٣) ص ٢٩

(٤) الروحوش ١٩

(٥) ص ١٨

(٦) ص ٢٩

الفصل الثالث

المعجمات اللغوية

لفظة معجم لغة واصطلاحاً - أمم سبقت الى وضع المعجم - المعجمات العربية - العين
لنخيل . سند روايته ، نسبه الى مولفه ، منهجه ، مادته اللغوية ، اثره في الدرس
اللغوي - الجهم لابي عمرو الشيباني : اسمه ، منهجه ، اثره - التلفية في اللغة
لبندينجي : منهجه ، مادته ، اثره - العريب المصنف لأبي عبيد - اثره - الالفاظ لابن
السكيت - المعاني الكبير لابن قتيبة - الجرائيم المسوب لابن قتيبة

١ - لفظة (معجم) لغة واصطلاحاً :

تأتي مادة (عجم) في اللغة للدلالة على الابهام والاحفاء ، وعدم البيان والافصاح^(١) ، فمنها الاعجم : الذي لا يفصح ، والاعجم ايضاً : كل كلام ليس بعربية ، واستمعجت الدار عن حواب السائل : سكنت^(٢) ، وباب الامير معجم : ي ميم مفعل ، ونظرت في الكتاب معجمته : أي لم أقف حق الوقوف على حروفه^(٣) ، وصلاة النهار عجماء . لأنه لا يجهر فيها بالقراءة ، وقد عجم العود : اذا غصه ليعلم صلابته من خوره^(٤) . وهكذا تصرف صيغة (فَعَل) من هذه المادة الى معاني الابهام وعدم الافصاح .

اما صيغتا (فَعَل) بالتضعيف ، و (أفعَل) بالهمز ، فانها تأتيان لتدلا على عكس ذلك ، فتعجيم الكتاب : تنقيطه كي تستير عجمته ويصح^(٥) . والعجم البقطة بالسواد مثل الثاء عليه نقطتان ، يقال : أعجمت الحرف وعجمته ايضاً تعجماً ، ولا يقال عجمه . ومنه حروف المعجم ، وهي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ، ومعناه حروف الخط المعجم . . . وناس يعملون المعجم بمعنى الاعجام مصدراً ، مثل المخرج والمدخل ، أي من شأن هذه الحروف ان تعجم^(٦) .

(١) سر صباه الاحرب ١ / ٤٠

(٢) المعين (الجزء المطبوع) ٢٧٤

(٣) ليس الملاحة ٤١

(٤) المحيط في اللغة ١ / ٣٠٥ - ٣٠٦

(٥) المعين ٢٧٤

(٦) الصحاح ٥ / ١٩٨١ - ١٩٨٢

يقول ابن حني : « ثم انهم لما قالوا : اعجمت الكتاب اذا بينته وأوصحته ، فهو اذن لسلب معنى الاستبهام لا اثباته^(١) » ويشرح فكرة السلب هذه وبمثل هـ فيقول : « قولهم : أعجمت وزنه أفعلت ، وأفعلت هذه وان كانت في غالب أمرها إنما تأتي للاثبات والايجاب ، نحو اكرمت زيدا ، أي أوجبت له الكرامة ، وقد تأتي أفعلت ايضاً يراد بها السلب والنفي ، وذلك نحو : اشكيت زيدا اذا أرسلت له عما يشكو . . . فكذلك ايضاً قولنا : أعجمت الكتاب . أي أرسلت عنه عجمته . . . ونظيره ايضاً أشكلت الكتاب : أي أرسلت أشكاله . . . وقالوا هم : أعجمت الكتاب ، فجاءت فعلت للسلب ايضاً^(٢) »

ومن معنى السلب هذا اطلقت لفظة (معجم) على الكتاب الذي يراعي في ترتيب مادته ترتيب الحروف ، فكأن هذا الكتاب يزيل ابهام هذه المادة المترتبة على حروف المعجم ويبينها ويوضحها بما يجمعه من مواد لغوية وغير لغوية منسقة لها ومرتباً ليها على حروف المعجم . وقد مر اطلاق المعجم على مثل هذا الكتاب بمراحل قبل ان يستقر مصطلحاً على كتب اللغة التي عرفت بعدئذ بالمعجمات . فأطلقت أول مرة على سبيل الاشارة في عنوان الكتاب الى ان مادته مرتبة على الحروف ، ككتاب « الاغانى على حروف المعجم » لحيش بن موسى الضبي^(٣) ، وكتاب « معاني العروض على حروف المعجم » لبررج بن محمد العروضي^(٤) ، وذلك باضافة لفظة (حروف) الى (المعجم) ، وكلا الكتابين من كتب القرن الثالث ، ثم تخفف الناس من هذه الاضافة ، مكتفين بكلمة (الحروف) للدلالة على حروف المعجم ، ككتاب « صناعة الغناء وأخبار المعين وذكر الاصوات التي هي فيها على الحروف » لفريص المغني (ت ٣٢٤ هـ)^(٥) وغيره

وظهرت ملامح المصطلح بعد ذلك على يد رجال الحديث ، الذين سبقوا

(١) المحقق ٣/ ٧٥ - ٧٦ ، وانظر : شرح الرصافي على النسخة ٩١/ ١ والزهر ١/ ٢٣٠

(٢) صناعة الاعراب ١/ ٣٩

(٣) معجم الاديب ٧/ ٧٧٠ - ٧٧١

(٤) المعجم ٧٢

(٥) المعجم ١٥٦

اللغويين في استخدام (المعجم) في عناوين كتبهم ، فنجد (معجم الصحابة) لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي الحافظ محدث الحريرة (ت ٣٠٧ هـ) ، و (المعجم الكبير) و (المعجم الصغير) في أسماء أصحابه لأبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي المحدث المعروف بابن ست مبيع (ت ٣١٥ هـ) ، و (المعجم) (الكبير) و (الاوسط) و (الصغير) في فرق ت لقرآن وأسمائه لأبي بكر محمد بن الحسن النعاشي الموصلي (ت ٣٥١ هـ) ، و (معجم الشيوخ) ، لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي (ت ٣٥١ هـ) و (المعجم) (الكبير) و (الاوسط) و (الصغير) لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، و (معجم الشيوخ) لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الاسدي (ت ٣٧١ هـ) ، و (معجم الشيوخ) لعمر بن عثمان البغدادي المعروف بابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ) ، و (معجم الصحابة) لأحمد بن عبي المهداني المعروف بابن لال (ت ٣٩٨) وغير ذلك كثير^{١١} . على ان هؤلاء المؤلفين لم يخرجوا في هذا الاستعمال عن الدلالة السابقة ، واهي بها دلالة (حروف المعجم) ، اد قصدوا من ذكر لفظة (المعجم) الترتيب على الحروف لا غير ، ولكنهم طوروا استخدامها بتقديمها في العروا ، مهيدين لاستخدامها مصطلحاً لمعجمات اللغة .

ولكننا لا نستطيع ان نقطع بشيء في أول استخدام للمصطلح في المعجمات اللغوية ، فليس بين أيدينا ما يشير الى هذه الأولية ، غير انه لا يبعد ان يكون استخدام المصطلح في اللغة قد رافق استخدامها في معجمات الصحابة والشيوخ لسابق ذكرها ، لاشتراك معجمات اللغة مع تلك ، في ترتيب موادها على الحروف^{١٢} ، ثم أخذت كلمة (معجم) تقترب شيئاً فشيئاً من دلالتها المعروفة لأن ماداً قيل معجم فلا يتبادر الى الذهن الا الكتاب الذي يجمع الفاظ اللغة ومعانيها وشواهدا مراعيأ ترتيب الحروف اي ترتيب ، واذا صح ما افترضناه من بدء استخدام لفظة (معجم) في كتب اللغة ، فيكون ذلك في حدود اوائل القرن

(١) نهره ابن خلدون ٢١٥ ، وانظر : مقدمة الصحاح ٣٨ - ٣٩ و المعجم العربي ١٣/١ و المعجم العربي ١٦

(٢) المعجم العربي ١٤/١ و المعجم اللغوي في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ٩ .

الرابع ، أي في زمن ظهور معجم الصحابة لأبي يعلى التميمي (ت ٣٠٧ هـ)
والمعجمين الكبير والصغير لأبي القاسم البغوي (ت ٣١٥ هـ) .

وقد ذهب استاذنا الدكتور السمرائي الى انه « لم يطلق على المعجم اسم
المعجم الا في اواخر القرن الرابع الهجري ، اما قبل ذلك فهو كتاب ، وأول معجم
بهذا الاسم هو معجم مقاييس اللغة^(١) . وليس في المصادر ما يدل على تأخر اطلاق
المعجم على المعجم الى اواخر القرن الرابع ، كما انه ليس في مقاييس اللغة لأبي
فارس (ت ٣٩٥ هـ) ما يشير الى اطلاقه للمصطلح لأول مرة . وكل ما يمكن
نستفاده من مذهب استاذنا انه يعتقد افتراضا المتقدم ، في ان استعمال المعجم
مصطلحاً على معجمات اللغة ، تم خلال القرن الرابع ، وهو القرن الذي شهد
(الجمهرة) لأبي دريد (٣٢١ هـ) ، و (تهذيب اللغة) للأزهري (٣٧٠ هـ) ،
و (المحيط في اللغة) للصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) ، و (المجمل) و (مقاييس
اللغة) لأبي فارس (٣٩٥ هـ) و (الصحاح) للجوهري (٣٩٨ هـ) . وليس في
أي من هذه المعجمات ما يشير اشارة واضحة الى استخدامه المصطلح في العنوان وغير
العنوان . على انه لا يبعد ان يكون معروفاً لدى اصحاب هذه المعجمات والمشتغلين
باللغة بدلالته على المعجم ، دون ان يفيد ذلك في المعجمات نفسها . اما اطلاق
(القاموس) على المعجم ، فهو اطلاق متأخر ، سبه شيوع (القاموس المحيط)
لنفيروز آبادي (ت ٨١٦ هـ) ، اذ أصبحت كلمة (القاموس) تقبل في الاستعمال
كلمة (المعجم) ، فصار كل معجم قاموساً^(٢) ، والاصل ذلك

٢ - أمم سبقت الى وضع المعجم :

لم يكن العرب أول من عرف التأليف المعجمي من بين الامم . فقد سبقهم
أي ذلك الآشوريون والصينيون واليونانيون والهنود ، اذ وضعت كل امة من هذه
الامم معجمات في لغتها ترجع اليها ، على ان هذا السبق لا يعني ان العرب تأثروا

(١) محاضرات الدكتور ابراهيم السمرائي (مدونتي) ٦

(٢) المعجم العربي ١٤/١

« صنع هؤلاء ، أو قلدهم في جانب من جوانب العمل المعجمي ، بل كان العرب - وهم يصنعون أول معجماتهم اللغوية - متكررين غير مثليين ، ومبدعين غير متأثرين ، لأنهم صعدوا الى ذلك بدوافع عربية محضة ، على رأسها خدمة لغة العرب كتاب العربية المقدس ودمشقر الدين ، وصون العربية من الصياغ والدروس ، وحراستها من الخطأ والدخيل . هذا عدا انه لم تنهياً السبل التي تكفل للعرب الاطلاع على تلك المعجمات الاجسية القديمة ، وعلى الرغم من ان فكرة تكوين معجم هي فكرة متأخرة ، اذ عرف التأليف المعجمي اول مرة في العيين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري^(١) » ، الا ان ذلك يُعَدُّ بالنسبة الى تاريخ لعربية لتي ورثناها في النصوص الجاهلية تذكيراً شديداً . ومهما يكن من امر فلتست بصدد اعادة القول فيما فصلت الكلام عليه في موضوع « احصالة الدراسات اللغوية عند العرب^(٢) » .

لقد وضع الآشوريون معجماتهم خوفاً على لعنتهم من الصياغ ، وكانوا قد تركوا نظام الكتابة الرمرية القديمة ، وأخذوا نظام الاشارات المقطعية او الالفبائية ذات القيم الصوتية ، فصر عليهم معرفة الطام الجديد ، فلجأوا الى وضع قوائم خاصة ، جمعوا فيها الاشارات المقطعية ، وشرحوها بما كان لديهم في النظام القديم ، وقد ساعدتهم على ذلك ان لعنتهم السومرية القديمة لم تكن قد انقرضت بعد ، لانها بقيت حية في أفواه الكهنة يستعملونها في شعائرتهم الدينية ، وحفرت هذه القوائم على قوالب الطين ، وحفظت في مكتبة آشور بانيال الكبيرة في قصر (قويونحيك) في نيسوى (٦٦٨ - ٦٢٥ ق . م) ، ثم اكتشفت هذه القوائم (او معجمات الرمور والاشارات المقطعية) في اعمال التفتيح العلمية ، فكانت مصدراً مهماً لدراسة اللغة الآشورية^(٣) .

ورضع النصبيون المعجمات ايضاً ، وأقدم ما وضع منها : معجم (يوبياك) مؤلفه كربي وانح ، وقد طبع سنة ٥٣٠ بعد الميلاد ، تلاه معجم آخر عنوانه

(١) محاضرات الدكتور ابراهيم السطراي (مثنوي) ٧ .

(٢) سطر : الباب الاول / الفصل الثاني

(٣) مقدمة الصحاح ٤٠ تلام عن - حضرة بلبل واشور ٤١ - ٤٧

(شوفان) مؤلفه هوش ، وقد طبع سنة ١٥٠ قبل الميلاد ، وهذان المعجمان يعدان أساس معجمات الصين واليابان المعتبرة^(١) وعرف اليونانيون المعجمات ، وتكثر واس وضعها ، حتى ذكر اثينيوس خمسة وثلاثين كتاباً على أنها معجمات لغوية ، وجميعها مفقود ، ولعل في اعتبارها جميعاً من المعجمات ما يدعو إلى الشك . إلا أن الثابت أنهم عرفوا المعجمات التي يختص أعينها بمفردات كتاب معين أو شخص معين أو موضوع معين ، فقد وضع ابولونيوس الإسكندري وكان في عهد الإمبراطور اغسطس قبل الميلاد معجماً خاصاً باللفاظ هو مير الشاعر ، ووضع بوليوس بولكس وكان في عهد كمودس أوسع معجمات لليونان ، مرتباً حسب الموضوعات ، يشبه المخصص لابن سيده ، فهو معجم من معجمات المعاني ، وهو في عشرة كتب ، وقد وصلت اليها ، كما وضع هلاذيرس الإسكندري (حوالي ٤٤٠ ب . م) معجماً آخر ، ووضع أريون الطيبي (حوالي ٤٥٠ ب . م) معجمه الاشتقاقي ، وقد طبع في ليزج سنة ١٨٢٠ م . وهرشيوس الإسكندري (القرن الرابع الميلادي) معجم اللهجات والمحليات وأمويوس الإسكندري معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه ، وفاليريوس هيلكس (عهد السيد المسيح) معجماً عنوانه (في معاني الالفاظ) وما يزال مختصره باقياً إلى الآن . هذا سوى المعجمات الخاصة بالغريب أو العاسد أو الدخيل أو الغامض من الالفاظ والمعارف ، أو المعجمات الخاصة بالطعام ، والشراب ، والحيوان ، والمترادف ، والأدوية وغيرها^(٢) .

وعرف اليهود العمل المعجمي أيضاً ، فقد وضعوا معجمات لالفاظ اللغة السسكريدية مرتبة على الحروف ، وقد سب إلى هذه اللغة أنها كانت ترتب حروفها بحسب مخارجها^(٣) ، كما وضعوا معجمات خاصة بالمترادف والمشتراك ، أقدمها معجم امارسها المشتهر باسم (اماراكوسا) ، الذي وضع قبل القرن السادس لميلادي ، وهو معجم مترادفات في ثلاثة أبواب الحق به فصل عن المشترك للفظي

(١) الصحاح ومدلس المعجمات العربية ٥٥ ومفهمه الصحاح ٤٠ - ٤١ والمعجم العربية ١٥

(٢) المعجم العربي ١/ ٢٢٤ ومفهمه الصحاح ٤١ - ٤٢ والصحاح ومدلس المعجمات العربية ٥٨ والمعجم العربية

١٥ وكلها متعل عن دائرة المعارف البريطانية مادة معجم Dictionary

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة الخليل

وآخر عن الكلمات غير المتصرفة ، وكلمات التفكير والتأنيث . . . وقد رتب المؤلف حراء المترادفات بحسب الموضوعات ، وجزء المشترك اللفظي بحسب الحروف الساكنة في أواخر كلماته^(١) ، ووضع بعد ذلك سافقاتا معجمه الخاص بالمشارك اللفظي (حوالي القرن السادس لليلادي) ورتب الفاظه ترتيباً نادراً^(٢) فقد شرح أولاً الكلمات التي تحتاج لبيان معناها الى بيت كامل ، ثم الكلمات التي تحتاج نصف بيت ، ثم تلك التي تحتاج ربع بيت^(٣) ، ومثل هذا في الموضوع واعني المشترك اللفظي معجم آخر تلاه زمناً من تأليف هيا كاندرا^(٤) ويصع في سبعة أبواب ، الستة الأولى على التوالي للأسماء ذات المقطع الواحد ، للمقطعين ، الثلاثة الى الستة . أما السابع فيعالج الكلمات غير المتصرفة ، والى جانب ترتيب الكلمات بحسب عدد مقاطعها نظر الى الحرف الأول ، والحرف الساكن الأخير^(٥) .

هذه هي أهم ملامح تاريخ المعجم لدى الأمم التي سبقت العرب الى وضع معجميها ، ولكنها لم تسبقهم الى الابتكار ، ولم تسد عليهم باب الابداع ، الذي ظل مشرعاً وبطل الى الابد ، لأن الابتكار والابداع ليسا ملكاً لأمة ، او وفقاً على حري ، وقد رأينا من الاوصاف الموجزة التي وصفت بها معجمات الأمم القديمة هذه . انها تختلف اختلافاً كبيراً عن المعجمات العربية مهجأ ومادة واستيعاباً وترتيباً .

٤ - المعجمات العربية :

أشرنا في صدر الفصل الأول من هذا الباب الى ان التأليف مر بمراحل ، فميزت المرحلة الاولى منها بالتأليف المختلط ، وقد درسا كتبه في الفصل الأول ، وتميزت المرحلة الثانية بالتأليف المستقل على الموضوعات ، وقد درسا آثاره في الفصل الثاني . أما المرحلة الثالثة فكانت مرحلة جمع مواد اللغة وحصرها في كتب اصطلاح على تسميتها بعدئذ بالمعجمات ، وهي التي نخصص لها هذا الفصل الثالث ، وقد أودت كتب هذه المرحلة من كتب المرحلتين السابقتين كثيراً ، اذ اعتمدت على ما

(١) بحث اللحي عبد المود ٩٤

(٢) ص ٩٦

(٣) ص ٩٦

جاءت به كتب التأليف المختلط وكتب القرون اللغوية المستغلة ، فيها حصته من مواد
لغة . ولا يشد عن أطراف هذه المرحلة التأليفية ، وبحرق القاعدة المنطقية المعرصة
في ذلك سوى معجم (العين) للخليل بن أحمد المراهيدي المتوفى سنة (١٧٥ هـ) ،
أي أنه الف في حلال للمرحلتين الأولى أو الثانية ، ولولا ذلك لكان أثره
في تسلسل المراحل الثلاث صحيحاً إلى حد كبير .

وكان الدافع الأساسي الذي دفع اللغويين إلى وضع معجماتهم ، هو الدافع
نفسه الذي دفعهم إلى وضع كتبهم السابقة ، وهو خدمة القرآن ومصوحه انتشراح ،
وصون اللغة من الخطأ وحفظها من الضياع ، وفي ذلك يقول ابن خلدون
« فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما يشأ
عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فنشر كثير من أئمة اللسان لذلك وأمر فيه
الدواوين^(١) » . ولما كان العرض الرئيس من وضع المعجمات هو جمع مفردات لغة
ومحاولة احصائها وشرحها والنص على معانيها والاستشهاد لها بمختلف الشواهد
الشعرية والنثرية ، فقد تشعبت للعلميين مناهج هذا العمل ، فمنهم من احتار جمع
المواد حسب الالفاظ مرتباً إياها ترتيب الخاص ، ومنهم من رأى جمع المواد حسب
الموضوعات مبرراً لها حسب المعاني ، واحتلقت لدى الطائفتين طرق الترتيب
فذهبت الطائفة الأولى إلى ترتيب الالفاظ على محارج الحروف ، أو على أحرف
أبجدية ، فانظرة إلى الحرف الأول للفظ ، أو الحرف الأخير لها ، أو كليهما
ودهبت الطائفة الثانية إلى إيراد الالفاظ الخاصة بالموضوع المعقود له الباب ،
ولاستشهاد لكل منها أو لبعضها ، أو إلى إيراد النصوص الشعرية الخاصة بالباب ،
واستخراج الالفاظ منها وشرحها^(٢) . ومهما يكن من أمر فاما سذكر ما وصل إليه
حرفه من هذه المعجمات إلى نهاية القرن الثالث ، وندرس ما وصل إليها في ذلك
العصر ، متتبعين أثر كل منها فيما جاء على مهجه من معجمات العصور التالية

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٨٤

(٢) انظر : المعاجم العربية ١٨ والبحث العموي عند العرب ١٣٥ وأثر الدين في تطور اللغة العربية ١٥٣ وعقد جمع
اللغة العربية للجلد ٤٧ ، ٢ / ٣٨٩ وجملة للجمع العلمي العربي للجلد ١٠ / ٣١٠ - ٣٢٢ وعلم اللغة في ٦٨

وأول معجمات الالفاظ : (العين) للخليل من احمد القراهيدي (ت ١٧٥ هـ) وهو أول معجم في العربية ، يليه (الجيم) للنضر بن شميل (ت ٢٠٣) ، و (الحيم) لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) ، و (الجيم) لأبي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (ت ٢٥٥) . و (التنقيح في اللغة) لليمان بن ابي اليان السديجي (ت ٢٨٤) ، و (البارع في علم اللغة) لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٣٠٠) ولم يصل اليان من هذه المجموعة سوى العين للخليل ، والحيم لأبي عمرو ، والتنقيح للسديجي ، وستدرس كلاً من هذه المعجمات في هذا الفصل ، أما الجيم للنضر بن شميل ، فلا نملك منه سوى ذكره في المهرست^(١) ، وقد ضمت مصائر بوصفه والكلام عليه ، وسلكناه في المعجمات قياساً على معاصره الحيم لأبي عمرو ، ولا يشير عنوانه الى غير ذلك . وأما الجيم لشمر بن حمدويه ، فقد وصفه الففطي وقال : « ألف - أي شمر - كتاباً كبيراً في اللغات ، أسسه على حروف المعجم ، وابتدأه بحرف الجيم ، فأشبعه وجوده ، إلا انه طوله في الشواهد والشعر والروايات الحقة عن ائمة العرب وغيرهم من المحدثين ، وأودعه من تفسير القرآن بلروايات عن المفسرين ، ومن تفسير عربي الحديث اشياء لم يسبقه الى مثلها احد تقدمه ، ولا ادرك شأوه فيه من بعده^(٢) » وبطل عن الارهري انه قال : « ورأيت اما من أول ذلك الكتاب تماريق أجزاء بخط محمد بن قسورة ، فتصعحت أبوابها فرائدها في غنية الكمال » ووجد الارهري انه « أخذ ببعض حروقه من العين ، عزاهما الى محارب ، وأطنه رجلاً من اهل مرو ، وكان سمع كتاب اللبث منه^(٣) » وأما البارع في علم اللغة للمفضل بن سلمة فقد ذكره ابن النديم وقال : « كتاب البارع في علم اللغة ، والذي خرج منه الهمزة والماء والعين والحاء والغين والخاء^(٤) » . ويمكننا ان نستنتج من هذا التعليق الموجز ما يأتي : أولاً - انه مات قبل ان يتمه ، وثانياً - انه سار فيه على نظام المخارج والتقليبات ، وثالثاً - انه حالف الخليل في ترتيب مخارج

(١) المهرست ٥٨

(٢) الارهري ٧٧

(٣) تهذيب اللغة ١ / ٣٠

(٤) تهذيب اللغة ٨٠

الحروف ، ووافق سيوييه في هذا^(١) ، وذلك انه بدأ بالهمزة والهاء ولم يبدأ بالعين .
وعد الصفاتي (ت ٦٥٠ هـ) معجم البلوغ هذا من مصادره في معجمه (التكملة
والذيل والصلة) دون ان يشير الى عدم قلعه^(٢) .

وأول معجمات المعاني : (الصفات) لابي حيرة نهشل بن زيد الاعراسي
(استناد ابي عمرو بن العلاء) ، يليه (الغريب المصنف) للقاسم بن معن الكوفي
(معاصر الخليل) ، و (الصفات) للنضر بن شميل (ت ٢٠٣) ، و (الغريب
لمصنف) لابي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) ، و (الصفات) لعطرب (ت ٢٠٦)
و (الصفات) للاصمعي (ت ٢١٣) ، و (الصفات) لابي ريد الانصاري (ت
٢١٥) ، و (الغريب المصنف) لابي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) ، و
(لغريب المصنف) لعمر بن ابي عمرو الشيباني (ت ٢٣١) ، و (الالفاظ)
لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، و (المعاني الكبير) لابن قتيبة (ت ٢٧٦) ، و
(الجرائيم) له ايضاً^(٣) . ولم يصل اليها من هذه المجموعة سوى الغريب المصنف
لابي عبيد والالفاظ لابن السكيت ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ، وقطعة من الجرائيم
له . ووصفت المصادر بعض ما لم يصل اليها من هذه المعجمات بأوصاف موجزة لا
تزيد على بضع كلمات أو بضعة أسطر ، واحتجت عن وصف أكثرها . فكتاب
الصفات للنضر بن شميل - كما عرّفه ابن النديم - « كتاب كبير يحتوي على عدة
كتب ، الجزء الاول : يحتوي على خلق الانسان والجنود والكرم وصفات النساء ،
الجزء الثاني : يحتوي على الاخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب والامتنعة ، الجزء
الثالث : للابل فقط ، الجزء الرابع : يحتوي على الغم والطير والشمس والقمر
والليل والنهار والالبان والكحلة والآبار والحياض والارضية والدلاء وصفة الخمر ،
الجزء الخامس يحتوي على الزرع والكرم والعنب (او الفيت) وأسماء البقول
والاشجار والرياح والسحاب والامطار وكتاب السلاح وكتاب خلق القرس^(٤) » .

(١) الكتاب ٢ / ٤٠٤

(٢) التكملة والذيل وتصلة ٨ / ٨ .

(٣) الفهرست ٧٥ ، ٧٨ وتلاه الرواة ١٠٨ / ٩ ، ١٠٩ ، ٢٠٢ ، ٢٥ / ٢ ، ٣٥ / ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٢٠ ، ٣٥٢

وتشعب الظنون ١٢٠٩

(٤) الفهرست ٧٧ وتلاه الرواة ٣٥٢ / ٣ ، ووجيات الاعيان ٢ / ٢١٤

ولا ادري لماذا أطلق على البابين الآخرين من الجزء الخامس دون سائر ابواب المعجم اسم الكتاب ، ولا يحتمل ان يكونا كتابين مستقلين عن معجمه لأن ابن النديم وتبعه المعطي قالا بعد ان انتهيا من ايراد هذا الثبت الذي نقلته هنا : « وله - اي للمصر - بعد ذلك من الكتب المصنفة ما لا يدخل في هذا الكتاب ، كتاب . . . »^(١) مما يشير ان كتاب السلاح ، وكتاب خلق الفرس ما هما سوى بابين من ابواب الجزء الخامس من الصفات ، ولعل الضر كان قد الحقها بمعجمه بعد ان وضعها مستقلين اولاً ، فبقيت لمطة الكتاب عالقة بهما . وذهب الفغظي الى ان كتاب الصفات هذا هو الاصل الذي احتضاه ابو عبيد القاسم بن سلام في الغريب المصنف ، وان كتاب الضر أكبر من كتاب ابي عبيد وأجود منه^(٢) . اما (الصفات) للاصمعي فقد وصفه الأزهري بأنه « يشبه كلامه ، غير ان الثقات لم يرووه عنه »^(٣) .

هذا ما جاءت به المصادر من تعريف اثنين من معجمات هذه الطائفة ، وسكتت عن الأخرى مكتفية بالذكر ، والحق ان أولى كتب هذا النوع من معجمات المعاني ، لم يكن يصدق عليها اسم المعجم الا بتأول بعيد ، ذلك انها لم يقصد من وضعها الجمع المستوعب والأحصاء الدقيق ، وبخاصة كتاب الصفات لأبي حنيفة ، وكتاب الغريب للمصنف للقاسم بن معمر ، وكل ما هلك انها مثلت مرحلة تالية لتأليف في الموضوعات المستقلة ، فنهض مؤلفو الصفات والغريب المصنف ، بجمع أكثر من موضوع في كتاب ، سمي بالصفات مرة ، وبالغريب المصنف أخرى غير مقتصر على صفة شيء واحد ، او غريب ميدان لغوي واحد ، بعد ان كان هدف الاختصار شأن كتب المرحلة السابقة ، ولا بد ان تكون اول هذه المحاولات متميزة بقلة المادة ، وقلة عدد الابواب ، ثم ينمو المنهج ويتسع شأن كل المحاولات الجديدة . وعليه فان اعتبارنا اول كتب الصفات معجماً ، جاء لكونه عملاً لبداية المنهج الذي سارت عليه معجمات المعاني ، لا لكونه معجم معان بالمصطلح المعاصر المعروف .

(١) المهرست ٧٧ والابتداء ٣/٣٥٢

(٢) اسم الرواة ٣/١٤

(٣) تهذيب اللغة ١/١٥

١ - معجمات الالفاظ

العين : للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)

حقق الاب انستاس ماري الكرملي قطعة منه ، ونشرها سنة ١٩١٤ م ، وحقق الدكتور عبدالله درويش قطعة اكبر من تلك قليلا ونشرها على انها الجزء الاول سنة ١٩٦٧ . ثم حقق الاستاذان الدكتور مهدي المخرومي والدكتور ابراهيم السامرائي الجزء الاول ، وهو الآن في المطبعة . واشهر مخطوطات العين : مخطوطة مكتبة السيد حسن الصدر في الكاظمية ، المنسوخة سنة ١٠٥٤ هـ . ومخطوطة مكتبة شوراي ملي في طهران ، المنسوخة سنة ١٠٨٧ هـ . وهي التي اعتمد عليها في الدراسة . ذلك انها اسلمت من صاحببتها تصحيحاً وتحريفاً ، وأقل منها نقصاناً وسقطاً ، فهي اول ملك في ان تكون الاصل في الدراسة وان تأخرت عنها بضع سنين . والثالثة مخطوطة مكتبة المتحف العراقي ، وهي متأخرة اذ نسخت سنة ١٣٥٥ هـ . وغيرها .

سند روايته

صرحت لنا المصادر القديمة ، ومنها العين نفسه ، بطرق متعددة لرواية العلماء والدارسين لكتاب العين ، وكل هذه الطرق تنهي لليث بن المطهر بن نصر بن سيار (ت حوالي ١٨٠ هـ) وتلتقي به ، ولا غرامة في هذا . لأن الليث كان احمل الوحيد للكتاب عن الخليل ، والسبيل المنفردة اليه ، بعد ان حصه الخليل به دون سواه من تلامذته ، حين وجد الامتياز ان تلميذه « نارع الادب » نصير بالبحر ولشعر والغريب^(١) . وقد رواه عن الليث ستة من أصحابه هم : ابو معاذ عبدالله بن عائد ، وامو معاذ عبد الجبار بن يزيد ، وعحمد بن منصور المعروف بالراح لمحدث (حفيد الليث) ، وبيدار بن لرة الاصمهاني ، ومعمروف بن حسان ، ومخارب (رجل من أهل مرو) ، وعن هؤلاء روى الناس .

١ - طريق السمع التي وصلت من العين : فهي الصفحة الثانية من المقدمة نقرأ
« قال ابو معاذ عبدالله بن عائد : حدثني الليث بن المطهر بن نصر بن سيار

(١) جماعت ابن العثر ٩٧

عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب^(١) . وأبو معاذ عبدالله بن عائذ هذا غير معروف ، ولم يقع لأحد من الباحثين ذكره في كتب التراجم ، فذهب المستشرق برونلش الى ان اسمه محرف عن أبي معاذ عبدالحمار بن يزيد الذي يذكر راوياً عن الليث في أكثر من طريق^(٢) . والحق اما ليس بحاجة الى مثل هذا المذهب في الاعتقاد بالتحريف ، اذ لا شرط في كل علم يمر علينا ذكره ان يكون معروفاً ترجمت له كتب الطبقات ليكون مهولاً سالماً من التحريف لان ذلك امر بعيد المال . فقد مكنت كتب التراجم عن كثير من أمثال هذه الأعلام . وأقرب الأمثلة لهذا إثنتان من رواة العين عن الليث هما معروف بن حسان . ومحارب . فهما ايضاً غير معروفين . فهل يصح الذهاب الى ان اسم كل منهما محرف عن اسم آخر . واتحاد الكنية بين أبي معاذ عبدالله بن عائذ وأبي معاذ عبدالحمار بن يزيد ، لا يرجح صحة الاعتقاد بالتحريف ، فما أكثر ما تنفق كنى الرواة والنحاة واللغويين المشاهير فصلاً عن غيرهم .

٢ - طريق شعير بن حمدويه ؛ فقد روى أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي (ت ٢٥٥ هـ) كتاب العين عن محارب عن الليث عن الخليل . قال الأزهري عن محارب هذا : « وأخطئه رجلاً من أهل مرو ، وكان سمع كتاب الليث منه^(٣) » .

٣ - طريق ابن درستويه وابن العلاء السجستاني . فقد ذكر أبو محمد بن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) انه سمع كتاب العين عن أبي الحسن علي بن مهدي الكسروي (ت حدود ٢٨٥ هـ) عن محمد بن منصور المعروف بالراح المحدث (حميد لليث) عن الليث بن المطهر عن الخليل ، وسمعه مع ابن درستويه من هذا الطريق ابن العلاء السجستاني ثم أخذ دحلج نسخة ابن العلاء^(٤)

٤ - طريق أحمد بن فارس . ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) انه روى كتاب العين .

(١) العين (الجزء الطبع) ٥٣

(٢) مجلة (اسلاميك) المجلد الثاني ص ٦٩ . عن المعجم العربي ٢٢٧ / ١

(٣) بهار اللغة ١ / ٣٢

(٤) المعجم ص ٤٣ ، ٦٥

• أخبرنا به علي بن ابراهيم القطان فيما قرأت عليه ، أخبرنا ابو العباس احمد بن ابراهيم المعداني عن ابيه ابراهيم بن اسحاق عن بشار بن لؤي الاصمعي ومعرفة بن حسان عن الليث عن الخليل^(١) . ويشعرنا ان فارس في موطن آخر ذكر فيه طريق روايته العين ان احد الراويين بشار بن لؤي الاصمعي ومعرفة بن حسان يكنى ابا معاذ ، اذ يقول « حدثنا علي بن ابراهيم لمطان عن المعداني عن ابيه عن ابي معاذ عن الليث عن الخليل^(٢) » ، والراجح به معرفة بن حسان ، لأن بشارا يكنى ابا عمرو^(٣) ، وهذا اصاب ابا معاذ ذلك لرواية العين وقد تنبه الى ذلك ايضاً الدكتور حسين نصار^(٤) ، وقد يقوي هذا ما ذهبنا اليه من ان اتحاد الكنية لا يعنى اتحاد الراوي . وهذه كنية تكسبها ثلاثة من رواة العين .

• طريق ابي علي الفسائي : قال السيوطي : « روى ابو علي الفسائي كتاب العين عن الحافظ ابي عمرو بن عبد البر (ت ٤٦٣) عن عبد الوارث بن سفيان عن القاضي مندر بن سعيد عن ابي العباس احمد بن محمد بن ولاد الحوي (ت ٣٣٢) عن ابيه عن ابي الحسن علي بن مهدي (ت حدود ٢٨٥) عن ابي معاذ عبد الجبار بن يزيد (ت حدود ٢٤٠) عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل^(٥) » . والقاضي مندر بن سعيد هو صاحب السبعة المكتوبة بالفيروان والمعارضة بسعة شيخه ابن ولاد بمصر لا بمكة كما وهم حدد الباحثين^(٦) ، وأظنه قد التبس عليه قول ابي بكر الريدي في مختصره مشيراً الى هذه السبعة والى نسخة اخرى اذ يقول : « فهذا كتاب مندر بن سعيد القاضي الذي كتبه بالفيروان وقابله بمصر مكتاب ابن ولاد ، وكتاب بن ثابت

(١) متليس اللغة ٣/١

(٢) ص ١٩٨/٣

(٣) معجم الاملاء ١٢٨/٧ وفيه الوعلة ١٧٦/١ .

(٤) المعجم العربي ٢٣٧/١

(٥) للزهر ٥٦/١ - ٥٧

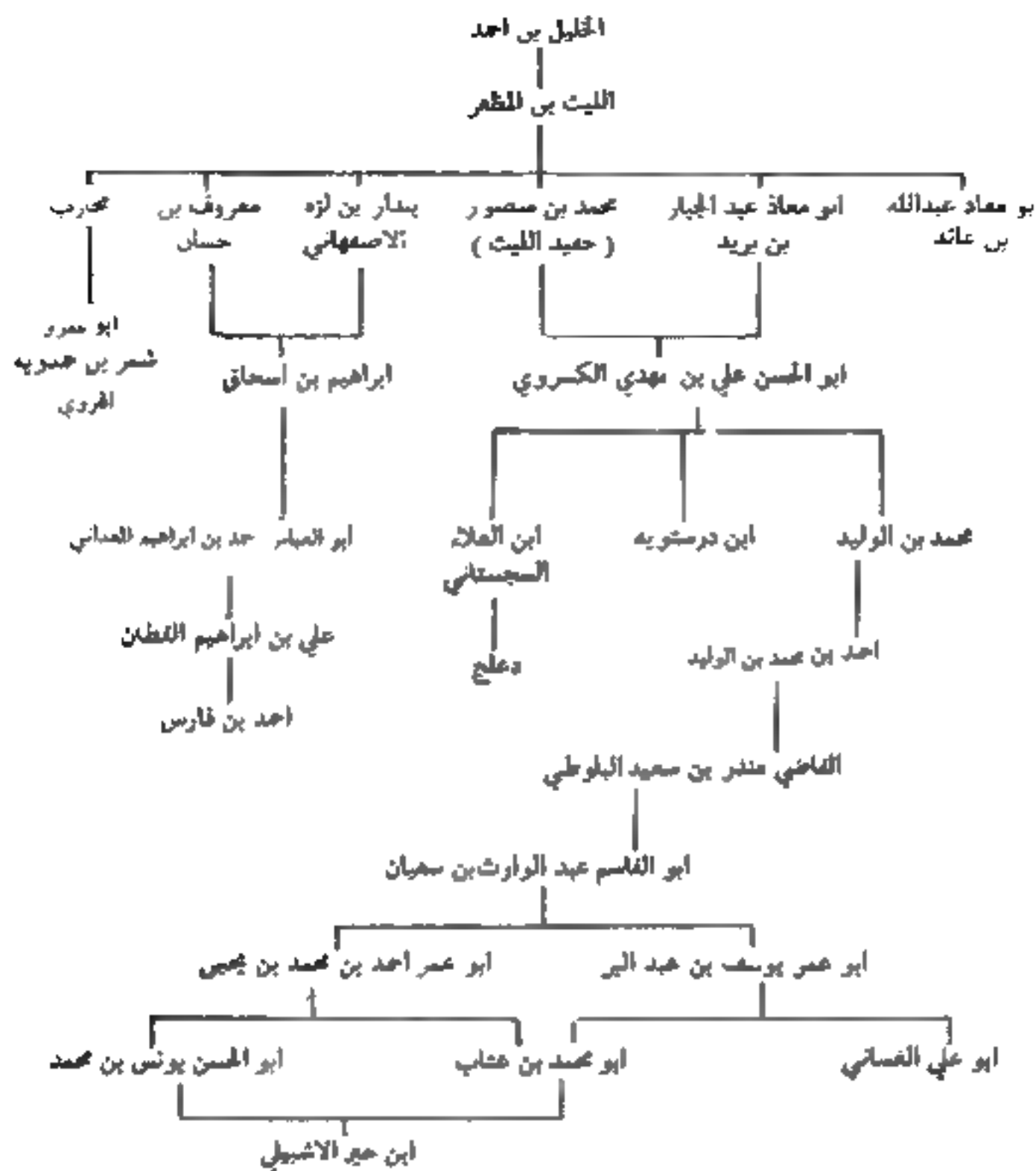
(٦) د - حسين مندر - المعجم العربي ٢٨٢/١

استسخ بمكة فد طالعناهما^(١) ، فهو طالع نسختين الاولى نسخته مندر بن سعيد المكتوبة بالفبروان والتي قابلها على نسخته استاده ابن ولاد بمصر ، والثانية نسخته ابن ثابت للمكتوبة بمكة .

٦ - طريق ابن حمد الاشيلي : ذكر ابن خير (ت ٥٧٥) في معجم شيوخه طريق رويته العبر فقال . « حدثني به شيخنا ابو الحسن يونس بن محمد بن معيث رحمه الله ادبا ومشاهدا ، عن العاصي ابي عمر احمد بن محمد بن يحيى بن الخداء وحدثني به ايضا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله ، احارة عن ابوي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر الحري واحمد بن محمد بن يحيى بن الخداء ، قالا . حدثنا به ابو القاسم عبدالوارث بن سفيان بن حبرون ، قال . حدثني به القاضي مندر بن سعيد البلوطي عن ابي العباس احمد بن محمد بن الوليد المعروف بولاد التميمي النحوي عن ابيه محمد بن الوليد عن ابي الحسن عبي ابن مهدي عن ابي معاد عبدالجبار بن يزيد عن ليث بن المظفر (بن نصر) بن سيار اللبني عن ابي عبدالرحمن عن (كذا . زائدة) الخليل بن احمد بن عمرو ابن تميم الفراهيدي رحمه الله^(٢) . وهي تشبه الطريق السابقة ، بل هي عيها ، اد يلتقي ابن حير بأبي علي الفاسي في ابي عمر يوسف بن عبدالبر ومنه تتوحد طريقهما الى الخليل . ولتوضيح طرق الرواية المتعددة ، صعد لها شجرة تجمعها :

(١) حمير القوي : مقدمة لتؤلف وانظر - طبقات الزبيدي ٣١٩ وخطوة القس ٤٧ .

(٢) فهرسة ابن خير ٣٤٩ - ٣٥٠



سسته الى مؤلفه :

لعل الخلاف الذي قام حول نسبة العين الى الخليل فريد في سعة وعمقه ، اذ لم نعهد مثله في كتاب آخر قبله او بعده ، وربما كان ذلك دليل قيمته العلمية ، واثاره في نفوس الدارسين ، واثارته اللعشة التي غمرت اذهانهم * فمئذ ان خط العين في البصرة والعلماء بين مصحح ومشكك ومنكر لنسبته الى الخليل ، والراجح ان تأخر قدوم الكتاب بالنسبة لوفاة مؤلفه ، هو الذي فتح الباب للطعن في نسبه اول الامر ثم تصدى من يدعم هذا الطعن بادلة يصطنعها من هنا وهناك ، فقد نقل ابن النديم قول ابي بكر بن دريد : « وقع بالبصرة كتاب العين ستة ثمان واربعين ومائتين ، قدم به وراق من خراسان ، وكان في ثمانية واربعين جزءا فباعه بحمسين دينارا ، وكان سمع بهذا الكتاب انه بخراسان في خزائن الطاهريين ، حتى قدم به هذا الوراق » . وهذا يعني انه كان بين ظهوره في البصرة سنة (٢٤٨ هـ) وبين وفاة الخليل سنة (١٧٥ هـ) اكثر من سبعين سنة ، فهل كان الكتاب خلال هذه المدة مجهولا لدى الدارسين ؟ ان عبارة ابن دريد « وكان سمع بهذا الكتاب انه بخراسان في خزائن الطاهريين حتى قدم به هذا الوراق » تنفي هذا الجهل ، وتصرح بسماع العلماء بوجوده في خراسان محفوظا في حرائر الطاهريين ، فوقوعه بالبصرة لم يكن مفاجئا لدارسيها بوجوده وانما كان مفاجئا لهم بمنهجه المبتكر ورسمه المبدع ، فانكار المنكرين له انما كان بهرا من هذا الكتاب ، وحسدا لليث راويه الوحيد عن الخليل ، وقد فاتهم ان يكونوا هم الرواة عنه ، والطريق لعمله الفذ .

ولعل اوضح الامثلة على ما ارعاه موقف ابي علي الفاي (ت ٣٥٦ هـ) اسوقه هـ قبل ان اعرض لاقوال الدارسين في نسبة الكتاب يقول ابو علي الفاي : « لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن ابي حاتم انكره ابو حاتم واصحابه اشد الانكار ودفعه باطلع الدفع . وقد عبر اصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به . منهم : النصر بن شميل ، ومؤرج ، ونصر بن علي ، واسو حسن الاحمشر وامثالهم . ولو ان الخليل الف الكتاب لحمله هؤلاء عنه . وكذبوا

أولى بذلك من مجهول الحال ، غير مشهور في العلم تفرد به ونوحد بالنقل له^(١) ،
فإنكار القالي وما نقله من إنكار أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ، أي يعتمد
عدم معرفه أصحاب الخليل الذين ذكرهم بهذا الكتاب وعدم سماعهم به . ويعتمد
الليل من الليث راويه والانتصاص من مكاتبة العلمية ، وإن أصحاب الخليل
البصريين أولى من الليث برواية الكتاب .

أما السند الأول فقد هدمه ابن دريد بما صرح به من أنه « سمع بهذا الكتاب
أنه بخراسان في خزائن الطاهريين حتى قدم به هذا الوراق »^(٢) ، وهدمه أيضا كتاب
(للدخل إلى كتاب العين) للنضر بن شمير (ت ٢٠٣هـ)^(٣) ، الذي عدّه القالي في
أصحاب الخليل الذين لا يعرفون العين ولا يسمعون به . وأما السند الثاني فتبطله
أما ديع الدارسين لليث وثناؤهم عليه ، يقول الأزهري : « كان الليث صاحب
الخليل بن أحمد رجلا صالحا »^(٤) ، ويقول ابن المعتز : « كان بارع الأدب ، بصيرا
بالنحو والشعر والغريب »^(٥) ، وغير ذلك مما يدل على علو كعبه في العلم ، ورسوخ
قدمه في اللغة^(٦) فهو ليس « مجهول الحال غير مشهور في العلم » كما يقول القالي .
ومن الناقص الواضح الذي وقع فيه القالي - وهو مستمر في عرض
رأيه - قوله : « ثم درج أصحاب الخليل فتوفي النضر بن شمير سنة ثلاث ومائتين ،
والأخفش سنة خمس عشرة ومائتين ، ومؤرج سنة خمس وتسعين ومائة ، ومضت
بعد مدة طويلة ثم ظهر الكتاب بأحره في زمان أبي حاتم وفي حال رياسته ، وذلك
فيما قارب الخمسين والمائتين ، لأن أبا حاتم توفي سنة خمس وخمسين ومائتين ، فلم
يلتفت أحد من العلماء إليه يومئذ ، ولا استجازوا رواية حرف منه ، ولو صح
الكتاب عن الخليل لبدر الأصمعي واليزيدي وابن الأعرابي وأشباههم إلى تزيين
كتبهم وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل والنقل لعلمه ، وكذلك من بعدهم كأبي

(١) الزهر ١/ ٨٤

(٢) المعجم ٦٤

(٣) بحسب ٥٨ ورواه الألب ١١١

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٢٨ والزهر ١/ ٧٨

(٥) ضللت السجل ٩٧

(٦) مراتب المحوطين ٣٦ وأما الم ٢/ ٤٦ ومعجم الألب ١٧ ، ٤٣ وبني الوعة ٢/ ٢٧٠

حاتم وأبي عبيد ويعقوب وغيرهم من المصنفين ، فما علمنا احدا منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً^(١) . فيبدو ان القالي نسي انه قال في صدر كلامه ان كتاب العين قد ورد من بلد خراسان في زمن ابي حاتم ، لانه يريد ممن توفي قبل وروده الى النصرة ومنها الى بغداد ان يتقلوا منه ويحكوا عنه ، فالاصحعي توفي سنة (٢١٣ هـ) واليزيدي (٢٠٢ هـ) وابن الاعرابي (٢٣١ هـ) وابي حاتم (٢٥٥ هـ) وموقعه من الكتاب معروف ، وابو عبيد (٢٢٤ هـ) ويعقوب ابن السكيت (٢٤٤ هـ) ، فكيف يروي عنه هؤلاء والكتاب لم يرد الى حواضر الدرس في العراق الا « في قارب الخمسين والمائتين » كما يقول .

واما قوله بان الكتاب « لم يلتفت احد من العلماء اليه يومئذ ، ولا استجاروا رواية حرف منه » فمردود بقول السيوطي : « وقد بما اعتنى به العلماء موقبله الجهابذة^(٢) » . وبما سنعرض له من اثار هذه العناية وهذا القول ولعل القالي نفسه من اكثر العلماء استفادة من العين ورجوعا اليه ونقلا منه ، فقد وضع معجمه (البارغ) مقلدا فيه العين منهجا وتبويبا ، واكثر من النقل عنه حتى كاد ان يدخله برمته في بارحه ، فقال محقق البارغ « ولكي بعد ان حذفت النص وقعت على حقيقة طريقة خديرة بالاعلان ، هي ان البارغ ما هو الا كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي^(٣) » وقد عرا القالي اكثر هذه القول وهي متحدة حرفا حرفا مع كتاب العين . ان مؤلف العين الخليل بن احمد « فالقالي حين رعم انه لم يلتفت احد من لعيناء الى العين ، ولا استجاروا رواية حرف منه ، الصمت هو اليه ، واحار لنفسه لرواية عنه^(٤) » وهذا يصر لنا ما ذهبنا اليه من ان انكار المكربين - واعليهم كالقالي في موقعه وتقصه - انما كان في حقيقته اعجابا دينا ودهشة عامرة غطى عليها النعص على الخليل والحسد من الليث .

(١) المزهري ٨٤ / ٩

(٢) المزهري ٤٥ / ٩

(٣) البارغ ٥٢

(٤) البارغ اسطر متلا ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٨١ - ١٠٠ - ١٣٦ - ٢١٩

(٥) ص ٢٥٤ - ٢٥٥

ومنها يكن من امر فان الذين انكروا نسبة كتاب العين كثر ، اشهرهم :
 النضر بن شميل (ت ٢٠٢) وابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) واسو علي
 القالي (ت ٢٥٦ هـ) والازهري (ت ٢٧٠) وابو مكر الزبيدي (ت ٣٧٩) واس
 النديم (ت ٣٨٠ هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥) ، وغيرهم^(١) وقد اسهب الدارسون
 المحدثون في عرض آرائهم ومنقشتهم والرد عليها^(٢) ، وسكتني بالاحبار حشبه
 الاعادة والتكرار

اما النضر بن شميل فقد روي انه سئل عن كتاب العين فاسكره^(٣) فقبل
 له . لعله الفه بعديك ، فقال . او خرجت من البصرة حتى دفنت الخيل^(٤) ؟
 ويكذب هذه الرواية امران : الاول ان كتاب العين لم يرد البصرة الا فيما قرب
 الخمسين ومائتين ، وتوفي النضر سنة (٢٠٣ هـ) ، فكيف يسأل عن كتاب لا علم
 لاحد به حتى ذلك التاريخ ؟ . والثاني ان النضر رحل الى خراسان ، وقدم رمب
 بمرور ، وحدث في الاولى وسمع منه ، حتى مات بها سنة ثلاث ومائتين^(٥) . ويسدو
 ا . خلال وجوده هناك وقف على كتاب العين واعجب به . والف كتابه (المدخل الى
 كتاب العين)^(٦) ، ولما لم يصل الى علم الدارسين في العراق خبر هذا المؤلف . وصعوا
 على لسانه تلك الرواية المصطنعة في الانكار .

واما ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) واسو علي القالي (ت ٣٥٦) فبعد
 عرضا لرأيهما فيها مضى من الكلام فلا نعيد .

واما الازهري (ت ٣٧٠ هـ) فقال : « فمن المتقدمين الليث
 بن المطهر الذي سجل الخليل بن احمد كتاب العين حملة بسفقه

(١) الزهر ١/ ٧٦ - ٩٥

(٢) انظر المعجم العربي (مصر) ١ : ٢٨ وبعده المصنف (دروس) ٢٦ ومقدمة كتاب الدين ابراهيم ٧٢
 وغيره من البصرة (المخرومي) ٦٧ ، البحث القوي ضد العرب (مصر) ١٣٨ ورواية القصة (التلخيص) ١٧
 والمعجم العربي (حمد) ٤١ ودلالة الانفاط (بس) ٢٣٢ ومقدمة الصحاح (عطر) ٦١

(٣) معجم الادباء ١٧ - ٥١

(٤) مراتب المحررين ١٠٨ ، انتهى ٧٧ والآية ٣/ ٢٤٩ والحمد ٤٠٤

(٥) معجم الادباء ١٩/ ٢٤٣

باسمه^(١) وللأزهري قولان آخران يناقضان رأيه هــا ، مكتفى بهما رداً على إنكاره ، الأول : قوله : « ولم أرَ خلافاً بين اللغويين أن التأسيس للجمل في كل كتاب لعن لامي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وإن ابن المظفر أكمل الكتاب عنه بعد تلفعه انه عن فيه ، وعلمت انه لا يعتمد أحد الخليل فيما أسسه ورسمه^(٢) » فإن كان التأسيس للخليل ، وإن الليث أكمل الكتاب على الخليل مفعلاً أباه من فم الخليل ، فالكتاب كله للخليل . والثاني : قوله « حتى يوهب بعض المحذلقين أن الخليل لم يهز بما شرط ، لأنه أهمل من كلام العرب ما وجد في كتبهم مستعملاً^(٣) » قاصداً بذلك الشئ الذي ألف كتاب (التكملة) مستدرك فيه على العبر ، يقول الأزهري « ولما قرأت هذا الفصل من كتاب الشئ استدلت به على ضمته وقلة فطنته وضعف فهمه ، واشتغفت أنه لم يفهم عن الخليل ما أراد ، ولم يفتن للذي قصده^(٤) » . فالشئ صاحب التكملة ، قد أساء فهم الخليل صاحب العين

وما أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) فقد أكر السببة مستندا إلى امرين ، الأول : لرواية في الكتاب عن متأخرين في العصر عن الخليل كالاصمعي (ت ٢١٣) ، وأبي عبيد (ت ٢٢٤ هـ) وتلميذه المسعري ، وابن الأعرابي (ت ٢٣١) وغيرهم ، فكيف يمكن أن يروي الخليل عن أبي عبيد مثلاً وعمره حين توفي الخليل ست عشرة سنة أو إحدى وعشرين سنة ، فضلاً عن الرواية عن تلميذه المسعري . والثاني : أنباء أكثر الآراء في الكتاب على مذهب الكوفيين ، مما لا يصح نسبتها إلى الخليل البصري ، من ذلك ترتيب مخارج الحروف الذي يخالف ترتيب سيويه ناقل علم الخليل ، ومنه ادخال الرباعي للمضاعف في باب الثلاثي المضاعف وهو من مذهب الكوفيين وغير ذلك^(٥) .

(١) بهيبت النسخة ٢٨ / ١

(٢) هـ ٤١ / ١

(٣) بهيبت النسخة ٥٣ / ١

(٤) هـ ٥٣ / ١

(٥) مختصر العين - النسخة - والأزهري ٤٢ / ١ - ٤٣ .

والحق ان وجود الرواية عن المتأخرين في كتاب كالعين ، تناولها الدارسون
 داروا به والشرح والتعليق والاستدراك لا يكفي وحده للطعن في نكته الى مؤلفه ، د
 يمكن للمسح المتكرر للكتاب ان يدخل فيه ما ليس منه ، وذلك بتدوين هذه
 الزيادات المثبتة على حواشي الكتاب في متنه ، فتكون كأنها أصلية . وهذا الذي
 معرض له كتاب العين لم يكن بدعاً بين مؤلفات اللغويين ، اذ مر بنا في الفصل
 الاول من هذا الكتاب النواذر لابي زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ) وهو مليء بهذه
 الزيادات ، وهي تمثل آراء كثير من اللغويين البصريين والكوفيين المتأخرين عن ابي
 زيد في العصر كابي حاتم (ت ٢٥٥ هـ) والتوزي (ت ٢٣٣ هـ) والسكري (ت
 ٢٧٥) والمبرد (٢٨٥ هـ) من البصريين ، وابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) والديلمي
 (تلميذ الكسائي) ونعلب (٢٩١ هـ) من الكوفيين^(١) . ومثله كتاب النواذر
 للاصمعي (ت ٢١٣) الذي وقع بيد مؤلفه بعد مدة من تأليفه ، فانكرته اكثر من
 ثلثه^(٢) . فهل يسوغ لنا هذا ان نكر على ابي زيد والاصمعي كتابيهما .

وانبناء آراء مؤلف العين على مذهب الكوفيين ، قول لا دليل عليه ، والامثلة
 التي ساقها ابو بكر الريدي على هذا الزعم ، لا تثبت له ما يريد ، فمحالة الخليل
 للبصريين في بعض آرائه ، لا تعني موافقته للكوفيين^(٣) . وبغض النظر عن كل هذا
 فنحن نخالف الريدي في اعتبار الخليل بصرياً محضاً لا يجوز ان تصدر عنه آراء يوافق
 فيها الكوفيين . فلم يكن الخليل بصرياً ولا كوفياً . وانما كان رأس المدرستين ، ومنه
 تعرضنا على يدي الكسائي وسيبويه ، فلا عجب ان نجد له آراء ونظرات تمثل اصول
 هاتين المدرستين ، فلم تكن البصرة من حيث كونها مدينة مدرسة يهتم لها
 الخليل ، بقدر ما كان يحمده مسهجه في دراسة اللغة من هذا الانتماء .

اما ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ) فقد قال في معرض كلامه على العين :^٤ ولم يرو
 هذا الكتاب عن الخليل احد ، ولا روي في شيء من الاخبار انه عمل هذا

(١) النواذر ١٣ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٥١ ، ١٦٦ ، ٧٤ ، ٧٦ .

(٢) تهذيب اللغة ١ / ٥ .

(٣) تهذيب اللغة ١ / ٢٩ .

النته^(١١) وهو في هذا القول يتناقض نفسه أكثر من مرة ، مرة حين اورد في كتابه بعض طرق رواية العين ، واخرى حين نسب الى الخليل كتاب العين وهو في معرض ترجمته فقال : « وله من الكتب المصنفة كتاب العين^(١٢) » . وثالثة حين نسب الى الخليل « يصبأ كتاب (فائت العين)^(١٣) » ، واخيرا حين ذكر : « ان الليث من ولد نصر من سبار صاحب الخليل مدة يسيرة ، وان الخليل عمله - اي كتاب العين - له^(١٤) » . كما يرد قوله بما ذكرته المصادر الاخرى من طرق رواية العين ، على ما ذكرناه في موضعه ، وبما روي عن جهمرة من اللغويين من تصحيحهم النسبة الى الخليل ، على ما سندكره في موضعه .

وأما ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فقد اعتمد في انكاره على عبارة الخليل الواردة في آخر العين وهي قوله « هذا آخر كلام العرب » . داهبا الى ان هذه العبارة لا تصدر عن الخليل « فقد كان الخليل اورد وانتفى لله جل ثناؤه من ان يقول ذلك^(١٥) » . وتصدي الارهرزي للرد على هذه الشبهة موضحا قصد الخليل من عبرته ، فقال : « وانما اراد الخليل رحمه الله ان حروف ا ب ت ث عليها مدار جميع كلام العرب ، وانه لا يخرج شيء منها عنها ، فاراد بما الف منها معرفة جميع ما يتفرع منها الى آخره ، ولم يرد انه حصل جميع ما لمطوا به من اللفاظ على اختلاف^(١٦) » . والحق ان ابن فارس حين اكر على الخليل عبارته ، كان مساقا الى ذلك بسوء الفهم الذي ابانه الارهرزي . وهذا وحده لا يسلكه في المسكرين على الخليل كتابه ، لانه مر بنا راويا للعين ، وقد ذكر سند روايته المتصل بالخليل ، واعتمد عليه في معجمه مقاييس اللغة ، وعرض لمصادره فيه وقال : « واعلاها وشرفها كتاب ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد المسمى كتاب العين ، اخبرنا به . .^(١٧) »

(١) فهرست ٦٤

(٢) ص ٦٤

(٣) ص ٦٥

(٤) ص ٦٤

(٥) الصالح ١٨

(٦) تهذيب اللغة ١/ ٥٣

(٧) مقاييس اللغة ١/ ٣

هذه أهم آراء المتكررين ، لعنا وفضا في الرد عليها ومناقشتها ، أما ما ورد
عن الكتاب الذين صححوا نسبه واثبتوها للخليل ، فكثيرون ، أشهرهم : مرد
(ت ٢٨٥ هـ) وتعليق (ت ٢٩١) وابن المعتز (ت ٢٩٦) وابن دريد (ت ٣٢١)
و ابن ولاد (ت ٣٣٢) والزجاجي (ت ٣٣٧) وابن درستويه (ت ٣٤٧) واسو
الطيب اللعوي (ت ٣٥١) والسيرافي (ت ٣٦٨) وابو بكر الريدي (ت ٣٧٩)
وابن حني (ت ٣٩٢) وابن فارس (ت ٣٩٥) وجمهور كبير من الدارسين عاش
بعد هؤلاء لم يخرج عما ذهب اليه السابقون^(١) . واحتلوا فيها يسب إلى الخليل من
الكتاب ، التأسيس وحده دون الحشو ، أو التأسيس والحزء الأول ، أو التأسيس
والحشو كله ، واختلافهم لا يؤثر في اجماعهم على ان الكتاب للخليل بعصه و
كده ، واليك اقوالهم :

أما المرد (ت ٢٨٥) والزجاجي (ت ٣٣٧) وابن درستويه (ت ٣٤٧) فلم
تصل اليها اقوالهم الصريحة في نسبة الكتاب والدفاع عنها ، وإنما استدلل عليها بما
السيوطي من قوله متحدثاً عن العيين : « وقد بدأ اعتنى به العلماء وقبله الجهابذة ،
فكان المبرد يرفع من قدره ، ورواه ابو محمد بن درستويه وله كتاب في الرد على
المفضل بن سلمة فيما نسب اليه من الخلل ، ويكاد لا يوجد لابي اسحاق الزجاجي
حكاية في اللغة الا منه^(٢) » .

وأما ثعلب (ت ٢٩١) فقال : « إنما وقع الخلط في كتاب العيين لأن الخليل
رسمه ولم يحشه . ولو كان حشاه ما بقى فيه شيئاً ، لأن الخليل رجل لم ير مثله .
وقد حشا الكتاب قوم علماء الا انهم لم يؤخذ منهم رواية ، وإنما وجد بنقل
الوراقين ، فاحتل الكتاب^(٣) » .

وأما ابن المعتز (ت ٢٩٦) فذكر تصنيف الخليل للعيين ، وأنه « ثمة وحتره » .

(١) مرمه ابن عبر ٣٤٩ ونزعة الآله ٥٥ ومقدمة ابن خلدون ٤٥٥ وللزه ٥/١ .

(٢) للزه ٥٣/١ .

(٣) مراتب النحويين ٥٧ .

وأحرقه في أسرى ظرف ، وأحسن خط^(١) . وإن الخليل كان « منقطعاً إلى الليث على صف كتابه العين خصته به ، فحظي عنده جداً ، ووقع منه موقعاً عظيماً ووهب له مائة ألف ، وأقبل على حفظه وملازمته ، فحفظ منه النصف^(٢) » وروى ابن المعتز أن روحه الليث غارت من جلوية اشتراها ، فأعاطته بلحراق نسجه العين الوحيدة التي كانت بحوزته ، فاستدرك النصف من حفظه ، وجمع على النصف الباقي علماء أهل زمانه . فلذا تأملته تراء - أي العين - نصفيين ، النصف الأول اتفر وأحكم ، والنصف الآخر مقصر عن ذلك^(٣) . ونحن نشك في صحة هذه الفصة ، فمصر الوضع فيها واضح جلي .

وأما ابن دريد (ت ٣٢١) فقال : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل من أحمد الفرهودي وصران الله عليه كتاب العين ، فاتبعت من تصدى لهايته ، وعنى من سها إلى نهايته ، فالنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جعد ، ولكنه رحمه الله ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه ، ودكاه عطته ، وحدة أنهان أهل دهره^(٤) » .

وأما ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) الذي مر بنا أنه صاحب النسخة التي عارض بها مدر بن سعيد نسخته من كتاب العين . فقد قال في كتابه المقصور والمدود : « لعل بعض من يقرأ كتابنا ينكر ابتداء ما فيه بالألف على سائر حروف المعجم ، لأنها حرف معتل ولأن الخليل ترك الابتداء به في كتاب العين^(٥) » ، وقال أيضاً : « وبجتاح من هذا إلى أن يعلم الطريق التي وصل الخليل منها إلى حصر كلام العرب ، فإذا عرف هذه الأشياء عرف موضع ما يطلب من كتاب العين^(٦) » .

(١) طبقات الشعراء ٩٧

(٢) ح ٩٧ ومعجم الأدياء ٤٦/١٧ والزهر ٣٩/١

(٣) صفات الشعراء ٩٨ والزهر ٣٩/١

(٤) المعجم ٣/١

(٥) الزهر ٩٠/١

(٦) ح ٩١/١ .

وأما أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١) فقال : « وأبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب العين ، فإنه هو الذي رتب ابوابه ، وتوفى من قبل أن يحشوه^(١) » . ويشعرنا بحمل كلام أبي الطيب أنه يرى أن علم نحشية الخليل للكتاب لا تعني أن الكتاب ليس للخليل ، بل الكتاب من بدائع الخليل التي لم يسبق إليها ، على حد تعبيره .

وأما السيرافي (ت ٣٦٨) فقال وهو يتحدث عن الخليل : « عمل أول كتاب العين المعروف المشهور ، الذي به يتبها ضبط اللغة^(٢) » .

وأما أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) فذكر كتاب العين وقال : « وأكبر العن فيه أن الخليل سبب أصله ، ورام تنقيح كلام العرب ، ثم هنك قبل كي له ، فتعاطى اتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه . فكان ذلك الخلل الواقع به ، والخطأ الموجود فيه^(٣) » . والزبيدي يشير هنا إلى ما كان أخذه على الكتاب من خلل وخطأ وقع به ، مما دفعه إلى إنكاره على الخليل ، إلا أنه إنكار من « يربأ بالخليل عن نسبة هذا الخلل إليه ، أو التعرض للمقابلة له والرد عليه^(٤) » ، وعليه فالخليل مسبب أصله ورأسه منهجه ، وغيره حشاه فوقه فيما وقع فيه .

وأما ابن جني (ت ٣٩٢) فإنه أشبه الزبيدي في موقفه إلى حد بعيد ، فإنه مع أن يسب إلى الخليل ما في العين من التحليل والخلل والفساد ، وإنما أشياء أدخلها غيره إلى الكتاب ، وقال : « وإن كان للخليل فيه عمل ، فما هو أنه أو ما لي عمل هذا الكتاب إجماع ، ولم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره ، وبذل عن أنه قد كن نحنا نحوه أني أجد فيه معاني غامضة ، ونزوات للفكر لطيفة ، وصنعة في بعض لآحوال مستحكمة^(٥) » .

(١) مراتب النحويين ٥٧

(٢) انجيلو النحويين النحويين ٣٠ .

(٣) مختصر العين : لقصمه

(٤) غصه وانظر : الزهر ٨٢/١ .

(٥) المختصر ٢٨٨/٣ والزهر ٤٠/١ .

وأما ابن فارس (ت ٣٩٥) فقد مر بنا قوله وهو يعدد مصادره : « فأعلاها
 وشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب العين ^(١) » . وحسبنا به
 دليلاً على اثباته نسبه ، ان لم نلتفت الى كونه راوياً للكتاب بسند متصل الى
 الخليل ^(٢) .

وبحق مع هؤلاء في الذهب الى اثبات نسبه العين الى الخليل ، ومع من ذهب
 منهم الى انه له تأسيساً وحشواً ، وما هذه الحكاية عن المتأخرين فيه ، والاختفاء لتي
 وقعت به ، الا أثر من آثار السخ ، بل نحمل اللبث نفسه ورر بعضها ، اذ كثيراً ما
 يصح اللبث على ان روايته عن غير الخليل ^(٣) ، وقد وصف اللبث طريقة الخليل في
 تأليف العين فقال : « فكان يملأ على ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : مل عنه ودا
 صبح فائتته ، الى ان عملت الكتاب ^(٤) » . قلعله كان يثبت ما هو غير صحيح ، دون
 ان يكون للخليل يد فيه ، وقد افادنا هذا الخبر ان الخليل كان يحشو الكتاب بما يملأ
 على اللبث مما يحفظ ، وهو يدحض رأي من تقي الحشو عن الخليل وافادنا ايضاً ان
 الكتاب تم في حيلة الخليل . وصفوة القول ان العين للخليل بدليل النقل والعقل
 وذلك لكثرة من نسبه اليه من القدماء ، سواء في ذلك روايته ، ام سواهم من
 اللغويين والنحاة وأصحاب الطلقات ، عن عرصا لهم جميعاً فيما مر من البحث .
 منهجه :

لما كان هدف الخليل من وضع معجمه ضبط اللغة وحصرها ^(٥) ، فقد نحل
 لتحقيق هذا الهدف خطوات علمية مدروسة ، بدأها بترتيب الحروف ، ثم بتقسيم
 لاسية ، واحيراً بتقليب اللفظة على لوجهها ، يقول اللبث : « كست اصبر و
 الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً : لو ان انساناً قصد والف حروف الف وباء وتاء وتاء

(١) مقاييس اللغة ٣/١

(٢) مع ١٩٨/٣

(٣) العين ٤٣ ، ٩٢ ، ١٠٨ ، ٧٠ ، ١٢٥ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٢٧ .

(٤) المعجم ٦٥

(٥) معجم الاتياد ٢٧٧/٦ والمزهر ٣٨/١ .

على ما أمثله ، لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، فنهياً له أصل لا يجرح عنه شيء منه بته ، قال : فعلت له : وكيف يكون ذلك . قال : يؤلفه على الشائي ، والثلاثي ، والرابعي ، والخماسي ، وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه ، قال الليث : فجعلت استفهمه ويصف لي ولا أقف على ما يصف ، فاختلقت إليه في هذا المعنى إيلاماً ، ثم اعتل وحججت فيما زلت مشفقاً عليه ، وحشيت أن يموت في علته فيسطل ما كان بشرحه لي فرجعت من الحج ، وصرت إليه فلذا هو قد ألمب الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب^(١) .

وحين أقبل الخليل على الحروف لم يرتض ترتيبها الأبجدي القديم ، ولم يضعه ترتيبها المجاني المعروف ، فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التاليف من أول أ ب ت ث وهو الألف ، لأن الألف حرف معتل ، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء ، إلا بعد حجة واستقصاء النظر ، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها ، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الخلق^(٢) ، ومعنى هذا أنه نظر إلى الحروف على أنها أصوات تخرج من جهاز النطق فعمد إلى ترتيبها على أساس مخرجها من هذا الجهاز ، وذلك بتنوعها واحداً واحداً ، « وأما كان دواقه إياها أنه كان يفتح فاء بالألف ثم يظهر الحرف ، نحو أب ، أت ، أح ، أع ، أغ ، فوجد العين أدخل الحروف في الخلق ، فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع ، حتى أتى على آخرها وهو الميم^(٣) » . فكان ترتيبه للحروف هكذا : ع ح هـ خ ع - ق ك - ح ش ض - ص س ز - ط ث د - ر ل ن - ف ب م - و ا ي - الهمة^(٤) . وسمى المجموعة الأولى التي تبتدئ بالعين . حنيفة ، لأن مبدأها من الخلق . والمجموعة الثانية التي تبتدئ بالقاف . هسوية لأن مبدأها من اللهاة . والمجموعة الثالثة التي تبتدئ بالجيم : شجرية لأن مبدأها من شجر النعم أي مفرح النعم . والمجموعة الرابعة التي تبتدئ بالصاد . أسكية لأن مبدأها من أسلة

(١) المهرست ٦٤ - ٦٥

(٢) العين (الجزء المطبوع) ٥٢

(٣) ص ٥٢

(٤) ص ٥٣ ، ٦٥

اللسان ، وهي مستدق طرف اللسان . والمجموعة الخامسة التي تبتدىء بالطاء :
 نطمة لأن مبدأها من نطق الغار الأعلى . والمجموعة السادسة التي تبتدىء بالطاء
 بثويه لأن مبدأها من اللثة . والمجموعة السابعة التي تبتدىء بالراء : دَلْقِيَة لأن
 مبدأها من دلق اللسان وهو تحديد طرفي دلق اللسان . والمجموعة الثامنة التي
 تسدىء بالفاء . شَمُويَة لأن مبدأها من الشعه . والمجموعة التاسعة الاحيرة وهي
 حروف العنة والمهمزة . هوائية لانها لا يتعلق بها شيء^(١) . وهي بمجموعها ٨ في
 العربية تسعة وعشرون حرفاً ، منها خمسة وعشرون حرفاً صحيحاً لها أحيار
 ومخارج ، واربعة هوائية^(٢) .

وعندما تم للحليل ترتيب الحروف على هذا النحو الدقيق ، انتقل الى اللة
 التي تتكون مادتها من هذه الحروف ، فوجد ان كلام العرب مبني على اربعة
 اصناف ، على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي^(٣) ، وانه ليس في العربية بناء
 يقس عن الثنائي او يزيد على الخماسي ، فالثنائي مثل : قد ، لم ، هل ، لو ، بل
 وغيرها من الادوات والزجر^(٤) ، دون الاسماء ، لان الاسم لا يكون اقل من ثلاثة
 احرف ، حرف يتبدأ به ، وحرف يحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه^(٥) . الا
 اذا استعمل الثنائي استعمال الاسم مدخول التشديد عليه ، فيقال : هذه لو
 مكتوبة ، وهذه قد حسنة الكتبة^(٦) . والثلاثي من الافعال مثل : ضرب ، خرج ،
 دخل ، ومن الاسماء مثل : همر ، جمل ، شجر . والرباعي من الافعال مثل :
 دحرج ، هملج ، قرطس ، ومن الاسماء مثل : عبقر ، وعقرب وجندب .
 والخماسي من الافعال مثل : اسحنكك وافشمر واسحفر واسبكر ، والالف الوصل
 هنا ليست من اصل الباء ، وانما ادخلت هذه الالفات في الافعال وامثالها من

(١) العين ٩٥ .

(٢) هـ ٦٤ .

(٣) هـ ٥٣ .

(٤) هـ ٥٣ .

(٥) هـ ٥٥ .

(٦) هـ ٥٥ .

الكلام ، لتكون الالف عمادا مسلما للسان الى حرف البناء^(١) . ومن الاسماء ، مثل - سفرجل وشمرجل وقبعر . قال الخليل : « وليس للعرب بناء في الاسماء ، ولا في الاعمال اكثر من خمسة احرف . فمهما وجدت زيادة على خمسة احرف في فعل واسم ، فاعلم انها زائدة على البناء ، وليست من اصل الكلمة »^(٢) .

ونظر في هذه الابنية فوجد فيها الصحيح والمعتل ، وفرق بينهما في كل بناء ، فقسم الابنية على هذا الاساس الى : الثنائي الصحيح ، وهو ما كان في صورته من حرفين صحيحين مثل (زل) ، وان شدد ثانيهما فكانا (زل) او كررا فكانا (ززل)^(٣) ، لانه يرى ان الاصل في جميع هذه الصور حرفان هما الزاي واللام والثلاثي الصحيح ، وهو ما كان من ثلاثة احرف صحاح مثل : طرر ، زيد ، نزل^(٤) . والثلاثي المعتل ، وهو ما كان من حرفين صحيحين وحرف علة واحد ، مثل : خود وثدى ، ووتد^(٥) . والثلاثي اللقيف ، وهو ما كان من حرف صحيح واحد وحرف علة متصلين او منفصلين مثل : وفي وروى^(٦) . والرباعي الصحيح ، وهو ما كان حروفه الاربعة صحاحا مثل : صملك ، وكردس^(٧) . والخماسي الصحيح ، وهو ما كانت حروفه الخمسة صحاحا مثل : سفرجل ، وجرنفس^(٨) والرباعي والخماسي المعتلان ، وهما ما كان احد حروفهما لو اكثر من حروف العلة مثل : آوى ، آية ، يؤ يؤ^(٩) . وتناول الخليل هذه الابنية على هذا الترتيب عند تناوله لكل حرف من الحروف الصحاح ابتداء بالعين وانتهاء بالميم ، سوى الرباعي والخماسي المعتلين ، فقد اخرهما الى ختام الكتاب حين عقد بابا للحروف المعتلة . وذلك انه قسم كتابه على الحروف حسب ترتيبه لها ، فبدأ بحرف العين ، وقسمه الى

(١) العين ٥٤

(٢) ص ٥٥

(٣) العين (مخطوط) ق ٢٠٩ ا .

(٤) ص ق ٢٠٩ ب ، ٢١٠ ا .

(٥) نفس ق ٢٢١ ب - ٢٢٢ ا

(٦) العين (مخطوط) ق ٢٤٠ ب ، ٢٤٩ ا .

(٧) نفس ق ٢٦٢

(٨) ص ق ١٧٧ ب .

(٩) العين (مخطوط) ق ٢٥١ ب - ٢٥٢ ب

ابواب . باب الثاني ، باب الثلاثي الصحيح ، باب الثلاثي المعتل ، باب
اللفيف ، باب الرباعي ، باب الخماسي^(١) . وهكذا فعل في سائر الحروف الى
الميم .

اقترب الخليل من هدفه ، وبقي عليه ان يخطو الخطوة الاخيرة للوصول اليه ،
وفد تم له ذلك باهتدائه الى فكرة التقلب ، اذ وجد انه بمعلومه ان يأخذ كل بناء من
هذه الالبية الاربعة ، فيقلبه على جميع اوجهه الممكنة فيحصل على وعاء يضم جميع
العاط اللعة ، فلا يملت منها شيء عنه ، ولما لم تكن جميع مقلوبات هذه الالبية
مستعملة في اللغة ، نص في كل مادة من مواد كتابه على المستعمل من مقلوباتها .
فراى (ان الكلمة الثنائية تنصرف على وجهين نحو : قد ، دق . . . والكلمة
الثلاثية تنصرف على ستة اوجه ، وتسمى مسدوسة ، وهي نحو : ضرب ، ضرب ،
برض ، بضر ، رضب ، رضى . والكلمة الرباعية تنصرف على اربعة وعشرين
وجهها ، وذلك ان حروفها وهي اربعة احرف ، تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح
وهي ستة اوجه ، فتصير اربعة وعشرين وجهها ، يكتب مستعملها ويلغى
مهملها . . . والكلمة الخماسية تنصرف على مائة وعشرين وجهها ، وذلك ان
حروفها ، وهي خمسة احرف تضرب في وجوه الرباعي وهي اربعة وعشرون حرفا
(كذا ولعلها وجهها) فتصير مائة وعشرين وجهها ، يستعمل اقله ويلغى اكثره^(٢) .
وحين انتهى الخليل من رسم منهج الكتاب ، اخذ بتطبيقه خطوة خطوة ،
فبدأ بالحروف بأولها في الترتيب الذي وضعه لها ، وهو العين . وبدأ فيه بأول الالبية
لتي وجد كلام العرب لا يخرج عنها ، وهو الثاني ، وراح يؤلف العين مع الحروف
واحدا واحدا ، وبدأ بتأليف العين مع اقرب الحروف اليه في الترتيب وهو الحاء ،
ثم العين وما يلي الحاء في الترتيب وهو الهاء ، ثم العين وما يلي الهاء وهو الخاء ، ثم
العين وما يلي الخاء وهو الغين ، ولما لم يجد العين مستعملا مع اي من هذه الحروف
الحلقية في ثنائي ولا غيره ، حكم باهمالها^(٣) . حتى اذا وصل في التأليف الى باب العين
وانقاف وجد ان (عق) مستعمل فشرح المادة ، ثم طبق نظام التقلب ، فوجد ان

(١) العين (المطبوع) ٦٨ ، ١١٠ ، (المخطوط) في ٤٣ ب ، ٥٢ ، ٥٧ .

(٢) العين (المطبوع) ٦٩ .

(٣) ص ٦٩ .

(فع) مستعمل ايضا وشرحه^(١)، وهكذا مع الباب الذي يليه وهو باب العين والكاف ، وجد فيه (عك) مستعملا ، وكذلك مقلوبه (كع)^(٢) ، وهكذا حتى وصل الى باب العين والميم ، وهو آخر الحروف الصحيح ، فشرح فيه (عم) ومقلوبه (مع)^(٣) وبهذه المادة ينهي باب الثنائي ، فينتقل الى باب الثلاثي الصحيح المدونه بحرف العين ، ويفعل فيه ما فعل في الثنائي ، غير انه يحصل من قلب كل مادة فيه على ستة اوجه لا وجهين ، ينص على المستعمل منها والمهمل ، ومثل ذلك في باب الثلاثي المعتل ، وباب الرباعي الذي يحصل من تقلبيه - نظريا - على اربعة وعشرين وجها ، وباب الخماسي الذي يفترض ان يحصل منه على اربعة وعشرين ومائة وجه ، لم يجد الخليل مستعملا من وجوه هذين الباءين الا المليل^(٤) . واد ينتهي الخليل من حرف العين ينتقل الى الحرف الذي يليه وهو الحاء ، ويقسم المواد فيه على الابنية نفسها ، ويقلبها على النظام نفسه ، وهكذا في سائر الحروف الى الميم . ونقف من خلال تتبع منهج الخليل في الكتاب على ملاحظة التناقض الكمي في مواد الحروف كلها اقتربتنا الى نهاية الكتاب ، فمواد حرف العين اكثر من مواد حرف الحاء ، ومواد الحاء اكثر من الهاء وهكذا حتى لا نجد للميم شيئا يذكر من المواد^(٥) . وذلك انه في تقلبيه للمواد ، ادخل كثيرا منها في الحرف الاسبق في الترتيب ، فلا داعي لتكرارها في الحرف اللاحق ، فمادة (عمر) مثلاً ، من مواد حرف العين لا ابتدائها به ، وحين يعالج تقلبياتها (عرم) ، (رعم) (رمع) ، (معر) (مرع) فانما يعالجها في حرف العين ، وبذلك اخرج من حرف الراء (رعم ، رمع) ومن حرف الميم (معر ، مرع) .

مادته اللغوية .

اشرنا في فصاعيف كلامنا السابق الى اشياء متصل بمادة الكتاب ولعل اكثر

(١) البنى ٧٠-٧٣ .

(٢) ٧٦-٧٨ .

(٣) ١٠٧-١٠٨ .

(٤) العين (الخطوط) ق ٢٤ ب ، ح ٥٢ ، ح ٥٧ .

(٥) الميم (الخطوط) ١٢٥٠ .

اشارات كانت الى البحوث الصوتية التي تضمنها المقدمة القيمة في صدره ^(١) . وكان التحليل قد بسط فيها القول على خطواته التي خطتها لرسم منهجه في العين ، ولما في قابل فصول الرسالة عودة الى بعض آرائه وتوصلاته التي عرضها في هذه المقدمة ولا بد ان بعد ان وضحت معالم (التأسيس) ان نقف على ظواهر (الحشو) وهو ما طلبه القدماء على شرح الالفاظ .

وطريقته في معالجة الالفاظ تدل على اهتمامه بايراد المشتقات والصيغ المختلفة كما في (لعق) و (جدع) ^(٢) ، وذكر الصفات كما في (رقع) و (لكع) ، (كمر) و (كلع) ^(٣) ، مفرقا بين صفة المذكر وصفة المؤنث كما في (هجع) و (رقع) و (كرع) ، و (كلع) و (عجف) ^(٤) ، ناصا على المفرد منها والجمع كما في (هجع) و (عقب) ، و (عجن) ^(٥) ، ملتفتا في اثناء ذلك الى الفروق الدلالية بين المصادر المتعددة للمادة ، او بين صفاتها كما في (نعق) و (قبح) و (عجب) ^(٦) ، والى وحدة الدلالة احيانا في مقلوبات الاصل الواحد كما في (عث) ^(٧) .

وتنبه شروحه عن وقوف التحليل على ظواهر تطور اللغة ، اذ اشار في اثنائها الى القلب كما في (ضفع) ^(٨) ، والنحت كما في (حيل) ^(٩) ، والاضداد كما في (شعب) ^(١٠) والمعرب كما في (عمص) ^(١١) . كما تنبىء هذه الشروح عن معرفة واسعة وعن اطلاع على ما دون في عصره من موضوعات لغوية مستقلة ، فقد عرض

(١) حفر الشيخ محمد حس آل اسين هذه المقدمة في المصير ٩ ، ١٠ من مجلة البلاغ ١٩٧٧ م ، ثم الردها في مسئل طبع في السنة نفسها .

(٢) العين (لطيوخ) ١٩٠ - ٢٥٠ .

(٣) ١٧٩ - ٢٢٦ - ٢٢٩ .

(٤) ١١٣ - ١٧٩ - ٢٢٦ - ٢٢٩ - ٢٦٨ .

(٥) ١١٣ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٦٥ .

(٦) ١٩٢ - ٢٠٧ - ٢٧١ .

(٧) ٩٤ .

(٨) ٣٢٩ .

(٩) ١٩٨ .

(١٠) ٣٠٦ .

(١١) ٣٦٩ .

الى ما يتصل بالحيوان كما في (عتق) و (عك) و (كتع) و (عجب)^(١١) ، والنبات
كما في (عضر) و (نع) و (عقف) ، و (ققع) و (عمق)^(١٢) ، والمواضع
والبلدان كما في (عتق) و (قع) و (عمق)^(١٣) ، والأعلام والاسباب كما في
(عك) و (قطع) و (عتك) و (عقب) و (عكل)^(١٤) .

وكثيرا ما نجد الخليل وهو يعالج مسألة نحوية كما في (كتع) و (لكع) و
(عجب)^(١٥) ، او صرفية كما في (قطع) و (قرع) و (لعق)^(١٦) . كما نجده معنياً
بالقياس في مواضع عديدة من الكتاب ، يذكر وجهه ويص على ما يحالعه دون ان
يخطئه لغة كان او شذوذاً كما في (قطع) و (عقر) و (لعق) و (نقع) و (عكن)
و (عكف) و (جدع) و (عجف) و (عشب)^(١٧) . يقول مثلاً : « والأقطع :
المنقطع اليد ، والجمع قطعان ، والقياس أن نقول : قطع لأن جمع أفعل فُعِلَ الا
قليلاً ، ولكنهم يقولون : قطع الرجل لأنه فُعِلَ به »^(١٨) .

وكان يعتمد فيما يفسر على الشواهد نثرية وشعرية ، فاستشهد بالقرآن الكريم
كما في (خشع) و (هتق) و (قع) و (عكف) و (عجف) و (صعد)^(١٩) ، واشير
الى اختلاف القراءة احياناً كما في (عكف)^(٢٠) ، واستكثر من الاستشهاد بالحديث
الشريف كما في (عتق) و (صع) و (صع) و (عتق) و (عهر) و (خشع)
و (خلغ)^(٢١) وهو بهذا الاستكثار وسع مجال الاستشهاد مطلقاً مصدراً لغوياً منها من

(١) ٢٧١ ، ٢٢١ ، ٧٤ ، ٧٣

(٢) ٢١١ ، ٢٠٠ ، ١٩٨ ، ١٠٤ ، ٨٣

(٣) ٢١٢ ، ٧٣

(٤) ٢٢٨ ، ٢٠٦ ، ٢٢١ ، ١٥٦ ، ٧٥

(٥) ٢٦٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢١

(٦) ١٩٠ ، ١٧٧ ، ١٥٥ ، ١٥٣

(٧) ٣٠٥ ، ٢٦٨ ، ٢٥٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ١٩٦ ، ١٩٠ ، ١٧١ ، ١٥٣

(٨) ١٥٣

(٩) ٢٢٧ ، ٢٦٨ ، ٢٢٢ ، ١٩٣ ، ١٦٦ ، ١٢٩

(١٠) ٢٢٣

(١١) ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٢١ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٧٧ ، ٧٠

عمله . مخالف ما تعارف عليه اللغويون - وبخاصة البصريين - بعده من التعليل من شأن هذا المصدر^(١) ، الا ما ثبت لديهم صحته من الاحاديث مسندا ومتنا ، حتى كاد الحديث يختفي من كتبهم شاهدا على اللغة سوى ما شذ من هذه الكتب عما لا يقاس عليه مسجع عام . على ان اللغويين عموما بصريين وكوفيين لم ينفوا من الحديث في اللغة وقوفهم منه في النحو ، اذ كان تخرجهم من الاستشهاد به في النحو اكثر ، على تساوت بينهم في ذلك . واستشهد الى جانب ذلك بالامثال كما في (عطف)^(٢) ، وبلا أقوال المأثورة عن السجاء والفصحاء كما في (عك)^(٣) و (جذع)^(٤) .

ما الشعر فهو اكثر انواع الشواهد عنه ، وقد وسع مجاله ابصارا ، فالى جانب استشهاد الجاهليين امثال : النابغة كما في (ذع) و (عر)^(٥) ، وامرئ القيس كما في (خلع) و (عقص)^(٦) ، والاعشى كما في (عقص)^(٧) ، وليد كما في (عفر)^(٨) ، والمخضرمين امثال : الخطبة كما في (قعد)^(٩) ، وعلى بن ابي طالب كما في (زعق)^(١٠) ، والاسلاميين امثال : جرير كما في (عق)^(١١) ، والاختل كما في (عر)^(١٢) ونظرماع كما في (هكح) و (علق)^(١٣) ، والكميت كما في (علق)^(١٤) ، فقد استشهد للعباسيين امثال : بشار بن برد كما في (جعب)^(١٥)

(١) الاقتراح ١٧ وجمع المقامع ١/ ١٠٥ وخزانة الادب ١/ ٤ - ٥ .

(٢) ٩٥

(٣) ٧٥ ، ٢٥٢

(٤) ٩٦ ، ٩٧

(٥) ١٢٧ ، ١٤٥

(٦) ١٤٥

(٧) ١٧١ ، ١٧١

(٨) ١٦١

(٩) ١٥٢

(١٠) ٧٣

(١١) ٩٧

(١٢) ١١٢ ، ١٨٨

(١٣) ١٨٧

(١٤) ٢٧٢

وحفص الاموي كما في (عقل) و (تقع)^(١) ، وبذلك مد عصر الاستشهاد ليشمل فصحاء الشعراء العباسيين المعروفين بتمكنهم من اللغة ، وقد حالف هذا جمهور اللغويين الذين حظروا الاستشهاد بشعراء هذا العصر ، ووقفوا عند ابراهيم ابن هريرة من الامويين .^(٢) وفي العين شعر غير منسوب ، ولعل الخليل لم يكن يجهل نسبه كما في (لمع) و (جعف) و (عضد) .^(٣)

وليس للخليل طريقة معينة في ايراد الشاهد الشعري ، فقد يشده بعد شرح معنى اللفظة كما في (عز)^(٤) ، وقد يشده خلال الشرح ولما ينته منه كما في (حيمل)^(٥) ، وقد يشده قبل ذكر اللفظة وشرحها ، وهذه الحالة تكون في الغالب في التراجم التي ترد عرضا في اثناء معالجة اللفظة المعقود لها الباب كما في (حيمل) و (قمح)^(٦) . ولم يلتزم الخليل ايضا بموقف موحد من هذه الشواهد ، فقد لا يتعرض للتعليق على البيت وهو الاكثر كما في (حضع) و (عرق)^(٧) ، وقد يجهل بعده معناه العام كما في (عقل) و (وقع)^(٨) ، وحيانا يذكر اختلاف الرواية فيه كما في (عرق) و (قرع)^(٩) ، واهرى يورد حبرا يتعلق بالبيت كما في (قعد)^(١٠) .

وهنى الخليل باللهجات واللغات عناية كبيرة ، ونص على كثير من طواهرها . فمن اللهجات العربية التي ذكر استمالاتها : لهجة هذيل كما في (قنع)^(١١) ، ولهجة اهل اليمن كما في (علق)^(١٢) ، وغيرهما . وكان احيا يكتفي

(١) ١٨٣ ، ١٩٥

(٢) مرآة الاصب ١/٦ .

(٣) ١٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣١٢

(٤) ٧٨ .

(٥) ٦٨ .

(٦) ٧٣ ، ٦٨ .

(٧) ١٧٥ ، ١٣٠

(٨) ١٨٣ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(٩) ١٧٨ ، ١٧٦

(١٠) ١٦١

(١١) ١٩٣

(١٢) ١٨٥

دلت على أن هذا الاستعمال لغة ، دون أن ينسب هذه اللغة إلى قائلها كما في (قطع) و (عقر) و (فضع)^(١) ، أما لشهرة اللغة التي ينسب على استعمالها ، بحيث لا يحتاج معها ذكر الفاعلين ، وأما لعلم استحضاره للنسب حين ذكر اللغة ، لولاه لا يرى ضرورة لذكرها . وعرض لبعض طواهر اللهجات ، فذكر عتنة تميم وكشكشة ربيعة كما في (عن)^(٢) ، وقطعة طيء كما في (قطع)^(٣) ، يقول : «
ويقال : من ترك عتنة تميم وكشكشة ربيعة فهم الفصحاء ، أما تميم فانهم يجعلون بدل الحمزة العين ، قال شاعرهم :

إن المؤاد على الذلقام قد كدما وحبها موشك عن بضدع الكدما

وربيعة تجعل مكان الفاء (كذا ولعلها معرفة عن الكاف) شيناً ، قال :
نضحكُ مـيَ، أنَّ رأئـي احترشُ ولو حَرَّشْتَ لكشفتِ عن حرشِ
ويقال : بل يقولون : علكشُ ويكشُ ، ويقال : بل يدلون في كل ذلك^(٤) .
وشك في بعض ما بلغه من الخلافات اللهجية فلم يقطع بصحته ، واحتمل أن يكون لغة لا لغة^(٥) كما في (ذمق) . والنكت إلى التطور اللغوي الذي يصيب اللغة في الحواضر ، مما يعبر عن المراحل التاريخية الأولى للعامة كما في (عق) ، يقول : « ونوى العتوق : نوى هزلين رحو المصخرة ، ثعلفه الناقة العتوق الطافاً لها فلذلك اضيف إليها ، وتأكله المعجوز ، وهي من كلام أهل البصرة ، ولا تعرفه الأعراب في بواديها^(٦) » . كما أشار إلى غير العربية من اللغات ، كاشفاً عن سمة ثقافته كما في (كنس) ، يقول : « وكنسان بن سام بن نوح ، ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية^(٧) » ، حل أن ذلك لا يعني معرفته بالكنعانية .

(١) ١٥٨ ، ١٧٢ ، ٣٢٩

(٢) ١١٤

(٣) ١٥٦

(٤) ١٠٤

(٥) ١٦٨

(٦) ٧١

(٧) ٣٣٢

وزخر الكتاب بالرواية عن الاعراب الفصحاء أمثال : زائدة كما في (عهق)
و (دمع) و (فعث)^(١) ، ومبتكر الاعرابي كما في (فعث)^(٢) ، وعرام بن
الاصمغ السلمي^(٣) كما في (عهق) و (عثج)^(٤) ، وأعراب لم يسمهم الخليل ،
مكتفياً بأن بسب ما يورده الى (اعرابي) كما في (قطع) و (ققع)^(٥) . ويدوم
بعض مواطن الرواية عن هؤلاء ان الخليل كان يعرض عليهم ما يريد تدوينه ،
ولعل الليث هو الذي كان يفعل ذلك بطلب من الخليل ، وقد مر ان الخليل كان
يوصيه بالسؤال عما يشك فيه والتثبت منه ، يقول : « والعنوتج » المعبر لصحهم
لسريع المجتمع الخلق ، يقال : اعتوتج واعتوتج اعتياجاً ، ولم يعرفه
عرام^(٦) . وال جانب الرواية عن الاعراب نجد الحكاية عن عدد من المدرسين
للغويين أمثال . سيبويه (ت ١٨٠ هـ) كما في (كرع)^(٧) ، وابي عبدة (ت
٢١٠) والاصمعي (ت ٢١٣) كما في (هجع)^(٨) ، وغيرهم . وكما قد رجعت ان
تكون هذه النصوص مما أضيف الى أصل الكتاب وأقحم فيه ، لا اعتبار تأخر هؤلاء
الدارسين في العصر عن الخليل وتلمذتهم له ، وان لم نجد في مباحج القدماء ما يمنع
من الحكاية عن اثبات المعاصرين . ومما يعضد مذهبنا في ان النقل عن هؤلاء
مقحم ، اننا نجد في الكتاب عبارة (قال غير الخليل) كثيرة التردد كما في
(قطع)^(٩) .

وكان العلماء قد أخذوا على مادة الكتاب مأخذ كثيرة ، لا نريد ان ندخل في
مناقشتها وإبطالها . فقد كفانا الاقدمون مؤونة ذلك ، ونكتفي بعارة أبي الطيب
اللفري (ت ٣٥١ هـ) الحملة التي عقب بها على ذكره لكتاب المفضل بن سلمة

(١) ١١٢ ، ١١٩ ، ١٦٩

(٢) ١٦٩

(٣) خرجته في معجم الاسماء ١٢ / ١٣

(٤) ١١٣ ، ٢٥٢

(٥) ١٥٢ ، ٢٠٠

(٦) ٢٥٢

(٧) ٢٢٧

(٨) ١١٣

(٩) ١٥٧

(ت ٣٠٠ هـ) في الطعن بكتاب العين ، فقال : « رد شيئاً كثيراً من كتاب العين أكثره غير مردود »^(١) . غير أننا وجدنا في بعض هذه الملحذ ما يشير إلى الادعاء لمحض بوجودها في العين وهو بريء منها ، من ذلك قول أبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) : « لم أسمع بالتاسوعاء وأهل العلم مختلفون في عاشوراء ، فمنهم من قل به اليوم العاشر من المحرم ، ومنهم من قال : إنه اليوم التاسع »^(٢) ، وهو شهدا يرد على رعم الخليل بأن تاسوعاء هو اليوم التاسع من المحرم ، وعاشوراء هو العاشر منه ، بالتاسوعاء لم يسمع به الزبيدي ، وعاشوراء لا يعني العاشر ، بل قيل إنه التاسع أيضاً ، أما الرجوع إلى العين فيقفنا على أنه لا وجود لتاسوعاء في مادة (تسع) فيما توفر من نسخ الكتاب^(٣) . وعاشوراء فقد قال الخليل في مادة (عشر) « وعاشوراء : اليوم العاشر من المحرم ، ويقال : بل التاسع »^(٤) . فلم يقطع بأن عاشوراء اليوم العاشر فقط ، وإنما نقل قول من قال إنه يعني التاسع أيضاً . وبهذا ينجلي تهافت المأخذ وضعفه ، ولا نقول الكذب فيه .

أثره في الدرس اللغوي :

منذ أن وطئ العين أرض البصرة ، بل منذ أن تم تأليفه ، والعلماء في شغل به . وقد مر بنا تبين مواقفهم منه في الدفاع والانكار ، وقد تمخضت هذه المواقف عن عدد كبير من الكتب تدور في فلك العين ، ونقوم بحوثها حوله ، استنراكاً ونقداً ودفاعاً واختصاراً ، ومن هذه الكتب معجمات لعروة المحدث من مهج العين مهجاً لها سارت عليه ، ونحن نذكر الآن من هذه المكتبة الغنية ما أسعفت المصادر بذكره وذكر مؤلفه^(٥) ، دون الخوض في التفاصيل ، مرتين ذلك تاريخياً .

(١) مراتب المحويين ٩٧ .

(٢) الزهر ١٦/١ .

(٣) العين (المخطوط) في ١٢٧ .

(٤) نفسه في ٢٠١ ، والخرى الطبع ٢٨٨ .

(٥) مراتب المحويين ٩٧ . ونهيب الله ١/٣٢ ، ٤٠ والفهرست ٤٣ ، ٦٧ ، ٦٣ والبداه والنهاية ١٠/١٦١ .
وفهرسة ابن حجر ٢٥٠ ومعجم الأحياء ١١/٧٥ وآباء الرواة ١/١١٧ ، ٢٥٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧/١ ، ٩٣ ، ٩٧
والزهر ١/٤٠ ، ٤٤ وخفة الرعدة ٢٤٥

وأول هذه الكتب كتاب (فائت العين) للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) مؤلف العين ، ثم كتاب في الاستدراك على العين لم يذكر اسمه صريحاً لابي عبد مؤرج السدوسي (ت ١٩٥ هـ) ومثله لصر بن علي الجهضمي (معصر السدوسي) و آخر في هذا الموضوع للنضر بن شميل (ت ٢٠٣) ، ولصر بص كتاب (المدخل الى كتاب العين) ، وهؤلاء الثلاثة وأعمى بهم السدوسي والجهضمي وابن شميل تلاميذ الخليل ، وظهر بعد ذلك كتاب (الاستدراك على الخليل) لابي تراب (تلميذ شمر بن حمدويه المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، وكتاب (الرد على الخليل واصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال) لابي طالب المفضل بن سلمة (ت ٣٠٠ هـ) .

وفي القرن الرابع يظهر كتاب (التوسط) لابن دريد (ت ٣٢١) ، ثم كتاب (الرد على المفضل في مقصده على الخليل كتاب العين) لابراهيم بن محمد المعروف بنفطويه (ت ٣٢٣) ، وكتاب (ما اغفله الخليل في كتاب العين) لابي عبدالله محمد الكرماني النحوي (ت ٣٢٩) وكتاب (فائت العين) لابي عمر الزاهد (ت ٣٤٥) ، وكتاب (الرد على المفضل في الرد على الخليل) وكتاب (الرد على من نفى كتاب العين عن الخليل) وكلاهما - ولعلهما كتاب واحد - لابن درستويه (ت ٣٤٧) ، وكتاب (التكملة) لاحد بن محمد البشتي الخارزنجي (ت ٣٤٨) وكتاب (الخصال) لابي الارهر البخاري (معاصر الازهري) ، وكتاب (الرد على الليث) لابي منصور الازهري (ت ٣٧٠) ، وكتاب (الاستدراك لما اغفله الخليل) لمحمد بن جعفر الحمذاني (ت ٣٧١) ، وكتاب (المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لابي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن احمد) وكتاب (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) وكتاب - او رسالة - (الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين) وكتاب (مختصر العين) وكلها لابي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) ، وكتاب (مختصر العين) لابي الحسن علي بن القاسم السنجاني ، وفي القرن الخامس ظهر كتاب (غلط العين) للخطيب الاسكافي (ت ٤٢٠) وكتاب (تلقيح العين) لابي غالب بن التيتاني (ت ٤٣٦ هـ) ، ولم يصل اليها من هذه المجموعة سوى (مختصر العين) للزبيدي^(١) .

(١) طبعت منه قطعة في المغرب بتحقيق علاء الدين محمد بن تاروت الطنجي د ت

ومن المعجمات التي ترسّمت منهج العين : (الجمهرة) لابن دريد (ت ٣٢١ هـ)^(١) ، والبرع لابي علي القالي (ت ٣٥٦)^(٢) و (تهذيب اللغة) لابي منصور الأزهري (ت ٣٧٠)^(٣) ، و (المحيط في اللغة) للمصاحب بن عباد (ت ٣٨٥)^(٤) ، و (المحكم) لابن سيده (ت ٤٥٨)^(٥) . وقد سارت جميع هذه المعجمات في اثر العين ترتيب حروف وتصميم ابنية وتقليب مواد ، ولم تحالفه الا في أشياء طفيفة لا تذكر كمخالفة ابن دريد في ترتيب الحروف ، فقد احتار ترتيبها المجاني لسهولة وشيوعه ، ومخالفة بعض هذه المعجمات لتصميم ابنية الشائي وثلاثي وغيرها ، مما لا يعد حرجاً على المنهج الذي احتذته . اما مكائفة هذه المعجمات بعدد المواد فلا تعد من المخالفة في شيء ، وشأن المعجمات في ذلك شأن كتب الاستدراك ، اد فاتها جميعاً ان العين بمنهج المحكم يستوعب كل الذي استدركته من المواد ، بل كان الخليل ينظر الى هذه المستدركات وهو يضع أصول منهجه .

...

الجيم لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ)

وهو - كما مر - ثاني ثلاثة معجمات بهذا العنوان ، أولها : الجيم للنصر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) ، وثالثها : الجيم لأبي عمرو شمر بن حمدويه المروزي (ت ٢٥٥ هـ) ، وقديما اننا لا نعرف عن الاول سوى عنوانه ، فلم تصفه لنا المصادر وعن لثاني سوى انه ضاع بعد ان ضمن به مؤلفه على الناس ، وانه ابتداء بحرف الجيم ، ونصف أوصاف اخرى لا تنفي شيئاً من الكلام فيها . وقد وصل الياس هذه الثلاثة معجم ابي عمرو الشيباني ، وقد طبع في ثلاثة اجراء^(١) ، عن نسخة محفوظة

(١) طبع في حيدر اباد في ثلاثة اجزاء بتحقيق كركوت ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ

(٢) نشرت منه قطعة مصورة في لندن بحياة مولتون سنة ١٩٣٣ م - ثم طبع كاملاً في بيروت في مجلد واحد بتحقيق د. تميم الطمان سنة ١٩٧٥ م

(٣) صدر في القاهرة بتحقيق عبدالسلام هارون وجماعة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م

(٤) طبع منه آخره الاول في بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آك يونس سنة ١٩٧٦ والثاني شبعه ايضاً في بغداد

١٩٧٨

(٥) طبع في القاهرة بتحقيق مصطفى السيد وجماعة سنة ١٩٥٨ م

(٦) طبع في القاهرة بتحقيق ابراهيم الأبياري ، جماعة سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٧ م

بالاسكوريال بمطريد نسخت في حدود القرن الرابع او الخامس الهجريين في افوى
 (الراء^(١)) ، وقوبلت على ثلاث نسخ ، الاولى : نسخة ابي موسى الخامس (ت
 ٣٠٥) والثانية : نسخة ابي سعيد السكري (ت ٢٧٥) ، والثالثة : نسخة لم
 يذكر الناسخ الذي قام بالمقابلة عنها وعن صاحبها شيئاً^(٢) . وقد اكمل الناسخ هذه
 المقابلة مسخته وسد نقصها وصححها ، يقول : « اتميت بهذه السحرة نسخة ابي
 موسى الخامس فاستدركت بها أكثر شكوكي ، ووجدت فيها ما ذكر السكري انه
 سقط عليه من ورعه فعملته ، فكان زائداً على ما ذكر انه سقط عليه بصعفه ، وقد
 بينت ذلك في مواضعه^(٣) » . ثم يذكر انه اعلم على مواطن التصحيح بحرف (ص)
 اشارة الى لقب الخامس ، وانه وجد في نسخة الخامس زيادة ورقتين في حرف الهاء
 على نسخة السكري نقلها وبيّن موضعها^(٤) .

اسمه .

قسم ابو عمرو كتابه أبواباً ، مرتبة على الحروف الهجائية ، جامعاً لكل حرف
 منها باباً خاصاً ، مبتدئاً باب الالف ومتهياً باب الياء ، وهذا يعني انه سلك السبيل
 لشذوذه في اتحاد الترتيب الهجائي للحروف ، وانه لم يعتمد الى ترتيب جديد يتقدم
 به حرف ويتأخر آخر من حروف الهجاء وفق اساس صوتية معينة ، وذلك ما لم نكن
 نتوقعه من معجم سماء مؤلفه (كتاب الجيم) ، اذ يسرع التصور اول مرة الى انه
 ابتداء بالجيم لعله من العلل بشرحها ابو عمرو في مقدمته . غير ان الكتاب - وقد
 عري من المقدمة - لم يبدأ بحرف الجيم . ذلك ان الدارس سبق له ان وقف على
 معجم سماء مؤلفه (العين) فوجد فيها شرحه الخليل في المقدمة من دراسة الحروف
 وتقديمه حرف العين ، ومن ابتداء ابواب الكتاب بهذا الحرف ما يسرع التسمية .

والذي يظهر من ذكر الكتاب في المصادر ، ان الجهل بحقيقة تسميته قديم ،
 يقول الففطي : « . . . وسماء كتاب الجيم ، وأوله الهمة ، ولم يذكر في مقدمة

(١) الخيم - مقدمة المحقق ، مجلة لغة العرب ، الس ١١ / ١٥٧ .

(٢) الخيم مقدمة المحقق : ٤٤ / ١ .

(٣) الجيم ١ / ٥١ .

(٤) هـ ١ / ٥١ .

الكتاب لِمَ ساء الجيم ، ولا علم احد من العلماء ذلك^(١) . ثم يسرد من أحوار العلماء ما يدل على صحة رعمه ، ويقول ابن مكتوم : « سئل بعضهم : لِمَ سُمِّيَ كتاب الجيم . . فقال : لأن أوله حرف الجيم ، كما سمي كتاب العين ، لأن أوله حرف العين . قال : فاستحسننا ذلك ، ثم وقفنا على نسخة من الجيم فلم نجده مستنداً بالجيم^(٢) » . فالحيث كما يبدو لم يعتمد معرفة حقيقة باصل التسمية وإنما ذهب الى قياس الجيم على العين ، فلما وقعت لدى المستحسنين جوابه نسخة ، من احيم ذهبت بالتعليل وابطلته . ولعل من أسباب هذا الجهل ان ابا عمرو الشيباني ضمن بجيمه على الناس ، كالذي نسب خطأ من بعده الى شمر بن خندويه بكتابه ، يقول ابو الطيب اللغوي متحدثاً عن كتاب الشيباني : « وأما كتاب الجيم فلا رواية له ، لأن ابا عمرو يخل به على الناس فلم يقرأ عليه احد^(٣) » .

وإذا استقرينا بعد هذا معجمات اللغة للوقوف على معنى الجيم فيها ، فلا نعثر على ضالتها قبل القاموس المحيط للفيروز ابادي القوسى (٨١٧ هـ) ، يقول : « والجيم . الديياج ، سمعته من بعض العلماء نقلاً عن ابي عمرو مؤلف كتاب الجيم^(٤) » . ويعلق الزبيدي على هذا بقوله : « وقوله (سمعته) يدل على ان المصنف لم يطلع على كتاب الجيم كما هو طاهر^(٥) » . وينقل الزبيدي ايضاً قول الفيروز ابادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز) متحدثاً عن ابي عمرو الشيباني : « وله كتاب في اللمة ساء الجيم ، كأنه شبهه بالديياج لحسه^(٦) » . وذكر الفيروز ابادي ايضاً ان من معاني الجيم : الابل المعتلثة^(٧) ، وتسقطه الزبيدي فقال : « وقوله (الابل المعتلثة) وهم ، والذي نقله بنفسه في البصائر عن الخليل قال : الجيم عندهم : الجمل المعتلم^(٨) » . وهذا الذي نقله الفيروز ابادي في البصائر عن

(١) ابن الروثة ٢٢٤ / ١

(٢) الزهر ٩٠ / ١

(٣) مراتب النحويين ١٤٥

(٤) القاموس المحيط : جيم ٩٧ / ٤

(٥) ناه العروس ٢٣٦ / ٨ (جيم)

(٦) ٢٣٦ / ٨

(٧) القاموس المحيط ٩٧ / ٤

(٨) ناه العروس ٢٣٦ / ٨

الخليل لم ينقله عن العين فليس فيه هذه الملاحظة، وإنما عن الرسالة المنسوبة إلى الخليل باسم (الحروف)^(١) ، وقد مرت دراستنا لهذه الرسالة في الفصل السابق وشك في نسبتها إلى الخليل ما لا نكره هنا ، وذكر الزبيدي أيضاً أن من معاني الحميم الروح ، مستشهداً بهذا المعنى بيت غير منسوب ، ونص على أنه يرى رواية أخرى^(٢) ، وليس في روايته الثانية لفظ (الحميم) الذي هو موطن الاستشهاد

مخلص من ذلك إلى ثلاثة معانٍ مذكورة للحميم لا غير ، هي : الديباج ، والحمل المعتلم ، والروح ونحن نشك في صحة ورودها في اللغة للأسباب الآتية :

١ - إنما نجد مادة الحميم ومعانيها في معجمات اللغة المتقدمة ، إذ لو كانت قد وردت عن العرب ، لكانت تلك المعجمات أولى بذكرها من القاموس المحيط ، وتاج العروس ، بل نص الأخير على أن المادة مما أهمله الجوهري^(٣) ، مثلاً .

٢ - طعن الزبيدي في صحة ما أورده المبروز أبادي من معنى (الديباج) مسوياً إلى أبي عمرو الشيباني ، بأنه سمع ولم يطلع ، يؤيد ذلك ما روي عن ابن الشيباني بكتابه على الناس ، وعدم روايته أو قرأته عليه وعلى غيره^(٤) .

٣ - طعن الزبيدي في صحة نقل المبروز أبادي معنى (الأبل المغتلمة) من الخليل بأنه نقله عنه في الصائر (الجمل المغتلم) ، يضاف إلى ذلك أن رسالة (الحروف) التي نقل المبروز أبادي منها المعنى المذكور عن الخليل ، لم يثبت أنها للخليل ، وفي نسبتها إليه شك كبير ، ذلك أنها لم نسب إليه في جميع مصادر ترجمته القديمة ، وأول من ذكرها هو أحمد بن محمد الرازي المتوفى (٦٣٠ هـ) في كتابه (الحروف)^(٥) وبين القرن الثاني والقرن السابع خمسة قرون لم تعرف فيها رسالة الحروف .

(١) الحروف ٢٨

(٢) تاج العروس ٢٣٦ / ٨

(٣) تاج العروس ٢٣٦ / ٨

(٤) مرآة النحويين ١٤٥

(٥) الحروف ٤

٤ - الشك في صحة معنى (الروح) الذي ذكره الزبيدي النوفى (سه ١٢٠٥ هـ) مفرداً به - للشك في الشاهد الذي اعتمد عليه في استخراج هذا المعنى ، لعدم نسبه اولاً ، ولا احتمال صحة روايته الثانية العار به من لفظ الحميم موطن الشاهد ثانياً .

فإذا مطلعت هذه المعاني الموضوعه للحميم - ولا يصلح منها سوى (الدباح) عموماً للكتاب - فماذا يكون وراء اختيار ابي عمرو الشيباني للحميم عنواناً لمجمعه * من لدارسين المحدثين من مال الى ما أورده الفيروز ابادي من ان المقصود بالحميم هو الديبح تشبهاً له في الحس^(١) ومنهم من ذهب يعلل هذه التسمية بخصوصية في حرف الحميم كان ابو عمرو الشيباني ينظر اليها حين ألف كتابه ، وصاحب هذا الرأي هو محقق الجزء الاول من الكتاب ، بسطه في المقدمة التي كتبها في صدره^(٢) خلاصته ان الكتاب - كما هو بين ايدينا - من صبح صانع غير ابي عمرو الشيباني ، وأن اب عمرو لم يكمله ولم يتول ترتيبه بنفسه . لأن الكتاب - وقد سمي بالحميم - كان يجب ان يبدأ بحرف الحميم ، كما بدأ العبر بحرف العين ، ولم يسم ابو عمرو كتابه بالحروف التي تسبق الحميم كالهاء والهاء والشاء ، لأن هذه الحروف تورث اللبس ، ويسرع اليها التصحيح ، فيحتاج منها الى ما يزيل هذا اللبس بالذكر مع لباء ، بموحدة تحتية ، ومع الاء بمشاة فوقية ، وهكذا ، فيضل العنوان ويطول . يضاف الى ذلك ان اختياره للحميم كان مبنياً على اسس صوتية ، فقد انخفض ابو عمرو الحروف للدراسة ، وتناولها من حيث اتصافها بالجهر والهمس ، فوجد ان الحميم حرف من تسعة عشر حرفاً تنصف بالجهر ، ولعله كان يرى كسابقه الضر بن شمين مؤلف الحميم انه - اي حرف الحميم - على رأس هذه الحروف المجهورة وحرف الحميم كذلك - في تقسيم الحروف الى شديدة ورحوة ومتوسطة - أحد ثمانية حروف تنصف بالشدة ، وبالجمع بين الجهر والشدة يكون الحميم أحد ستة حروف تجمع بين الصفتين ، والحميم بعد هذا حرف يجب معه التحفظ في النطق حتى لا

(١) د. رمضان عبدالنواب - فصول في لغة العربية ٣٣٩ ، د. حسين صابر - المعجم العربي ١/ ٧٨ - ٧٩ وعلمه

كتبه الترجمة ، سنة ١٩٦٥/١٩٦٦ ، ٣١/٢

(٢) ليراهم الايلوي ، مقدمة الحميم ٣٧ - ٤١

يلتس بالشئ . وعليه فان « هذه الاعتبارات لا شك كانت مدعاة حد
لاحتيار^(١) » .

ولما على هذا الذي ذكره الاستاذ المحقق ملاحظات ، نحملها عما يأتي

١ - انه لا دليل يؤيد ما ذهب اليه ، وما قرره من الاعتبارات التي كانت
على حد رعمه . مدعاة اختيار هذه التسمية ، فالمصادر لم تفصح بشيء من ذلك ،
بل صرحت بجهلها بحقيقة التسمية كما مر ، وليس في الكتاب مدعمة تشير الى هذا
وكل ما أورده المحقق لا يخرج عن نطلق الحلاس والنخيل .

٢ - ولا دليل ايضاً على ان الكتاب من صنع صانع غير ابي عمرو ، ون ب
عمرو ولم يتول اكتماله وترتيبه ، بحجة انه لم يبدأ بحرف الجيم ، فقدم السحرة التي
بين ايدينا يدل على غير ذلك ، فهذه السحرة المكتوبة في القرن الرابع الهجري ، قد
عورضت على نسخ ثلاث منها نسخة السكري (ت ٢٧٥ هـ) ونسخة الخامس (ت
٣١٥ هـ) كما مر بيانه ، وهذا يعني ان من اصول نسختنا ما كتب في القرن الذي
أدركه ابو عمرو وتوفي فيه ، بل ان نسخة ابي عمرو نفسه كانت احداً الاصلين اللذين
انسخت منها نسخة السكري ، اد تقرأ في احدى صفحات الكتاب ما نصه :
« قال السكري : هذا آخر باب العين من نسخة مفضل عن نسخة ابي عمرو ،
ويتلوه باب العين من أصل ابي عمرو^(٢) » . فلو كان ترتيب الحروف مخالفاً في
هذه الاصول لما وصل اليها في السحرة المطبوعة لأخذ به ما سحها الذي كلف نفسه
بمقابلة نسخته على تلك النسخ ، اولئيه عليه في الاقل ، كما نبه في مواطن كثيرة من
الكتاب على الزيادة والسقط فيها^(٣) . ولا يحتمل بعد ذلك ان يحدث هذا الاختلاف
في هذه الحقة الصيقة المتصلة من حيلة السكري بحيلة ابي عمرو ، فقد ولد
السكري سنة (٢١٢ هـ)^(٤) ولما يهلك ابو عمرو ، على الرواية التي نرعم ان وفاته

(١) الجيم ١ / ٤١

(٢) ٢٨٢ / ٣٠

(٣) الجيم ١ / ٤٥ - ٤٦

(٤) انظر الرواة ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ .

تأخرت عن هذه السنة^(١) . هذا اذا لم نأخذ بما نوهه ابو الطيب اللغوي من تلمذة
السكري لابي عمرو الشيباني^(٢) .

٣ - اذا كانت الحروف التي تسبق الجيم في الترتيب المجائي تورث اللبس
لتشابه رسمها كالثاء والتاء والهاء ، فهاذا عن الالف أو الهمة ، وهو أول الحروف في
هذا الترتيب ، بل الهمة أول الحروف في الترتيب المحرجي ايضاً عند سيويه^(٣)

٤ - اذا كانت الجيم تتصعب بالجر فهاذا يميزها عن تسعة عشر حرفاً تتصعب
بالجر بضعاً ، واذا كانت شديدة فهاذا يقدمها على ثمانية حروف تتصعب بالشدة ،
و د كبت تجمع الى الجهر الشدة فهاذا يفردا عن ستة حروف تجمع الصمتين ، واد
كانت - من غير احتراز في النطق - تلبس بالثين فهاذا يفضلها على الثين .

٥ - انه رجع فيما ذكره من خصائص حرف الجيم الصوتية الى كتاب (الشر في
القراءات العشر) لابي الجزري المتوفى (٨٣٣ هـ) وهو مصدر متأخر بالنسبة
لأوليات علم الاصوات ، وكان يجب الرجوع الى مقدمة الخليل في العين ، وكتاب
سيويه ، لانه إن كان هناك احتمال في وقوف ابي عمرو الشيباني على دراسة صوتية
تفتح أمامه باب اختيار الجيم ، فانما هي دراسة الخليل في هذين الكتابين ، ومخالفات
سيويه في الكتاب ، دون سواهما .

نخلص من ذلك الى علم موافقتنا للمحقق في رايه ، وان في التسمية سيباً
آخر . وقبل ان نعرض الى ما نرجعه فيها ، لا بد لنا من ان نتعرف على الاسماء
الآخري التي اطلقت على الكتاب . يقول الففطي : « وصف ابو عمرو كتاب
(الحروف) في اللغة ، وسماء كتاب الجيم^(٤) » . ويقول ايضاً : « ونقلت من كتاب
الجمي في طبقات النحاة واللغويين ان كتاب (الجيم) هو كتاب (الحروف) الذي
صفه ابو عمرو^(٥) » . ويقول ايضاً : « كتاب (اللغات) وهو (الجيم) ويعرف

(١) انباء الرواة ١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) مراتب اللغويين ١٤٥

(٣) الكتاب ٢/ ٤٠٥

(٤) انباء الرواة ١/ ٢٢٤ وانظر : مور المس ٢٧٧ ووفيات الاعيان ١/ ١٨١

(٥) الامم ١/ ٢٢٦

مكتاب (الحروف)^(١) ويقول ابن النديم : « وله من الكتب . . . كتاب النوادر المعروف بحروف الحيم »^(٢) وعلى هذا يكون للحجيم ثلاثة أسماء أخرى هي الحروف ، اللغات ، النوادر . غير أن الذي يدل عليه تنوع هذه الأسماء أنها ليست مرادفة للحجيم ، وإنما هي أسماء لكتب مستقلة :

١ - عابن النديم الذي مر أنه ذكر كتاب النوادر المعروف بحروف الحيم ، ذكر في جملة مؤلفات أبي عمرو الشيباني (كتاب الحروف)^(٣) والصعدي (ت ٦٥٠ هـ) ذكر في جملة مصادره التي رجع إليها في معجمه : التكملة والذيل والصلة . « كتاب الحروف لأبي عمرو الشيباني ، وكتاب الحيم له »^(٤) . وكذلك فعل في معجمه (العباب) فذكرها بخطه منفردين من مصادره فيه^(٥) وكلا الذكريين يدل على أنها كتابان لا كتاب واحد

٢ - ويقول أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١) وهو يتحدث عن أبي عمرو : « وهو صاحب كتاب (الحيم) وكتاب (السواد) وهما كتابان حليان . فاب (النوادر) فقد قرىء عليه ، وأخذناه رواية عنه . أخبرنا به أبو عمر محمد بن عبد الواحد قال : أخبرنا ثعلب عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبيه وأما كتاب الحجيم »^(٦) . وينقل الفعطي قول الهمي متحدثاً عن كتاب الحجيم : « قال : « وجميع ما فيه خارج عن كتابه (النوادر) وفيها علم كثير »^(٧) . وعدد السيوطي مؤلفاته فجعل الحجيم والنوادر كتابين^(٨) ، وكذلك هما في الصيغ السابقيين .

٣ - لم يسب ابن النديم كتاباً في (اللغات) لأبي عمرو ، كما لم يذكر أن

(١) الألب ٢٢٧/١

(٢) الفهرست ١٠٢ .

(٣) ص ١٠٢

(٤) التكملة ٨/١

(٥) العباب (مخطوط) في ٤ ص .

(٦) مراتب النحويين ١٤٥

(٧) انباء الزواجر ٢٢٦/١ .

(٨) بنية الزواجر ٤٤٠/١

للجيم اسماً آخر هو اللغات ، ومثله أغلب أصحاب كتب التراجم والطبقات ، وأما
سبب اس التديم الى ابنه عمرو بن ابي عمرو الشيباني ، وقد ترجم له ضمن ترجمته
لأبيه ، كتاب (اللغات)^(١) . فاعلم القفطي وابن خلكان التيس عليهما الامر ،
وهي بعلان عن المهرست ، فظنا ان الكتاب لابي عمرو ، وانه هو الجيم ، كما
لتس عليهما من قبل ، فظنا ان الحروف هو الجيم . كما ان في عبارة القفطي « وله
من التصانيف . . . كتاب اللغات و هو الجيم ويعرف بكتابه الحروف » ما يشعر
بان يكون المقصود من ذكر (اللغات) هو الموضوع لا العنوان ، ومادة الكتاب
تعدد ذلك ، ولعل حرفاً سقط من الاصل ، لو ذكر لكانت العبارة : كتاب في
لغات وهو الجيم ويعرف بكتاب الحروف . وبهذا التخريج تفيل عبارة القفطي ،
والا فلا وجه لان يكون الكتاب هو اللغات وهو كتاب الجيم وهو كتاب الحروف .

الذي نذهب اليه بعد هذا كله ، ان اسم الجيم الذي اطلق على هذا المعجم
الذي بين أيدينا لحق الكتاب سهواً من كتاب الجيم الذي لم يصل الينا ، وهذا الذي
وصل الينا انما هو كتاب الحروف ، ولدلتنا على ذلك هي :

١ - انه مرتب على الحروف ، اي ان أبوابه مرتبة ترتيب الحروف المعائية ، وان مواد
كل باب مرتبة بحسب الحرف الاول منها .

٢ - انه لم يسدأ بالجيم ، او لم يكن للجيم فيه امتياز خاص ، لأي اعتبار من
الاعتبارات كما يفترض في كتاب مثله .

٣ - تراصر العلماء عليه وعلى نسخه في عصر مؤلفه وبعده . كما دل على ذلك
معارضة نسخه الناقية على نسخة السكري (ت ٢٧٥) والخامس (٣٠٥)
ونسخة ثالثة ، اما الجيم « فلا رواية له ، لأن انا عمرو بنخل به على الناس فلم
يقرأه عليه أحد »^(٢) .

٤ - الصفحة الاولى من مصوره الكتاب التي تحمل اسم الكتاب وذكر المعارضة

(١) المعجم ١٠١

(٢) تاريخ الخويع ١٤٥

وأسماء من توالوا على ملك السسخه ، قد كتبت بخطوط مختلفة كما يشير المحقق في هامشها^(١) ، وهذا يرجح ان يكون العنوان مصححاً على هذه الصفحة ، بعد ان سقط العنوان الاصلى منها .

هـ - ان الصماني - وقد مر انه رجع الى كتابى ابي عمرو (الحروف) و (الجيم) في معجمه التكملة - لم يذكر فيما نقله عن ابي عمرو عن ابي من الكتابين هو ، الا انه ذكر مرة في مادة (جيا) انه عن كتاب (الحروف) لابي عمرو الشيباني^(٢) ، ومرة في مادة (ثوب) انه عن كتاب (الجيم) لابي عمرو^(٣) ، وما نقله عن كتاب الحروف موجود بنصه في الكتاب الذي بين ايدينا^(٤) ، وما نقله عن كتاب الجيم لا وجود له في كتاب الجيم .

وطرأ اسم الجيم على كتاب الحروف الذي عريت نسخه من الاسم طرأه قديم ، ولعل ذلك حدث بعيد عصر الصغاني (ت ٦٥٠) ، لأن نقل السيوطي عن الجيم^(٥) - الذي يرجع انه كان عن السسخة المحقة نفسها ، لأنها هي النسخة التي دخلت مصر ملكاً لابن هشام الانصاري النحوي المعروف (ت ٧٦١ هـ) وصارت من بعده لابنه محمد (ت ٧٩٩)^(٦) - يتفق مع ما في كتاب الجيم . ومرد هذا السهو الذي التصق اسم الجيم بالكتاب الى شهرة كتاب الجيم الذي ألفه ابو عمرو الشيباني ، وقلته في ايدي الناس ، لما روي من حس مؤلفه به عليهم . وما اورثه ذلك من الخطأ في ان يكون هو كتاب الحروف ، وهو كتاب النوادر وهو كتاب اللغات ، حتى اذا وقعت نسخة من كتاب الحروف عارية من الاسم الى احد المتعلمين او الوراقين كتب عليها : (كتاب الجيم) سهواً .

(١) الجيم ١/ ٥١

(٢) التكملة ١/ ١٤

(٣) عه ١/ ٨٠

(٤) الجيم ١/ ١٣٦

(٥) التزهر ١/ ٢٧٥

(٦) الجيم ١/ ٤٤ ، ٥١

مر أن ابا عمرو قسم الكتاب ابواباً على الحروف الهجائية ، ولم يخالف ترتيب هذه الحروف إلا بتدبيره باب الواو على باب الهاء . وأورد في كل باب الالفاظ التي تبدأ بذلك الحرف ، دون أن ينظر الى الحرف الثاني وما بعده ، وعليه فلا ينقسم الباب الى فصول بحسب الحرف الاخير او غيره ، كالذي نجده في المعجمات التي طورت هذا لنظام . فترك ابو عمرو المواد وهي على هذا النحو من عدم الترتيب ، ومن حق بعضهم ان يتقدم وبعضها ان يتأخر ، وأورث ذلك شيئاً من التعقيد والعناء في الرجوع الى الكتاب من حيث اراد مؤلفه السهولة واليسر ، وذلك ان طالب المادة لا يقف عليها ، لا بعد النظر في الباب من أوله . ولعل ذلك من بضايا ظاهرة عدم الترتيب في كتب المرحلة السابقة من التأليف .

ولم يلتزم ابو عمرو بإيراد الحذر اللغوي أولاً للمادة التي يشرح معناها ، وان نظر اليه في اعتبار الحرف الاول ، وانما يأتي باللفظة على صيغتها التي وردت اليه ، فقد تكون المادة فعلاً ماضياً مثل : سَفَدَ ، سَتَعَ ، اسْتَلَّتْ^(١) او مضارعاً مثل : يَسُومُ^(٢) . او أمراً مثل : شَيْذُ حَوْضِكَ ، صَحَّ بَاقَتِكَ^(٣) وقد تكون مصدرأ مثل : لَسَهُوً ، لاِسْجَاداً^(٤) . او مشتقاً مثل : الأَرْنَمُ ، الأَرْبَرُ ، الأَمْلَجُ^(٥) ، والزَامَجُ ، لَسَاطِي^(٦) ، والزُنَيْمُ ، الحَرَبِي^(٧) ، والمَلَكُوسُ ، المَشْوَهِ^(٨) ، والشُّبُوبُ^(٩) ، ولَصِيَاءُ^(١٠) ، وَصَاعُ^(١١) . وقد ترد بصيغة الجمع مثل : الزُّيَارِي ، العَرَاصِيفُ ،

(١) ١١١ / ٢

(٢) ١١٢ / ٢

(٣) ١٧٢ ، ١٢٩ / ٢

(٤) ١١٢ ، ١٠٠ / ٢

(٥) ٩٨ ، ٧٠ ، ٣٢ / ٢

(٦) ١٢٢ ، ٧١ / ٢

(٧) ١٠٩ ، ٧٦ / ٢

(٨) ١٣٨ ، ١١٤ / ٢

(٩) ١٥٠ / ٢

(١٠) ١٧٣ / ٢

(١١) ١٧٣ / ٢

العلاجيم^(١١) . أو ترد بصيغة المؤنث مثل : المَعْرُضَةُ مِنَ النِّسَاءِ^(١٢) . وعبر ذلك من الصيغ والأبنية .

ولم يكن شرحه للالفاظ على نسق واحد ، فقد يورد اللفظة دون شرح ، الت كما في (جَهَشَتْ) و (ضَمَنَ)^(١٣) ، ولعله كان يرى ان معناها معروف فلا يحتاج الى شرح ، وقد يكفي بعدها بشرح قصير كما في (الضَّوْع)^(١٤) ، او بالاشارة الى موطن الاستعمال دون شرح المعنى ، كقوله : « الإِعْصَادُ : يقال للعِصَام وللجارية^(١٥) » . ويعمد أحياناً بعد ذكر معنى اللفظة الى التمثيل ، فيصطغ عبارة يوضح بها وجه الاستعمال كما في (الجَعَار) و (الصُّرَيْس)^(١٦) ، كقوله في الأخيرة : « وقال : الصُّرَيْس : الثَّمر والبُسر والكَعَك تقول : أَصْرَسْنَا مِنْ صُرَيْسِكَ هَذَا ، أَي أعطنا نأكله » . على أن شرحه للالفاظ في مواطن غير قليلة يقتصر الى البيان والإيضاح ، كقوله مثلاً : « والجَادِرُ حين طلع ورقه ، فقد جَدَرَ ، وهو الجَدَر^(١٧) » ، ويستنبط من هذا ان الجادرات وان لم تنضح صفته . كما كان كثيراً ما يورد اللفظة التي يريد شرحها وهي في سياق لغوي ، غير متزعة منه ، كقوله : « وقال : يقول الرامسي لصاحبه : لا تُعَادِسي فأسيء الرمي : أي لا تُدْنُ مني فتشغلني^(١٨) » . وفي بعض المرات كان يقدم المعنى على اللفظة كقوله : « وإذا كانت السفينة خالية : قالوا : هي خُراب : وإذا كانت شاحبة ، قيل هي أَمِيد^(١٩) » . وقوله : « ويقال للرجل اذا كان حَسَنَ الجسم . انه لَحْرِيم^(٢٠) » .

(١) ٢٦٣ / ٢ ، ٢٦٢ / ٢ ، ٢٢٩ / ٢ ، ٢٩٩ / ٢

(٢) ٢٧١ / ٢

(٣) ١٩٤ / ٢ ، ١٣٣ / ١

(٤) ١٩٥ / ٢

(٥) ٣٤٦ / ٢

(٦) ١٩٥ / ٢ ، ١٢٥ / ١

(٧) ١٣٣ / ١

(٨) ٢٥٣ / ٢

(٩) ١٣٢ / ١

(١٠) ١٣٥ / ١

ولا يعلم ان نجد في اغلب ابواب الكتاب ، العاطفاً يتكرر شرحها ، كما في
 (حثوة)^(١) ، (جريسم)^(٢) ، (عراضيف)^(٣) ، (احترمت)^(٤) واحسرى
 دخلت أمواتا عبر أمواتها ، فنجد مثلاً (الأشوال) و (يشمس) و (يشوق) و (حن
 السقيبه) و (حلى) جميعاً في باب الجيم^(٥) ، وليس الحرف الاول منها حياً
 ونقف في بعض المواد على شرح مضطرب التعبير كما في (نجادوا)^(٦) ، أو على كلام
 معطوع الصلة يشعر ان فيه بغيه^(٧) ، و يعود جميع ذلك الى السخ ، ولعل من آثاره
 ايضاً - وأعمى السخ - ما معثر عليه من أخطاء التصحيح والتحريف ، وان كان من
 هذه الأخطاء ما يعود الى الطباعة كالذي حدث لكلمة (يياض) فأصبحت
 (يياص)^(٨) غير ان الخطأ الطباعي بعيد عن مثل قوله : « وقال : أجمع فلان ابن
 فلان ، اذا جمعها فاستقامها ، فقد جمعها » ، والصواب ان يقول (فقد أجمعها)
 لانه هي المدد ، ولما سقطت الالف من قلم الناصح فات المحقق ان يتسه اليها لما بين
 اجمع وجمع من اللبس^(٩) ومن هذا الأخطاء ما كان وهماً من المؤلف لو سهواً ، فلا
 يرى فيه أثراً من آثار السخ ، كقوله : « وقال : قد جيد الى كذا وكذا ، اذا
 اشتبه ، وهو قول ذي الرمة : تعاطيه تارات اذا جيد جودة . وقول لبيد : ويجود من
 صبابات الكرى »^(١٠) وليس في قول ذي الرمة وليد ما يشهد بأن (جيد) يتعدى
 بالحرف كما قال ، وان شهدا بفسحة المعنى ، فتمام بيت ذي الرمة .

تُعاطيه تارات اذا جيد جودة رُصاباً كطعم الرثعيل المعسل

(١) ١١٥/١ - ١٢٧

(٢) ١٢٧/١ - ١٣٥

(٣) ٢٢٩/٢ - ٢٦٢

(٤) ٣٠/١ - ١٣٥

(٥) ١١٤/١ - ١٢٦ - ١٣٢ - ١٣٧

(٦) ١١٨/١

(٧) ١٣٧/١

(٨) ١٢٥/١

(٩) ١٢٠/١

(١٠) اطر المحيط في اللغة ٣٠٣/١

(١١) ١٢٩/١

وتعلم بيت لييد :

وَتَحُودُ مِنْ صَبَابَاتِ الْكَسْرِ عَاطِفُ الثَّمَرِ صَنَقُ الْمُبْدَلِ

وعليه تكون صواب العبارة : قد حيدَ كذا وكذا ، بحذف (الى)^(١)

وعني ابو عمرو في شروحه لمعاني الالفاظ بذكر صيغ كثير من هذه الالفاظ ومشتقاتها ، فادا كانت المادة فعلاً مثلاً نراه يورد أسيته الأخرى ، وقد يذكر المصدر كما في (جرت) و (جَرَّ)^(٢) ، أو الصفة كما في (جَحَمَت)^(٣) ، ويورد أحياناً صيغة المؤنث كما في (الحَبُوب) و (الحَرَبِ)^(٤) ، أو صيغة الجمع وبعض المشتقات كما في (الحَرَبِ)^(٥) ، وبه في بعض المواد على صيغتي المعلوم والمفرد فيها كما في (الجَلَاء)^(٦) ، وأشار الى وحدة المعنى في فعل وأفعِل ، كقوله : « وقال : أجهِدْ في حاجتي ، وجهِدْ لي ، سواء »^(٧) . وإلى الفروق اللغوية الدقيقة بين الالفاظ ، كقوله : « وقال : أجهَت فلانة على زوجها فلم تحمل ، وأوجهت عليه فلما حدث له ولداً »^(٨) . وكان لا يتردد في البص على شكه في صحة المعنى الذي سمعه ، كقوله في مادة (تَجَسَّمت) وقد أورد كل ما سمعه من معانيها المستعملة : « وأنا أشك فيه ، وأخاف أن يكون الأعرابي تَجَرَّصه »^(٩)

وحرص ابو عمرو في معالجته لمعاني الالفاظ على الاستشهاد لها ، وأكثر من الشواهد الشعرية دون الشربة ، حتى لا تكاد نقف على شاهد من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ، وهذا يختلف عن الخليل الذي تكثر من الاستشهاد بهما في لعين وبخاصة استشاده بالحديث ، على اننا لا نعلم ان نحمد ابا عمرو مستشهداً

(١) قطر - تلح العروس ٢٧ / ٤٣٠

(٢) ١٢١ / ١ ، ١٢١ / ٢

(٣) ١٢٠ / ١

(٤) ١٢٠ / ١ ، ١٢١ / ١

(٥) ١٢١ / ١

(٦) ١٢٦ / ١

(٧) ١١٧ / ١

(٨) ١١٧ / ١

(٩) ١١٩ / ١

بالامثال ، وأحوال الفصحاء ، على تدوينها في كتابه ، كالذي فعله من استشهاده
ناشر في (جاهدي)^(١) ، ونقول الاحتم في (جَحَقَتْ)^(٢) . هذا ما كان من امر
نحو هذا الشريه ، أما الشعرية فهي تثل الاغلب الأعم من شواهد ، حتى عز ان
يجد مادة لم يستشهد لها بشيء من الشعر .

ولم يكن لامي عمرو طريقة معينة في انشاء الشاهد الشعري ، فاحتتم
موصعه باختلاف المادة ، اذ يأتي في الاكثر بعد ذكر للمعنى كما في (المصيف)^(٣) .
وقد يأتي في اثناء الشرح ولما يكمل كما في (الطيح)^(٤) ، وقد يتقدم اللفظة ومعناها
ودلك ان يبدأ المادة بانشاء البيت ثم يتزع من اللفظة ذاكراً ايها ويص على معناه
كما في (بجاي)^(٥) ، وقد يتقدم ايضاً دون ان يذكر بعده اللفظة ومعناها ، مكتفياً به
متضمناً لها ولمعناها الذي يوضحه السياق الشعري^(٦) ، ومثله تقريباً ان يقدم اللفظة
مردفاً ايها بالشاهد دون ذكر المعنى مكتفياً به عن ذلك كما في (العجرات) و
(المعشرات)^(٧) ، وقد يكون الشاهد مشدداً لغير اللفظة المتحدث عنها ، وانما اللفظة
ترد في استطراده في الشرح ، او لقصة ترد في اثنائه كما في (تضابرت)^(٨)

والشاهد الشعري بيت كامل في الغالب^(٩) ، ويجلو لامي عمرو احياناً ان ينشد
ما قبله او ما بعده^(١٠) ، وقد يأتي بالقطعة او القصيدة^(١١) ، ولكنه في مواضع اخرى
يكتفي من البيت بشطر منه كما في (الاطاليف)^(١٢) ، او بجزء منه اقل من شطر^(١٣) ،

(١) ١٢٢/١

(٢) ١٢٦/١

(٣) ١٩٥/٢

(٤) ٢١٩/٢

(٥) ١٣٧/١

(٦) ١٣٥/١ ، ١٥٧/٢ ، ١٩٤

(٧) ٢٩١ ، ٢٩٠/٢

(٨) ١٩٨/٢

(٩) ٢٢٢/٢ ، ٢٢٣ ، ١٣٨

(١٠) ١٩٩/١

(١١) ٣١٧/٢

(١٢) ٢٢٣/٢

(١٣) ١١٣/١ ، ١١٥

إذا واحد أنها يفيان بالغرض ويؤديان ما عليهما . وعي في كثير من المواضع بالمعنيين على الشاهد ، وبخلاف هذا التعليق باختلاف البيت ، فمراه قلوة يوحز بعده معناه العام كما في (الجَز)^(١) ، وأخرى يعسر بعض غربته^(٢) ، وقد يطيل في هذا التفسير فيشاول معظم ألفاظه حين نجد أنها جمعاً محتاجة إليه^(٣) . وثالثة يورد قصته وصروف موله ، وفي هذه الحالة يقدم التعليق على البيت ممهداً لاشيائه^(٤) وأغلب شعره منسوب إلى شعرائها من الجاهليين أمثال : أوس ، وعدى بن زيد ، وثأمط شر ، ولبيد ، والباينة^(٥) ، وغيرهم . والمحصر من أمثال : حسان ، وحيد ، وأبي الأسود ، ومن^(٦) ، وسواهم . والاسلاميين أمثال : ذي الرمة ، والاحطيل ، والمرار الففصي ، ونصيب^(٧) ، وغيرهم . ولم يتعد شعراء هذه الطبقة ، وبذلك حالف الخليل مرة أخرى ، إذ استشهد الأخير لبعض العباسيين وتفسير هذه المخالفة يعتمد على عرص أبي عمرو من وضع معجمه ، إذ لم يكن على أساس منهجي كان يتمسك به ، لأن الكوفيين - وأبو عمرو مهم - كانوا أكثر تسامحاً من سواهم في مد عصر الاستشهاد ، كما ظهر من دراسة كتبهم في الفصول السابقة ، غير أن توجه أبي عمرو إلى جمع اللفاظ الغربية والعناية بها دون سواها في كتبه هو الذي أملى عليه الاقتصار على شعر الطبقات الثلاث هذه . لما يمدد هذا الشعر من لفاظ البادرة التي حشاها معجمه ، ولم يكن في شعر المصور التالية ما يمي بها العرص من التأليف الذي « جمع فيه الحوشي ولم يقصد المستعمل »^(٨) . وفي الكتب سوى ذلك شعر كثير غير منسوب^(٩) .

وأهم أبو عمرو كثيراً بلغات القبائل ، وتوسع في الص على استمالاتها

(١) ١٣٣/١

(٢) ١٣٩/١

(٣) ١٣٣ ، ١٣٠/١

(٤) ٣٠٧/٢

(٥) ٣١٥/٢ ، ٣٣٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٦

(٦) ٢٩٨/٢ ، ٢٩٩ ، ٣٤٠ ، ١٣٦/١ ، ١٣٠

(٧) ١٢٦/١ ، ١٣١ ، ٣١٤

(٨) أنبل الرواة ٢٢٦/١

(٩) ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٣١١ ، ٣١٠/٢

«المعوية» من خلال ما ينسب إلى أفراد هذه القبائل دون تسمية لمحاتها ،
 فيقول . قال السعدي ، قال العذري ، قال الكلبي ، قال المكي ، قال الاسعدي ،
 قال الاكوعي ، قال الباهلي ، قال السروي ، قال الخزاعي ، قال الحارثي ، قال
 الحمداي^(١) ، وهكذا . وبلغ من اهتمامه بذلك انه نكاد لا نجد مادة من المواد غير
 معروفة إلى طحتها بهذه الطريقة من العزو إلى أحد رجالها ، وهو لا يريد بهذه الاسماء
 المنسوب إليها القول رجلاً بأعيانهم ، وإنما يرمي إلى ان هذا اللفظ بهذا المعنى هو في
 لغة بني سعد أو بني عذرة أو كلب وهكذا . وكثيراً ما نجد في الكتاب العاطاً تدو
 كتاب غير منسوبة إلى طحتها ، وإنما تبدأ بعبارة (وقال) كما في (العاني) و (عَرَف)
 و (لعيث) و (أعطى) وغيرها^(٢) من المواد المتابعة ، مما يشعر ان القائل هو أبو
 عمرو شيباني ، ولكي أميل إلى تفسير ذلك بأنها جميعاً معطوفة على القول
 المنسوب قبلها فلو عدنا إلى الالفاظ المذكورة قبل قليل لوجدنا انه نسب قبلها
 بصفتين إلى الاسعدي بقوله : « وقال الاسعدي بكرة عطبول . اي خيار^(٣) » .
 ثم بدأ في المواد بعدها بعبارة (وقال) اي وقال الاسعدي ايضاً ، ولكنه تخفف من
 ذكره لانه لم يرد التكرار ، لأن العطف واضح . ولم يغب اهتمام أبي عمرو
 باللهجات عند هذا الحد ، بل ذهب إلى النص أحياناً على الفروق اللغوية بينها في
 الحركة ، يقول مثلاً : « وقال العصي حثوة » وقال المشيري : حثوة . وقال
 لصبي : جوالق ، وقال الفشيري : حوالق^(٤) . ومثل هذا الاهتمام الكبير
 باللهجات لا نجده في المعجمات الأخرى .

ومن جانب آخر نجد أبا عمرو أحمل ذكر شيوخه من العلماء اللغويين ، فلا
 يعثر على اسم أحدهم في الكتاب ، وكأنه لم يرو عنهم شيئاً فيه . ولا بعد ذلك ،
 لأنه نصف مواده من الباطنيين بها شهاهاً كما وصح ذلك من النص على المسويين إلى
 فضلهم . غير انه ذكر اعلام عدد من الرواة ، ونسب إليهم شيئاً من الالفاظ أمثال .

٢٤٦ . ٢٢٩ . ١٧٧ / ١ (١)

٢٤٠ ٢ / ٢

٢٣٨ ٢ / ٣

١٢٧ / ١ (٤)

معروف^(١)، وأبي الجراح^(٢)، وأبي الخرقاء^(٣)، وأبي رباد^(٤)، وغيرهم
وهؤلاء - كما يبدو - من الأعراب الفصحاء الذين لديهم أبو عمرو وأخذ عنهم ،
ولعل أما الجراح هو أبو الجراح العقيلي الذي ذكره ابن السديم في الأعراب
الفصحاء^(٥) ، أما أبو رباد فهو أحد اثنين هذه الكنية من الأعراب ، الأول أبو رباد
الأعور بن مرء الكلابي ، عنه ابن السديم في الفصحاء مع أبي الجراح^(٦) ، ولثاني
أبو رباد يزيد بن عبد الله بن الحر الكلابي ، ترجم له ابن السديم مع البداية
الفصحاء وذكر له من الكتب : الوادر ، الفرق ، الأبل ، خلو الأسان^(٧) وما
معروف وأبو الخرقاء فقير معروفين ولم أقف لها على ذكر ولا أرجح أن يكون
معروف هو معروف بن حسان راوي كتاب العين عن الليث بن المصم (ت حدود
١٨٩ هـ) في سند رواية ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)^(٨) ، لتأخر معاصرت لأبي
عمرو وقد أفاد أبو عمرو كما يبدو مما سبق به من آثار اللغويين في الموضوعات
المستفنة في الأبل ، والمطر ، والكرم وغيرها ، كما يتضح ذلك مثلاً في تتبعه لمراحل
نصح العنب في مادة (المزم)^(٩) ، وذكره لأنواع المطر في القلة والكثرة وتعدد سمائه
في مادة (المدارك)^(١٠) ، بل لا نستبعد أن يكون وقف على (العين) أيضاً ، لما نجده
في بعض المواد من التشابه الكبير في الشرح والمعالجة كما في مادة (حون)^(١١) و
(الحرث)^(١٢)

نخلص من ذلك كله إلى أن الكتاب مصدر مهم من مصادر دراسة لهجات

(١) ٢٢٣/١ - ٢٢٠ - ٢٥٣/٢

(٢) ٣٠٨/١

(٣) ١٢٢/١ - ١٢٣

(٤) ١٠٩/٢

(٥) فهرست ٧٠

(٦) منه ٧٠

(٧) فهرست ٦٧

(٨) حاشية اللمة ٣/١

(٩) الحيم ١/١٥٥

(١٠) منه ١/١٥٥

(١١) العين (المخطوط) في ١٧٥ ب والحيم ١/١١٨

(١٢) العين ١٦٥ ب والحيم ١/١٢٣

نقائس العربية ، والالفاظ اللغوية الغريبة ، والاستعمالات النادرة ، وهو حصيلة جهود كبيرة بذلها المؤلف في جمع أشعار القبائل ، اذ روي انه جمع نيفاً وثمانين ديواناً من دواوين أشعار النقائس وأخرجها للناس^(١) ، وكان الكتاب بهذا التحصيص بالعرب والبادر من الالفاظ مصداق ما عرف عن ابي عمرو من انه « كان الغالب عليه نوادر وحفظ العريب وارجيز العرب^(٢) » . والكتاب من حيث انه معجم لهروي وضعه « صاحب ديوان اللغة والشعر^(٣) » فاق (العين) عناية : باللغات ، والعريب والشعر ، وأقصر عنه منهجاً : في حصر اللغة ، وفي ترتيب المواد ، وفي مصادر الاستشهاد .

أثره .

أول من تأثر بهذا الكتاب - اذا صح انه الجسيم - ابو عمرو شعرب بن حمدويه الهروي (ت ٢٥٥ هـ) الذي وضع معجمه على هذا الاسم ، الا انه خالفه بتقديم حرف الجسيم^(٤) ، وصاح مع الكتاب على هذا التقديم ، على ان ابا عمرو الشيباني كان قد تأثر هو ايضا بتسمية الضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) لكتابه بالجسيم^(٥) .

واذا كان التحليل قد رتب الحروف ترتيبها للمخرجي المعروف ، فان ابا عمرو لشيباني ارتضى ترتيبها المجائي الذي وضعه نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) ، فقسم على أساسها أبواب معجمه ، فكان بذلك رائد المعجمات التي اتخذت من هذا الترتيب أساساً لمهجتها في جمع الالفاظ ، بغض النظر عن اختلافها في اعتبار الحرف الأول أو الأخير من المادة ، وأشهر هذه المعجمات : التقفية للبديهي (ت ٢٨٤ هـ) ، والصحاح للجوهري (ت ٣٩٨ هـ) ، وأساس البلاغة للرمحشري (ت ٥٣٨ هـ) ، والعياب للصغاني (ت ٦٥٠ هـ) ، ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، والقاموس المحيط للفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) ، وناح العروس للربيعي (ت ١٢٠٥ هـ) .

(١) المهرست ١٠١ وأنبه الرواة ١/ ٢٢١

(٢) أنبه الرواة ١/ ٢٢٨ وانظر : تهذيب اللغة ١/ ٦

(٣) أنبه الرواة ١/ ٢٢٢

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٣٠ وأنبه الرواة ٢/ ٧٧

(٥) المهرست ٥٨

وأكثر هذه المعجمات تأثراً بكتاب أبي عمرو : أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، فلم يكتف الزمخشري بتقسيم معجمه على الحروف الهجائية ، وإنما قسم باب الواو على باب الهاء أيضاً ، كالذي فعله أبو عمرو ، وهو خلاف المشهور في ترتيب الحروف ، واتخذ في إيراد الالفاظ في كل باب باعتبار حروفها الأول ، كما اُخذ به أبو عمرو ، غير أن الزمخشري طور هذا المنهج وأكمل نصه بالنظر إلى الحرف الثاني وثالث من كل لفظ ، وعلى هذا المنهج المحكم المستوحى من كتاب أبي عمرو جاء أساس البلاغة .



التقنية في اللغة : لأبي بشر السدني (ت ٢٨٤ هـ)

وهو ثالث معجمات الالفاظ التي سلمت من عوادي الزمن ، ووصلت إلينا في وضع قبل نهاية القرن الثالث ، بعد العين للخليل ، والحجيم لأبي عمرو الشيباني . واحتفظت مكتبة أيا صوفيا في استنبول بنسخته الفريدة ، التي فرغ منها بنسخها علي ابن علي بن أحمد بن رضى بن مسلم سنة (٥٩١ هـ) . وقد طبع الكتاب بحقق في مجلد كبير^(١) .

منهجه : أشرنا ونحن نتكلم على المعجمات التي تأثرت بمنهج الحجيم لأبي عمرو ، إلى أن التقنية واحد من تلك ، إذ احتار السديحي أن يقسم معجمه إلى أبواب مرتبة ترتيب الحروف الهجائية ، كما فعل من قبله أبو عمرو ، ولكنه خالف أب عمرو في اعتباره الحرف الأول من اللفاظ كل باب ، وذهب إلى اعتبار الحرف الأخير منها ، وهو الذي صله بالقافية . وإذا كان أبو عمرو قد أهمل النظر في الحرف الثاني وثالث من الالفاظ ، فاضطرب ترتيبها وعسر الوقوف على أحداها ، فقد أشبه السديحي في هذا ، إذ أهمل النظر في الحرف الأول والثاني من الالفاظ مكتفياً باعتبار قوافيها في تقسيمها على الأبواب ، فوقع معجمه مثل ما وقع به الحجيم من سوء التصنيف وقلة الافادة ، سوى فرق يسير سنائي على ذكره . ويمثلو أن السديحي تأثر معجماً سبقه بالاسم نفسه لأبن فتيه ، ذكره ابن السديم وهو بعدد كتبه وقال « كتاب التقنية (التقنية) هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة بخط

(١) حققه الدكتور خليل إبراهيم العطية ، وطبعته وزارة الأوقاف ببيروت سنة ١٩٧٦ م

برك . وكانت تنقص على التعريب جزمين وسألت عن هذا الكتاب جماعه من اهل
الخط فزعموا انه موجود ، وهو اكبر من كتب (كتاب) السنديجي واحسن^(١) .

وقدم المؤلف لكتابه بمقدمة قصيرة ، اشار فيها الى سبب تسميته بهذا الاسم
فكان . « لانه مؤلف على الفوائ ، والقافية - البيت من الشعر^(٢) » . وتصرح المقدمة
بان الكتاب وضع املاء لا يدويما من المؤلف ، ولا بد من ذلك لأن السديجي كان
عمى^(٣) . اذ تبدأ المقدمة بعبارة « هذا كتاب . التعمية املاء اني بشر^(٤) » ، وكان هذا
السميد المملى عليه هو المتحدث في هذه المقدمة احيانا ، ثم يعود فيقول كلام المؤلف
على منهجه في كتابه . « اول خطوة خطاها السديجي في رسم منهجه انه «نظر في
الكلام فوجده دائرا على الحروف الثانية والعشرين الموسومة بألف با نا ثا عليها ساء
الكلام كله عربيه وفصيحه . فهي محيطة بالكلام ، لانه ما من كلمة الا ولها نهاية الى
حرف من هذه الثانية والعشرين حرفا^(٥) » .

وبعد ان احتار الترتيب الهجائي للحروف ، ووجد ان جميع الالفاظ تنتهي
باحد هذه الحروف « اراد ان يجمع من ذلك ما قدر عليه وبلغه حفظه ، اذ كان لا
عى لاحد من اهل المعرفة والادب عن معرفة ذلك ، لانه يأتي في القرآن والشعر
وعبر ذلك من صروف الكلام^(٦) » . فالعرض من جمع هذه الالفاظ التي حصل بها
القرآن والشعر والكلام انه وجد في اهل المعرفة والادب حاجة اليها ، وهذه الحاجة
تمثل الدافع الظاهر لتأليف الكتاب ، ولا بد من ترتيب المواد فيه لانه « لو جمع ذلك
على غير تأليف متاسق ثم جاءت كلمة عربية يحتاج الرجل الى معرفتها من كتابنا هذا
لصعب عليه ادراكها لسعة الكلام وكثرته ، فالفه تأليفا متناسقا ليسهل على الناظر فيها
يحتاج الى معرفته^(٧) » .

(١) المهرست ١١٥ - ١١٦ .

(٢) التعمية ٣٦ .

(٣) نكت الحميدان ٣١٢ .

(٤) التعمية ٣٦ .

(٥) عمه ٣٦ .

(٦) عمه ٣٦ .

(٧) التعمية ٣٦ .

محطاً لأجل ذلك خطوته الثانية التي رسم فيها حدود الأبواب ، قال :
 « وطرنا في نهاية الكلام ، فجمعنا الى كل كلمة ما يشاكلها ، ما نهايتها كنهاية الاول
 قبلها من حروف الثانية والعشرين ، ثم جعل ذلك ابواباً على عدد الحروف ، فاذا
 جاءت الكلمة عما يحتاج الى معرفتها من الكتاب ، نظرت الى آخرها ما هو من هذه
 الحروف ، فطلته في ذلك الباب الذي هي منه ، فانه يسهل معرفتها ان شاء
 الله^(١) » وهذا يعني انه قسم ما جمعه من الألفاظ أقساماً بحسب الحرف الأخير منها
 وسمى كل قسم منها باباً فجعل الألفاظ المنتهية بـ «ياء» مثلاً في باب «ياء» ، والمنتهية
 بـ «عين» في باب «عين» ، والمنتهية بـ «لام» في باب «لام» ، وهكذا .

وحيث انتهى من ذلك انتقل الى الخطوة الأخيرة التي يريد بها من تحديد موقع
 اللفظة في الباب وهي الخطوة التي امتاز بها النغمية على الجهم من حيث المنهج ،
 وتعد تطوراً جيداً وذلك انه «قد يأتي من كل باب من هذه الثانية والعشرين ،
 ابواب عدة لأننا انما انما على وزن الأفاعيل ، فليظن الناظر المرتاد وزن الكلمة في أي
 الأبواب هو فانه يدرك الذي يطلب^(٢)» . فالمؤلف لم يقف عند تقسيم الكتاب الى
 ابواب بحسب الحروف ، وانما عمد الى كل باب يقسمه فصولاً اطلق على كل منها
 عبارة (قافية أخرى) او (باب آخر) بحسب الازان او (الأفاعيل) فلو
 اخذنا مثلاً باب «ياء» - وهو يصح عالياً كلمة (فصل) قبل اسم الباب ، فيقول
 (فصل : باب «ياء») - فوجد انه يبدأ هذا الباب بـ «السبب» الجواب ،
 الثواب ، الرأب^(٣) ، وغيرها مما على هذا الوزن ، ثم ينتقل الى مجموعة أخرى من
 الألفاظ يسميها (قافية أخرى) ويدرج في هذا القسم امثال : الأوب ، الجوب ،
 الثوب ، الخوب . الحيب ، الشيب ، العيب ، «» ، وغيرها . وهذه المجموعة
 وان اتفقت مع الاولى في الوزن فانها تختلف عنها في ان عيها ولو او ياء ، وهي عند
 المؤلف كما يبدو صفة تسرع امرادها ، والا فانه يؤاخذ على تسميتها بقافية أخرى ،
 لأنه يجوز ان تكون هي والمجموعة الاولى قوافي قصيدة واحدة .
 ثم يعود الى (قافية أخرى) فيها مثل : الحبيب ، السب ، الشيب ، الصيب ،

(١) نصف ٣٧

(٢) ٣٧

وعبرها^(١) و(قافية اخرى) فيها مثل : الشرجب ، الجسرب ، الشوقب ،
 لشؤذب ، وغيرها^(٢) و(قافية اخرى) فيها مثل : الشباب ، الرباب ،
 السحاب ، السباب ، وغيرها^(٣) . و(قافية اخرى) فيها مثل : النجيب ،
 التريب ، التشيب ، التيب ، وغيرها^(٤) و(قافية اخرى) فيها مثل : الجانة
 (مسهلة في الشعر) ، الإجابة ، الإهابة ، الصباية ، الحباية ، وغيرها^(٥)
 و(قافية اخرى) فيها مثل : العروبة ، المثوبة ، الحلوبة ، الفتوبة ، الركوبة ،
 وغيرها^(٦) . و(قافية اخرى) فيها مثل الحربة ، الحلبة ، السربة ، الأربة العظبة ،
 وغيرها^(٧) . و(قافية اخرى) فيها مثل : الزرب ، الأرب ، الخشب ، الرعب ،
 وغيرها^(٨) ولعله وهم في امراد هذه المجموعة ، لأن العاط هذه القافية تدخل جميعا
 في المجموعة الاولى . و(قافية اخرى) فيها مثل : اللاحب ، عارب ، مأرب
 (مسهلة في الشعر) ، العارب ، القارب ، وغيرها^(٩) . و(قافية اخرى) فيها
 مثل : التقربة ، التجربة ، المسغبة ، المقربة ، وغيرها^(١٠) وهذه القافية تنتهي
 باب الباء ، وقد سار على هذا المنهج في سائر ابواب المعجم . وهو بهذا ضيق مجال
 البحث عن اللفظة ، وسهل الوقوف عليها ، من حيث كونها لفظة يراد الوقوف
 عليها بالصيغة التي اوردناها ، والا فمررنا بتحكم به المصادفة الى حد بعيد ، لأنه
 لم يكرر اللفظة في جميع قوافي الباب معلما ايهاا على جميع اوجهها المحتملة في التنفية
 فالذي يريد معرفة معنى (السَّغْب) مثلا ، فانه لا يجد اللفظة في الفصل المفقود
 هذه القافية من الباء ، وانما يجد (السَّغْب) و(السَّغْبَة) كلا في الفصل الخامس

(١) ١٤٧

(٢) ١٦٠

(٣) ١٧٠

(٤) ١٨١

(٥) ١٩٦ - ١٩٧

(٦) ٢٠٠

(٧) ٢٠٢

(٨) ٢٠٤

(٩) ٢٠٧

(١٠) ٢٠٨

بنايته^(١) ، وعلى هذا فانه يجب على طالب (السأغب) ان يراجع باب البدء بموافيه
جميعا عسى ان يعثر على ما يريد

وكان البنديجي قد ختم مقلعه للكتاب بقوله : « واول ما ابتدء في
كتابتها هذا الالف ، لانها اول الحروف وعلى ذلك جرى امر الناس ، ثم نزلت على
تناسقه^(٢) » وجعل الالف اربعة ابواب لا يانا واحدا كسائر الحروف ، الاول باب
الالف الممدودة وفيه مثل : الاياء ، الخفاء ، الهاء ، الخرباء^(٣) . وليس فيه (وفيه
اخرى) او اي تقسيم آخر . والثاني . باب الالف المهمورة ، وفيه مثل : لبأ ،
الصدأ ، الطمأ ، الحمأ^(٤) . وفي داخله (باب منه آخر) اورد فيه مثل : حياء ،
البيا ، الحماة ، الكمأ^(٥) . و (باب منه آخر) فيه مثل : الطماء ، الفاء^(٦) ،
الرؤاءة^(٧) . و (باب آخر) فيه مثل : اللالة الحاجاة ، الصاصة ، الداداة^(٨)
ويلاحظ هنا انه بحال تسمية الفصول عما درج عليه في اغلب ابواب الكتاب ، كما
يلاحظ انه لم يلتزم في هذا الباب نفسه بمصطلح موحد للفصول ، فمرة (باب منه
آخر) وأخرى (باب آخر) . والثالث . باب الالف المهمورة في التسكين ، وفيه مثل
النسر ، الخل ، الحب ، الجب^(٩) . ولا نجد مسوعا لافراد هذا الباب ، فما فيه يدخل
الباب الذي قبله المعنود للالف المهمورة والذي يدعو الى التأمل في هذا الباب ان فيه
الفاظ ليست منه ، احتلت فيه اربع صفحات تبدأ بمادة (الدبا) وتنتهي بمادة
(العشا)^(١٠) ، ومن حق هذه الالفاظ ان تدخل الباب الذي يليه المعنود بالالف
المقصورة . وهذا جعلنا شك في صحة ورودها هنا ، خصوصاً انه لم يفرده بمصون
صغير . ولعل ذلك من هفوات الناسخ التي لم يعط اليها المحقق . والرابع . باب

(١) ١٥٦ ، ٢٠٨ .

(٢) ٣٧

(٣) ٣٨ - ٣٩

(٤) ٨٣

(٥) ٨٦ .

(٦) ٨٧

(٧) ٨٨ - ٨٩

(٨) ٩١

(٩) ٩٢ - ٩٥

الالف المقصورة وفيه مثل : الإيب ، الجبا ، الغضا ، الشفا^(١) ، الطلى ،
العى^(٢) وافرد منه مجموعة من الألفاظ بعنوان (فصل) لا تراها تختلف عن سائر
لفاظ الباب في شيء^(٣) .

ويمكن ان نلاحظ بعد ذلك ملاحظتين ، الأولى : انه كان بإمكان البندنجي
الا يحالف ما سار عليه في معجمه من اعتبار الباب للحرف والفصل للقافية ، فيجمع
ابواب الالف في باب واحد هو باب الالف ويجعل ما اصططحه من ابواب اربعة
فصولاً في ذلك الباب الرئيس تمثل قوافيه . والثانية : انه لم يلتفت وهو يسعى الى
حشد الالفاظ المقفلة في باب الالف المقصورة الى اختلاف اصولها ، فقد تورعت مواد
هذا الباب على بابي الواو والياء في المعجمات التي سارت على منهجه

وبعد ، فالبندنجي لغوي شاعر ،^(٤) ، وقد روي انه كان يرتزق بشعره^(٥) ،
وشعر الارتزاق صنعة محصنة مفرغة من الصدق والترسل ، فلا بد اذن من توفير
ادوات هذه الصنعة ، واهمها القافية ، ومعانة البندنجي لها هي الحافز النفسي
الخاص الى وضع معجمه ، يتوافر فيه على ما يريد منها ، الى جانب ما وجدته من
حاجة غيره من الشعراء والأدباء وسائر الناس الى مثله ، وادا كان كتابه (التفتية)
صورة من صور العناية بالشعر ، فان كتابيه الآخرين (العروص) و (معاني
لشعر)^(٦) اللذين لم يصلا اليها ، يشيران الى تعدد جواب هذه العناية

مادته :

لما كان عرض البندنجي من وضع معجمه خدمة اهل الشعر والادب
خاصة ، والناس عامة ، فانه اختار لكتابيه الألفاظ التي تنصف بالفصاحة اولا ،
وبعدم بعرابة ثانيا ، وقد صرح بذلك في مقدمته فقال : « واصفا الى كل كلمة من

(١) ٩٩ - ١٠٠

(٢) ١١٢

(٣) ٩٥ - ٩٦

(٤) معجمه من المعجم ٢٨١ / ١

(٥) مادة الواو ٧٣ / ٤

(٦) معجم الادباء ٧٠ / ٥٦ ومادة الواو ٧٣ / ٤

كل باب ما يشاكلها من الكلام الفصيح ، الذي لا يجهله العوام ، ليكون ذلك اجمع لما يريد المرتاد لما وصفنا^(١) . فاختلف بذلك عن سابقيه للخليل وابي عمرو ، اذ جمع الاول في كتابه الغريب من الألفاظ الى غيره ، وقصر الثاني جمعه على الغريب النادر في الاكثر دون الشائع المعروف ، اما البندنجي فاختار المتداول المستعمل من الألفاظ الفصيحة عما لا يجهله اكثر الناس ، وهو النوع الذي يحقق هدفه المنشود .

وبناء على هذا فقد اعفى البندنجي نفسه من شرح كثير من الألفاظ ، لعله يساوي المشروح منها في مجموع الكتاب ، اذ وجدها مألوفة مستعملة ، لا تحتاج الى تفسير ، فاكتفى بذكرها ، مثال ذلك ما بدأ به باب التاء فقال : « التَّاءُ . والتَّاءُ من النوم . والتَّاءُ . والشَّتات : الفراق . والفُتات : ما فُت^(٢) » . وادا كان هن يهمل مرة ويشرح اخرى ، فانه في احايين كثيرة كان يورد العديد من الألفاظ غير المشروحة واحدة بعد الاخرى ، وكأنه لا يريد . وقد وجد معها معروفا . الا اثبات فصاحتها في اللغة ، وقبولها القافية في الشعر ، فقال في (قافية اخرى) من باب الحاء : « الصَّبِيح . والمَلِيح . والشَّحِيح . والصَّحِيح . والمَدِيح . والنَّجِيح . والقَبِيح . والذَّبِيح . »^(٣) .

ولا يزيد شرحه للألفاظ احيانا على الكلمة او العبارة ، كما مر في النص المنقول من باب التاء ، وكما في قوله : « هَالِجٌ ما اتاك عن يمينك ، والْبَرِيح : ما اتاك عن شمالك والطَّيْح : ما استقبلك . والصَّبْح : الحجارة المراض . والصَّرِيح : الخالص^(٤) » ، على انه يطيل في مواضع اخرى مشبعا اللمعة تفسيرا ، وان لم يبلغ في هذه الاطالة مبلغ المعجمات الصخمة التي تلت ، بل بعض التي سبقته ايضا كالعين مثلا ، يقول في احدى قوافي العاء : « والإِخْلَاف : في الوعد ، يقال : وعد الرجل فأخلف ، وأخلفته انا احلاما اذا وجدته مخلفاً . وتقول : أحلف الله عليك بخير وحلف الله ايضا . ويقال : أخلف الله لك وأخلف عليك وأخلف قوه اذا تعيرت

(١) الصب ٣٧

(٢) ٢١٠

(٣) ٢٦٩

(٤) ٢٦٩

رَبِّهِ ، وقال : بان الشبابُ وأخلفَ العُمُرُ . ويقال : خَلَفَ ايضاً (١) .

وما دام المؤلف مهتماً بالتنقية ، فإنه كان يحشد ما استطاع من الألفاظ المتشابهة في الوزن ، دون أن يعنى بإيراد الأصول المجردة لهذه الألفاظ ، وإنما كان يأتي بها على أي ساء كان أو أية صيغة ما دامت كل مجموعة منها متفقة الافاعيل ، مشبهاً بذلك أبا عمرو النشيطي ، ومختلفاً عن الخليل ، وعمن تأخر عنه من أصحاب المعجمات . وحاءت جمهرة الألفاظ في التنقية على بناء المصدر أو اسمه محددتين مرة ومريدين أخرى ، مثل : (الرَّجَف) و (الرَّشَف) و (الرَّحَف) (٢) ، ومثل (الاشتفاف) و (الاعتفاف) و (الاستهداف) (٣) . ويلى المصدر واسم المصدر في الكثرة : صيغة الجمع ، مثل (السَّيَّات) و (الهبَّات) و (الصَّغَات) و (الصَّلَات) (٤) ، وقد أورد هذه الألفاظ في باب التاء ولولا اعتبار الغافية لما دخلت هذا الباب ، لأن التاء فيها أحد حروف علامة الجمع ، وليس أصيلاً فيها . وكان إذا أورد لفظة من هذه الصيغة ، نص في كثير من الأحيان على المفرد منها ، فيقول : « والمفاتي : جمع بقَّة وهي العشق . والكُرَات : جمع كُرَّة . والهبَّات : جمع هبَّة ، وهي الأمور المكروهة والدواهي . والآيات : جمع آية . » وهكذا . وإذا كانت الألفاظ التي جاءت بصيغة المفرد مذكورة في الغالب ، فإن المؤنث منها كثير ، حتى أن ألفاظ بعض القوافي مؤنثة جميعاً ، مثل : (الرَّيَّة) و (الهُيَّة) و (النَّحْيَّة) و (الحلْيَّة) و (الفديَّة) (٥) .

وطريقة البدنيجي في ترتيب الألفاظ ومعالجتها اوهمت بحقق التنقية في دراسة له غير التي في صدر الكتاب ، ان المؤلف تأثر في ذلك بكتب الاجناس ، فدل ١٠ ويلوح لي ان اعتماده على المفردة في معجمه من آثار حفظه لكتاب الاجناس

(١) ٥٨٠

(٢) ٥٧٥

(٣) ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١

(٤) ٢١١

(٥) ٢١١

٦٩٨

للاصمعي وغيره ، فقد شاع التأليف بهذا الضرب في القرن الثالث^(١) ، ثم يقتبس من كتاب الاجناس لابي عبيد امثلة يحاول ان يجد في التفتية ما يشبهها ليقول بعد ذلك : « فكما ان كتب الاجناس لا تصر (كذا) اهتماما لايراد الالفاظ وفق اي منهج معين او ترتيب واضح نلمح ذلك في التفتية ، فليس ثمة اي ترتيب هجائي في ايراد الالفاظ^(٢) » . والحق ان كتب الاجناس مؤلفات وضعت لجمع مواد المشترك اللفظي وذكر المعاني التي يتصرف اليها كل لفظ ، دون ان تعني بأي نوع آخر من الالفاظ ، شأنها شأن كتب ما اتفقت الفاظه واختلفت معانيه ، ولا تختلف عنها الا في الاسم فهي اذن من الكتب المختصة المختصرة التي يفترض في مثلها الا نرعى الى اكثر من الجمع والتعليق اليسير ، وهي ظاهرة لم تشع في كتب الاجناس حسب ، بل في جمهور الرسائل الموضوعية المختصة . هذا الى ان كتب الاجناس لم تكن خالية تمام من منهج تسير عليه . وان اهملت في الاكثر ترتيب الالفاظ على الحروف - في ايراد موادها . اذ التزمت مثلا بتكرير اللفظ المشترك مع كل معنى من معانيه مثل : « الال : آل الشخص . والال : السراب . والال : الرجل يشهد بالزور . والال الولي^(٣) » . وهذا الالتزام كما يبدو هو الذي اوهم الدارس بالتأثر ، وبينهما اكثر من وجه يختلفان فيه .

وعني البدنيجي بالشواهد عناية كبيرة ، فكثر منها ثرية وشعرية ، ونستطيع ان نتصور عمق هذه العناية بعد ان عرفنا مقدار اقتصاده بالشرح والتفسير ، وكأنه كان يحمل هذه الشواهد القسط الاكبر من عبء توضيح المعنى وبيانه ، فتنوعت شواهد وبحاصه الثرية منها ، فاستشهد بآيات القرآن الكريم^(٤) ، والحديث الشريف^(٥) ، والامثال واقوال الفصحاء^(٦) ، وغيرها . ولا يلعت النظر في ذلك سوى كثرة استشهاده بالحديث ، ولعله لم يكن يرى حظر الاستشهاد به كغيره من

(١) حله المورد ، المحطد الخامس ٣٠٦/٤ .

(٢) حله ٣٠٦/٤ .

(٣) اجناس لابي عبيد ٢ .

(٤) ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٥٥ ، ٢٤٨ ، ٥٦٩ ، ٦٩١ .

(٥) ٧٢ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨ ، ٢٩٨ ، ٤٨٧ ، ٦٥٢ .

(٦) ٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٤٣٣ ، ٥٣٠ .

للمعربين ، وهذا أشبه الخليل في عدم التوقف ازاء الاخذ به ، بل أشبهه في التوسع بهذا لا أحد على أنه حالف أبا عمرو الشباني في ذلك وفي حمل شواهد الثرية ، التي لم يحن بها أبو عمرو وعناية تذكر

واكثر من الشعر أيضا قصيدا ورجزا ، فأنشد للجاهليين امثال : رهبر^(١) ، واحدرث بن حنزة^(٢) ، وامرئ القيس^(٣) ، وتأبط شرا^(٤) ، وغيرهم ، وللمختصرين امثال : حسان^(٥) ، والحطيئة^(٦) ، وكعب بن مالك^(٧) ، وغيرهم ، وللإسلاميين امثال : دي الرمة^(٨) ، والاختل^(٩) ، وجريز^(١٠) ، والفرزدق^(١١) ، والراعي^(١٢) ، وغيرهم . ولم يقف في هذه الطبقة عند ابن هرمة الذي استشهد^(١٣) له وإنما جاور ذلك الى أوائل العباسيين مثل : اسحاق الموصلي^(١٤) ، عشبها بذلك الخليل أيضا الذي مد عصر الاستشهاد في العيين الى هذه الطبقة كما مر ، وحالف أبا عمرو الذي وقف عند حدود الطبقة السابقة . وإذا لم ينسب البديهي طائفة من هذه الشواهد الى شعرائها^(١٥) ، فإن عددها قليل قياساً الى ما نسب منها ..

وموضع البيت الشاهد لدى البديهي بعد ذكر معنى اللفظة ، وهو الموضع الطبيعي له ، ولم أجده ، حالف طريقته في هذا ، محالما الخليل وأبا عمرو اللذين

(١) ٢٣٧ ، ٥٦ ، ٤٤

(٢) ٢٩٢ ، ١٥٥ ، ٣٩

(٣) ١٢٤ ، ٢٦٥ ، ٥٩٥

(٤) ٦٠٩

(٥) ٣١١ ، ٣٢٩ ، ١٥٦

(٦) ٢٣٧

(٧) ٧٠٣ ، ٢٩٥

(٨) ٦٩٧ ، ٥٤٥ ، ٦١ ، ٥١

(٩) ٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٧٧

(١٠) ٥٤٨ ، ٤٠٨ ، ٥١

(١١) ٥٩٠ ، ٥٨٦ ، ٤٢٢

(١٢) ٣١٥ ، ٢٥٣ ، ١٦٦

(١٣) ٤٠٥

(١٤) ٣٧٩

(١٥) ٤٨٣ ، ٧٨٨ ، ٢٧٢ ، ١٦٥

كما يغتران من موضعه احيانا تقدما وتأخيرا . وكثيرا ما يعلق المؤلف على البيت تعليقات مختلفة بحسب ما يقتضيه البيت نفسه ، فتارة يشرح بعض العاطة ، كقوله في مائه (الاظلاف) : « والاظلاف : التوير ، ويقال : ظلمت ايبس في المعيين :

ألم اظلف عن الشعراء نفسي كما ظلف الوسيفة بالكراع .
فلا اقتات الا فوق قفر يذل بذى الخوافر او يقع .
الكراع : العلف من الارض . والوسيفة : ما جعت من الامل ومقته ، والاسم الظلف ومقتات : متبع^(١) وعلى الرغم من انه انشد البيت الثاني استطراداً ، فانه اولاه ، عبايته في شرح لفظة منه . ونراه تارة اخرى يذكر رواية ثانية للبيت يقول مثلاً : « والمكاء : طائر لا يغرد الا في الربيع بين الرياض ، قال ابو السجم : حتى اذا العود انتهى الصبحا وسكت المكاء ان يصيحها وهبت الافي بأن تشيحها

يروى . تسيع وتشيع ، فمن رواء تسيع .^(٢) ويبين الفرق المعنوي بين الروايتين . ونجده ثالثة يورد حبراً يعلق بالبيت ، كقوله : « والحيدوة : العطية ، بكسر الحاء وضمها ، قال ابو ذؤيب :

وقائلة ما كان حذوة بعلمها خداتئز من شاء قرد وجامر
قرد : بطن من هذيل ، وبلغني اسم كانوا رنة ، واباهم يريد الناس بقولهم : أزنى من قرد^(٣) .

وهذا الاهتمام بالشواهد لا نجد مثله باللمعات ، اد كان اهتمام السديجي به صلباً . فلم يحرص الى خلافاتها اللعوية واستعمالاتها الخاصة ، الا في موضع معدودة من الكتاب ، ولئن نسب بعض هذه اللغات وسمى قبائلها^(٤) ، لهد همل سببها احياناً ، مكتعياً بالنص على ان صورتني اللفظ لعتان ، كقوله : « والحيرو

(١) ٥٨٢ وانظر : ٤٧

(٢) ٥٢

(٣) ٧٢ - ٧١

(٤) ٦٧٦ ، ٦٧٦ ، ٤٨٠ ، ٦٦١ ، ٦٧٧

والحر ولعتان : حرو الكلب وغيره^(١) . وإذا كانت الفراءات تمثل حائناً من جواب
 الخلاصات اللهجية ، فقد أشار إليها المؤلف ،^(٢) كما أشار إلى بعض
 الطواهر اللغوية من خلال معالجته للألفاظ ، كظاهرة التضاد^(٣) ، وإن لم يصر على
 أن اللمعة من الاضداد في جميع المواضع^(٤) . وأشار إلى المعرب من الألفاظ ،
 كقوله : « والرق : الحمل ، وهي فارسية معربة^(٥) » . ولعل وجود مثل هذه المواد في
 الكتاب من آثار اطلاعه على كتب اللغويين المستقلة في هذه الموضوعات ، أو مما
 سمعه من أساتذته الثقات ، وكان البندنجي يشترط لصحة ما يسمع أن يكون من
 ثقة ، يقول مثلاً « والشكب : قرخ الكركي ، قال أبو بشر : ولم اسمعه من
 ثقة^(٦) » . على أن ابن الأعرابي وتعلياً صححاه^(٧) .

أما شيوخه الذين نقل عنهم في الكتاب ، فإنه لم يسمع منهم شيئاً ، وما
 روي أن البندنجي تعلم لابن الأعرابي (ت - ٢٣١) وأبي نصر الباهي
 (ت - ٢٣١) ، وعلى بن المغيرة الأثرم (ت - ٢٣٢) ، وابن السكيت (ت - ٢٤٤)
 وأبي إسحاق الريادي (ت - ٢٤٩) وأبي الفضل الرباعي (ت - ٢٥٧)^(٨) ، ولكنهم
 لم يكونوا شيوخه في (التفنية) ولم يرد ذكر أحدهم فيه ، وإنما روى البندنجي في
 كتبه عن أبي عمرو بن العلاء (ت - ١٥٧)^(٩) ، والخليل بن أحمد
 (ت - ١٧٥)^(١٠) ، ويونس بن حبيب (ت - ١٨٢)^(١١) ، والفراء (ت - ٢٠٧)^(١٢) ،

(١) ٦٧٣

(٢) ٤٨٢ ، ٥٩٩

(٣) ٦١٦ ، ٦٩٨

(٤) ١٣٩ ، ٢١٠ ، ٥٩٤

(٥) ٦١٣ .

(٦) ١٣٨ - ١٣٩

(٧) ١٣٩ (الخامس)

(٨) معجم الأسماء ٥٦/٢٠ وأبياء الرواة ٧٣/٤ ونكت للميدان ٣١٣ وبقية الرواة ٢٥٢/٢

(٩) ١٩٢ ، ٦٦٩

(١٠) ٦٧٣ ، ٦٨٧

(١١) ٥٢٤ ، ٦٦٩

(١٢) ٦٠٦

وابي عبيدة (ت - ٢١٠) ^(١) ، والاصمعي (ت ٢١٣) ^(٢) ، وابي زيد (ت - ٢١٥) ^(٣) وابي حاتم (ت - ٢٥٥) ^(٤) ، وهم ممن لم يتلمذ لهم ، لأنه لم يدرك الاوائل منهم ، وادرك من بعدهم خطأ ، غير انه كان عكس ان سلمي لابي حاتم ولكن لم يرو عنه ذلك ، ولعل ذلك يعود لامرين الاول ان السديحي لم يقصد العصرة وانما قصد بعداد فأخذ عن اخذ فيها ، والثاني انه لما صدر ابو حاتم محلس الدرس اللغوي بأخرة من حياته كان السديحي المولود سنة (٥٢٠ هـ) قد شب عن طوق النعمة ، واكتملت شخصيته العلمية ولا شك ان الحكيم عن هؤلاء تحت موطئين ، الاولى . شيوخه الذين سمع منهم ، وكانوا قد سمعوا من اولئك ، ولم يذكر اسما شيوخه الذين كانوا الوساطة بينه وبين العلماء المذكورين كما اسلفنا . والثانية . مؤلفات اولئك العلماء ، ويظهر من بعض بقوله عنهم 'ما عن مؤلفاتهم ، لاتحاد النص المنقول في الكتاب مع ما في نلكم المظان . كما يتضح ذلك من اتحاد حكايته عن الخليل مع ما في (العين) مثلاً ^(٥) ومثله كثير جهده المحقق في تتبعه وموازنته ^(٦) .

وبعد ، فنحن واحدون في نصاعيف الكتاب ثلاثة اسما ترد معلقة على كثير من المواد ، والتعليقات مجملها تهتم بتصويب ما اخطأ فيه السديحي ، او بالاستدراك عليه في الشروح والشواهد ^(٧) واصحابها هم : ابو جعفر احمد بن عبد الله بن مسلم الديوري . نجل اس فتية (ت - ٣٢٢ هـ) وابو عمر الزاهد ، محمد بن عبد الله . المعروف بعلام ثعلب (ت - ٣٤٥ هـ) واس خالويه ، ابو عبد الله الحسين بن احمد الحمداني (ت - ٣٧٠ هـ) ولم تذكر لنا كتب الطبقات ان هؤلاء تلمذوا للمؤلف والذي يبدو انهم كانوا قد درسوا الكتاب وعموا بمادته ، وكان

(١) ٥٩٩ ، ٦٢٤

(٢) ٦٠٤ ، ٦٢٤

(٣) ٦٠٤

(٤) ٥٩٠

(٥) ٦٧٣ ، ٦٨٧ واليمين (للخطوط) ٥٦ ب ، ٢٤٤ ب .

(٦) عمله المورث ٣٠٣ / ٤ - ٣٠٤

(٧) ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٩

لهم عليه ملاحظات ، لعلها كانت مدونة على حواشي الاصل الذي نسخت منه السحرة ، ثم ادخل الناسخ هذه الحواشي في متن الكتاب منسوبة الى اصحابها^(١) وليس لتقنية بدعاً في هذا ، فقد مر بنا كتاب (التواذر) لابي زيد (ت - ٢١٥) ، وراينا كثرة التعليقات التي افترضتها لعدد اكبر من العلماء الدارسين .
أشهره :

اشرب الى ان التقنية من حيث انه مبوب على الحروف المجانية مسبوق بالجمع لابي عمرو الشيباني ، وافترضنا ان يكون متأثراً به . الا انه من حيث اعتباره الحرف الاخير من الالعاط في ترتيبها على القوافي ، السابق الى هذا المذهب ، وقد احتدته المعجمات التي اختارت فكرة التقنية في ترتيب مفرداتها ، كالصحاح للجوهري (ت - ٣٩٨ هـ) ، والعياب والتكملة للصفاني (ت - ٦٥٠ هـ) ، ولسان العرب لابن منظور (ت - ٧١١ هـ) والقاموس المحيط للفيروز ابادي (ت - ٨٨١٧ هـ) وتاج لعمروس للزبيدي (ت - ١٢٠٥ هـ) واذا كان السديجي قد اعمل الحرفين الاول والثاني من مواده فان هذه المعجمات نظرت اليها وطورت منهجه وعرف بنظام الابواب والفصول .

٢ - معجمات المعاني :

الغريب المصنف : لابي عبيد القاسم بن سلام (ت - ٢٢٤ هـ)

وهو اقدم ما وصل الينا من معجمات المعاني ، وتوجد منه نسخ في بعض المكتبات اذ نقني مكتبة امجدية في تونس نسخة كتبت سنة (٤٠٠ هـ) رقمها ٣٩٣٩ ، ومكتبة الفاتح باستانبول نسخة رقمها (٤٧٠٦) ، ودار الكتب المصرية نسختين رقمها (١٧٦٤) ، ومكتبة المتحف العراقي نسخة رقمها (١٦٢٨ لغة) كتبت في اوائل هذا القرن ، لخزائن احمد تيمور باشا ، ثم وقعت في ملك الاب ستاس ملوي الكرملي^(٢) ، وعلى هذه النسخة اعتمد في الدراسة .

(١) تقنية ٢٥

(٢) الغريب المصنف ١ وتاريخ بركة كليات ١٠٦/١ والمخصص لابي عبيد دراسة ودليل ٢٤ وعنه الماعل العربية ،

نسبة المالك ٤٦٦/٦

وقبل ان نتجه الى صلب الكتاب ، ارى ان نقف قليلاً على ما قاله المقطعي في حقه ، قال وهو يتحدث عن ابي عبيد : «وقد سبق الى اكثر مصنفاته ، فمن ذلك (الغريب المصنف) ، وهو من اجل كتبه في اللغة ، فانه احتل في كتاب النصر بن شميل المازني الذي يسميه كتاب (الصفات) ، وبدأ فيه بخلق الانسك ، ثم بحلق الفرس ، ثم بالابل ، فذكر صنفاً بعد صنف ، حتى اتى على جميع ذلك وهو اكبر من كتاب ابي عبيد واحود^(١)» والى مثل هذا كان ابن النديم قد ذهب^(٢) .

والحق ان في ذلك غلواً كبيراً ، فلو وازنا بين ما ذكره ابن النديم من اجراء كتاب (الصفات) وابوابه ، وكتب الغريب المصنف وابوابه ، لظهر الفرق الكبير فيما استجد في الغريب المصنف من الكتب والابواب ، فكتاب الصفات خمسة اجزاء تضم ما يقرب من ثلاثين باباً ، على ما ذكر ابن النديم^(٣) . ولعل مصطلح (الجزء) في الصفات يقابل مصطلح (الكتاب) في الغريب المصنف فان كان كذلك ، فالغريب المصنف ثلاثون كتاباً او قريب من ذلك ، تضم ما يقرب من الف باب ، تختلف طولاً وقصراً ، يبلغ اطولها سبع صفحات واقصرها نصف سطر . يضاف الى هذا ان ابا عبيد حين التزم ذكر مصادره من اللعويين والاعراب الفصحاء في اغلب ما يورده من مواد ، ظهر مدى اعتماده على مثل الاصمعي (٢١٣) وابي عبيدة (٢١٠هـ) وابي زيد (٢١٥) وغيرهم من البصريين والكسائي (١٨٩) وابي عمرو الشيباني (٢٠٦) والعمري (٢٠٧) وغيرهم من الكوفيين * حتى ان تتبع احدهم في الباب يشعر ان ابا عبيد ينقل عما في كتابه بنصه كالذي نجده مثلاً في ابواب (النحل)^(٤) ، اذ يحرر ان نقراً فقرة من فقرات هذه الابواب لا تبدأ بقال لاصمعي ، وموادها تشبه ما في كتاب (النحل) المسوَّب لـ الاصمعي الى حد كبير .

فكيف يكون بعد هذا كتاب الصفات للنصر المثال الذي احتذاه الغريب المصنف ، او ان يكون اكبر من كتاب ابي عبيد او اجود على ما يزعم المقطعي ؟ ونقل

(١) ابي الفروخ ١٤ / ٣

(٢) الفهرست ٧٧

(٣) هـ ٧٧

(٤) الغريب المصنف ٢٥٩ - ٢٦٨

ابن المديم عن المشعري (المسعري) تلميذ ابي عبيد انه قال : « سمعت ابا عبيد يقول : هذا الكتاب احب الي من عشرة آلاف دينار ، يعني الغريب المصنف ، وعدد ابوابه على ما ذكر الف باب ، ومن شواهد الشعر الف ومائتا بيت^(١) » . ونقل السيوطي عن قال : « عُدَّتْ ما تضمنته الكتاب من الالفاظ ، فأنشئت فيه مسحة عشر الف حرف وسبع مئة وسبعين حرفاً^(٢) » غير ان ابا عبيد قال في الرد على اسحاق الموصلي الذي زعم ان في الغريب المصنف الف حرف خطأ : « كتاب فيه اكثر من مائة الف يقع في الف ليس بكثير ، ولعل اسحاق عدده رواية وعنتنا رواية فلم يعلم فخطأنا^(٣) » .

وذكر الففطلي ان ابا عبيد قال متحدثاً عن كتابه الغريب المصنف : « مكثت في تصفيف هذا الكتاب اربعين سنة ، اتلف ما فيه من اقوال الرجال ، فاذا سمعت حرفاً عرفت له موقعا في الكتاب بت تلك الليلة فرحاً^(٤) » وهو يشبه ما قاله في كتابه (غريب الحديث)^(٥) ، ولعل وجود لفظ (الغريب) في كلا الكتابين اوقع الرواة في الوهم ، فنسبوا للثاني ما قاله في الاول وبلغ الكتاب من المزية ان قال فيه شعور : وما للعرب كتاب احسن من مصنف ابي عبيد^(٦) .

ولم يكن ما اتهم به الغريب المصنف من محاكاة غيره بدعاً بين كتب ابي عبيد ، فكتابه « في غريب القرآن » متزعم من كتاب ابي عبيدة^(٧) ، وكتابه « في غريب الحديث » فانه اعتمد فيه على كتاب ابي عبيدة في غريب الحديث^(٨) ، ولم اهتم الى تفسير كل ذلك ، الا ان يكون المقصود سبق اولئك العلماء ابا عبيد الى التأليف في هذه الموضوعات ، فابو عبيدة (ت - ٢١٠) سبق ابا عبيد الى التأليف في غريب

(١) الفهرست ١٠٧

(٢) معية الرعاة ٣٧ وانظر : الاسماء ٢١ / ٣

(٣) ابد الرواة ٢٠ / ٣

(٤) لامة ٢٢ / ٣

(٥) حقه ١٦ / ٣

(٦) حقه ٢٣ / ٣

(٧) معجم الادباء ٢١٠ / ١٦

(٨) حقه ٢١٣ / ١٦

القرآن وغريب الحديث ، كما سبق النضر بن شميل (ت - ٢٠٣) الى تأليف (الصفات) . فان كان ذلك ما أرادوا فتحم ، على انهم لم يتهموا غيره بمثل ما اتهم به ، وكثيرون هم الذين سبقوا الى موضوعاتهم كأبي عبيد ، فيكونون قد ارادوا غير السبق ، ارادوا مادة الكتاب نفسها انها (متزعة) من كتاب غيره ، وهذا ما بطله البحث العلمي للمقارن . اما ان يكون النضر قد ارتضى منهج معجمات المعاني المؤلفة قبله باسم الصفات أو الغريب المصنف ، فوضع كتابه متوسعاً في مادة ومطوراً للمهجع ومقترباً من العمل للمعجمي ، فجاء ابو عبيد وارضى المهجع وشارك في تطويره فوضع الغريب المصنف مضيفاً اليه الحديد من الابواب والمعاني والالفاظ ، فان ذلك لا يعني ان ابا عبيد احتذى كتاب النضر ، وانما يعني انه اختار النظام نفسه لا غير ، وهذا يصدق على الاغلب الاعم من معجمات المعاني منذ ابي عبيد .

نعود الآن الى الكتاب ، واول ما نفتقده فيه مقدمة يبسط المؤلف فيها الكلام على المنهج والمصادر وطبيعة المادة وما الى ذلك مما يعيننا على التعرف على الكتاب والاحاطة بموضوعه ، مثله في هذا مثل كثير من مؤلفات عصره ، واقرئها مثلاً بيه (الالفاظ) لابن السكيت ، و (المعاني الكبير) لابن قتيبة ، وسيأتي درسهما الا ان مصادر ترجمته تذكر انه حين الف الغريب المصنف قدمه الى عبد الله بن طاهر وكانت بينهما صيحة ، فأجزل له العطفية^(١) .

قسم ابو عبيد معجمه على ما يقرب من ثلاثين كتاباً تمثل الموضوعات الرئيسية ، مثل : كتاب خلق الانسان ،^(٢) ، كتاب النساء ،^(٣) ، كتاب اللبس ،^(٤) ، كتاب الاطعمة^(٥) ، كتاب الامراض^(٦) ، كتاب الدور والارضير^(٧) ، كتاب

(١) معجم الاقبياء ١٦ / ٢٥٨

(٢) الغريب المصنف ٢ - ٥٩

(٣) ص ٥٩ - ٧٤

(٤) ٧٦ - ٨٨

(٥) ٨٨ - ١١٠

(٦) ١١٠ - ١٢٥

(٧) ١٢٥ - ١٣٨

والخيل^(١) ، كتاب السلاح^(٢) ، كتاب الطير^(٣) كتاب الحشرات^(٤) ، كتاب الاواني
والصور^(٥) وغيرها ثم قسم كل كتاب على ابواب يختلف عددها ومقدار مادتها
بحسب الكتب ، وهي تمثل الموضوعات التي تتفرع من الموضوع المعنوي له
الكتاب ، فهي كتاب خلق الانسان مثلاً نجد : باب تسمية خلق الانسان
وبعته^(٦) ، وباب بعوت خلق الانسان^(٧) ، وباب بعوت دمع العين وعزورها
وصعيمها وغير ذلك^(٨) ، وباب اسماء النعم^(٩) ، حتى ينتهي الكتاب باب نزع
لويد الى ابيه والصحة في السب^(١٠) ، ولا يريد هذا الباب على ثلاثة اسطر ، وبلغ
طول كتاب خلق الانسان سبعاً وخمسين صفحة ولعله من اكبر كتب المعجم

وبلاحظ في كتاب خلق الانسان ان تتابع الابواب فيه لم يكن وفق اساس
موضوعي معين ، وانما جاء بها كيما اتفق ، وهذا ما نجده في جميع كتب العرب
المصنف ، اذ لا منهج في ترتيب الابواب ، وهو يصدق ايضاً على جميع معجمات
المعاني التي سارت على نظامه كما سنرى في (الالفاظ) و (المعاني الكبير)
و (الحرائيم) ، ويبدو من اعتماد ابي عبيد في هذا الكتاب على الكسائي ، وابي
عمر والشيباني ، والاصمعي ، وابي زيد ، وابي الاعرابي^(١١) ، انه وقف على
كتبهم في خلق الانسان ، وخصوصاً الاصمعي فهم^(١٢) ، جميعاً - سوى الكسائي -
من ألف في هذا الموضوع على ان موازنة مادة الغريب المصنف بكتاب الاصمعي لا

(١) ١٣٨ - ١٤٥

(٢) ١٤٦ - ١٦٥

(٣) ١٦٥ - ١٧٠

(٤) ١٧١ - ١٧٦

(٥) ١٧٧ - ١٩٩

(٦) ٢ - ١٣

(٧) ١٤ - ١٦

(٨) ١٧ - ١٩

(٩) ٢٨ - ٢٩

(١٠) ٥٩

(١١) ٢١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩

(١٢) حقه اوعت هجر وشره في (الكبر اللعوى) بيروت سنة ١٩٠٣ م من ١٥٨ - ٢٣٢

بدل على المل الحرف في او الاعتماد المباشر ، بل كان ابو عبيد فوق هذا اكثر من الاصمعي عند العاط ، واقل منه استهاداً بالشعر^(١) والفتاح الى الصيغ المختلفة للياه .

ومثل هذا ما تلاحظه في كتاب الخيل الذي ضم احد عشر باباً^(٢) ، عالج فيها حملها وتاجها وولادتها وطاقمها وصفات اعضائها وما الى ذلك ، معتمداً على الاصمعي في اغلب مواضع الكتاب ، على انه لم يضيف الى مادة الاصمعي في كتابه شيئاً يذكر^(٣) ، وكان اكثر منه اختصاراً في الشرح واقل استهاداً بالشعر . ويقرب ذلك ايضاً في كتاب الوحش^(٤) وكتاب السباع^(٥) ، اما كتاب النخل فانه يبدأ كثيراً من فقراته بقال الاصمعي^(٦) ، مما يشير الى اعتماده الكبير على كتاب الاصمعي ، وموارسته بكتاب النخل المنسوب الى الاصمعي تعصداً ما نذهب اليه^(٧) ، واما كتاب الحشرات ، الذي افرد فيه باباً للجراد^(٨) وباباً لليعاسيب والجناد^(٩) ، وباباً للعطف والحرباء^(١٠) ، وباباً للحيات ونعوتها^(١١) ، وباباً للعقارب^(١٢) ، وباباً للدممل والقمل^(١٣) ، وباباً للدباب^(١٤) ، وغيرها . وعالج فيها صفات هذه الحشرات واسماءها المختلفة ، ملتفتاً الى ما يتصل بالالعاط من صيغ ومشتقات ، وذاكراً بعض اللغات ، ومشداً قليلاً من الشعر . فان مادة هذا الكتاب دون الشواهد والاعلام

(١) ١٨ ، ٢١

(٢) ١٣٨ ، ١٤٥

(٣) انظر الخيل للاصمعي (مجلة كلية الادب ، ١٩٦٩ م) ص ٢٥١ ، ٣١٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ .

٣٧٧ ، ٣٧٩

(٤) ١٣١ - ١٣٩

(٥) ١٣٩ - ١٤٦ وانظر الوحش للاصمعي ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٩

(٦) ٢٥٩ - ٢٦٨

(٧) النمل للاصمعي (المجلد) ٦٤ - ٧٢

(٨) ١٧١

(٩) ١٧١

(١٠) ١٧٢

(١١) ١٧٣

(١٢) ١٧٤

(١٣) ١٧٥

(١٤) ١٧٦

نصها في كتاب العم والبهائم والوحش المنسوب الى ابن قتيبة^(١)، وستقف على هذا في دراستنا لكتاب (الخرائيم) .

وعند ابو عبيد باباً لنوادير الاسماء^(٢) ، وآخر لنوادير الافعال^(٣) ، ولم يجمعها بكتاب مفرد ، وانما اجمعها بكتاب الاواني والقدور دون مسوع . ولم يخصص كلا منهما له حصه به ، فوجد في نوادر الاسماء بعض الافعال ، وفي نوادر الافعال بعض الاسماء ، فافعه هذا بتكرير بعض المواد . على انه كان مقصداً كعادته ، فحين يذكر اللفظ لا يلتفت الى صيغه وتصاريقه ، سوى ما يكسح به الاسم المفرد من ذكر جمعه ، او الفعل الماضي من ذكر مضارعه او مصدره احياناً نادرة . وشرحه قصير وشبه هذه قليلة اكثرها غير مسبوقة ، وكان عماده في هذين البابين على ابي عمرو الشيباني والعراء وابي عبيدة والاصمعي والاحمر ، كما نقل عن بعض الاعراب لمصحاء كابي الجراح وابي العديس وابي الوليد ، ولم يكن النقل عن مثل هؤلاء لاعراب مطرداً في جميع ابواب المعجم ، وانما ذكرهم هنا لما تقتضيه النوادر من مشافهة هؤلاء .

وهذه الطواهر التي لمسناها في هذه الكتب نجدتها ايضاً في كتاب امثلة الاسماء^(٤) ، وكتاب امثلة الافعال^(٥) ، اللذين عالج فيها اوران الاسماء وصفاتها ، وصيغ الافعال وتعليقها ولزومها وما يشتق منها ، ووقف عند دلالة فعل وافعل اتفاقاً واختلافاً ، وهو فيها على طريقتيه في الاختصار وقلة الاستشهاد وعزو الاراء الى اصحابها . ومثل هذا في الابواب المخصصة للمصادر ، مثل باب مصادر الافعال بالحسد وغيره^(٦) ، وباب اسماء المصادر التي لا تشتق منها اعمال^(٧) ، وباب

(١) العم والبهائم ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١٢٢

(٢) ١٨٣ - ١٩٢

(٣) ١٩٢ - ٢٠٩

(٤) ٢٨١ - ٣١٧

(٥) ٣١٧ - ٣٣٢

(٦) ٥٥١ - ٥٥٢

(٧) ٥٥٢ - ٥٥٤

المصادر في العدد^(١) ، وباب المصادر التي عليها مثال فَعَلَتْ فَعَلًا يمتنع العين^(٢) وباب المصادر على مثال مفعول^(٣) . وهو في هذه الابواب يتنقل اكثر ما يتنقل عن الكسائي (ت ١٨٩) وابي زيد (٢١٥هـ) ، ولا يلغى فيها الى اكثر من ذكر الفعل او اللفظ الذي اخذ منه المصدر ، مع قلة شديدة من الشواهد .

ونلاحظ في الباب الذي عقده للمعنى باسم (باب الاسمين يصم احدهما الى صاحبه فيسميان جميعاً به)^(٤) ، والذي اعتمد فيه على الكسائي والفراء واس الكسبي والاصمعي والاحمر وابي زيد^(٥) ، نلاحظ انه لم يدرج فيه على ايراد اللفظ والاستشهاد له ، وانما كان يقدم الشاهد على اللفظ ، وذلك بان يتسرع من البيت اللفظ ويشرحه ، ولعله في هذا متأثر بابي عمرو والشيباني الذي فعل ذلك كثيراً في معجمه كما مر ، ولعل ابن قتيبة ايضاً متأثر ابا عبيد فاختار هذا المنهج اساساً لمعجمه (المعاني الكبير) ، كما سيأتي درسه .

وحصص الهمز بثلاثة ابواب ، باب الهمز^(٦) وباب ما يهمز من الحروف وما لا يهمز^(٧) ، وباب ما ترك فيه الهمز واصله الهمز^(٨) ، ولا تتعدى مجموعها ثلاث صفحات ، اورد فيها الالفاظ المهموزة دون ان يعنى بشرحها او الالتفات الى صيغها ومشتقاتها ، واقتصد بالشواهد كثيراً سوى بيت غير منسوب وحديث لعبد الله بن سلام، وعماده فيها على الكسائي وابي عمرو وابي عبيدة والاحمر واليزيدي والاصمعي وابي زيد ، ويبدو من كثرة النقل فيها عن الاخير انه وقف على رساله في الهمز ، وموازنة الابواب بهذه الرسالة تعضد ذلك ، فبين ماديها شبه كبير^(٩) ، كما تدل

(١) ٥٥٤

(٢) ٥٥٥

(٣) ٥٥٥

(٤) ٥٤٦ - ٥٤٣

(٥) ٥٤٤ ، ٥٤٥

(٦) ٥٥٠ - ٥٤٨

(٧) ٥٥٠

(٨) ٥٥٠ - ٥٥١

(٩) للمعري لابي زيد ٦ ، ٧ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٢

موارنه هذه الابواب بياب الحمز في كتاب (الالفاظ) لابن السكيت على رجوع ابن السكيت اليها والنقل منها^(١) . ومثل هذا ما نجده في كتاب الاطعمة^(٢) ، وكتاب مكارم الاخلاق^(٣) ، وباب النقي في قولك مالك منه يد ، وباب الطيالة ولاكسيه^(٤) ، اد لم يكتب ابن السكيت بنقل عنوانات هذه الكتب والابواب الى (الفاظه) وانما اتخذ كثيراً من مواضعها^(٥) .

ويغني باب المصاع والآنية في الغريب المصنف^(٦) الذي اعتمد فيه ابو عبيد على الكسائي والعراء وابي زيد كثيراً، واستشهد فيه بييتين لا غير، على ان اكثر مادته دخلت بعضها كتاب الرحل والمرل او باب الرحل والآلة والاداني من كتاب الحرائم المسبوق الى ابن قتيبة^(٧)، سوى انها في الموضع الاخير متحففة من اسماء اللعويين والشواهد على قلتها ، وسأتي عليه . كما نجد شيئاً قليلاً من مادة هذا الباب دخل (الفاظه) ابن السكيت^(٨) .

وانتمت ابو عبيد وهو يجمع موضوعاته الى الفاظه الطواهر اللغوية فعقد لها ابواب . باباً للاضداد^(٩) ، اعتمد فيه على ابي عبيدة والاصمعي وابي زيد^(١٠) ، ولاول والثاني ممن الف في الاضداد^(١١) . وباباً للمقلوب^(١٢) ، وباباً للمبدل من الحروف^(١٣) ، مثل مدَّهه ومدَّحه . وباباً للمحول من المصاعف^(١٤) ، مثل قصبتُ

(١) الالفاظ ٦٧٢ ، ٦٧٣

(٢) ٨٨ - ١١٠

(٣) ٤٤٨ - ٥١٨

(٤) ٧٨ - ٧٩

(٥) الالفاظ ٦٣٥ - ٥٦٨ - ٦٢١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٠

(٦) ١٨١

(٧) الرحل والمرل (البلد) ١٣١

(٨) الالفاظ ٥٣١ - ٥٣٢

(٩) ٥١٤ - ٥٢٥

(١٠) ٥٢١ ، ٥٢٠ ، ٥١٨

(١١) القهرست ٨٠ ، ٨٢ وحسن لوغمت هجر اضداد الاصمعي وطبعة بيروت ١٩١٣ .

(١٢) ٥٢٥ - ٥٢٩

(١٣) ١٣٠ - ٥٢٩

(١٤) ٥٣١

أطهارى بمعنى فصّنت . وبابا للاتباع^(١) ، وبابا للتذكير والثاني^(٢) ، وبابا لما دخل من غير لغات العرب في العربية^(٣) ، اعتمد فيه على أبي عبيد والاصمعي على وجه الخصوص ، والتفت في معالجة اللفظ فيه إلى أصله ، ولعته ، ومعناه ، ومقابله العربي ، مع قليل من الاستشهاد . وبابا للأسماء المحتملة للشيء الواحد^(٤) ، وبابا للأجاس ، وهي الفاظ المشترك ، يقول فيه : « سمعت الاصمعي يقول العرض خلاف الطول ، والعرض ما كان من مال غير نقد والجمع عروض ، والعرض الحمل ، قال ذو الرمة :

كما تَدَقُّدُ من العَرَضِ الجَلَامُ

والعرض الأمر بعرض للرجل يتلى به ، والعرض أيضا حطام الدنيا^(٥) . وهكذا يعالج سائر اللفاظ ، اختصار في الشرح وقلة في الاستشهاد ، وبدرة في الرواية . ونحن نعلم أن أبا عبيد اُفرد هذا النوع من اللفاظ بكتاب مستقل^(٦) .

وعقد للغات ثلاثة أبواب ، الأول للحروف التي فيها لغتان بمعنى واحد^(٧) . والثاني للحروف التي فيها ثلاث لغات بمعنى واحد ، والثالث للحروف التي فيها أربع لغات بمعنى واحد^(٨) وطريقته في معالجة مواد هذه الأبواب لا تختلف عن طريقته المعهودة ، وطواهر المهج غير طواهره السابقة . ثم عرج على اللحن ، فحصى لحن العامة بباب (ما خالفت فيه العامة لغات العرب من الكلام^(٩)) لم يأت فيه - وهو صفحة واحدة - بشيء جديد . وحصى لفظة اللحن بباب سماء باب

(١) ٥٣٣-٥٣١

(٢) ٥٣٤-٥٣٣

(٣) ٥٤٢-٥٣٩

(٤) ٥٧٣-٥٧٢

(٥) ٥٩٥

(٦) الأجناس طبعه

(٧) ٥٣٦-٥٣٤

(٨) ٥٤١

(٩) ٥٤٣-٥٤٢

المحسن ، لا يتجاوز الاسطر الفلاكل ، قال فيه : « ابو زيد : لحن الرجل يكحن لحاً
 اذا تكلم ملعته ، ولحّت له لحاً اذا قلت له قولاً يفقهه عنك ، ويخفى على غيره
 وحنه عني لحاً اي فهمه ، ولحنته انا اياه الحانا . غيره : لا حنت الناس فاطتهم ،
 ولحن الرجل . اذا أخطأ في الاعراب^(١) » . وهذا الباب بصفة ، ولا يلي موضعه
 موضع الباب السابق ، وانما تفصلها ابواب . وهو قليل المادة موحز الشرح ، حال
 من الشواهد ، ولم يسم فيه من الاعلام غير ابي زيد ، ولم يصرح باسم الآخر الذي
 اشر اليه بعبارة (غيره) . وكان قد عهد بابا لعيوب الشعر^(٢) ، وآخر لما يقال في
 القوي^(٣) ، ولعل مؤلف الخرائيم تأثر بصيغ ابي عبيد فعقد لهذا الموضع بابا في
 آخر كتابه^(٤) .

يخص من هذه الوقفات الدارسة لكتب العريب المصنف وابوابه ، الى ان ابا
 عبيد تميز فيه بمهيج خاص لا يخلو من عيوب ، اهمها : عدم ترتيب ابواب الكتاب
 الواحد ترتيباً ما ، وعدم ترتيب مواد الباب ترتيباً ما ، والاختصار الشديد في تفسير
 الالفاظ ، والقلة المفرطة في الشواهد مع عدم تنوعها اذ لم تتجاوز الشعر والقرآن الى
 الحديث الا نادراً^(٥) . وعدم تجاوز الشعر عصر الامويين^(٦) ، مع كثرة مواضع اهمال
 سببه^(٧) . على انه من الجانب الآخر احتصر بحسبات اهمها انه يعد تطوراً في
 معجمات المعاني ، عدد الفاظ وعدد ابواب ، وان مؤلفه التزم نسبة الآراء والاقوال
 الى اصحابها اللغويين والاعراب^(٨) بل كاد يلتزم ايضاً بالنص على الآراء المتفقة
 ولاخرى المختلفة^(٩) ، فحفظ لنا بذلك من اللغة قدراً كبيراً .

(١) ٦٤٩

(٢) ٥٦١

(٣) ٥٦٢

(٤) فهرست مخطوطات الطائفة ٨٢

(٥) ٥٤٩

(٦) ٥٩ ، ٥٢٠ ، ٣٨٩ ، ٥٩٥

(٧) ٣٨٩

(٨) ٧٨ ، ٧٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ .

(٩) ٧٩ ، ٦٣٧

أثره :

أول ما ظهر حوله رسالة (فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته) لأبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي (معاصر ابن المعتز)^(١) ، تلا ذلك كتاب (ما أنكره الأعراب على أبي عبيد فيما رواه أو صنفه) لأبي عمر الراهد (ت ٣٤٥)^(٢) ، ثم كتاب (شرح أبيات غريب (كذا) المصنف) لأبي محمد يوسف بن الحسن السيرافي (ت ٣٨٥)^(٣) ، وكتاب (شرح الغريب المصنف) لأحمد بن محمد بن أحمد الرمي (ت حدود ٤٦٠)^(٤) ، وكتاب (مختصر الغريب المصنف) لأبي يحيى محمد بن رضوان النعمري (ت ٦٥٧)^(٥) . هذا سوى ثمره فيما جاء بعده من معجمات المعاني ، مما سنعرض إلى بعضها الآن

الالفاظ : لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)

وهو ثاني ما وصل إلينا من معجمات المعاني ، غير أنه لم يصل كما وضعه المؤلف ، وإنما وصل تهذيب الخطيب التبريري (ت ٥٠٢ هـ) له . فعرف الكتاب بتهذيب الالفاظ ، وطبعه الآب لويس شيخو اليسوعي مخففا في بيروت بمطبعته الكاثوليكية سنة ١٨٩٥ هـ . ثم أعاد الآب اليسوعي طبع الكتاب حاذفا منه زوائد التبريري وشروحه وتعليقاته ، سميا إياه (مختصر تهذيب الالفاظ) ، وكان عليه أن يسميه كتاب (الالفاظ) لأنه هو المتش دون التهذيب ، وكان نشره بيروت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٧ م . وقد اعتمدنا التهذيب في الدراسة دون المختصر ، وذلك لعله سيرة تفصيلها في موضعه ، وهي أن مادة التهذيب التي تعود للخطيب التبريري لم تكن جميعا في حواشي الأصل . كما هو عليه المطبوع . وإنما دخل بعضها من الكتاب . وليس في الكتاب مقدمة نمرى لابن السكيت ولا أخرى للخطيب التبريري ، وإنما تصدرت إحدى السحتين الشير طبع منها الكتاب . مقدمة

(١) الفهـ ١١٠

(٢) صفـ ١١٤

(٣) انباء الرجال ٦٢ / ٤

(٤) بغيه الرعدة ٣٦١ / ١

(٥) صفـ ١٠٤ / ١

الخطيب التبريري لكتابه الذي هذب به اصلاح المطلق لابن السكيت ، يبدو ان
 ساسع نعلها في هذا الكتاب لما وجد فيها من فائدة ، ولما رأى من نشانه عمل المهدب
 في كلا كتابين ، وهي تشير الى ان الدافع الذي دفع التبريري الى تهذيب اصلاح
 بعض ما وحده من التكرار والزيادة في بعض مواضع الكتاب ، وما اصاب بعض
 الشواهد من الخلط ، وما اقتضت اليه بعض الالفاظ من تفسير^(١) . ولعل هذه
 لأسباب هي التي دفعته ايضا الى تهذيب (الالفاظ) . وتتصدر الصفحة الثانية من
 سحني تهذيب الالفاظ ذكر بعض من قرا الكتاب على الخطيب التبريري او سمعه
 عليه ، وهذه القراءات والسماعات تصرح بان كتابها هو التبريزي نفسه ، فهو
 امتحدث فيها والمؤرخ لها ، كما يشير الى ان النسخة كتبت في حياته ، يعصد ذلك ما
 دونه لناسخ في اولها : « كتاب تهذيب الالفاظ لابي يوسف يعقوب بن اسحاق
 السكيت رحمه الله ، هديه الشيخ الامام الاوحد ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب
 التبريري ادام الله امتاع اهل الادب ببقائه »^(٢) .

ولكتاب بصورته التي بين ايدينا ، منقسم الى (١٤٨) بابا مختلفة طولا
 وقصرا ، منها ما يزيد على عشر صفحات^(٣) ، ومنها ما يقل عن الصفحة
 الواحدة^(٤) . وليس في الكتاب تقسيم آخر ، فلا يجمع الابواب المتشابهة في
 موضوعها (كتاب) ، ولا ينقسم الباب الواحد الى فصول صغيرة تنفرع منه ، وإنما
 تدبعت ابواب الكتاب واحدا بعد الآخر ، وهذا يختلف ابن السكيت عن ابي عبيد
 الذي كان يعنى بصريح الابواب الصغيرة من الباب الكبير . على اننا لا نستطيع ان
 نقطع في ان هذا من صرح ابن السكيت او الخطيب التبريزي ، لانه يوجد بيننا وبين
 الصورة الاولى للكتاب وسيط ، ولعل هذا الوسيط - وهو تهذيب الكتاب - مديده الى
 التقسيم ايضا ، وان لم يصرح في مقدمته لاصلاح المطلق انه فعل ذلك . وعلى
 الرغم من ذلك فاننا لا نعلم ان نجد ونحن نتابع مواضع الابواب في الكتاب ،

(١) تهذيب الالفاظ (المقدمة) ١٥

(٢) تهذيب الالفاظ (المقدمة) ١٤

(٣) ٧٠

(٤) ٥٠٢

محاولة وضع الابواب المتشابهة او المتقاربة في موضوعها في مكان واحد . كالدى
 تحده مثلا من تتابع الابواب المتعلقة بالنساء وصفاتهن^(١) ، او الابواب الخاصة
 بصفات الشمس والقمر والليل والنهار^(٢) .

وإذا كانت جل ابواب (الالفاظ) معقودة للموضوعات المحتتمه المؤلف في
 معجمات المعاني . مثل : باب الغنى والخصب . باب الفقر والجذب . باب
 الجماعة باب المرض باب الشجاعة باب التهمة باب الذهب
 للانسان باب الخروع . وغيرها^(٣) . فاننا نجد بينها ما يند عن موضوعه . محالها
 طبيعة الموضوعات الاخرى . من ذلك باب لم يضع له المؤلف عنوانا . نقرأ فيه
 « قل الاصمعي : يقال : احسن النساء الاسيلة الصحة . وعلط لموطىء
 الخصا على الصفا . واشد الرجال الاعجم الضخم^(٤) . . . ويستغرق هذا باب ما
 يقرب من صحتين . ملاحظا ان السكيت يمثل هذه العبارات المبدوءة بصيغة
 التفصيل . وكان يمكنه ان يسمي ابن السكيت (باب الافعل من الاشياء) مثلا .
 ولعله لم يفعل تبها منه الى محالته سائر الابواب . واورد فيه العبارات دون ترتيب
 معين . وهذا دأبه في جميع ابواب الكتاب . ولم يفسر من الفاظ هذه العبارات . لا
 ما يراه محتاجا الى التفسير^(٥) . اد اورد الكثير منها دون ان يعلق عليه شيء . وسر
 على هذا في سائر ابواب كتابه ايضا . ومدأ الباب بالرواية عن الاصمعي^(٦) . وهي
 الرواية القيمة عن اللحيون . وانما نقل في موضعين من الباب عن (بعض
 الأعراب) دون ان يسميه^(٧) . وكل شواهد . فيه بيتان وشطر من بيت^(٨) . وكلها

(١) ٣١٤ - ٣٨٢

(٢) ٣٨٣ - ٤٢٨

(٣) ١ - ١٥ . ٣٠ - ١٠٩ . ١٦٨ - ٢٦٧ . ٥٨٠ - ٦٣٢ . وقرن بالمربب النص ١١٠٠ - ٤٥٨ . ٥٠٨

٥٧٤ . ٥٧٤

(٤) ٥٥٥

(٥) ٥٥٦

(٦) ٥٥٥

(٧) ٥٥٦

(٨) ٥٥٦ . ٥٥٥

غير مسوب ، وذكر فيه مرة لغة اهل الحجاز^(١) . وجملة ما يقال في هذا الباب انه يحمل اغلب ظواهر الكتاب .

ومن ذلك ايضا آخر ابواب الكتاب ، وهو الذي سماه (باب ما تكلمت به العرب من الكلام المهمور فتركوا همزه . فادا افردوه همروه ، وربما همزوا ما ليس بهمور) فيه مثل قوله : « ويقولون : لك العدا والخصا ، معصور ، اذا كان مع الخصا لا غير فادا افردوها قالوا - فداءً لك وفداءً لك وفداءً لك وفدى لك وفدى لك^(٢) » واحتل هذا الباب صفحة ونصف صفحة ، اورد فيه ابن السكيت ما اختاره من اللفاظ المهمورة التي ترك العرب همزها ، ومن اللفاظ غير المهموزة التي همزها العرب ، معتمدا في ذلك على ابي عمرو بن العلاء والكسائي وابي عبيدة بن العريين^(٣) ، وعلى امرأة من العرب لم يسمها ولم يسبها الى قبيلتها ، وعلى (بعضهم) ممن لم يسم اخصا^(٤) .

عن ابن السكيت في هذا الباب اكثر تنوعا في المصادر من الباب السابق ، إذ عرض ههنا للقراءات ، فذكر قراءة الحسن . ومخالفتها لقراءة ابي عمرو بن العلاء^(٥) ، كما اضاف الى استشهاده بالشعر والقرآن استشهاده بالحديث^(٦) . وان لم ينسب ما ورده من شعر ورجز وصفوة ما يقال انه اشبه في ظواهره الباب السابق ، فقد اضطرب ترتيب اللفاظ التي يأتي بها المؤلف احيانا في عبارات ، واهمل تفسير بعض اللفاظ ، واورح تفسير بعضها الآخر ، وقدم الشاهد الشعري على المادة ، بعد ان انشده استخرج منه اللفظة وشرحها^(٧) . ووجود هذا الباب يشير الى تأثره بمصنع قبله من رسائل مستقلة تعالج الهمز ، ولعله اطلع على بعضها ، مثل (الهمز) لاس ابي اسحاق (١١٧ هـ) و (الهمز) لابي زيد (ت ٢١٥) . وغيرها

٥٥٧/١)

١٧٢ (٢)

١٧٣ (٣)

١٧٢ (٤)

١٧٣ (٥)

١٧٢ (٦)

١٧٢ (٧)

وتدل موازنة هذا الباب بالابواب الثلاثة المعقودة للهمز في الغريب المصنف ، على وقوف ابن السكيت على الكتاب الاحير ، اذ سبقه ابو عبيد الى فكرة هذا الباب والى بعض مادته ، اذ كان ثاني ابواب الهمز في الغريب المصنف (لما يهمر من الحروف وما لا يهمر) والثالث (لما ترك فيه الهمز واصله الهمز)^(١) صمها ابو عبيد من الالفاظ ما نجد على وفاقه لدى ابن السكيت ، على اننا لا نستطيع ان نجزم فصل ابن السكيت عن الغريب المصنف ، لانه روى في بابهم روى عنهم ابو عبيد في ابوابه من اللغويين فيمكن ان يكون قد فصل عن لولئك مباشرة ، دون وساطة الغريب المصنف .

وما دما في الكلام على الموازنة بين الكتابين ، يجدر بنا ان نذكر ان موضوعات الغريب المصنف او (معانيه) اوسع من معاني كتاب (الالفاظ) ، ذلك اننا لا نجد في كتاب ابن السكيت كثيرا من ابواب الغريب المصنف ، وقد مر بنا كثير منها ، من ذلك ما عقده ابو عبيد من ابواب : الحشرات ، والحيل ، وحلق الانسان^(٢) ، وابواب : امثلة الاسماء ، والمصادر ، والافعال^(٣) ، وابواب : نواذر الاسماء ، ونواذر الافعال ، والتشبة ، وغير ذلك^(٤) ، وابواب : العرب ، والاضداد ، والمترادف^(٥) . على ان ابن السكيت كان قد افرد بعض هذه الموضوعات برسائل مستقلة ، ككتابه (المكى والمبى والتبى)^(٦) وكتابه (الاضداد)^(٧) وغيرهم . وكما نتوقع ان نجد الامر على عكس ما وحدناه ، لان ابن السكيت حين احتار (الالفاظ) عنوانا لمجمعه ، اشعرنا بسعة العنوان وشموله كل انواع الالفاظ ، فلما اطلق نفسه الحرية في الجمع وزيادة المادة والابواب لما كان خارجا على الاسم ، لان كل ما يورده لا يخرج عن كونه الفاظا غير مقيدة بالموضوع . في حين كان ابو عبيد اوسع منه مادة ،

(١) الغريب المصنف ٥٥١ - ٥٥١

(٢) ص ١٧١ - ١٣٨ ، ١٧١ .

(٣) ص ٢٨١ - ٣١٧ ، ٥٥١ .

(٤) ص ١٨٣ - ٢٠١ ، ٥٤٣ .

(٥) ص ٥١٨ ، ٥٣٩ ، ٥٧٢ .

(٦) ذكره السيوطي في الزهر ٩٣/٢ وحمل منه وصيه ابن السكيت الى كتابه (اصلاح اللحن) ٢٩٤ - ٢٠٤

(٧) طبعه ابو عبيد هجر خمس (ثلاثة كتب في الاضداد) بيروت ١٩١٢م

واضيق عنوانا ، لأنه اراد به الغريب من الالفاظ دون سواء ، ومنها يكن من امره ان
المثال الذي احتذته معجمات المعاني هو الغريب المصنف لا الالفاظ .

وبعد ، فان ابن السكيت لم يخرج عن المؤلف في اسسه المهجية ، بل لم
يكر له شخصية منهجية واضحة ، فلك انه حين استشهد بالشعر ، لم يخرج عن
الطبقات الثلاث الاولى ، الجاهليين مثل امرئ القيس^(١) ، والاعشى^(٢)
والمحضرمين مثل الخطبة^(٣) ، وحسان بن ثابت^(٤) والاسلاميين مثل الاخطلي^(٥) ،
وابن هرمة^(٦) . كما روى عن رجال المدرستين ، البصريين مثل : يونس وابي عبيدة
والاصمعي وابي زيد^(٧) ، والكوفيين مثل : الكسائي والغراء وابي عمرو الشيباني
وبن الاعرابي^(٨) . كما روى عن اعراب فصحاء مثل : افار بن لقيط ومكورة وغبة
الكلابية^(٩) . واستشهد بامثال العرب^(١٠) ، ونسب بعض الالفاظ والاستعمالات الى
لغات القبائل العربية مثل بني اسد واهل الحجاز وبني بلعنبر^(١١) . واستشهد
بالحديث الشريف احيانا^(١٢) . واستشهد مرة بكلام الاصمعي (ت ٢١٣) ،
قال : « وما يليق درهما ، ولا يليق بكفة درهم ، اى لا يلصق بها ولا يثبت فيها ،
وقال الاصمعي للرشيد : يا امير المؤمنين ما الاقتنى البصرة حتى قدمت
عليك^(١٣) » . ولولا ان يكون الاصمعي من الرواة العلماء ، لكان الاحتجاج
بكلامه يعد مدا لعصور الاستشهاد حتى تلج الدولة العباسية وفي كتاب ابن

(١) ٦٦١ ، ٦٦٠

(٢) ٦٦٧ ، ٦٦٦

(٣) ٩١٣ ، ٨٦

(٤) ٥٦٨ ، ٢٨١

(٥) ٦٥٦ ، ٦٦٢

(٦) ٥٢٣ ، ٢٩

(٧) ٦٧٣ ، ٣٢٩ ، ١٣ ، ٥ ، ٣ ، ٢ ، ١

(٨) ٦٧٢ ، ٢٧٣ ، ٦٨ ، ١٣ ، ٩ ، ٥

(٩) ٦٤٥ ، ٥٣٢ ، ٦٥ ، ٦٤

(١٠) ٤٣٥ ، ٢٠٢ ، ٩٢

(١١) ٥٥٧ ، ٤٠٩ ، ٣٤٤ ، ٢٧٣

(١٢) ٦٧٢

(١٣) ٤٩٢

السكيت طائفة من الاخبار والقصص ، اوردها المؤلف خلال ايراده الالف ط ،
وبعضها يطول حتى يستغرق مريبا من صفحتين^(١) . ويبدو ان زيادات لحقت
بالكتاب ، وهي ليست منه في الاصل ، بعضها اقحم في المتن ، وبعضها الخ في
الاحر^(٢) ، ولعل الخطيب التبريزي كان وراء كثير منها ، يقول مثلاً : « والتغية
بالثناء والياء قال ابو عمر : هو التغية بالثناء والباء ، قال المتبسي وهو
الصواب^(٣) » . وواضح ان ابا عمر - ويرجح ان يكون الراهد - والمتبسي متأخران في
العصر عن ابن السكيت ، فالرواية عنها انما هي رواية المهذب الخطيب التبريزي

وبخلاصة القول ان في كتاب (الالفاظ) لابن السكيت ثروة لغوية كبيرة ،
جعلت منه مصدراً مهماً في بابيه ، وهو وان أقصر عن الغريب المصنف ، قد كان له -
بعد الغريب المصنف - الاثر في نحو معجمات المعاني وتطور منهجها بما يرفده من
الفاظ ومعان وشواهد .



المعاني الكبير لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ .)

وهو من معجمات المعاني الضخمة ، على انه لم يصل اليها كاملاً ، فقد ذكره ابن
الديم باسم (معاني الشعر الكبير) ، ووصفه وصفاً ضمنه فهرساً للكتب التي يحتوي
عليها المعجم ، والابواب التي يحتوي عليها كل كتاب ، فكان مجموعه اثني عشر
كتاباً هي : كتاب العرس ، كتاب الابل ، كتاب الحرب (الحرب) ، كتاب العرور
(الفدور) ، كتاب الديار ، كتاب الرياح ، كتاب السباع والوحوش ، كتاب
اهوام ، كتاب الايمان والدواهي ، كتاب الساء والعزل (الغزل) ، كتاب السب
واللس (الشيب والكبر) ، كتاب نصحيات العلماء ، ويضرب من مجموع هذه الكتب
(١٨١) باباً مختلف طويلاً وقصراً^(٤) . غير ان الذي وصل اليها اقل من ذلك ، فقد
اخرى مصحح الكتاب عبد الرحمن بن يحيى البجلي مولدته بين ما ذكره ابن الديم وما

(١) ٣٤٧ . ٣٤٨

(٢) ٦٧٤ وما بعدها

(٣) ٦٣٥

(٤) الفهرست ١١٥

تحتوي عليه المخطوطة ، فوجد انه ليس في الاخرة خمسة كتب هي : كتاب الابل ، كتاب الديار ، كتاب الرياح ، كتاب النساء والغزل ، كتاب تصحيح العلماء ، كما وجد ان ابواب الكتب الاخرى التي احتفظت بها النسخة تختلف عددا عما ذكره ابن السديم^(١) . وهو - اي الهاتمي - الذي رجح التصحيح في اسماء الكتب التي وضعناها بين قوسين وكان المستشرق الدكتور كرنكوف (F.Krenkow) قد قام بتحقيق الكتاب عن نسخة وحيدة بجزئين ، احتفظت مكتبة أيا صوفيا باستانبول بالأول (٤٠٥٠) ، واحتفظ القسم العربي بمكتب الهند بلندن بالثاني (١١٥٥) . وطبع الكتاب في ثلاثة اجزاء بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٨ هـ .

والكتاب من حيث تقسيمه على الكتب ، وتقسيم الكتب على الابواب ، يشبه الى حد بعيد العريب المصنف ، ويختلف عن تهذيب الالفاظ ، وهو أكثر تنظيماً من التهذيب . كما انه يختلف عنها في الاساس الذي بُني عليه ، فادا كان ابو عبيد وابن السكيت يجمعان الالفاظ الخاصة بالباب المفرد لها ، ويردائها فيه أولاً ، ثم يستشهدن على ما يشاءان منها بالشعر ، فان ابن قتيبة ذهب الى منهج آخر ، فقد عقد الباب للشعر المتضمن لمعاني ذلك الباب ، يشد اولاً ثم يتناول ما ورد في البيت او المقطعة من الفاظ يتعهدا بالشرح والتمثيل . ولأخذ مثلاً لذلك ، عقد باباً في كتاب الخيل سماء (الأرساغ وما يحمده من يسها وغلظها) بداه هكذا : « قال امرؤ القيس :

تبارى الخَوف المستقل زمامه ترى شخصه كأنه عود مشجب

الخوف : الذي يرمى يديه في السير ، فهو اسرع له وأوسع . والزمام : جمع رَمْعَة ، والرَمْعَة تكون لما له ظلف ولكنه أراد المستقل ثَنَتْهُ . وهو الشعر المعلق في مآحير قوائمه ، وأراد أنها لا تمس الأرض ولكنه يستقل بها ، لان ارساعه غير لينة وهل ابو ذؤاد :

وأرساغ كاعنتاق ضباع لربيع غلب

(١) الهاتمي / ١ - ٢ - ٣

الغلب : الغلاظ الرقاب ، وأحدثها غلباء . وقال الجعدي . . . (١) . وهكذا يسير بالباب من الانشاد والشرح ، حتى يتقل الى باب غيره ، وهذا دأبه في المعجم كله وبعد هذا المنهج الجديد تطورا مهما في معجمات المعاني ، إذ اقتربت به من هدفها الاول ، وهو العناية بالمعاني أكثر من الالفاظ ، أذ رمى ابن قتيبة من هذا المنهج ، الى أهمية إتيان السياق اللغوي في تحديد معاني الالفاظ ، إذ ربما اختلف بعضها عن معاني الحقيقي وهو بعيد عن سياقه اللغوي ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى أراد ابن قتيبة أن يخصص الالفاظ بمعجمه بالشعر ، للدلالة على صحة ورودها في اللغة ، ويقوم هذا الشعر مقام الاستشهاد على الالفاظ ، وليس في كتابه لمظة أصيلة في بابها المعقود لها لم ترد في الشعر ، اللهم الا ما استطرده اليه أثناء شروحه من الالفاظ لا يتصل بموضوع الباب الذي هو فيه . في حين لم يلتزم أبو عبيد وابن السكيت الاستشهاد على كل لمظة من الالفاظ بمعجميها ، ولعل ما لم يستشهدا عليه أكثر ، وبهذا أقصرا عن ابن قتيبة في جمع الصحيح الفصيح من الالفاظ . وإذا كان ابن قتيبة قد تأثر بهذا المنهج بكتب (معاني الشعر) أو (أبيات المعاني) التي ألّف قبله (٢) ، فإنه طوره باستخدامه في معجم معانيه .

وعندما أراد ابن قتيبة أن يكون معاني اللغة معتمدا على الشعر ، فإنه لم يقصر ذلك على شعر الأعصر الثلاثة المعروفة ، وإن تكثر من شعرها ، وإنما تجاوز ذلك الى العصر الرابع . فأخذ من الجاهلین أمثال : امرئ القيس والحداد بن حنيفة والاعشى (٣) ، والمختصر من أمثال : حسان بن ثابت والخطبة وكعب بن زهير (٤) ،

(١) المعاني ١/ ١٦٤

(٢) الفهرست : أبو ثروان المكي ٥٢ ، الفضل القمي ٧٥ ، مزارج السدي ٥٤ ، الضرير شمل ٥٨ ، ابن كرامة ٧٧ ، الأصمعي ٦١ ، الأعشى ٥٨ ، أبو نصر أحمد بن حاتم ٥٩ ، ابن الأعرابي ٧٦ ، أبو العيث ٥٥ ، ابن السكيت ٧٩ ، عبد الرحمن بن أبي الأصمعي ٦١ ، البديعي ٩٠ ، ثعلب ٨١ ، الأشتداني ٩١ . بوذكواف العاسم بن إسحاق ٦٥ . وانظر كتيف الجرجاني ٩٣ ودره العوام ٣٤ و فهرسته ابن خبير ٣٨٦ ومعجم الأدباء ١٩٦/ ١٨ والمؤلف والمحقق ١٥٢ وأبي الرواة ١٣١/ ٣ ووفيات الأعيان ٣٠٨/ ٤ والوفاي بالوفيات ٧٩/ ٣ وبعده الرواة ٤٣ ونحوه الأدب ٩/ ١ وروايات (القيل الأول) ١٦٦ ، ١٦٩ وكعنه ١٨٨/ ٧

(٣) ١٧٠/ ١ ، ٢٧٦ ، ٣٤٣ ، ٥٦٣/ ٢ ، ١٧٠٢/ ٣

(٤) ١٨٣/ ١ - ٢٣٥ ، ٢٣٦

والاسلاميين . أمثال الاخطل وجريز وابن هرمة^(١) ، وأخذ أيضا من العباسيين
أمثال بشار من برد وحلف الأحمر^(٢) . على أنه لم يكثر من الاعتداد على شعراء هذا
العصر ، وإنما انتخب منهم من عرف بفصاحته وسليقته العربية أمثال من ذكرنا
ولم يكن اس قتيبة بدعا في هذا ، فقد سعه الى الاستشهاد بشعر هؤلاء الخليل في
العين كما مر من استشهاد بشار وحفص الأموي . ومهما يكن من أمر فان ابن قتيبة
عده عصر الاستشهاد على هذا النحو من الاحتراز كان اعرب الى طبيعة العمل
المعجمي .

وكان المؤلف كثير العناية بلغات القبائل ، ينص عليها ويذكر أوجهها من
حلافتها ، ومهجه في تناول استعمالها ينسجم مع مهجه في تحديد الشاعر فبعد
ان مد عصر الشعر ، وسع أطلسه اللغوي فشمّل قبائل أبعدها الدرس اللغوي
عنه ، فابن قتيبة لم يرتض الاقتصار في الاحذ على لغات بني أسد ، وبكر بن
وائل ، وقميم ، وثقيف^(٣) ، واشاهما . والمأراى اللغات الى اللغات التي وصمها
لدرس اللغوي بالخروج على المؤلف بدعوى التأثير باللغات الاعجمية المجاورة ،
فوجه عنايته الى مثل لغة بلخارث بن كعب ، وجذام ، ونخلم^(٤) ، وغيرها . وكان
أحيانا يذكر أن اللفظة تُلْقَط على وجهين ، دون أن ينص على اللغتين^(٥) .

والنفت في أثناء معالجته للالفاظ الى بعض الطوامر اللغوية ، ووقف
عندها ، فذكر الاختداد ، والمشارك ، والمغرب من الالفاظ الاعجمية وهي في الأكثر
فارسية^(٦) ، كما عرض الى الالفاظ التي يعلط فيها الالف وهو المسمى بلحن العامة ،
يذكر فيها وجه الغلط ويبين صوابه^(٧) . ولم يغفل عن الأمثال مصدرا من مصادر

(١) ١٤٥/١ ، ٢١٣ ، ٤٥٣ ، ٤٦٤/٢ ، ٩٥٨ .

(٢) ٤٣٣/١ ، ٩٦٦/٢ .

(٣) ٩٦/١ ، ٢٤٢ ، ٤٧٦ ، ٦٣٥/٢ ، ٧٥٦ ، ٩٠٦ ، ٩٧٢ .

(٤) ٢٦٥/١ ، ٥٧٧ ، ٥٨٣ ، ٩٢٨/٢ .

(٥) ٣٧/١ .

(٦) ٢٨٨/١ ، ٤٣٠ ، ٥٠٤ .

(٧) ٣٧٨ ، ١٢/١ .

الاستشهاد ، يوثق بها صحة ما ينطوي به الشعر^(١) ونراه أحيانا يقف على ما يشده من شعر وقعة الاديب الناقد لا اللغوي ، فيعلق على معنى البيت تعليقا بقديا^(٢)

أما شيوخه فأكثرهم من البصريين كأبي عمرو بن العلاء (١٥٧ هـ) ،
وأبي عبيدة (٢١٠ هـ)^(٣) ، والأصمعي (٢١٣ هـ)^(٤) ، وأبي زيد
(٢١٥ هـ)^(٥) ، وأبي حاتم (٢٥٥ هـ)^(٦) ، والرياشي (٢٥٧ هـ)^(٧) ، وغيرهم
وأفلمهم من الكوفيين كأبي عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ)^(٨) ، وابن الأعرابي
(٢٣٩ هـ)^(٩) ، وغيرها . وهذه النسبة المتفاوتة في رجال المدرستين هي ما كب
نتوقعه ، لأن ابن قتيبة وإن عدّ فيمن خلط اللحيين ، كان يعلو في البصريين
على أنه لم يقدح أحدا من شيوخه على اختلاف مذاهبهم العلمية ، بل احترم آراءهم
جميعا ، وكان ينقل خلافتهم في تفسير الالفاظ او رواية الابيات بكل أمانة^(١٠)

وبعد ، ففي الكتاب ثروة لغوية مهمة ، لا غنى للدارس عنها . وإذا كان
الغريب المصنف قد أرى عليه بعدد الكتب والابواب والالفاظ ، ولعل (الالفاظ)
لابن السكيت قد أرى عليه بعدد الالفاظ أيضا ، فإن (المعاني الكبير) فضل ذين
المعجمين بجدة المنهج وصحة الالفاظ ، وبثروته الأدبية الباقية التي تمثل عناية ابن
قتيبة المزدوجة بالمعاني ، معنى اللمظة وهي مفردة ، والمعنى العام للبيت الذي هي
فيه . وهي الوجهة التي كان يجب ان نتجه اليها معجمات المعاني .

(١) ١٠٩٠ ، ٨٨٠ ، ٦٧٤ / ٢

(٢) ٢٨٣ / ١

(٣) ٨٥٥ / ٢ ، ٣٧ / ١

(٤) ٦٨٦ / ٢ ، ١٤٢ / ١

(٥) ٧٣٤ ، ٦٩٤ / ٢ ، ٥٠٨ ، ٣٠٩ / ١

(٦) ٨٣٢ / ٢ ، ١٩٧ / ١

(٧) ٦٥٨ / ٢ ، ٤٤ / ١

(٨) ١٠٣٩ / ٢ ، ١٨٥ / ١

(٩) ١٢٤٤ / ٣ ، ١١٨ / ١

(١٠) ١٢٤٨ / ٣ ، ٢٠٤ ، ١١٥ / ١

(١١) المعرست ١١٥

(١٢) للمعاني ٣٧ / ١ ، ٤٧٨

الجرائيم : المنسوب الى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

في المكتبة الظاهرية بدمشق كتاب في اللغة ، رحمه فيها (١٥٩٦) ، وعنوانه (آخر ثيم) ، كتب على صفحته الاولى : تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قعقج هذا الكتاب في (٢٢٠) ورقة ، ٢٠ x ١٧،٥ سم ، وهو مكتوب بحط سححي قديم مقروء ، اعجمت بعض حروفه وضطت بالشكل وليس فيه اسم الناسخ أو تاريخ نسخه ومكانه ، ويبدأ بعد البسملة بمول المؤلف : الحمد لله رب العالمين المخلوقين ، فالملائكة عالم ، والجن عالم ، والانس عالم ، والطير عالم والوحوش والانعام عالم . . .^(١) وينتم بقوله : محملاً للمقارب مع التقطيع .

وقد كنت ذا ميعة في شبابي أصيد ، لغزال الربيب العري^(٢)

والكتاب من حيث تقسيمه على الابواب والكتب ، يشبه الى حد بعيد الغريب المصنف لابي عبيد ، والالفاظ لابن السكيت ، فمكانه ٢٠٠ ، بن ٣٠٠ جهات المعاني ، ويضم من الابواب والكتب : باب النفس والجسم والشخص ، باب الالوان ، باب الالسنه والكلام والاصوات والسكوت ، كتاب النساء ونعوتهن وغير ذلك ، باب البهت والدهش والفيافة والتطير والثانم ، باب الطيب والتش واللبس والعري ، ابواب الطعام والوانه واللحم ومعالجته واطعام الناس ، ابواب اللبس والشراب ، باب الاقامة والنلت واللزوق واللوم وما اليها ، باب نواذر مثل : حسب وعشير وقصار ، باب الطبيعة والملاهي والميسر ، باب آحر من النوادر : روية الرجل من غير ارادة ، باب الرجل و آلاته والاولاني في السفر والحضر والدور والبيوت والاخيه والأبنية ، باب يجمع ابواب الشر صغيرها وكبيرها ، باب الارمة والريح واسماء الدهر ، باب السحاب والمطر والوداع ، باب الحبال والارضين والعلوات والاولدية ، كتاب الحبل والكرم ، كتاب الخيل ونعوتها والسلاح واعماله ، باب السلاح ونعوته ، كتاب النعم والبهائم والوحش والباع والطير والهوم وحشرات الارض ، باب نواذر الاسماء ، باب نواذر الافعال ، باب عيوب الشعر واسماء الفواقي^(٣) .

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم اللغة العربية) ٨٧ .

(٢) ص ٨٢

(٣) فهرس الظاهرية ٨١ - ٨٧ ومجله فوات المستعصرية ، السنة الثاني ١٢٢/٢ - ١٢٣

ولا نقري الكتاب بعيد عن ايدينا - السبب الذي دفع المؤلف الى تسميته بعض فصول الكتاب بالابواب وبعضها الآخر بالكتب ، أو اطلاق لفظه (باب) على الباب الواحد ، ومنها بكر السبب فالكتاب يحمل عيوب هذه المدرسة في الترتيب والتبويب ، ولعل ابن السكيت في الألفاظ كان اكثر تنظيها لأبوابه

للمؤلف كما تصرح صفحة العنوان بكتيبته واسمه (ابو محمد عبد الله بن مسلم) هو ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ولا يعرف غيره بهذه الكنية والاسم ، واب له تذكر المخطوطه أنه (ابن قتيبة) . وعلى أساس الكنية والاسم هذين نسب بروكلمان الكتاب الى ابن قتيبة^(١) ، ودل على نسخته الفريدة في دمشق ، ولو أبعدت نسبة بروكلمان الكتاب الى ابن قتيبة لما عثرنا على مثلها في اي مرجع آخر ، فليس في كتب الطبقات والتراجم والفهارس المديية ما يشير الى وجود مثل هذا الكتاب بين مؤلفات ابن قتيبة ، وهو أمر يدعو الى التأمل ، اذ كيف نعرض لمصادر القديمة جميع عن نسبة مثل هذا الكتاب الضخم الى ابن قتيبة - ان كان الكتاب له - ولا نعمل عن نسبة رسائله الصغيرة اليه ؟ وقبل الاجابة عن هذا السؤال ، نتعرف على ما طبع من أبواب هذا الكتاب :

١ - كتاب النعم والبهائم والوحش والسباع والطير والحوام وحشرات الارض .

نشره المستشرق الأب موريس بوج (P. Muarice Bouges) ببيروت سنة ١٩٠٨ ، وقدم له مقدمة وصف فيها نسخة المخطوطة الدمشقية ، وسجل شكه بنسبة (النعم والبهائم) الى ابن قتيبة ، ورجح ان يكون لأبي عبيد القاسم بن سلام مستندا في ذلك الى اسباب قوية^(٢) ، وتبعه في ذلك الدكتور حسين نصار ، ومال الى نسبه الى أبي عبيد أيضا ، لما وجدته من تشابه المادة والمعالجة بل انماها مع ما في الابواب المعقودة للغرض نفسه من الغريب المصنف . وقال : « ولا خلاف بينهما ، الا في أن هذا حذف شواهد أبي عبيد ، وأسماء اللغويين والاعراب السديين ذكرهم^(٣) . وذهب الدكتور عبد الله الجبوري ايضا الى الشك في نسبه الى ابن

(١) تاريخ بروكلمان ٢/ ٢٢٨

(٢) النعم والبهائم ٢ - ٣

(٣) المعجم العربي ١/ ١٢٥ .

فتية ، الا انه خالف سابقه في ترجيحهم أن يكون لابي عبيد ، وذهب الى انه (المؤلف عاش بعد ابن قتيبة)^(١) ، مستدلا على ذلك بعدد من الأدلة استقناها من دراسته للكتاب ، أرجحها :

١ - أن المؤلف ينقل عن ابن قتيبة ، وأنه في الموضع الذي ينقل فيه عن ابن قتيبة ينهي ان تكون المادة مما ذكره الخليل أو أبو عبيد^(٢) . مما يدل على أن المؤلف ليس أبا عبيد ولا ابن قتيبة .

٢ - أن المؤلف ينقل عن الجاحظ (ت ٢٥٥) في الحيوان ، ويرد عليه أحيانا^(٣) . مما يدل على تأخره عن أبي عبيد (ت ٢٢٤) في الأقل .

٣ - أن المؤلف ينقل في إحدى المواد شك على بن عبد العزيز (ت ٢٨٧ هـ) في صحتها^(٤) ، والاخير من رواية أبي عبيد وتلاميذه .

ونقل الدكتور الجبوري بعد هذا سبق الدكتور اسحاق موسى الحسيني الى الشك في نسبة الكتاب الى ابن قتيبة^(٥) ، كما نقل نصحيح الدكتور عبد الحميد سند الجدي هذه النسبة ، استنادا الى أنه « طعمه ببعض الالفاظ كعادته حين يتحدث عن الكلمة أحيانا ، وحين يقارن بين اللفظين الفارسي والعربي . وأنه كان ينفش الجاحظ ويحطه في بعض الالفاظ على طريقته المهودة^(٦) » . ورد الدكتور الجبوري على حجتيه بأن « المقارنة بين الالفاظ العربية والفارسية أمر مألوف عند أهل اللغة ولادب . . . وأما نقد الجاحظ فلم يكن ابن قتيبة مدعيا بين النافذين ، فقد رد عليه غير واحد من علماء اللغة وأهل الادب^(٧) » ويخلص الى ما نقلناه أولا من ان الكتاب لمؤلف تأخر عن ابن قتيبة ، وكتابه عبارة عن نصوص لغوية مجموعة من كتب أهل

(١) محله اداب المستصرية ، طبع الثانية ١٢٦/٢ .

(٢) المص ١٢٢

(٣) المص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٥

(٤) المص ١١٣

(٥) محله اداب المستصرية ١٢٦/٢ خلا عن كتاب (ابن قتيبة) ٥٦ (النص الإنجليزي)

(٦) محله اداب المستصرية ١٢٦/٢ خلا عن كتاب (ابن قتيبة) ١٦٦

(٧) محله اداب المستصرية ١٢٦/٢

اللغة ولا سمة لطابع التأليف فيه ، واستتاجه صحيح الى أبعد الحدود كما سرى
معد .

٢ - كتاب النخل والكرم :

نشره المشرق الدكتور أوغست هفتر (Dr August Haffner) في محله
المشرق ، السنة الخامسة ، ونسبه الى الاصمعي (ت ٢١٣هـ) وذكر في المقدمة
حجته في هذه النسبة فقال : « هذا الفصل ورد في السخة البمشقية (أي كتاب
الجرانيم) من الصفحة ٢٦١ الى ٢٩٣ . وليس في أول الفصل ذكر اسم
الاصمعي ، لكن صاحب لسان العرب قد نقل كثيرا من هذا الكتاب بحرفه
لواحد ، وهو يعزوه مطلقا الى الاصمعي ، فلا نثارى في نسبه اليه »^(١)

وأعاد نشره الأب لويس شيخو اليسوعي ، وأضافه الى مجموعته (البلغة) ،
بيروت سنة ١٩١٤ ، ورجع نسبه الى أبي عبيد القاسم بن سلام ورد ما ذهب
اليه هفتر بقوله : « أما نسبة الدكتور هفتر هذا الكتاب الى الاصمعي فهي على ما
نظى تغليب . لان نسحننا التي اخذ عنها لا تصرح باسم الاصمعي »^(٢) . وحجة
اليسوعي في نسبه الى أبي عبيد « أن الشروح للمفردات توافق ما جاء في لسان
العرب والمخصص لابن سيده مسوبا لابي عبيد اكثر منها للاصمعي »^(٣) . ثم
استدرك على هذا باحتمال آخر وهو « أن يكون الكتاب لابي حاتم السجستاني تلميذ
الاصمعي كما رواه عن استاده وعن أبي عبيد ، فجمع بين روايتيهما ، ولذلك ترى
اسمه في أول كتاب الكرم »^(٤) .

وقد مر في دراستنا كتاب (النوادر) لابي مسحل . ووقفنا على باب النخل
فيه ، أن معارضة كتاب النحل المنسوب الى الاصمعي أو أبي عبيد ، باب
النحل في العريب المصنف ، تهدي الى القطع بأنه هو نفسه في الموضعين ، سوى أنه

(١) اللغة ٦٤

(٢) اللغة ٦٣ .

(٣) لغة ٦٣

(٤) لغة ٦٣

في نسخته إلى الاصمعي حذفت منه أسماء الرواة ومعظم الشواهد الشعرية^(١). وهذا يعصد مذهب اليسوعي في نسبة كتاب النخل إلى أبي عبيد، على أن هفتر لم يعد عن الحفيصة كثيرا في نسخته إلى الاصمعي، ذلك أن أبا عبيد كان عيالا على الاصمعي في هذا الباب من الغريب المصنف^(٢).

ودرس الدكتور رمضان عبد التواب كتاب (النخل والكرم) المنشور في السبعة، فوجد أنه كتابان، الأول (النخل) والثاني (الكرم)، وتوصل من دراسته للأول إلى ما ذكرناه من أنه هو (باب النخل) في الغريب المصنف حدثت منه الشواهد والأعلام، وساق أمثلة من النصوص المعارضة بالغريب المصنف، كلها تؤيد ما توصل إليه. وقال في الأخير: «إن هذا الكتاب مختصر من كتاب النخل في الغريب المصنف لأبي عبيد بقينا، ولا يوجد أي مبرر للقطع بنسبه إلى الاصمعي كما فعل هفتر، ولا إلى ترجيح هذه النسبة كما فعل شيخوه»^(٣) أما المصنف الثاني أو الكتاب الثاني وهو (الكرم) فقد وصح تحت عنوانه عبارة (عن أبي حاتم السجستاني)، وهذه العبارة دفعت هفتر إلى أن يقول في الهامش: «كذا في الأصل والظاهر أن أبا حاتم السجستاني روى كتاب الكرم عن الاصمعي، ولعله روى أيضا عن كتاب النخل السابق ذكره»^(٤).

أما الدكتور رمضان فقد قطع مسبه إلى أبي حاتم، استنادا إلى:

١ - الإسناد الذي تصدر الكتاب، إذ نقرأ في أوله: «حدثنا الحسن بن علي لطوسي قال: حدثنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري ببغداد قال: أخبرنا أبو حاتم مهمل بن محمد بن عمرو السجستاني قال: قال الطائفي: يقال لشجر العنب...»^(٥)، ولا ذكر للاصمعي في هذا الاسناد.

(١) الباب الثاني / الفصل الأول من ١٣٠، وصول إلى قته العربية ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) الغريب المصنف ٢٥٩.

(٣) مجلة المكتبة، السنة السابعة، العدد (٥٧)، آذار ١٩٦٧ من ١٥.

(٤) السنة ٧٣.

(٥) السنة ٧٣.

٢ - أن ابن النديم نسب إلى أبي حاتم كتاباً في (الكرم)^(١) ، ولم يذكر أحد من مصغي الطبقات والتراجم كتاباً للاصمعي بهذا الاسم .

٣ - أن القائل نقل عن أبي حاتم في المواد المتعلقة بالكرم في معجمه (البرع) ما هو بنصه في كتاب (الكرم) المنشور في البلغة^(٢)

ويخلص من كل ذلك إلى قوله : « تؤمن معي بأن كتاب (الكرم) لأبي حاتم لا للاصمعي »^(٣) .

٣ - باب الرّحل وآلاته والأواني في السفر والحضر والدور والبيوت والاحياء والابنية .

بشره الأب لويس شيخو اليسوعي باسم (كتاب الرّحل والمرل) في مجموعته (البلغة) بيروت ١٩١٤ . ولم يضع اسم المؤلف تحت اسم الكتاب كعادته في سائر كتب (البلغة) ، مما يشعر بشكه في نسبه ، وتحدث في المقدمة عن مخطوطة الجرائيم التي تضم هذا الباب ، فقال : « وما لا يكره أحد أن الكتاب من آثار قدماء اللغويين ، ومن عجب الأمور أن معجم لسان العرب وكتاب المخصص لأبن سيده يكاد أن يذكر أن معظم مضامين هذا الكتاب متفرقة في مظانها وبحرفها الواحد وهما ينسبانه لأبي عبيد المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ،^(٤) ويمكن أن نستنتج من هذا قوله بسبب كتاب الرّحل والمرل إلى أبي عبيد .

ودراسة الكتاب نقصا على أن مؤلفه تأثر بكتاب (الالفاظ) لأبر السكيت (ت ٢٤٤) ، وذلك للشبه الكبير في طريقة إيراد المواد ، ومعالجتها ، وإيجار شروحها ، وللشبه في المواد نفسها ، إذ نجد عدداً منها يشير إلى نقله من هناك وإن لم يصرح المؤلف بذلك^(٥) كما نقف في الكتاب على ظاهرة سبقت في كتاب المعجم

(١) فهرست ٨٧

(٢) البرع ١١٧ ، ١٢١ والكرم ٨٩ ، ٧٥

(٣) عمدة الكتبة ١٦

(٤) البلغة ١٢١

(٥) البلغة ١٣١ وتهذيب الالفاظ ٥٣١ ، ٥٣٢

والبهائم ، وهي عنايه المؤلف بعهد الموارنة بين الالفاظ العربيّة والعارسية^(١) وهي الظاهره التي زعم الدكتور عبد الحميد سند الجندي أنها من حصائص منهج ابن قتيبة ، وراح يستند اليها في تصحيح سبقة (النعم والبهائم) الى ابن قتيبة^(٢) وهي ندل على اية حال أن المؤلف من أصل فارسي . وتفقنا دراسه الكتاب ايضا على أن المؤلف من الكوفيين ، لاقتصار النقل عن الشيوخ على الكسائي والعراجل^(٣) وهذه الظاهره طلال في كتاب (النعم والبهائم) أيضا^(٤) . ولعل في كون المؤلف كوفيا ما يدفع نسبه الى ابن قتيبة ، لأن الاحير كان ميالا الى البصريين ، وقد عده ابن السديم فيمن خلط المذهبين ، وان قال عنه انه « كان يغلو في لبصريين »^(٥) . كما ذكره الربيعي في الطبقة السادسة من اللغويين البصريين (طبقاته ٢٠٠) . وبعد فالكتاب خنير بالشواهد الا ما ندر^(٦) ، وباللغات الا ما قل^(٧) ، ولولا ما وجدناه في الكتاب من التأثير الواضح بالالفاظ لابن السكيت ، لكان ما ذهب اليه اليسوعي من سبته الى ابي عبيد مقبولا الى حد بعيد ، الا ان المؤلف متأخر عن ابن السكيت فضلا عن ابي عبيد .

٤ - ابواب اللين والشراب :

نشره الأب لويس شيخو اليسوعي في مجموعته (البلغة) بيروت ١٩١٤ ، وجعله ملحقا بكتاب (اللبأ واللين) لامي زيد (ت ٢١٥ هـ) المنشور قبله ولم يسبب اليسوعي الكتاب الى احد ، واكتفى بقوله : « في كتاب الجرائيم المنسوب لابن قتيبة . . . فصل شبيه برسالة ابي زيد السابق ذكرها في اللبس والشراب ، ننقله هنا . . . »^(٨) .

(١) البنية ١٢٧ ، ١٢٨

(٢) هذه ادق المستخرجة ١٢٦/٢

(٣) البنية ١٣١ ، ١٣٢

(٤) النعم والبهائم ٢٢ ، ٥٦

(٥) المهرست ١١٥ وانظر الاية ١٤٧/٢ .

(٦) البلغة ١٣٠ ، ١٣١

(٧) قصه ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٦

(٨) البلغة ١٤٦

ولا تشير دراسة الكتاب الى اكثر من ان المؤلف هو مؤلف الكتاب السابق، واعني به (الرجل والتمزل) ، لما بين الكتابين من شبه كبير في تناول والمعالجة والاحتصار في الشرح والتخفيف من الشواهد والاعلام واللغات ، فليس فيه سوى اربعة ابيات شواهد^(١) ، ورواية واحدة عن اعرابي هو ابو العافية الرباحي^(٢) ، وليس ما عدا ذلك الا الفاظا ترد مبعثرة من غير نظام او ترتيب ، شأنه في هذا شأن سائر الابواب الاخرى المنشورة . وهي جميعا تشير الى ان هذه العوصي في ايراد المواد من طواهر كتاب (الجرائيم) كله .

٥- أبواب متفرقة :

نشرها الأب لويس شيخو السوعي ملحقة بكتاب (فقه اللعة وسر العربية) للشمالي ، الذي نشره في بيروت / المطبعة الكاثوليكية .

نخلص من وقفاتنا على المنشور من أبواب كتاب الجرائيم المنسوب الى ابن قتيبة ، وما سجل حولها من شكوك وما رجع فيها من نسبة ، الى ان مؤلف لكتاب ليس ابن قتيبة ، وذلك لان مؤلف الجرائيم^(٣) متأخر في العصر عن ابن قتيبة . (٢) كوفي المذهب . (٣) متأثر بأبي عبيد وابن السكيت خاصة . فمن هو المتصف بهذه الصفات والمخطوطة تقول : تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم ؟

انه : أبو محمد عبد الله بن رستم ، في أكبر الظن . ترجم له لقفطي في موضعين من كتابه ، قال في الاول : « مستمل يعقوب بن السكيت . كان قد استفاد من يعقوب وطبقته . وكتب بخطه الكثير وأفاد الطالين »^(٤) وقال في الثاني : « مستمل يعقوب بن السكيت . كان مذكورا بالعلم والفضل ، وروى عن يعقوب . حدث عنه قاسم بن محمد الأنباري ، وكان ثقة »^(٥) وشبهه بهذا ما قاله الربيعي والسيوطي في ترجمته^(٦) ، وجعله الزبيدي في الطبقة الرابعة من اللحيويين

(١) ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥١

(٢) ١٥١

(٣) الله الرواة ٢ / ١٢٠ .

(٤) ٢ / ١٣٠

(٥) طبقات اللحيويين واللعويين ٢٢٨ ويحيى الرواة ٢ / ٤٢

الكوفيين . فإذا ترجح ان يكون التحريف قد لحق الراء والتاء في (رستم) فصارت
نمر (مسلم) ، فان في هذه الترجحات ما يشير الى اتصاف الرجل ببعض ما
فرصناه ، فهو كوفي متأخر في العصر عن طبقة ابن قتيبة ، متأثر ما بين السكيت
بحكم استعلائه ابيه وروايته عنه . ولعل في (رستم) ما يشير الى نسب فارسي ،
نسر به حياته بالموارنة بين العربية والفارسية . ولقبه ابن النديم بالشامي : « على
مذهب الكوفيين ، وله من الكتب : كتاب مسائل مجموعة »^(١) ولم يذكر له غيره
ولعله يعني به كتابه الجرائيم . وهو في جميعته مسائل (أو . رسائل) مجموعة
وربى كان في تلميذه بالشامي ما يشير الى سكناه الشام شطرا من حياته ، ولعله ألف
كتاب هناك ، وبذلك يتضح السر في وجود نسخته الوحيدة في الشام الى اليوم
وكتابه - كما سفت الاشارة - ليس تأليفا بالمعنى العلمي للتأليف ، ولكنه مسائل
(رسائل) مجموعة ، من ها وهناك ، له ولغيره من اللغويين . وبهذا نفسر هذا
التطابق بين بعض أبوابه وأبواب (الغريب المصنف) أو بعض مواده ومواد
(الالفاظ) .



(١) فهرست ١١١

الباب الثالث
الأسس المنهجية واختلاف اللغويين فيما
الفصل الأول الأسس المنهجية في دراسة اللغة
الفصل الثاني أسس اللغويين واختلافاتهم المنهجية

الفصل الأول

الأسس المنهجية في دراسة اللغة

مقدمة — الاستقراء — السماع والقبول — المادة اللفظية (الشواهد) : القرآن الكريم
وقراءاته ، الحديث النبوي الشريف ، الشعر ، اللهجات ، نتائج — التقدير والتأويل —
العمل — التحليل — المنهج الوصفي والمنهج التحليلي .

مقدمة :

يتناول هذا الفصل مناهج اللغويين العرب في دراستهم للغة ، ويجاول الوقوف على طريقتهم في الكشف عن الحقائق اللغوية ووصفها وتفنيد القواعد الخاصة بها ، ومدى شمولها للغة العرب ، وقابلية هذه القواعد على التجدد والتطور ، ومناقشة الاقدمين في صحة استشهادهم وفترة الاستشهاد التي وقفوها عند ابراهيم بن هرمة في اواسط القرن الثاني الهجري ، حيث استبعدوا الاستشهاد بمثل شعر بشار وابي نواس ، الذي قال فيه الجاحظ انه كان من افصح الشعراء ، وحتى بالمتنبي والمعري وهما لغويان ، ولهما آراء لغوية مدونة في كتب اللغة والادب .

ولم يقف هذا الفصل عند حدود القرن الثالث لا يتعداها كالذي الزمنا به انفسا عند كلامنا على تطور التأليف في الباب الثاني ، وانما امتد الى ما بعد القرن لثالث ، لان طبيعة البحث هنا تقتضي هذا الامتداد لتتبع سير المنهج وتطوره . كما لم يهمل هذا الفصل - ما وجد الى ذلك ضرورة - ان يبرز على فروع الدرس اللغوي الاخرى من غير علم اللغة ، واعني الصرف والنحو لاتصالها بعلم اللغة في مناهج اللغويين ومصنفاتهم وبالقاعدة التي يركز عليها الدرس اللغوي عموماً . وعليه فيمكن البت من خلال هذا البحث في امكان التحديد في الدرس اللغوي وتطوره ، على اساس الايمان بتطور اللغة واساليبها ووصاياها وتراكيبها ، اذ ان لغة ولث القدماء تختلف عما هي عليه الآن في جميع مظهرها وصورها .

الاستقراء :

تأتي مادة (قَرَى) - ومثلها (قَرَو) - في اللغة للدلالة على التبع والنظر

والتلمس ، اذ يقال : « قَرَوْتُ الارضَ وتَعَرَّيْتُهَا واستَقَرَّيْتُهَا : تَبَعْتُهَا » .
 و« يستعريها ويقروها اذا سار فيها ينظر حلقها وأمرها ، وما زلت استعري هذه
 الارض قريةً قريةً »^(١) اي انظر في حلقها وأمرها قرية قرية ، ومن هذا المعنى اصلت
 لعملة (الاستقراء) مصطلحاً على ما يقوم به الدراسون للمعيون بحث موضوع ما
 من تسع مادته واستقصائها وجمعها من مصادرها المتعلقة ، وهذا ما فعله اللعويون
 الاوائل حين سعوا الى استقراء اللغة من افواه العرب لغرض تدوين الماظها ومعانيها
 وقواعدها الشاملة .

وكان البصريون - كما مر بنا في مبحث الرواية - اسبق من الكوفيين الى دراسة
 اللغة والنحو ، واقدم من هؤلاء قياماً بالاستقراء ، وقد تلمذ الكوفيون الاوائل
 للبصريين كما هو معروف^(٢) ، يقول ابن سلام : « وكان لاهل البصرة في العربية
 قدمة ، وبالحجوة ولغات العرب والغريب عناية »^(٣) وقال ابن النديم وهو يعلى
 لمنهجهم : « انما قدموا البصريين اولاً ، لأن علم العربية عندهم أحسن »^(٤) . غير ان
 الكوفيين مع ذلك لم يتفقوا مع اساتذهم البصريين على صحة الاساس الذي يبنى
 عليه البصريون استقراءهم للغة ، فاحتلمت المدرستان في هذا ، وكان لكل منهما
 اطلس لغوي خاص اعتمدته في الاستقراء ، ولم يخل كلا للمنهجين من جانب
 ضعف واضح .

فقد « سعى البصريون للاخذ عن قبائل معينة ، وهدفهم هو الوصول الى
 تقعيد اللغة الادبية المشتركة ، غير انهم لم يفرقوا فيما اخذوه عن هذه القبائل ، بين
 تلك اللغة المشتركة ولهجات الخطاب . . . ولم يكن الكوفيون اقل منهم خطأ في
 الاضطراب والخلط ، لانهم اخذوا اللغة عن كل العرب ، ولم يفرقوا كذلك بين
 اللغة المشتركة ولهجات الخطاب »^(٥)

(١) اساس البلاغة ٥٠٥

(٢) العمري (المحفوظ) ق ١٤٦ ب

(٣) تاريخ الرواة ٢/٢٥٨

(٤) طبعات معجم النعمان ١٢ .

(٥) الفهرست ١٠٢

(٦) فصول في لغة العرب ٨٩

فألاساس الاول الذي اختلفت فيه المدرستان هو تحديد القبائل التي تؤخذ من لهجاتها اللغة او اطلاقها . فرأى البصريون تحديدها بالقبائل التي تسكن اواسط الجزيرة العربية دون غيرها ذاهيين الى ان هذه القبائل هي الفصحى ، وان القبائل التي سكنت اطراف الجزيرة العربية فسدت لهجاتها بمخالطة الامم الاعجمية المجاورة (انظر الخريطة) . وفي هذا يقول الفارابي (ت ٣٥٠ هـ) : « الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي اُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وعنيم واسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما اُخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتعريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض بطائين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجمله فانه لم يؤخذ عن حصري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم »^(١) . في حين لم يشترط ذلك الكوفيون بل اطلقوا الاحد عن القبائل العربية ما سكن منها لواسط الجزيرة العربية وما تطرف منها ، ذاهيين الى ان الاجماع قائم على ان جميع قبائل العرب تتكلم العربية ، وانه لم يثبت فساد السنتها بالمخالطة فعلاً ، وانما هو الافتراض المحض ، وعليه فيجب الاحد عنها جميعاً دون الاختصار على بعضها^(٢) .

واري ان في قول الفارابي - الذي يمثل وجهة النظر البصرية - نظراً ، من جهتيه النظرية والنطقية ، فانه من المفروض ان تستعرض جميع لهجات العربية ، فيوضع على اساس هذا الاستعراض الشامل القواعد اللغوية . كما ان القرآن فيه من لغات القبائل اكثر من القبائل التي ذكرها الفارابي في قوله السابق . وفي القرآن ما يسب الى لغات الأرد والأوس والخزرج وجرهم وحمر وحضرموت وغيرها كثير^(٣) بل فيه من اللغات السامية كالبطية والبريانية والبرانية والحشوية الشيء الكثير بوضاً . سوى ما فيه مما يسب الى الفارسية^(٤) . وقد اكتسبت هذه المفردات

(١) الاقتراح ٩ ولزهر ١/ ٢١١

(٢) مدرسة الكوفة ٣٧٦ وما بعدها

(٣) لغات القرآن ١٧ ، ١٨ ، ٤٧

(٤) نفسه ٢٢ ، ٤١ وانظر . لزهر ١/ ١٥٩ وصحى الاسلام ٢/ ٢٤٨ ، ٢٤٩

الاعجمية ملائح العربية حتى نسيت اصولها واتحدت مع المفردات العربية فصارت منها . ولا خلاف بين علماء العربية في صحة الاستشهاد بالقرآن كله بل بوجوه فيها اتفق فيه الاستعمال ، فلما اذا تستعد لهجات هذه القبائل العربية حين ينظر اليها على انها لهجات تطرفت قبائلها في السكن ، ويؤخذ بها حين يستشهد بما استعمل العرب من المأطها .

والحق ان البصريين والكوفيين اغفلوا التفريق بين اللهجات العربية واللغة المشتركة ، فاللهجات في واقعها لغات التخاطب بين افرادها ، في حين كانفراد القبائل يلجأون الى اللغة المشتركة اذا ارادوا ان ينشئوا ، فلهذا الشعر والخطبة وعبرهما من ضروب الانشاء الفني لغة تكاد تكون موحدة بين القبائل العربية جميعاً^(١) ، وان ظهر فيها ما يشير الى حلافات لهجية ، غير انها تختلف عن لغة التخاطب في القبيلة ، وان حاصية اللغة المشتركة الاساسية انها لغة وسطى تقوم بين لغات اولئك الذين يتكلمونها جميعاً^(٢) وقد شأت هذه اللغة العامة المشتركة بفعل ظروف اقتصادية وثقافية قبل الاسلام ، وزاد الاسلام من انتشارها ورسوخها بفعل عامل جديد هو العامل الديني ، يقول الدكتور ابراهيم انيس : « اقدم ما نستطيع تصويره في شأن شبه الجزيرة العربية ، هو ان فتخيلها وقد انتظمتها لهجات محلية كثيرة ، انعزل بعضها عن بعض ، واستقل كل منها بصفات خاصة ، ثم كانت تلك الظروف التي هيأت لينة معينة في شبه الجزيرة فرصة ظهور لهجتها ثم ازدهارها والتغلب على اللهجات الاخرى^(٣) »

هذه اللهجة التي كتبت لها العلبة هي لهجة قريش . وقد سادت - كما اشرنا قبل قليل - لاعتبارات دينية وتجارية وسياسية ، فكانت مكة والمدينة والطائف راحلة بالاسواق التجارية ، تلجها القائل للاجتماع والتجارة وقرض الشعر في المواسم فعمل ذلك على سيادة لغة قريش . يضاف اليه سبب مهم هو ان لغة قريش لغة

(١) في اللهجات العربية ٤٦

(٢) اللغة (فتوى) ٣٤١

(٣) مسهل اللغة العربية ٧

متحصرة ، ابتعدت عن الغريب ، واحذت مفرداتها من سائر القبائل^(١) ، لأن الوهدين إلى قريش كانوا يؤثرون فيها ، فتختار أحلى مفرداتهم وتضمها إلى مفرداتها ، يقول الفراء (ت ٢٠٧) : « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، ويحج البيت في الحامليه ، وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم نكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستبشع الالفاظ^(٢) . والكلمات المنسوبة إلى مذحج وإلى ازد مثلاً هي ليست كذلك في الحقيقة وإنما هي قريشية ، وقد دخلت في صلب لغة قريش . ولغة قريش هذه لغة صافية ليس فيها عريب ولا مستكره^(٣) ، وهي ملتقى اللهجات المختلفة ، وحدث توسع دائرتها فتأثرت بها القبائل وكان التأثير بها أكبر وأكثر من تأثرها بها ، وأصبحت هي لغة الخطباء والفصحاء عند سائر العرب ولهذا عمت ، وهذا ما يفسر لنا أن الشعراء من مختلف القبائل كانوا ينظمون بلغة قريش ، على الرغم من وجود اختلافات لغوية يسيرة في أشعارهم

وكان الميل إلى لهجة قريش في بعض الأحيان بدوافع دبية أكثر منها دوافع لغوية ، حتى طغى ذلك على ابن خلدون وظهر أن معيار الفصاحة في لغات القبائل مستمد من نسبة بعد هذه القبائل وقربها من قريش ، وإن دلوسى اللغة الأوائل المستقرين للهجات القبائل إنما لحظوا هذا البعد والقرب الجغرافي في وضعهم قواعد اللغة ، فيقول : « ولهذا كانت قريش أفصح اللغات العربية وأمرحها لبعدهم عن بلاد المعجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وحزاعة وبنو كنانة وخطمان وبنو أسد وبنو غنيم ، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وخصان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم القرس والروم والحشة ، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم ، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في النصح والفساد عند أهل الصناعة العربية^(٤) .

(١) المحقق ١١/٢ والصاحي ٣٣ وقد ألفت (وفي) ١٠٤

(٢) الزهر ١/١٣٣ .

(٣) مقدم ابن خلدون ٦٤٩ والزهر ١/١٣٣ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٦٤٩ .

والحق ان هذا لم يكن معيار الدارسين في تحديد فصاحة اللهجات ، وانما كان المعيار يقوم على تحديد مواطن القبائل العربية ، فيما توسط منها في شبه الجزيرة عدت فصحي القبائل ، وعلى نسبة قريها من الوسط كانت نسبتها في الفصاحة ، تختص كانت القبائل المتطرفة في السكن تعد من القبائل التي تأثرت بلغات الامم الاعجمية لتأخرتها لما في الموطن (انظر الخريطة) ، وهذا هو المستفاد من قول الفارابي الذي نقله سابقاً ، بل نص الفارابي على ان لغات قيس وتميم واسد فصحي اللغات فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ ومعظمه وعليهم اتكل في العربي وفي الاعراب والتصرف ، ولم يسلك قريشاً بينها ، بل لم يذكرها فيما عد من اللغات المعتمدة .

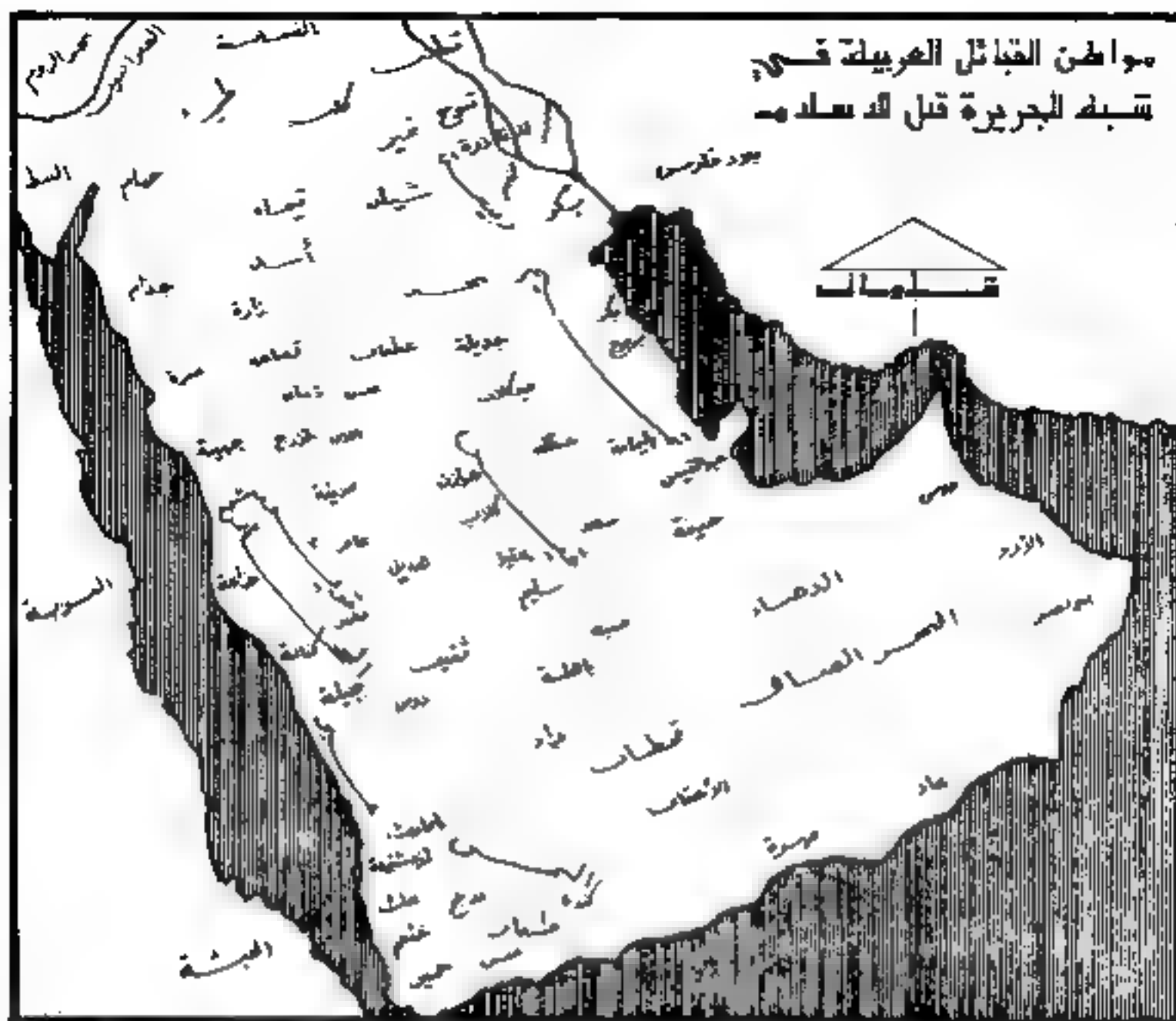
وفي قول ابن خلدون نفسه ما يوحى بالتناقض ، اد جعل بني اسد وبني تميم مثلاً من اكتنف قريشاً ، او من البيئات اللغوية القريبة من قريش ، واكبر الظن ان الذي جره الى هذا وجدانه كثيراً من الاستعمالات ينسب الى تميم او الحجاز في المصادر اللغوية القديمة ، في حين ان كلا منها اقليم واسع يضم عدة قبائل وعدة لهجات لا يمكن ان تخص لصحات لغوية موحدة بمجرد تسمية الاقليم الممتد الاطراف (انظر الخريطة) لانا نعرف ان طريقة نطق مدن الحجاز ليست في كل المواضع متفقة بل توجد بينها اختلافات شديدة^(١) . يعضد ذلك ما روي عن النبي (ص) حين سقطت من يده السكين ، فأشار على ابي هريرة ان يسلمها له ، فلم يفهم ابو هريرة مراد النبي (ص) لانه كان يسمى السكين (مُدِيَّة) ، وابو هريرة من قبيلة دوس التي عاشت على مسافة غير بعيدة من مكة (انظر موقعها في الخريطة) ، ركن اهلها على اتصال بالبيئة الحجازية قبل الاسلام^(٢)

وحين درس اللغويون لهجتي قريش وتميم قالوا ان الاولى افصح والثانية اقيس ، وضربوا لذلك مثلاً قوله تعالى : (ما هذا بشراً)^(٣) في إعمالها واهلها ، فاهلها تميمي واهلها حجازي ، وقريش حجازية . غير انهم قالوا - في الوقت

(١) انظر اللغوي الطبري ٢٨ واللغات السامية (تولدك) ٧٨ .

(٢) في اللهجات العربية ١٧٧ .

(٣) سورة يوسف ٣١ .



مصادر هذه الخريطة :

- ١- أطلس التاريخ الاسلامي : هاري هازارد وجماعة .
- ٢- الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي : عبد المصم فاجد وعلى السناء .
- ٣- الاطلس التاريخي : علي يوسف مخلص .
- ٤- في اللهجات العربية : د . ابراهيم انيس .
- ٥- مجموعة الوثائق السياسية : محمد حميد الله .

٦ Chaim Rabinancient west arabian

٧ DJAMBATAN.Historical Atlas of the Muslim Peoples.

نفسه - انهم عندما ارادوا تلوين اللغة وجلدوا ان لغة حاضرة الحجاز قد فسدت^(١) ، فكيف ينسجم هذا مع قولهم بفصاحتها ؟ اليس وراء هذا التناقض (عجالة) لقريش صاحبة الدين والحكم كما يقول تولدكه^(٢) ، وكان الدارسون يستندون في نسبة الفساد الى لغات القبائل الى سنيين ، الاول : مجاورة الامم الاعجمية ، والثاني : اقالة التجار الاجانب بين اهلها . اما الاول فهو الذي نص عليه الفارابي وابن خلدون كما مر ، واما الثاني فهو الذي اشار اليه المرء بقوله السابق « كانت العرب تحضر الموسم . . . » اي للتجارة ، ومثله ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) حين تحدث عن فصاحة قريش^(٣)

اقول انهم قدموا هذا دون دليل مقنع ، والا فما هي مظاهر ذلك التأثير . وكان عليهم ان يقدموا الشواهد المتأثرة باللغات الاعجمية ، ثم يوزنوا بينها وبين شواهد اخرى من كلام العرب ، ليتبين للدارسين مدى تأثير هؤلاء بالا عجم ومدى بعد اولئك عن هذا التأثير . واذا كان صحيحاً ان تاجراً واحداً يفسد لغة قبيلة ، فكيف لا تفسد لغة قريش في مكة وقد عاش بين ظهرانيها كثير من التجار ، اولغة اسد وقد استوطنت الكوفة وفيها كثير من التجار ايضاً ؟ . ان نظرة القدماء الى اللغة على انها (توقيف) هي التي حالت دون نظرهم اليها باعتبارها ظاهرة اجتماعية تخضع للتطور ، فلذا كان القرآن قد نزل لمعة قريش ، فكيف نضر وجود الالفاظ العبرية والسريانية والفارسية وغيرها فيه ؟ واذا كانت قريش - وهي فصحي اللهجات العربية كما يقولون - قد حوت العاظاً اعجمية ، فلماذا لم يؤخذ بلغات القبائل الاخرى المتاخمة للامم المجاورة ؟ فهل محصورها وعربلوها ليجلدوا ان فيها من الاثر ما يغطي على فصاحتها واساليبها الاصلية ومفرداتها الاولى ، بحيث تجاوز ما يصرّف بتقارض اللغات الطبيعي ؟ الواقع ان الاختلافات التي اشاروا اليها بين لهجة قريش وغيرها ، او بين اللهجات عموماً لا تتجاوز الاختلاف في الاصوات والاختلاف في الابنية ، اما الاسلوب العام فلم يمس شيئاً . ولا ثبوت ذلك صحن نستعرض لان

(١) الزهر ١/٢١٢ والاقتراح ١٩ .

(٢) اللغات السامية ٧٨

(٣) الصاحبي ٢٣

هذه الخلافات كما حصرها القدماء في مصنفاتهم^(١) ، لنختصر الى الحقيقة التي اشرنا اليها :

أ- الاختلاف في الأصوات :

أ- الاختلاف في السين والصاد والزاي ، مثل : صراط وسراط وزراط . فالصاد لغة قريش ، واشتهر الصاد زايًا لغة قيس ، والسين لغة عامة العرب غير قريش ، والزاي لغة عذرة وكعب وبني القين^(٢) .

ب- الاختلاف في القاف والكاف : بعض العرب ومنهم بنو تميم يلفظون القاف صوتاً بين الكاف والقاف ، ومنه قول الشاعر : ولا أقول لكدر الكوم .. الخ ،^(٣) اي ولا أقول لكدر الكوم .

ج- الاختلاف في اصوات اللد : ومنه الاختلاف في الفتح والامالة ، فبعض العرب يؤثرون الفتح وبعضهم الامالة كما في قضى ورعى . والفتح لغة اهل الحجاز والامالة لغة عرب وسط الجزيرة وشرقيها كتميم واسد وطى . ولهذا شاعت الامالة في قراءات اهل الكوفة واهل البصرة ، والائمة الذين يميلون هم ابو عمرو بن العلاء والزيات والكسائي .

د- الاختلاف في الفتح والكسر ، كما في العمل المضارع : تعلم تعلم ، تعلم تعلم ، وأعلم أعلم . ومن الكسر الواضح (إعمال) . والكسر لغة جميع العرب الا اهل الحجاز . ونقل ابن فارس عن القراء في نَسْتَعِين ونَسْتَعِين انه قال : هي مفتوحة في لغة قريش ، واسد وغيرهم يقولونها بكسر النون^(٤) . ويذكر القرطبي ان كسر النون في نَسْتَعِين لغة تميم

(١) معاني القرآن ٢ / ١٤٤ والصاحي ١٩ والبحر المحيط ١ / ٢٥ والنشر في القراءات العشر ١ / ٢٣ ولقد صرح

١ / ٩ وعناصرات الدكتور المحرومي (ملوثي) ٧

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٥

(٣) الصاحي ٢٥

(٤) الصاحي ١٩

وقيس واسد وريعة^(١) .

هـ - الاختلاف في الحركة والسكون : كما في معكم معكم ، فعص القائل
يفتح العين وبعضها يسكن .

و - الاختلاف في الهمز والتلين : ومعلوم ان فريشاً واهل الحجاز يسهون
اية همزة ترد اي لا ينبرون سوى الحركات التي يتدا بها^(٢) .

ز - الاختلاف في التخلص من التقاء الساكنين : فبعضهم يتخلص بالكسر
وبعضهم يلجأ الى غير الكسر ، مثل قوله تعالى : (واشتروا الضلالة
بالمهدي)^(٣) بالضم ، والاكثر : (واشتروا الضلالة) بالكسر .

ح - الاختلاف في الابدال والادغام ، كما في : المهتلون والمهتون .

٢ - الاختلاف في الابنية :

أ - الاختلاف في صورة الجمع : مثل أسرى وأسارى في جمع أسير ، وشرط
واسرطة في جمع سراط ، وثمر وأجرة في جمع حار .

ب - الاختلاف في الزيادة : مثل انظر وانظور .

ج - الاختلاف في التضعيف والفك : مثل ردّ وارقد ، ولم يرد ولم يرقد ، ومن
يشاق ومن يشاقق . التضعيف لغة بني عجم والفك لغة اهل الحجاز
ومنه ايضاً فكه ياليه مثل : أمّا وإمّا .

د - الاختلاف في الحذف والاثبات : مثل استحييت واستحييت ، يمين لغة
اهل الحجاز ومنه قوله تعالى : (تمشي على استحياء^(٤)) وقوله ايضاً :
(يستحيون من الناس) . وبياء واحدة لغة عجم وبكر بن وائل .

(١) اجمع لاحكام القرآن ١/ ١٤٦ .

(٢) لسان العرب ١/ ١٤ ، ٧/ ٤٠ .

(٣) سورة البقرة ١٦ .

(٤) سورة القصص ٢٥ .

هـ - الاختلاف في ابدال الحروف : مثل أولئك وأولائك .

و - الاختلاف في التقديم والتأخير : مثل جَذَبَ وَجَبَدَ ، والصَّاعِقَةُ والصَّاعِقَةُ .

ز - الاختلاف في الوقف على الهاء : مثل هذه أُمَّة وهذه أُمَّة ، وفاطمة وفاطمة .

ح - الاختلاف في بعض الاسماء ، ومنه الاختلاف في اسم الروح الامين : اهل الحجاز يقولون جبريل بكسر الفاء على (فعْلِيل) ، ونعيم ونيس وكثير من اهل نجد يقولون جَبْرَيْل . والكلمة سامية : جبر بمعنى رجل ، وايل بمعنى الله ، وجميعاً تمنى رجل الله وكذلك احتنعوا في ميكائيل ، وقال الحجازيون ميكال ، ومنه قول الشاعر :

عَبَدُوا الْعُصْلِبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِجَبْرَيْلٍ وَكَذَّبُوا بِمِيكَالِ

اقول : لعل في الشاعر ما يدعو الى الشك ، فان لم يكن مصنوعاً فبامكاننا حمل استعمال الشاعر لميكال على الضرورة ، لأن الشاعر باستعماله جبرئيل ليس حجازياً ، لعدم حواز جمعه بين لعتين من غير ضرورة .

ط - الاختلاف في الاعراب والبناء كما في (أمس) : فهي مبنية على الكسر عند اهل الحجاز ، وبنو نعيم يوافقونهم على البناء على الكسر في حالتها الصب والجبر ، اما في الرفع فيرفعونها كقولهم : ذهب أمس بما فيه^(١)

ي - الاختلاف في تحديد نوع الكلمة ، كما في (هلم) : فهي عند اهل الحجاز اسم فعل نفى هكذا في المفرد والمثنى والجمع ، وهذا نزل القرآن ايضاً ، فقال تعالى : (هَلُمَّ الْيَنَّا) و (هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ) اما في لغة بني نعيم فهي مصرفة تلحقها الضمائر المختلفة : هلم ، هلماً ، هلموا ، هلمني ، هلمنن .

(١) لسلا العرب ٩/٦

ك - الاختلاف في التذكير والتأنيث : مثل هذه البحر وهذا القر .

ل - الاختلاف في المطابقة بين الفعل والفاعل في العدد تقدم الفعل أو نأخر
الالتزام بالمطابقة لغة بني الحارث ، وهي اللغة التي سميت بلغة اكلوني
البراغيث^(١) . وقد جاء بها القرآن ايضاً ، قال تعالى : (وأسرّوا السّوى
الدين ظلّموا)^(٢) ، وجاء في الحديث ايضاً : « يتعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار » ، على ان هذا الحديث قد روي رواية اخرى لا
يكون فيها شاهداً على ما نحن بصدده .^(٣)

م - الاختلاف في استعمال المثني بالالف مطلقاً : وعلى ذلك قراءة قوله تعالى :
(ان هذان لساحران)^(٤) ، وقول الشاعر :

وأطرق أطراف الشّجاع ولو يرى مساعداً لآباء الشّجاع لصمماً

وذكر القراء هذا الشاهد ، ونسب لغة استعمال المثني بالالف مطلقاً الى
بني الحارث بن كعب وحشم وبني كنانة ، وحكى هذه اللغة ابو الخطاب
الاخفش والكسائي وابو زيد ، وعلق القراء على قول العرب : (هذا خطيذا
أخشي بعينه) بأن هذه اللغة هي الافيس ، ولهذا اتفق العرب على
(كلا)^(٥) .

٣ - الاختلاف في الأعراب فمن ذلك :

أ - الاختلاف في نصب الخبر في النفي بما ورفعه : فالنصب لغة اهل الحجاز ،
وبذلك جاء التنزيل العزيز ، قال تعالى : (ما هذا بشراً)^(٦) ، والرفع
لغة نجيم .

(١) كتاب سيرة ١/ ٥ ، ٦٠

(٢) سورة الاسياء ٣

(٣) الاقراخ ١٩

(٤) سورة طه ٦٣

(٥) معاني القرآن ٢ / ١٤٤

(٦) سورة يوسف ٣١

ب - الاختلاف في نصب الخبر المستثنى ورفع في النفي بليس : مثل ليس الطيب إلا للمسك والالمسك . فالنصب لغة أهل الحجاز ، والرفع لغة تميم . هذه هي أهم الخلافات اللغوية بين اللهجات العربية ، تحلص من دراستها إلى أنها ترجع في الأعم الأغلب إلى الأصوات والأبنية ، أما التأليف الجملي العام فلم يمس اختلاف اللهجات في شيء . وعلينا في ضوء ذلك أن نعيد النظر فيما أبعد من اللهجات العربية عن الدراسة بحجة التأثير بالأمم المجاورة الأعجمية ، وإن تقوم أسس الفصاحة تقويماً جديداً يستند إلى أطلس لغوي يأخذ بعين الاعتبار المادة اللغوية اللهجية لا للوطن الجغرافي معياراً في القبول والرفض .

ولم يقف الخلاف في أسس الاستقراء عند هذا الحد ، وأعني به الخلاف في فصاحة اللهجات ، وإنما تجاوز ذلك إلى الخلاف في الأخذ عن أهل الحضر . فالبصريون منعوا الأخذ عن هؤلاء لأن السنة البداءة تفسد لطول مقامهم في الحضر ، يقول أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٧ هـ) : « لم أرَ بدوياً أقام في الحضر إلا فسد لسانه . غير رؤية والفرزدق »^(١) . فالأصل أن يفسد لسان البدوي في الحضر فلا يؤخذ عنه ، أما رؤية والفرزدق فمن الشواذ الذين لا يقاس عليهم ، ولا تنتفض بهم قاعدة مطردة . أما الكوفيون فقد اجازوا الأخذ ممن يوثق به من الأعراب الحضريين ، فأضافوا إلى مصادرهم اللغوية مصدراً يستمد مادته من اللغات التي أبعدتها البصريون ، وهي « لهجات عرب الأرياف الذين وثقوا بهم ، كأعراب سواد الكوفة من تميم واسد وأعراب سواد بغداد من أعراب الحطمية »^(٢) ، إذ لم يجدوا في السنة هؤلاء فساداً ظاهراً .

ولو تتبعنا النقد البصري الذي كان يوجه إلى هذا المنهج لوقفنا على عمق الخلاف في هذه المسألة ، ولنقرأ بعض ما وجه للكسائي (ت ١٨٩ هـ) مثلاً من هذا النقد يقول أبو زيد (ت ٢٥٥ هـ) : « قدم علينا الكسائي البصرة فلقني عيسى والخليل وغيرهما ، واخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار إلى بغداد فلقني أعراب

(١) غرارة الأدب ١ / ٢٠٤ .

(٢) مدونة الكوفة ٢٢١ ونظر العربية (نك) ٦١ .

الخطمة ، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن ، فأفسد بذلك ما كان أحذه بالبصرة كنه^(١) . ويقول أبو حاتم (ت ٢٥٥ هـ) : « وعلمه غلط بلا حجب ولا علس ، إلا حكايات عن الأعراب مطروحة ، لأنه كان يلقنهم ما يريد^(٢) » ويقول ابن درسون (ت ٣٤٧ هـ) : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة ، فيحمله أصلاً فيقيس عليه ، واختلط بأعراب الأيلة ، فأفسد بذلك النحو^(٣) » حتى أن هذا المنهج الكوفي صار مدعاة لسحرية البصريين ، فقام الرباعي (ت ٢٥٧ هـ) يتندر على الكوفيين بقوله : « إنما أخذنا اللغة عن حرث الصواب وأكل البراييع ، وهو لاء يأخذونها من أكل الشوايز وباعة الكواميخ^(٤) » .

ويغض النظر عن صواب المنهج الكوفي أو خطئه ، فإن الباحث في المادة اللغوية البصرية يقف على أن البصريين لم يكونوا دائماً متمسكين بما ألزموا به أنفسهم من عدم الأخذ عن الحضري ، وقد من بعضهم ما يخالف منهجهم ، فقد روي عن يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) أنه كان يستشهد في اللغة بكلام أبي علي الأسواري الفارسي الأصل البصري المسكن ، الذي ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أنه كان يجلس إليه العرب والعجم ، فكان يتعجب من فصاحته فلا يدرى بأي اللسانين أفصح^(٥) . واستشهد البصريون جميعاً بشعر رؤبة والفرزدق وكلاهما حضري بنص أبي عمرو بن العلاء الذي نقلناه قبل قليل معترفاً بأن لسانيهما لم يفسداً ، ومثل رؤبة والفرزدق كثير من الشعراء . كما نجد ابن النديم (ت حدود ٣٨٠ هـ) حين تحدث عن الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم البصريون والكوفيون ، والذين وضعوا لسانهم مسدداً في الباب الأول ، ذكر في تراجمهم أن هؤلاء سكنوا الحواضر ، ونكسب بعضهم بتعليم الصبيان ، وتخرج عليهم جماعة من علماء اللغة والنحو^(٦) . فالزعم بأن البصريين إنما أخذوا اللغة عن حرث الصواب وأكل البراييع

(١) انباء الرواة ٢ / ٢٧٤

(٢) مراتب النحويين ٧٤

(٣) منهج الرواة ٢ / ١٦٤ .

(٤) انباء النحويين ٦٨ والفهرست ٦٤ والاقتراح ٨٤ .

(٥) البيان والبيان ١ / ٢٨٣

(٦) الفهرست ٨٥ وما بعدها

زعم لا يعصده سلوك المصريين ، مثله مثل زعم الفارابي فيما نقلناه عنه في صدر هذا الكلام من ان اللعويين اخذوا فيما اخذوا من لغات القبائل عن (بعض الطائيين) ، فحين يستعمل الطائيون الاسم الموصول (ذو) و (اللذون)^(٢١) ، اعملت الدراسة اللعوية ذلك ولم تأخذ به . على اني - متواضعاً - لم افهم هذا التعويض ، فهل كان (بعض الطائيين) يتكلمون بما يخالف لغة سائر الطائيين فافردوا واتخذ عنهم ولم يؤخذ عن سواهم من ابناء طيء نفسها ؟

...

السماع والقياس :

السماع هو الرواية . وذلك ان يكون الراوي سمع بنفسه ما يرويه عن غيره فمن كان هناك ما يفصل بين الراوي السامع والمروي عنه ، كان يكون بينهما راو آخر او كتب مؤلف ، فيمد ذلك رواية لا سماعاً ، فالسماع ، في اللغة : « هو الاخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها »^(٢٢) وهذه المباشرة هي التي تفرق بين السماع والرواية ، فالرواية عامة والسماع خاص لا يصدق الا على المشاهدة .

ومن الطبيعي ان يكون اهتمام الدارسين الاوائل بالسماع عن العرب كبيراً ، لان هؤلاء هم الذين تصدوا لجمع المادة اللعوية وتدوينها ، فروي ان الكسائي سأل الخليل : « من اين اخذت علمك هذا ؟ فاجابه : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة »^(٢٣) . ونقل ياقوت ان الكسائي : « خرج الى الحجاز فاقام مدة في البادية ، حتى حصل من ذلك ما ذكر انه افنى عليه خمس عشرة فتيحة من الخبر غير ما حفظه »^(٢٤) ومثل الكسائي واستاذُه الخليل جبهة كبيرة من العلماء ، حتى عد ابو عمرو بن العلاء والاصمعي بعده من المتمكنين بالسماع^(٢٥) .

(٢١) اصول التكميل السعوي ٢١

(٢٢) امه الرواق ٢/٢٥٨

(٢٣) معجم الاصل ١٣/١٦٨

(٢٤) خصائص ١/٣٦٦-٣٦٧

ولا بد ان تخضع اسس السماع عن العرب الى الاسس المعتمدة في الاستقراء ، فكان السماع لدى البصريين مبنياً على ما رسموه في اطلسهم اللغوي للقبائل العربية وما حددوه من تفاوت نسبتها في العصاخنة ، يتجلى ذلك في قول ابي زيد الانصاري : « لست اقول قالت العرب الا اذا سمعته من هؤلاء » ذكر بن هوارن ويني كلاب ويني هلال او من عالية السافلة او من سافلة العالية^(١) . فالسمع من هؤلاء دون غيرهم هو الذي يسوع لابي زيد ان يقول قالت العرب ، والا فان سماعه من غيرهم ليس من كلام العرب . وحين كان السماع لدى الخليل يعتمد مشاهة الاعراب - كما مر في النص - والنقل عن القراء واستقرار السليقة في نفسه ، نجده كذلك لدى تلميذه سيويه ، مضيفاً اليه النقل عن علماء اللغة الموثقين ، مبعداً الاستشهاد بالحديث الشريف^(٢) ، على ما سنسط الكلام عليه

وكان علماء اللغة يشترطون في النقل شروطاً ذكرها ابو البركات الاساري (ت ٥٧٧ هـ) بقوله : « النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح . الخارج عن حد القلة الى حد الكثرة »^(٣) . وتنطبق هذه الشروط انطباقاً تاماً على مورد السماع لدى سيويه واساتذته^(٤) . وعلى ما اضافته سيويه من النقل عن العلماء الموثقين وقام ابن هشام ببيان مصطلحي القلة والكثرة وغيرهما فقال : « اعني بهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً . فالطرْدُ لا يتخلفُ ، ونفاثُ اكثرُ الاشياء وثكنه يتخلف والكثيرُ دونه ، والقليلُ دون الكثير ، والنادرُ اقلُ من القليل ، فالعشرون بالنسبة الى ثلاثة وعشرين غالبها ، والخمسة عشر بالنسبة اليها كثيرٌ لا غالب ، والثلاثة قليلٌ ، والواحد نادرٌ ، فعلم بهذا مراتب ما يقال فيه دلت »^(٥) . وعلى الرغم من ذلك كله فان الدارسين على اختلاف اسهم المهجية في لسان متفقون على ان السماع اصل والقياس فرع عليه ، وان السماع ينقضي هيباً سابقاً .

(١) مواجر ابي زيد *

(٢) المدارس النحوية ٨٠

(٣) لمع الاطلة ٨١

(٤) الكتف ١ / ٢٩٠ ، ٢ / ١٢٧

(٥) الزهر ١ / ٧٣٤

يقول ابن جني « اذا ادالك القياس الى شيء ، ثم سمعت العرب نطقت فيه شيء آخر على قياس غيره قدح ما كنت عليه ، وهذا يشبهه شيء من اصول الفقه ، نقص الاحتجاج اذا بان النص بخلافه^(١) » .

اما القياس فهو مصدر قايَسَ بين الشيئين اي قَدَرَ ، وقياس الطبيب الشَّجَهَ بالقياس أي قَدَّرَ عَوْرَهَا بِهِ ، وبينهما قيسٌ رُمحٌ وقيسٌ اصنعُ أي قَدَّرَ^(٢) . وهو في المصطلح العلمي تقدير الفرع بحكم الاصل ، ولا بد له من اربعة اركان : اصل وفرع وعلة وحكم^(٣) . ويعد استخدام القياس من الاسس المنهجية في دراسة اللغة . وقد احدث به اللغويون جميعاً ، البصريون منهم والكوفيون ، غير انهم اختلفوا في كثرة الاخذ به والاعتماد عليه . اذ كان البصريون اكثر من سواهم ميلاً الى استخدامه في دراساتهم .

وكان عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) اول من اسس استخدام القياس في اللغة ، فقول انه : « كان اول من بعث النحو ومد القياس وشرح العلل^(٤) » . وقال ابن سلام : « وقلتُ انا لبؤس : هل سمعتَ من ابن ابي اسحاق شيئاً ؟ قال : سألته يوماً . هل سمعتَ أحداً يقول الصَّوِيْقُ يريدُ الصَّوِيْقُ ؟ قال : بنو تميم يقولون ذلك ، عليك باب في النحويين قاس^(٥) » . وقد حفظ لنا سيبويه في كتابه وابن سلام في طيفاته اغلب آراء ابن ابي اسحاق ونظرائه في القياس .

ثم جاء اللغويون بعده ووسعوا الاخذ بالقياس ، فاعتمد عليه عيسى بن عمر الشافعي (ت ١٥٤ هـ)^(٦) ، وابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٧ هـ) الذي قال فيه ابن

(١) المحقق ١/ ١٢٥ والاخراج ٨٣ .

(٢) اسس لبلغة ٥٣٠

(٣) لمع الادلة ٩٣

(٤) طبقات ابن سلام ١٤

(٥) ص ١١

(٦) المكتاب ١/ ١٩٩ ، ٢٦١ ، ٣١٣ والموضح ٤١

حتى : « كان ممن نظروا في النحو والتصريف وتقرّبوا لوفاسوا »^(١) وقد استخدمه يونس من حبيب (ت ١٨٢ هـ) في مذهبيه التي تفرد بها^(٢) . ومثله الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) الذي مر بنا خلال دراستنا معجمه (العين) لجوؤه إلى القياس في أحيان كثيرة ، حتى نسب إليه وإلى سيويه (ت ١٨٠ هـ) أنها يريان أن « ما فبس على كلام العرب فهو من كلامهم »^(٣) . وركن إليه أيضاً الأحفش الأوسط (ت ٢١١ هـ) وابن عثمان المازني (ت ٢٢٥ هـ) وابن علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) من البصريين^(٤) ، وابن جعفر الرواسي (ت ١٨٧ هـ) ومعاذ الهراء (ت ١٩١ هـ) والهراء (ت ٢٠٧ هـ) وغيرهم من الكوفيين ، فحين أجاب الهراء عن سؤال وجه إليه ، علل جوابه بقوله : « قسّته على مذهبنا في العربية »^(٥) .

وكان أساس القياس عند هؤلاء الأوائل جميعاً يقوم على السماع والرواية ، وقد عرفنا أنهم ممن شافه العرب ، فلم تكن لديهم قاعدة لغوية لا يمكن تغييرها ، إذ لم يحدوا حرجاً في كثير من الأحيان من تعديل قواعدهم إن اقتضى الأمر ، حتى تشمل الحقائق اللغوية . وما اختلاف الكسائي وسيويه في المسألة المعروفة بالزنبورية إلا دليل على استخدام القياس المعتمد على السماع^(٦) ، وإن اختلفت أسسه كما قدمنا . وحين لم يكن القياس في هذا العصر عدلاً للقاعدة كما أصبح فيما بعد ، بحيث ينصع لها كل شيء ، فإن استعصت على أن تشمل استعمالاً ما ، قالوا شاذ يحفظ ولا يقاس عليه . أقول حين كان الأمر كذلك راجح الدرس اللغوي بما جد فيه من اصطلاح القياس يستقل بصاحبه ابن أبي اسحاق ، فيقول ابن سلام : « سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي اسحاق وعلمه ، قال : هو والبحر سواء وهو العاية . قال : فأبى

(١) المصنف ٢٤٩ / ١ ، ٧٣ / ٣ وانظر : الاتصاف ٢٠٧ والنقي ٥١٥ والمجم ١١٥ / ١

(٢) المصنف ٢١ / ٢ ، ٧١ / ٣ والنص ٨٥ / ٢ والنقي ٨٢ وشرح التصريح ٧٤ / ١

(٣) النص ١٨٠ / ١

(٤) النص ١٨٠ / ١ والمصنف ٣٥٧ / ١

(٥) البره ٦٧

(٦) مجلس العلماء ٨ وطبقت قرينش ٦٨ ونور القيس ٢٨٨ والاتصاف ٧٠٢ وانباء الرواة ٣٥٨ / ٢ والنقي ٩٣

ومصنف الآداب ١٨٥ / ١٣ ، ١١٩ / ١٦ والانتباه والتظنر ١٥ / ٣ والنجيه ٢٣٠ / ٢ وعلة الخطبة : السه ٩ العدد

١٩٦٥ / ١٠١ م

علمه من علم الناس اليوم . قال : لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لصحت منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه وتفاهه ونظرة لكان اعلم الناس^(١) .

ويبدو ان اقبال الدارسين على القياس وكثرة اصطلاحهم اياه في دراسة اللغة يعود الى مسة تعليمي يتلخص بقول الدكتور عبد الحميد الشلفاني : « ومن الدواع التي وجهت اصحاب القياس الى وجهتهم هذه فيما اعتقد ، ان كثرة باللغة من طلاب اللغة لم يكونوا من العرب ، فكانت مسألة القياس ووضع اللغة تحت كليات عامة اسهل بكثير من محاولة الاحاطة باللغة وحصر ما يمكن حصره منها عن طريق السماع^(٢) » . وما ذهب اليه الدكتور الشلفاني صحيح الى حد بعيد ، ولعل قوله يفسر لنا ايضاً ميل البصريين اكثر من الكوفيين الى اصطلاح القياس حتى عد من سمات منهجهم في دراسة اللغة ، ذلك ان طلاب اللغة من غير العرب في البصرة يُربي عددهم كثيراً على امثالهم في الكوفة ، كما مر من دراستنا لهذين المصنفين في لباب الاول .

والحق انه لا يمكن ان يستغني الدرس اللغوي عن القياس ، وفي كل لغة شيء من القياس ، ذلك ان اللغات الحية وغير الحية لا تخلو من صيغ قياسية وصيغ شاذة ، فلا ضير من اصطلاح القياس وتطبيقه اذا كان المراد به القياس اللغوي ، وكما قد اشرنا الى ان الذي استخدمه الاوائل كان قياساً مقبولاً لانه لم يخرج عن دائرة القياس اللغوي^(٣) . فقد رأى الخليل مثلاً انه اذا اجتمع واوان في كلمة فتقلب اولاهما همزة او ثاء ، فهي تصغير واصل نقول (اَوْيَصِل) ومن حذفها في الاصل ان تكرر وَوَيَصِلًا . والاسم من وَكَح (تَوَلَّج) وليس وَوَلَّجًا فلم يمت الخليل ما وصفه وقرره بالشذوذ او الخروج عن القاعدة لانه غير مقيس على مثيله في اللغة . بل وضع له القاعدة المناسبة

اما القياس الذي اصبح اصطلاحه على غرار القياس المعهني من الاسس

(١) طبع في سنة ١٢٢٢ هـ وانظر برهانه الاصل ٢٤

(٢) رواه اللغة ٢١٩

(٣) كتاب حيوة ١ ٢١٢

المنهجية في الدرس اللغوي ، فهو الذي يجب تنقية الدرس منه ، بعد ان صدر العاية من دراسة اللغة لا الوسيلة الى وضع قواعدها^(١) . والضمير في اصطلاح القياس العقلي الذي يقوم على رصد العلة ، وعلى الدرس اللغوي ان يرفص هذا النوع منه لانه اجنبي عنه ، وليس في قول امي البركات الانباري : « فان يبهما من الماسة لا حفاء فيه ، لان النحو معقول من منقول ، كما ان الفقه معقول من منقول^(٢) » ما يسوع الاحد بهذا القياس وان نص على التحودون غيره ، ذلك ان الدراسة اللغوية عموماً - ومنها النحو - ابعد ما تكون في طبيعتها عن (المعقول) . فمن القياس العقلي مثلاً : الحرة حرام لعلة الاسكار ، فان قيل ما حكم الفقاع ؟ قيل اذا توفرت فيه علة تحريم الحرة وهي الاسكار حرم لاشتراكه معها في العلة . فهذا النوع من القياس غير وارد في اللغة ، اذ لا يمكن تحليل اللغة هذا التحليل الفلسفي وهو معيب من ناحيتين ، الاولى : ان القياس العقلي - لا الفقه - يفترض ان اللغة ثابتة وانها قوالب غير متغيرة وهو يناقص فكرة ان اللغة متطورة لا تستقر على حال . والثانية : انه قياس تعليمي لا خفاء فيه ولا جدوى منه في الوقوف على حقائق اللغة وقوانينها ، وكثير من امثله في مصنفات اصحابه يدل على انها امثلة لا واقع لها في اللغة^(٣) ، كقولهم مثلاً : كيف تبس من ضرب على فعلك ؟ ولا وجود لبناء (ضرب) في اللغة .

ويبدو ان محاولات ربط اللغة بالعقل ، ثم تطبيق قياس احدها على الآخر ، محاولات قديمة ، فيروي ان بشرا المريسي الممتزلي قال للفراء (ت ٢٠٧ هـ) يوماً : « اريد ان اسألك مسألة في الفقه ، ما تقول في رجل سها في مسجدتي السهو ؟ قال : لا شيء عليه . قال : من أين لك ذلك ؟ قال : فسنته على مداها في العربية ، وذلك ان المصغر لا يصغر ، وكذلك لا يكتفت الى السهو في السهو^(٤) » . كما يشير ابن حبي الى ان الاخفش الاوسط (ت ٢١١ هـ) كان يصططع القياس العقلي وان له تأليفاً فيه ،

(١) انظر : اصول النحو العربي ١١٦ .

(٢) الاخرم ٣

(٣) كتاب سيويه ٢٢/٢ ، ٥٨ .

(٤) مرجه الآلية ٦٧

فقال « سبقي ابو الحسن الى هذا ، وكان مختصراً وانا اكملت ما بدأ به^(١) ، ولا
 بعد للاحفش كتاباً يبحث فيه هذا الموضوع . وعلى الرغم من تصريح ابن جني
 (ت ٣٩٢ هـ) بأنه يكمل ما بدأ به الاحفش ، وانه أخذ بهذا القياس في دراسة
 اللغة ، الا ان امثلة تطبيقه لهذه المحلولة قليلة في آثاره اللغوية لو قيست بآثار غيره .
 والاكثر في هذه الآثار استخدام القياس اللغوي^(٢) ، ذلك انه يختار سعة الاطلاع
 والدقة ، وهو من المشافهين للاعراب على قلتهم في زمانه ، وعلى صلة بالمصادر الحية
 لعدة كصلته بأبي عبد الله الشجري من الاعراب^(٣) ، وعنده خروج كثير عن السبيل
 المرسومة لقياس الفقه ، شأنه في ذلك شأن اسلافه من العلماء من ذكرنا منهم ومن
 لم يذكر .

غير ان تطبيق القياس المقهي بحذافيره لم يتم الا على يد ابي البركات
 الانباري (ت ٥٧٧ هـ) في كتابيه : (الاعراب في جدل الاعراب) و (لمع
 الادلة) ، يقول الانباري : « ان الحوكله قياس^(٤) » . ويقول ايضاً : « واذا بطل
 ان يكون النحو رواية وتقليداً وجب ان يكون قياساً وعقلاً^(٥) » . هذه هي حدود
 الدرس النحوي عند الانباري ولا نريد ان نحوض في مناقشته ما دام الامر يخص
 النحو وحده دون اللغة ، وهو خارج عن خطة البحث . الا اننا نشير الى ان الدكتور
 مازن المبارك نسب قول الانباري الاخير الى اس جني ، دون ان نعلم مصدره في
 ذلك^(٦) . وفي حدود اطلاعنا على آراء ابن جني ، نجد انه يقول في باب (اللغة
 المأخوذة قياساً) من احد كتبه : « ومعلم الله ان نرى ان جميع اللغة تستدرك بالادلة
 قياساً^(٧) » . وهذا يخالف قول الانباري المنسوب اليه . على ما بين مصطلحي (اللغة)
 و (النحو) من فروق . قد يكون ابن جني والانباري التما اليها في قوليهما .

(١) المختصر ٢/١

(٢) ابن جني النحوي ١٥٦

(٣) المختصر ٧٦/١ ، ٧٨ ، ٧٤٠ ، ٢٦/٢

(٤) لمع الادلة ٩٥

(٥) ص ٩٩

(٦) النحو العربي : اللغة مشتاقها ١١٢ .

(٧) المختصر ٢/ ٤٣

المادة اللغوية (الشواهد) :

اتبنت مواقف اللغويين العرب من الشواهد على أسسهم في الاستقراء والسماع والقياس ، ولذلك فقد تمايزت هذه المواقف تبعاً للأساس الذي تستند إليه ، فالصريون عموماً يختلفون مع الكوفيين في أهمية الشاهد وملح الاعتماد عليه وأنواعه ، ولما كان القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف ، وكلام العرب الشعري والثري ، تمثل جميعاً مصادر الدرس اللغوي ، كان اهتمام القدماء به كبيراً ، ونرى الآن ذلك :

١ - القرآن الكريم وقراءاته :

يعد القرآن الكريم لدى اللغويين جميعاً أعلى أنواع الشواهد مرتبة ، لأنه أفصح الكلام وأبلغ التعبير ، يقول البغدادي : « كلامه عر اسمه أفصح كلام وأبلغ ، ويجوز الاستشهاد بمقتواتره وشأده^(١) ، ذلك أن القرآن وصل إلينا بقراءات مختلفة ، منها المتواتر ومنها الأحاد ومنها الشاذ ، فالتواتر هو القراءات السبع المشهورة والأحاد هو القراءات الثلاث التي تلحق بالسبع وما يترتبها من قراءات الأئمة ، والشاذ هو ما دون هذه القراءات^(٢) وكل واحدة من هذه القراءات تتصل بسناداً بالنسبة (ص) على الرغم من اختلافها عن الأخرى ، يقول ابن حليون : « أن الصحابة رويهم - أي القرآن - عن رسول الله (ص) على طرق مختلفة في بعض ألفاظه ، وكميات الحروف في لادائها^(٣) ، والسناد الصحيح هو الأصل الأعظم والركن الأقوم^(٤) .

واشتهر من القراء : أبو عبد الرحمن السلمي في الكوفة ، وزر بن حبيش ، وعاصم بن أبي الجلود . وحزرة الزيت ، وعلي بن حمزة الكسائي ، وأبو عمرو بن العلاء في البصرة ، وعبد الله بن عامر في الشام ، ونافع في المدينة ، وابن كثير في

(١) عزائه الأصم ٤ / ١ .

(٢) عاب النهاية ١ / ٣٥٠ والمختص ١ / ٣٢ .

(٣) مقدمه ابن حليون ٩٩٤ .

(٤) الاتفاق ١ / ٧٥ .

مكـ وكان اللغويون والنحاة الأوائل - كما مر بنا في الباب الأول - من القراء الأوائل المعيين بوجوه الخلاف بين القراءات ، ذلك ان القراءات تمثل جنساً من حركات اختلاف اللهجات ، ففي القراءات اوجه نحوية متعددة ، حتى انه قد نص على بعض الالفاظ انه يصح فيه الرفع والنصب والجر ، وهذا يشير الى الخلافات النحوية بين صحاح السائل . وقد دخلت القرآن على شكل قراءات سمي بعضها شاذة^{١٧} . ويحرص بالدرس اللغوي ان يستعين بهذه القراءات للوقوف على تلك المحلات النحوية

وكانت النطقة الاولى من اللغويين امثال عبد الله بن ابي اسحاق (ت ١١٧) وعيسى بن عمر (ت ١٥٤) وابي عمرو بن العلاء (ت ١٥٧) وغيرهم طقة قراء ، فقد عرف الاول والثاني من هؤلاء بقراءتين شاذتين^{١٨} ، وعرف الثالث بقراءة مشهورة ، هي احدى السبع الموثقات وقد درس على اولئك جماعة من اللغويين ، اهتموا بالقراءة امثال بوس (ت ١٨٢ هـ) والخليل (ت ١٧٥ هـ) وسيبويه (ت ١٨٠ هـ) ومؤرج السدوسي (ت ١٩٥ هـ) والنضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) وغيرهم وكان الخليل قد احدث القراءة عن حمزة ، واحد الكسائي عن الخليل ، ثم استقل بقراءة مشهورة ، واتخذ منها حاصلاً به في القرآن^{١٩} .

غير ان البصريين منذ سيبويه حاولوا ان يخصصوا هذه القراءات الى قواعدهم واقبستهم ، فيما وافق هذه القواعد المقررة قبلوه واحتجوا به ، وما خالفها رفضوه ووصفوه بالشذوذ^{٢٠} . ومراهم شديد الاعتداد بالقاعدة والاحد بالقياس ، فدفعهم ذلك الى تقديم القاعدة على النص القرآني الموثق المنقول بالسند الصحيح ، على عكس ما يفترض بالدرس اللغوي الذي يجب ان تسير قواعده خلف النصوص انصحية وعلى هدى استعمالاتها المختلفة^{٢١} . والبصريون بهذا المنهج لم يخالفوا

(١) ماصرات الدكتور السمراني (مذكوري) ١٧

(٢) المهرست ٣٣

(٣) ٧٦

(٤) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٤٠ ومقدمة الكوفه ٣٣٧

(٥) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٤١

الكوفيين حسب ، وإنما خالفوا القراء أيضاً ، ذلك ان ائمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الاقش في اللغة ، والا فليس في العربية ، بل على الاثت في الاثر ، والاصح في النقل والرواية ، واذا ثبت عنهم لم يرد لها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها^(١) .

لما الكوفيون فكان موقفهم من القراءات يعتمد على احترامها والاحد بها والتخرج من مخالفتها ، منطلقين الى ذلك من اسسهم للمنهجية في دراسة اللغة ، وقد مر انهم يرجحون السماع والرواية حين يصطدمان بالقاعدة للقبسة ، لذا كن اتباع القراءة مبنياً على اساس منهجي ، يقول القراء : « اتباع المصحف اذا وجدت له وحها من كلام العرب وقراءة القراء أحب الي من خلافه » قال : كان ابو عمرو بن العلاء يقرأ : (إن هذين لساحران)^(٢) ولست اجترىء على ذلك ، وقرأ : (فاصدق وأكون) فزاد واوا في الكتاب ، ولست استحب ذلك^(٣) . وموقف القراء هذا - وهو يمثل موقف الكوفيين - ينسجم مع موقف القراء انفسهم ، يقول الخزرجي : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحس انكارها ، بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء اكانت عن الائمة السبعة او عن العشرة او عن غيرهم من الائمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الاركان الثلاثة اطلق عليها صميغة او شاذة او باطلة ، سواء اكانت عن السبعة او عن من هو اكبر منهم^(٤) » .

وكان سيويه يأخذ احياناً بقراءة الجمهور ، حين يرى انها توافق كلام العرب ، فان وجد قراءة تخالف قراءة الجمهور يحمل ذكرها ولا يعرض لها^(٥) ، ومثله

(١) النشر ١٢/١ وانظر : الاخراج ١٤

(٢) سورة طه ٦٣

(٣) المصاحفي ١١ وانظر : تفسير القرطبي ٢١٦/١١ .

(٤) النشر ٩/١

(٥) المكناب ٤٢٣/١ وانظر : ٣٩١/١

ما فعل البصريون . فدعا ذلك الدكتور شوقي خفيف الى ان يقول : «وتوقف نفر منهم - يعني - البصريين - ازاء احرف قليلة في القراءات وحلها لا تطرد مع قواعدهم ، بينما تطرد معها قراءات اخرى اثروها»^(١) . مقررأ ذلك منهجاً لهم لا يحيدون عنه . الا ان تتبع ذلك في المصادر لا يعضد الباحث الكريم ، بل يدل على ان البصريين غلطوا قراءة الجمهور ايضاً ، ووصفوا المشهور من القراءات بالصحف والشلوذ .

فقد ضعف البصريون قراءة حمزة قوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) لانه عطف على الضمير المخفوض دون اعادة الخافض ، حتى قال المبرد « لا تحمل القراءة بها»^(٢) . وهي قراءة قرأها ايضاً عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وابراهيم النخعي ، والاعمش ، والحسن البصري ، وقتادة ، ومجاهد ، وروايتها صحيحة لا سبيل الى ردّها»^(٣) ، وهل بعد قراءة هؤلاء الائمة من شك في صحة ورودها او عربيتها ؟ يقول الفخر الرازي معلفاً على انشاد سيويه بيتين غير منسوين شاهدين على صحة هذا الاستعمال : « والمعجب من هؤلاء النحاة انهم يستحسنون اثبات هذه اللفظيـلـين البيتين للمجهولين ، ولا يستحسنون اثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع انها كانا من اكابر علماء السلف في علم القرآن»^(٤) . فسيويه استشهد ببيتين مجهولين دون القراءة المشهورة والبصريون منعوا ذلك وضعفوا القراءة بل حرموها .

وغلط البصريون ابن عامر في قراءته قوله تعالى : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم»^(٥)) لفصله بين المصدر المضاف الى الفاعل بالمفعول ، فمعوا ذلك ورموا ابن عامر بالجهل باصول العربية»^(٦) . اما الكوفيون فاجازوا

(١) المدارس النحوية ١٩

(٢) شرح المفضل ٧٨/٣

(٣) نفسه ٧٨/٣

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٩٣/٣ - ١٩٤

(٥) سورة الاعمال ١٣٧

(٦) الانصاف : مسأله ٦٠

ذلك ، وعمل أبو حيان لصحة منعيهم « بوجودها في هذه القراءة للتواترة المسونة الى العربي الصريح للحض ابن عامر الأخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب ، وبوجودها في لسان العرب في عدة آيات^(١) . واستشهد القراء على صحة هذا الاستعمال بقول الشاعر :

وزججتها بمنزجج
زجج القلوص أبي مزادة

ووجه على ذلك قراءة ابن عامر^(٢) . ولم يدرك البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) معاملة القراء لهذه القراءة وتقليبها على أوجهها المحتملة ، فذهب الى ان القراء يطعن بابن عامر^(٣) ، من حيث انه يصحح قراءته .

واجمع البصريون على تغليب قراءة نافع مقرأ المدينة قوله تعالى (وَلَكُمْ فِيهَا مَعَائِشٌ)^(٤) بالهمز ، اذ يجب ان تقرأ معائش لأن الياء أصلية في الكلمة^(٥) ، في حين هي مثل مصائب ومكائيد اللتين غلطت العرب كلها في لفظها مهموزتين ، سوى كونها وردت في قراءة سمية ، فلا يمكن ان تكون القاعدة لولي من قراءة نافع واصح من لغة العرب ، ومثل هذا كثير في تغليب قراءة نافع وتضعيفها^(٦) ، او وصف قراءة عبد الله بن مسعود بالشذوذ ، فقد قرأ قوله تعالى : (وَلْيُسْجَنِّيْ عَنِّيْ حَتَّى)^(٧) باندال الحاء عينا من حتى^(٨) . وهذا من خصائص لهجة هذيل التي يتسبب اليها ابن مسعود واطلق اللغويون على هذه الخصيصة مصطلح (الفَحْفَحة) يريدون بذلك ذم هذه اللمة والانتفاص منها^(٩) ، فرموا قراءته بالشذوذ^(١٠) . وقد مر

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٢٩

(٢) معاني القرآن ١/ ٣٥٧

(٣) حركات الادب ١/ ٣١٩ - ٣٢١

(٤) سورة الاحزاب ١٠

(٥) البحر المحيط ٤/ ٢٧١

(٦) الاصلاف . مسأله ٩٣

(٧) سورة يوسف ٣٥

(٨) المحاسب ١/ ٣٤٣

(٩) الزهر ١/ ٢٧٢ والاشراج ٨٣ .

(١٠) الاصلاف - مسأله ١٧ . وانظر - عاصرات الدكتور السراي (مدونى) ٣٥

ان القراءات متواترها وآحادها وشاذها معتمدة جميعاً في القراءة واللغة ، والشاذ منها لا يعنى بعده عن كلام العرب ، وإنما يتصل هذا الوصف بقوة السند وضعفه ، يقول ابن حني . « غرضنا أن نرى وجه ما يسمى الآن شاذاً ، وأنه ضارب في صحة الرواية بحرانه ، أحد من سميت العربية مهلة مبدأته^(١) » .

مخلص من ذلك إلى ان اللغويين حين فتحوا منذ اواسط القرن الثاني باب الطعن على القراءات ، ضيقوا على انفسهم وعلى الدرس اللغوي ، وكان البصريون منهم هم الذين فتحوا هذا الباب^(٢) ، فحرموا الدرس اللغوي مصدراً منها من مصادرهم حين ابعثوا قراءات القرآن واستعمالاتها المختلفة عن مجاله واستساعوا تحطئة هذه القراءات ، ووقعوا في تناقض واضح ، لانهم اجمعوا على ان القراءات « تؤثر رواية ولا تتجاوز^(٣) » ، وانها صحيحة السند إلى النبي (ص) وصحابته الاوائل .

٢ - الحديث النبوي الشريف :

كان موقف اللغويين من الاستشهاد بالحديث شبيها بموقفهم من الاستشهاد بالقراءات ، من حيث انهم رفضوا - ولا سيما البصريين - الاحتجاج به في اللغة . يقول ابو حيان : « ان الواضعين الاولين لعلم الحوالمستقرئين (كذا) لاحكام من لسان العرب كأبي عمرو من العلماء وعيسى بن عمر والخليل بن احمد وسيبويه من ثمة البصريين ، والكسائي والعراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك - اي الاحتجاج بالحديث - ونعمهم على هذا المسلك اشأخرون من الفريقين^(٤) » . فحين ضيق اللغويون على انفسهم في القراءات ، عمدوا إلى رافد آخر يسدون مجاريه ، فاستجذبت الاحاديث النبوية عن مصادر الدرس ، مستدين في ذلك إلى سنتين :

الاول ان الحديث روى قسم كبير منه بالمعنى دون اللفظ ، وفي هذا يقول ابو

(١) المعنص ٣٢ / ٩

(٢) لادرس النحوية ١٩

(٣) اختصار ٣٩٨ / ٩

(٤) الاضريح ١٧ والجمع ١٠٥ / ٩

حيان . ٥٠ إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك لفظ الرسول (ص) فدلوا وثقوا بذلك لخرى مجرى القرآن الكريم في اثبات العواعد الكلية^(١) . ورد ذلك في سائر النفل بالمعنى إنما كان في الصدر الاول قبل تدوينه في الكتب وقبل فساد النسخة . وعائنه مبدل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق^(٢) . يضاف الى ذلك ان المحدثين من دارسي مصطلح الحديث قد كفوا اللعوين مؤونة الكشف عن الأحاديث الصحيحة الموثقة ، والأحاديث غير الصحيحة المشكوك فيها ، فقد حصوها ودفقوا فيها سنداً ومتناً ، فخرجوا بتقسيم واضح سليم لمجموع الأحاديث ، فكان منها الصحيح والحسن والصحيح . الح ، وليست الأحاديث التي أجمعوا على صحة نسبتها إلى النبي (ص) لفظاً ومعنى قليلة^(٣) ، ومع ذلك فقد استبعدت عن مجال الدرس اللعوي عموماً ، الا شذرات معدودة لا تكاد تذكر^(٤) .

الثاني . ان بعض رواة الحديث كانوا من الاعاجم ، فوقع اللحن فيما روه ورد الأستاذ طه الراوي هذه الحجة بقوله . ٥٠ والقول بان في رواية الحديث اعاجمه ليس بشيء ، لأن ذلك يقال في رواية الشعر والنثر اللذين يفتح بهما ، فان فيها الكثير من الاعاجم . وهل في وسعهم ان يذكروا لما عدا عن يُعتمد به يمكن ان يوصح في صفة حماد الراوية الذي (كان يكذب ويلعن ويكسر) ، ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن تبع منهم عن الاحتجاج بروايته . ولكنهم تخرجوا في الاحتجاج بالحديث . ثم لو وصل الامر برواة الحديث الى هذه الدركة من الجهل بالعربية سليقة وصناعة لما صح الاحتجاج برواياتهم في الشريعة يجهلون العربية عن طرفيها . ولم يقل بذلك قائل^(٥) .

وذكر ان ابن الصائغ (ت ٦٨٠ هـ) وابا حيان (ت ٧٤٥ هـ) كانا من اعلام المنعيرين من الاستشهاد بالحديث^(٦) ، وكان يقابلها ابو الحسن المروفي مأس خروف

(١) عزلة الادب ٥ / ١ .

(٢) نفسه ٥ / ١ .

(٣) الرواية والاستشهاد باللمة ٨٦ وما بعدها

(٤) عزلة الادب ٥ / ١ .

(٥) نظرات في اللغة والنحو ٢١ - ٢٢ .

(٦) عزلة الادب ٩ / ١ .

واس مالك اللذين عتيا بالحديث وتكثران من الاستشهاد به ، وتبعهما في ذلك الرضي
 الاسترلابي وراى عليهما الاحتجاج بكلام اهل البيت (١) . والحق ان اللعويين
 الاوائل لم يتخرجوا من الاستشهاد بالحديث في اللغة قدر تخرجهم من الاستشهاد به
 في النحو ، اذ كانوا في اللغة اوسع اخذاً للحديث ، على خلاف واضح ايضاً بين
 المصريين والكوفيين ، اذ كان البصريون اكثر تزمناً من الكوفيين حتى في اللغة ، وقد
 مر بنا في دراستنا للمعجمات اللغوية اعتماد المعجمات الكوفية على الحديث بعد اكر
 بما نجده في المعجمات المصرية (٢) ، ومرد ذلك - شأن اختلاف الفريقين في الاعتماد
 على القراءات - الى تمسك البصريين بالعادة وتقديمها على النص ، واعتدادهم
 باقيستهم التعليمية الموضوعية - يقابله استعداد الكوفيين الى تعبير القاعدة ان لوجب
 ذلك نص معتمد ، وصدورهم عن مسيح يعتد بالرواية والنقل اعتداداً بالغاً

فكما ذكره السيوطي (ت ٩١١ هـ) ان ابن مالك استشهد بحديث النبي (ص)
 في الصحيحين : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » على لغة اكلوني
 البراغيث ، حتى صار يسميها لغة يتعاقبون . وذكر السيوطي ان السهيلي استشهد
 به ، ثم خرج التوافق على انها علامة اصيار ، لانه حديث مختصر رواه البزار مطولاً
 كذا : « ان الله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وعلى
 هذه الرواية فانه لا يصحح لغة اكلوني البراغيث . والحق ان هذه اللغة صححها
 القرآن الكريم بقوله : (وأسروا النجوى الذين ظلموا) (٣) ، وصححها حديث النبي
 (ص) المروي في الصحيحين ، وصححها الشعر العربي كقول عمرو بن ملقط
 الطائي :

يلومونسي في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يمدل (٤)

(١) الاقراج ١٧ وعزلة الادب ٩ / ١

(٢) العين (الجزء للقطوع) ٧٠ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٧ والحقية ٧٢ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ، ٣٩٨ .

١٨٢ ، ٦٥٣ والعرب للصف ٥٤٩ ونهذب الالفاظ ٦٧٢

(٣) الاقراج ١٩

(٤) سورة الانبياء ٣

(٥) شرح شواهد المغني ٢٦٥

وصححها الاستعمال السامي القديم . لأن « الأصل في اللغات السامية أن يعامل الفعل فيها معاملة في لغة اكلوني البراغيث ، وقد بقي من هذا الأصل في العربية أمثلة في اللهجات المختلفة^(١) » . وعلى الرغم من كل ذلك فإن اللعويين معوا استعمال هذه اللغة ، وانحصروا منها بنسبتها إلى طيء وبلحارث بن كعب وأرد شوء^(٢) ، من الفاتل التي كثيراً ما نسوا إليها ما لا يروق لهم من الأساليب اللغوية ، حتى عد هذا الأسلوب من لحن الخاصة^(٣) وما ذلك إلا لأن هذه البعة لم تستوعبها قواعدهم ، وإن هذه النصوص الموثقة تطل أفيستهم ، فرفضوها جميعاً . بل رفضوا الاستشهاد بالحديث جملة . خوفاً على القاعدة من أن يصيبها التغيير .

٣ - الشعر .

لم يكن أمر الشعر مختلفاً كثيراً عن سواء من مصادر اللغة كالقراءة والحديث ، وحين أقبل الدارسون عليه ، لم يكن مهياً كله لديهم ، فقد ضاع أكثره من أيديهم ، يقول ابن سلام : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاهلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم ، وهيت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفنون واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤ ولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، فالفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره^(٤) » . وجاء عن يونس بن حبيب أن أبا عمرو بن العلاء قال . « ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وأقرأ لجاءكم علم وشعر كثير^(٥) » . وبذلك خسر الدرس اللغوي مادة مهمة تكشف له كثيراً من القواعد والأساليب والاستعمالات مما بقي غامضاً تنازع الأراء والاجتهادات منذ القديم .

(١) أصول في لغة العربية ٨٩

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح ١٩٢ وشرح درة القواميس ١٥٢

(٣) درة القواميس ٦٥

(٤) طبقات شعراء ١٦

(٥) عه ١٦

وعلى الرغم من هذا فإن اللغويين وصفوا عما وصل اليهم من الشعر موافق
 لسب على اسسهم المنهجية التي مر بيانها ، فقد ضيعوا على انفسهم في الاستشهاد
 بالشعر ايضاً ، لاذ اشترطوا فيما يستشهد به الصدم في العصر ، والبدولة وعلم فائده
 بالعربية ، وبصحة نسبتة اليه ، ولم يخرج عن هذه الشروط احياناً الا المتأخرون من
 اللغويين كما سنرى . على تفاوت بين المتقدمين منهم في شدة الاحاطة بهذه الشروط ،
 ذلك البصريون اكثر تمسكاً بها من غيرهم . فقد قسم اللغويون الشعراء الى
 طبقات^(١) .

الطبقة الاولى : الخليليون : امثال امرئ القيس وزهير والاباع والاعشى .
 الطبقة الثانية : المحصرمون . امثال حسان بن ثابت وكعب بن زهير والحطيئة .
 الطبقة الثالثة : الاسلاميون . امثال المرزوق وجربير والاحطل ودي الرمة

يقول البغدادي : « فالطبقتان الاوليان يستشهد بشعرهما اجمعاً . واما
 الثالثة فلصحيح صحة الاستشهاد بكلامها . وقد كان ابو عمرو بن العلاء وعد الله
 ابن ابي اسحاق والحسن البصري وعبد الله بن شبرمة يلحنون المرزوق والكميت
 وذا الرمة واضرابهم . . في عدة ابيات احدث عليهم ظاهراً ، وكانوا يعدونهم من
 المولدين ، لانهم كانوا في عصرهم ، والمعاصرة حجاب^(٢) . فوقفوا الاستشهاد عند
 اواسط القرن الثاني ، وابراهيم بن هرمة آخر من يستشهد بشعره^(٣) ، يقول ابن
 قتيبة : « حدثني عبد الرحمن عن الاصمعي انه قال : ساق الشعراء ابن ميادة وابن
 هرمة ورؤبة وحكم الخصري ومكي الحذري وقد رأيتهم اجمعين^(٤) . »

وحين تكون المعاصرة حجاباً دون الاستشهاد بالشعر ، ورؤية الشاعر سبباً
 لعدده من الساقه الذين يقف عندهم عصر الاستشهاد ، تبدو المسألة مسبة محضة لا
 تقوم على اساس علمي متين ، فالشعراء الذين عاصروا الطبقة الاولى من اللغويين
 متقدمون بالنسبة للطبقة الثانية منهم او الثالثة ، والعكس صحيح ايضاً فالشعراء

(١) خزانة الاصب ٤/١

(٢) خزانة الاصب ١/١

(٣) الاحراج ٢٧ والخزانة ١/١ ، ٢٠ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٢٩

الذين تقدموا في العصر عن اللغويين المتأخرين عاصروا اللغويين الذين كسوا في زمانهم ، وهكذا . يقول ابن رشيقي : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاصافة الى من كان قبله . وكان ابو عمرو يقول : لقد احسن هذا المولد حتى لقد هممت ان امر صبياننا برواية شعره ، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولداً بالاصافة إلى شعر الجاهلية والمحضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين . قال الاصمعي : جلست اليه عشر حجاج فما سمعته يحنح سبت اسلامي^(١) » .

فالاساس اذن اساس نفسي لا علمي ، فابو عمرو بن العلاء يعترف للفرزدق وجرير بأن شعرهما جدير بالرواية لولا تأخر زمنه بالنسبة إلى عصره ، كما اعترف بهذا لمعاصريه الاحطل فقال : « لو ادرك الاحطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فصحت عليه أحداً^(٢) » . ومثل هذا ما قال الاصمعي عن بشار ، « بشار حائمه الشعراء ، والله لولا ان ايامه تأخرت لفصحت على كثير منهم^(٣) » . فدراسة شعر هذه الطبقة ، وبخاصة شعر الفرزدق وجرير والاحطل ومن بعدهم بشار ، هدى ابا عمرو بن العلاء والاصمعي الى ان يعترفا لمؤلا ، الشعراء بالحدودة والتمكن وسلامة لغة وبجارية العربية حتى لم يجدوا ما يجمع من الاحتجاج شعرهم سوى تأخر العصر ، وهل بعد هذا ما هو اشد تنكبا عن المنهج العلمي ؟

وبعد ان استقر رأي اللغويين بعد ابي عمرو بن العلاء على صحة الاستشهاد بشعر الطنفة الثالثة من الناحية الطرية ، عمد اللغويون الى مراجعة اشعار هذه الطبقة ، للوقوف على مداوة هذا الشاعر وحضارة ذلك . لان الداوة كانت شرطاً من شروط ما يحتاج به من الشعر . وشملوا بهذه المراجعة بعض شعراء الطنفة الاولى ، فكانت حصيلة هذه المراجعة ان حكموا على قسم من الشعراء بالنقص في اللغة وعدم المصاحبة وليس اللسان وما الى ذلك مما يعد شعرهم عن محار الاستشهاد . ولتقف على طرف من احكامهم تلك :

(١) العمدة ١ / ٥٦

(٢) الاعني ٧ / ١٧٤

(٣) الاعني ٣ / ٢٣

يقول المفضل الصبي : « كانت الوفود تغد على الملوك بالخبرة ، فكان عدى ابن زيد يسمع لعائهم فيدخلها في شعره^(١) » . ويقول ابن سلام : « كان عدى بن زيد يسكن الخبرة ويركن الريف فلان لسانه وسهل منطلقه فحصل عليه شيء كثير وتحميصه شديد^(٢) » . ويقول الاصمعي : « عدى بن زيد وابو دواد الايادي لا يروى العرب اشعارهما ، لأن الفاظهما ليست بنجدية^(٣) » . ويقول ابن فتيحة عن امية بن ابي الصلت : « واتي بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب . . وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة في اللغة^(٤) » . ويقول الاصمعي عن القحيف العامري العفيل : « ليس بمصيح ولا حجة^(٥) » ويقول هو ايضاً : « ذو الرمة طالما اكل المالح والبقل في حوائث البقالين^(٦) » . وحين استشهد ابو حاتم بيت الكميت :

أَبْرَقَ وَأَرَعَدَ يَا يَزِيدُ فَمَا وَعَيْكَ لِي بِضَائِرِ
قال الاصمعي . « الكميت جرمقاني من اهل الموصل ليس بحجة ، ولكن الحجة هو الذي يقول :

دا جاورت من ذات عرق نيةً فقل لأبي قابسوس ما شئت فارعد
وهو شاعر جهلي وشاعرك متأخر^(٧) » . فاصاب الى نأحر عصر الكميت - وهو من دواعي رفض شعره - كونه من اهل الموصل ، يعني بذلك انه متحضر ، وكفى بهذا دليلاً على فساد لسانه .

ولو اعدنا النظر في هذه الاحكام وفي امثالها مما ضمته المصادر القديمة ، لخرجنا من ذلك نتائج ، منها :

١ - انها صادرة عن لعويين بصريين ، فأعلها منسوب الى الاصمعي ، والناقي الى

(١) الورش ٧٣

(٢) نسه ٧٣

(٣) نسه ٧٣

(٤) الشعر والنساء ٤٢٩

(٥) الورش ٢٢٠

(٦) المعجم ٣ / ٢٩٥

(٧) مبدئي العمالي ٩٦ / ١

ابي عمرو من الملاء وابن سلام وابن قتيبة وغيرهم ، ولا تكاد تقف على مثلها مسوياً الى كوفيين ، وما نقلناه من قول المفضل الضبي ، ليس فيه ما يشعر بنقد موحه الى علي بن زيد ، بقدر ما يشعروننا من تقرير حقيقة ، ربما لا يراها المفضل عياً .

٤ - انها تتسجم مع اسسهم التهجية في الاستقراء وتبني عليها ، فمثلاً وقصوا في الاستقراء عند حدود مكان معين لا يتجاوزونه ، وقفوا في الشعر على حدود زمان معين لا يتجاوزونه ، ومثلاً اشترطوا البداية فيمن يؤخذ عنه من الاعراب ، وحفظوا الاحذ عمن سكن الحضر منهم ، فعلوا مثل ذلك مع الشعراء وهذا التوافق بين الاسس في المجالين ، وصدور التطبيق عن النظرية ، يدل على وحدة منهج تمسك بها البصريون

٣ - انهم كانوا يصدرون الى هذه الاحكام من احترام بالغ لقواعدهم وقبستهم ، وهو ما تلمسناه في مواقفهم من الفراءة والحديث ايضاً ، اذ وجدوا في اشعار هؤلاء ما يخرج على قواعدهم المقررة واقبستهم التي لا تتغير ، فرموا قائلها بما رموهم به ، ولعل اوضح مثل على ما نزعناه موقف الاصمعي من بيت الكميت الذي استشهد به ابو حاتم ، ذلك ان الكميت استعمل الفعل (أرعدَ) بصيغة الرباعي ، وكان يجب - كما يريد الاصمعي - ان يستعمله بصيغة الثلاثي كما ورد في بيت الشاعر الجاهلي ، فهي استعمال الكميت خروج عن الاصل ، والكميت على هذا الاسس « جرمقاني من اهل الموصل ليس بحجة » . على اننا لو شئنا ان نتلمس مثل هذا الخروج عن القواعد لدى الشعراء الجاهليين ، لوجدنا الشيء الكثير ، ولعل اهم ذلك ما سمي بالاقواء ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : « ويمكن ان نعد من اللحن كذلك ، ما يسمى لدى العروضيين بالاقواء . والاقواء في رأى اللصوص المحدثين ليس في الحقيقة من الخطأ في الموسيقى ، كما يريد اصحاب العروض ان يحملوا على هذا المصطلح ، بل هو في الواقع خطأ محوي^(١) » غير ان الاطمئنان النصي الى الشعر الجاهلي باعتباره قديماً ، هو الذي حال دون اعتبار الاقواء لحناً

(١) مصول في هذه المصيبة ٧٥

ويدور ان حملة اللغويين على معاصريهم من الشعراء وتلحينهم اياهم ، كقول
الأمدي : « اللحن لا يكاد يعرى منه احد من الشعراء للمحدثين »^(١) ، لو قوله .
« والمتأخرون لا يكادون يسلمون من اللحن ، وهو في اشعارهم كثير جداً »^(٢) ،
دفعت نفراً من الشعراء الى تعلم النحو اغناء لقراحتهم وتقوية لسلاتهم .
كالكميت والطرماح من شعراء الطبقة الثالثة ، وبشار وابي تمام واسحاق الموصلي
ولشريف الرضي وحفص الأموي من شعراء الطبقة الرابعة التي نما في الدير
اللحوي مذهب يميز الاستشهاد بشعر من يوثق بعربيته من شعرائها ، كان الخليل
ابن احمد قد رسم طريقه ، وبدأ العمل به منذ ان وضع العين ، فقد مر انه استشهد
بشعر بشار وحفص الأموي في معجمه^(٣) ، ثم تلقف عدد من اللغويين منه هذا
المذهب ، واقتنعوا بصحته وعملوا به ، فاستشهد السديجي بشعر اسحاق
الموصلي^(٤) ، واستشهد الخوهرى بشعر اسحاق الموصلي ايضاً وشعر ابي تمام^(٥) ،
واستشهد الزغشري بشعر ابي تمام ، واعتذر لذلك بقوله « وهو وان كان محدثاً لا
يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاحمل ما يقوله بمنزلة ما
يرويه »^(٦) . واستشهد ابن منظور من المتأخرين بشعر الشريف الرضي^(٧) ، وسوى
هؤلاء كثير جداً

غير ان الاصمعي لم يغير من موقفه من الكميت والطرماح على الرغم من
اعترافه لها بتعلم النحو ، فيقول : « الكميت تعلم النحو وليس بحجة وكذلك
الطرماح ، وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهما »^(٨) ، ويقول ايضاً : « الكميت
ابن ريد ليس بحجة ، لانه مولد . وكذلك الطرماح »^(٩) ، ويقول عن شعر

(١) الفوائد ٢٨/١

(٢) مقصد ٤١٦/١

(٣) المعجم (الجزء الرابع) ١٨٣ . ١٩٥ . ٢٧٢

(٤) غريب ٢٧٩

(٥) حبش - حلا - مصر

(٦) نكتة ٤٣/١

(٧) - شعر - اد

(٨) موشح ٢٠٩

(٩) غيب ٢٠٨

الكميت . « ليس هذا بكلام فصيح »^(١) . ومع ان الكمية كان من شعراء الطغاة ،
الثالثة الا ان هذا لا يمنع الاصمعي من تفصيل بشار عليه من الناحية اللغوية .
يقول : « لم يتعلق على بشار شيء » ، وتعلق على الكمية «^(٢)» ، واداك الكمية
لم يحتج شعره لتأخر عصره ، فكيف يشار ؟ الفى يدو ان ذلك يعود الى احد
سببين محتملين :

الاول - يتعلق بالتقرب الى بشار خوفا من لسانه وقد عاصر الاصمعي بشارا ، دبت
ان سيويه احتج « في كتابه ببعض شعره تقريبا اليه » . لأنه كان هجاء لثرت الاحتجاج
بشعره ، ذكره المرزبانى وغيره «^(٣)» . واداك كان كتاب سيويه لا يعصد هذه الرواية ،
فاما تفصلا على ملع تخرج اللغويين من التعرض لشعره بالنقد ، بل على اهتمام بشار
بعناية اللغويين بشعره

الثاني : يتعلق بلغة الشعر عند بشار ، فالظاهر انه لم يكن في شعره خروج عن
الاقية البصرية ، كالدي وجدوه في شعر الكمية ، ولعل (البصرية) هي التي
طبعت شعر بشار وتعصب الاصمعي بطابع واحد ، ولذا لم يتعلق على بشار شيء ،
وتعلق على الكمية وهذا الموقف من الكمية - على هذا التفسير - صمو موقف
عبد الله بن أبي اسحاق وابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وسوهم من
البصريين من شعر الفرزدق «^(٤)» ، وقد مر ان الفرزدق في رأي البصريين الاوائل ممن
يرفض شعره ولا يحتج به «^(٥)» ، لأن فيه - كما يظهر من مقدماتهم عليه - خروجا عن
الاقية .

ودفع كل ذلك اللغويين الى العناية بنسبة الشعر الى قائله ، بل اشترطوا هذه
النسبة فيما يستشهد به منه ، يقول البغدادي : « لا يجوز الاحتجاج بشعر او نثر لا
يعرف قائله » ، محافة ان يكون ذلك الكلام مصنوعا لولولد او لمن لا يوثق بكلامه «^(٦)» .

(١) الموضع ١٩٧

(٢) الموضع ١٩٤

(٣) الاقتراح ٢٧

(٤) طبعات ابن سلام ١٥

(٥) خزانة الادب ٣/١

(٦) حقه ٨/١

وهذا الذي يمنعه النخداوي لم يكن كذلك في دراسات اللعويين الاوائل ومعهم انهم ، هبها الكثير من الشعر غير المنسوب ، وكان الخليل والكسائي وابو عمرو شبيبي يسمعون الشعر من افواه الشعراء فيحتجون به في اللغة دون تسعية القائل ، وكانوا هم انفسهم لا يعرفون القائل احيانا^(١) . ومن اقرب الامثلة الى هذا صبيح سيويه في الكتاب « فان سيويه اذا استشهد بيت لم يذكر قائله ، واما الابيات المسوبة في كتابه الى قائلها ، فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بسببها ابو عمر «حرمي»^(٢) . فلم تكن نسبة البيت الى القائل حتى ذلك الحيز شرطاً في قوله حجة في اللغة . وما حد ذلك في الدرس اللعوي بعد ان فشا الكذب في رواية الشعر ، واصطاحه للاغراض التعليمية ، والخوف من ان يكون قائله ممن لا يؤثق بعربيته من الشعراء المحدثين ، ويكفي ان تمثل له بتعليق احد رواة كتاب السواد على قول لشاعر . (وما عهد كعهدك يا أمما) قال : « انشدنا هذا البيت ابو العباس محمد بن يزيد عن عمارة على غير ضرورة ، وهذا شيء يصنعه السعويون ليعرفوك كيف يجراه متى وقع في شعر^(٣) » . فلم يكتب بان صمعه حتى نسبة الى عمارة ، ومثله كثير في كتب اللغة والسحر .

٤- اللهجات :

«شرنا الى انه قد استحدثت اللهجات التي جاورت الامم الاعجمية عن مصادر الدرس اللغوي ، فتلك التي جاورت الفرس والسط والحشة والروم وغيرها من الامم وحتى بعض القبائل الحجازية ، استبدوها لتأثرها بلغات تلك الامم » ، والسبب المباشر في هذا الاستجد ، ان اللعويين شموا في هذه اللهجات الناص حشية وعبرانية وسريانية وفارسية وغيرها من الكلمات الدخيلة ، وبمكنتنا ان نناقش ذلك من جهتين :

الاولى : ن وجود مثل هذه الالفاظ في اللغات السامية لا يدل دلالة قاطعة على دخولها

(١) تاريخ بغداد ٤١١/١١ والزمهر ١٤٠/١ ، ١٤١ .

(٢) خزانة الادب ١٧٨/١

(٣) التواتر ٣١

(٤) الاضراح ١٩ والزمهر ٢١١/١ وانظر : مقدمه ابن خلدون ١٤٩

الى العربية ، وانما يشير الى احتمال ان تكون هذه الالفاظ - سوى العارسية منها - عربية في الاصل ، وهي مشتركة بين العربية واحواتها ، لأن العربية كما هو معروف في تقسيم الاسر اللغوية من اللغات السامية^(١) .

الثانية . ان قسما من الدارسين ذهبوا الى انه ليس في لغة القرآن والعربية لغة حسية او الفاظ دحيطة ، وانما هي الفاظ عربية لانها خضعت لناموس اللغة وحررت على عاداتها وقواعدها^(٢) .

ويبدو ان ايمان بعض الدارسين بتوقيف اللغة وبانها موحدة الى آدم وإلى الانبياء من بعده الى خاتم الانبياء (ص) حيث وقعت بلا تطور لانها اكتملت اصولها ، هو الذي دفعهم الى تفسير خلاقات اللهجات اللهجات النادرة بانها خروج عن اصول اللغة ، في حين تكون هذه الخلاقات امرا طبعيا للتطور الذي يولده الاستعمال . واول من اشار الى فكرة توقيف اللغة ابن عباس في تفسيره للآية الكريمة : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)^(٣) ، ثم ذهب مذهب عدد من الدارسين اشهرهم واشدهم حماسا ابن فارس^(٤) ، وسيأتي تفصيل ذلك في مكانه من الرسالة .

نتائج .

نخلص من كل ما سبق الى حقائق عدة كان ينبغي ان يلتفت اليها الدرس اللغوي في مناهجه ، اهمها :

١ - تشير الاختلافات اللغوية بين القبائل الى ان اللهجات العربية كانت ما تزال تحتفظ بمعادتها اللغوية الاولى ، ولم تخضع لسلطان لهجة قريش التي فرضت سيطرتها فيما بعد على لغة التخاطب وصارت لغة العرب عامة . وان اللهجة التي فرضت سلطانها كان قد نالها بعض التحريف على السنة هذه القبائل بسبب عاداتهم اللغوية القديمة ، فنشأت بسبب هذا اختلافات ظهرت في قراءة القرآن

(١) علم اللغة ١٧٢ وشلة اللغة عند الاسدي والطفل ٥٠

(٢) الصاحي ٢٩

(٣) سورة البقرة ٢١

(٤) الصاحي ٥ والمزهر ٨/١

٢ - ن نهجة التي فرصت سيطرتها وصارت لغة الادب ولغة المحادثة الى حد ما .
 إلى مثل مر يماً موحداً من لهجات القبائل العربية ، ولم تعد تثقل لهجة قبيلة بعينها هي
 فسه عر شر ، ذلك انه ليس بين المطولات الحاهلية حلاقات لغوية واضحة ، في
 حين حثيف الشعراء في انسابهم الى القبائل . مما يشير الى ان هذه المطولات منظومة
 بهذه اللغة الموحدة . وان القرآن اما نزل بهذه اللغة ايضاً . بدليل قوله تعالى
 (وهذا لسان عربي مبين)^(١) . وقوله تعالى . (انا أنزلناه قرآناً عربياً)^(٢) . وقوله
 تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً)^(٣) ، وقوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك
 قرآناً عربياً)^(٤) ، وقوله تعالى (إنا جعلناه قرآناً عربياً)^(٥) ، وهذه اللغة التي وصف
 بها القرآن هي اللغة التي ذابت فيها لهجات القبائل واخفي عليها طابع وحدتها في
 الاسلوب والمقومات النعوية . غير ان عدم التفريق بين هذه اللغة المشتركة
 واللهجات - كعدم التفريق بين لغة الشعر ولغة الشر - اوقع اللغويين بمزالق بعيدة

٣ - ان مصادر الدرس اللغوي هي كلام العرب في جميع بيئاته اللغوية سيما في المشتركة
 وخصائص اسلوبه وطريقة التأليف فيه . ولا يمتنع بالدرايين ان يعزلوا قوماً عن
 مصادر الاستشهاد ، ولا صرباً فصيحاً من ضروب الكلام ، فالقراءة المتواترة
 والحديث لصحيح والشعر واخطب والامثال وكلام العرب الموثوق فصاحتهم ،
 كل اولئك مصادر مهمة للدرس اللغوي

تقديم والتأويل :

وهي من الاسس المنهجية التي اخذ بها اللغويون ، على ان الاحد بهما في
 النحواصهر منه في اللغة ، غير ان دراسة اللغة لم تسلم منها ايضاً . واكبر الظن ان
 لجوء اللغويين الى التقديم والتأويل في اللغة نابع من اعتقادهم بانها ثلاثية الحروف ،

(١) سورة الشعراء ٥٦

(٢) سورة طه ٢١

(٣) سورة فصلت ٤٦

(٤) سورة الشورى ٤٢

(٥) سورة الزمر ٢٣

وانها ثابتة لا تتغير ، ذلك ان التقدير « يرتكز على دعوى اعادة صياغة المادة المعجزة ،
 ويبنى هذه الدعوى على تصور سقوط بعض اجزاء هذه المادة ذاتها من التركيب^(١) »
 فلا بد - اذن - ان يكون هناك تقدير للحرف الثالث في كل الصيغ التي وردت ثنائية
 الاصوات ، وان الحرف الثالث هذا حذف لعل ، فهي (يد) مثلاً قانوا ان اصلها
 (يَدَي) بدليل جمعها على ايلي ، وقد حذفت الياء لثقل التنوين والداد ، وكذلك
 (اب) و (اخ) واخرجهما ، فهي جميعاً على وزن (فَعَلَ) لان اصلها (أُتُو) و
 (اَحُو)^(٢) .

والحق ان هذه التقديرات لم تكن لتوجد في اللغة لولا قولهم بتوقيف اللغة وقدمها
 واحتفاظهم بالاشكال القديمة التي حرصوا على ان تكون هي الاشكال التي يسر
 عليها في التعبير . شأنهم في ذلك شأن فلاسفة اليونان ، وافتراسهم المثل اعلي ، اذ
 كل شيء لديهم مقيس على تلك المثل العليا ، وكذلك الامر في اللغة ، فكل
 التقديرات والتأويلات شئت بعمل القياس على تلك القواعد الثابتة ، ذلك ان
 التأويل كان الوسيلة التي لحا اليها النحلة للتوفيق بين القواعد وبين النصوص
 المخالفة لها ، المنسوبة في الوقت نفسه الى عصر الاستشهاد^(٣) . ومن ذلك ما اشرنا
 اليه من رجوع الكلمات الثابتة الى ثلاثية ، على اساس انها في الاصل كذلك .

ونظرية الثنائية فيها جانب كبير من الصحة . ذلك اننا مرجح مع عدم ان
 اللغة كانت ثنائية في الاصل . ثم انتقلت الى المرحلة الثلاثية^(٤) . وهذا الانتقال كان
 بزيادة حرف علة او بالتصغير او بزيادة حرف ساكن . فمادة (رد) مثلاً ثبتت
 هكذا : راد ، رد ، رَدَم^(٥) . وهذا لا يعني ان كل كلمتها صارت ثلاثية و قد عادت
 الاعم منها . وبقي في اللغة كلمات ثنائية نبعث عن المرحلة السابقة . وحين يريد ان
 يجمع الكلمة الثنائية ملجأ الى تثليثها قبل الجمع ، لان الجمع من احكام ثلاثي .

(١) اصول التصكير المحوي ٢٨٣ .

(٢) شرح الاشموني ٨٠ / ١ وانظر : اساس البلاغة ١٠ ، ١٣ ، ٧١١ .

(٣) اصول التصكير المحوي ٢٦٦ .

(٤) مشوه اللغة ونحوها واكتشافها ١٠٧ وللمصنفة العربية ٢١٩ - ٢٢١ .

(٥) سر اللغز في القلب والابدال ٥ والفتحة السوية ٢١ - ٥٧ . ٩٩ ومعجمه لدرس لغة العرب ١٢٤

هي (يد) مثلا نجمع على ايدي لأن المفرد الثلاثي (يَدَيَّ) ، ومثلها (اب) التي نجمع على أباء ، وهي في الاصل (أبلو) جمع ابو ، ابدلت ابدال سماء وباء اللتين هما في الاصل (سَماو) و (يَناي) لأن القاعدة تقضي بأنه اذا تطرفت الواو او الياء وكان قبلهما الف راثلة قلبتا همزة^(١) .

والتثنية انما يكون بحرف يزداد كثيرا ، واللغة نفسها اتخذت من اصوات المد او التصعيف احرفا لزيادة الكلمات الثنائية ، فمن امثلة زيادة اصوات المد ' (وُرقق) وامثاله ، و (قام) والافعال الجوف ، و (رمى) و (دعا) وكل الافعال الناقصة . ومثال زيادة التصعيف قول ابي زيد الطائي :^(٢)

ليت شعري وأين مني ليت إن ليتا وإن لوأ عناء
وقد نص الخليل على ان التصعيف الذي زيد في (لو) انما هو علامة الحرف الثالث^(٣) ، مشيرا بذلك الى التثنية .

واصوات المد في العربية وسائر اللغات السامية لا تعد من اصول الكلمة . وقد لا ترسم في الكلمة المكتوبة وقد اشار الخليل الى ان الصمة والفتحة والكسرة وما يتبعها من واو والف وياء زوائد ، يتوصل بها الى النطق بالساكن ، والاحرف الساكن هي اصل الكلمة^(٤) . والكلمة - في العلم اللغوي الحديث - لا تدل على معناه الا من خلال الاحرف الساكنة . ولا دخل لاحرف المد في تحديد المعنى ، اذ لا يتغير المعنى اذا حذفت هذه الاحرف^(٥) . ونص الخليل الى ذلك امر غريب ، اذ لا يمكن ان يكون الا لمن يعرف اللغات السامية . وهو لا يعرف ايا منها واد كان تقدير الحرف الثالث في الثنائيات اهم مظاهر هذا المنهج في اللغة فان بتقدير والتأويل مظاهر متعددة في النحو ، لأن النحاة - كما اشرنا - اكثروا منه في اغلب ابواب النحو ، ومن امثلة ذلك :

(١) شرح ابن عقيل ٢٣٥ / ٣

(٢) شعر أبي زيد الطائي ٢٤

(٣) العرب (الجزء المطبوع) ٥٥

٤ ، كتاب صيغته ٣١٥ / ٢

٥ ، اللغات السامية (ولسون) ٢٨٣ وفيه اللغة (وافي) ١٢ وفصول في هذه العربية ٣٠ - ٣١ .

١ - تقدير فعل محذوف بعد (إذا) و (لو) في الجملة الشرطية ، ففي قول
طرفة^(١) :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أني عني قلم اكمل ولم أنلد
فألوا أن الجملة هنا اسمية ، لأنها مصدرية باسم ، ولذا : أداة شرط ، والعموم فاعل
لفعل محذوف هو فعل الشرط والمحذوف يفسره المذكور ، والتقدير : إذا قال القوم قالوا
ومثل هذا ما قالوا في قوله تعالى : (إذا السماء انشطرت)^(٢) وقوله تعالى : (إذا
السماء انشقت)^(٣) واشبه ذلك .^(٤) وأول البصريون قوله تعالى : (قل لو أنتم
تملكون)^(٥) بأنه : لو تملكون تملكون^(٦) . وما ذلك إلا لأنهم عدوا الحمل التي
دخلت عليها (إذا) و (لو) جملاً اسمية ، متمسكين بأساس شكلي هو أن هذه
الجملة مصدرية باسم ، ولما كانت القاعدة لا تجوز دخول هاتين الأداتين على الجملة
الاسمية ، قدروا لها أفعالا تنصدر هذه الجملة ، في حين أن هذه الجملة لا تعدو
كونها جملاً فعلية وإن تصدر الاسم فيها ، ادلا قيمة لهذا المصدر مقابل ما يفصح عنه
السياق الفعل فيها .

٢ - تقدير فعل ناصب لئلا : أهلاً وسهلاً ، وهنيئاً مريئاً ، فقدروا في الأولى : جئت
أهلاً وحللت سهلاً ، وفي الثانية : أكلت هنيئاً وشربت مريئاً .

٣ - تقدير فعل ناصب للمصادر المنصوبة ، مثل : أنوانياً وقد جد قرنأؤك ، وصبراً
في محال الموت صراً ، فقدروا في الأولى : أنتوانى توائياً ، وفي الثانية : صبر
صراً

٤ - تقدير فعل ناصب لئلا : الأسد الأسد ، وأبلك وألأسد ؛ فقدروا في كليهما اعمل
(إحدَر) .

(١) شرح المفاتيح السبع المشهورات ٢٥٣/١ وشرح المفاتيح السبع ١٥٣

(٢) سورة الاخطار ١

(٣) سورة الانشقاق ١

(٤) المعنى ١١

(٥) سورة الاسراء ١٠٠

(٦) المعنى ٢٦٨

٥ - تقدير فعل ناصب مثل : القرطاس ، والمصفور ، فقدروا النصب بفعل واجب الحذف او ترك اظهره

٦ - تقدير فعل ناصب للمتادى : فكل متادى في اصله مفعول به لفعل ناسب عنه (يا) النداء ، وفلروه (ادعوا) .

ولا تريد ان تطيل في ذكر الامثلة ، او توسع من مناقشتها ، لانها تدخل في ميدان لم تكن بدراسته هذه الرسالة وهو النحو ، ولكننا نذهب في تفسير النصب في الاسماء والمصادر المذكورة في الامثلة السابقة ، الى انها وقعت في سياق فعلي ، او كانت في جو فعلي ، او كانت هي نفسها مستعملة استعمال الافعال ذاتها فتكرار الاسد في قولنا : الاسد الاسد سوغ عدم التصريح بالفعل ، والتكرار نفسه نائب مناب الفعل ، وقرطاس انما نصب لانه يقال لمن كان منهيئا لرمي شيء ، فالقائل يرى هيئة الرامي والظروف المحيطة به واستعداداته للرمي ، وكلها حالة تدعو الى عدم التصريح بالفعل ، فالقرطاس منصوب لانه وقع في سياق فعلي . فالظرف العام دعا الى ان تكون هذه الالفاظ جميعا منصوبة بفعل مضمر ، او لانها وقعت في سياق فعلي . وليس هناك افعال حذفت نعمل على تقديرها في اللغة او تؤول الكلام على اساس وجودها فيه ، لان هذه الافعال لم ينطق بها في يوم من الايام .

العمل :

ورد ذكر العمل مصطلحا في اللغة في زمن الخليل ، ولعله اول من استخدمه في الدرس اللغوي ، يقول سيبويه . « رعم الخليل ان هذه الحروف - اي ان واحواتها - عملت عملين الرفع والنصب »^(١) ، ثم شاع استخدامه وتصيده في اللغة لدى الدارسين من بعده . ولا ريب ان المصطلح مسموح للنحودود اللغة . ذلك ان فكرة العمل تفتحي ان يكون هناك تركيب يتضمن العامل والمعمول ، ويظهر فيه اثر الاول في الثاني . ودراسة العمل في هذا التركيب من ميادين النحو وما دام الامر كذلك فليس من دأبنا ان تطيل في دراسته او توسع من الكلام على مظهره وامثله . لأن ذلك يبدو خارج الحدود المرسومة للرسالة غير ان الذي نرئده هنا من

(١) الكتاب ٢٨٠ / ١ وانظر فيه . ٢٨٢ / ١ ، ٤٨ ، ٤٣٥ ، ٤٤٩ ، ٢٥٥ والعمي ٢٢٨

ذكر العمل . ان نتعرض الى اثر دراسة الاصوات اللعونة في انتقال فكرة العمل منها الى النحو . وقد سبق الى تلخيص ذلك استاذنا الدكتور المحرومي^(١)

فحين درس الخليل الاصوات في العربية دراسة دقيقة . اقر اكثر نتائجها المدرس الصوني الحديث . على ما سيأتي تفصيله فيما بعد . وخذ في اثناء ذلك بعض الاصوات تأثيرا في بعضها الآخر . فادا اجتمع في لفظ صوتان احدهم مهموس والآخر مجهور اثر احدهما في الآخر . وما يراد به حتى يحرجه في مثل محرجه . ليكون عمل اللسان في الحرفين واحدا . وليتجهق الاسحاح الموسيقي^(٢) . ورأى ان بعض الاصوات المطلقة اذا جاورت الاصوات الممنوعة اثر المطلق في اسفح حتى يحاول تعينه . كالمائلة الحرة التي تمثل في ساء افتعل والافتعال . في صطر واصطر واصططع وغيرها^(٣)

واكبر الظن ان هذه الدراسة هي التي لعت انظار الدارسين القدماء الى فكرة العمل . حتى ينجل الى الدارس انهم كانوا . اذ قالوا بفكرة العامل - متأثرين بما لاحظوه من تأثير الحرف في الحرف في اثناء تمازج الحروف . واختلاط بعضها بعض حين تتألف منها الكلمات^(٤) . فكما هو بين الصوت والصوت من التأثير . يكون بين الكلمة والكلمة اذا جاورتها . ولا شك ان هذه الفكرة كانت اول الامر ساذجة الاثر بسيطة التطبيق ثم عمقت وتشعبت .

ومما يستدل به على اثر التجاور في العمل لدى الحاة . انهم ذهبوا الى بطلان عمل ان واحواتها حين نفثون بين (ما) الحرفية . فيرتفع الاسم بعدها . ويصبح دحوظ على الجملة التي يتصدر فيها الفعل . كقوله تعالى (قل إنما يوحى الي أي لهكم اله واحد)^(٥) . ونقل سيويه رواية الخليل عن العرب قولهم (إن بك زيد

(١) مدرسه الكوفة ٢٦٩ وما بعدها

(٢) نفسه ٢٧١ .

(٣) هـ ٢٧١ .

(٤) مدرسه الكوفة ٢٩٩

(٥) سورة الانبياء ١٠٨ انظر . كتاب سيويه ١ / ٢٨٠ وشرح طر الندي ١٤٩ .

مأخوذاً) ولم يعطل الاهمال^(١) ، وجور الفراء الغاء عمل إن إذا فصلت عن اسمها
مأصل كقولنا (إن في الدار زيداً قائم) ، معللاً ذلك بأنها حين تباعدت عن اسمها
الغنى عملها واهملت .^(٢) كل ذلك يشير الى عامل التجاور وتفاعل الكلمات ،
وكأن السحابة ذهوا « الى ان الاعراب مظهر من مظاهر تأثير بعض الكلمات في
بعض ، كما اثر بعض الحروف في بعض^(٣) » .

وعناية الخليل باللغة صكرة ، ولا بد ان تكون دراسته للاصوات سقت
دراسته للنحو ، لانباء الاخيرة على الاولى ، ووجود دراسة الاصوات في آخر كتاب
سيويه لا يدل على تأخر دراستها ، ذلك انه احتص الجزء الاول من الكتاب
بالنحو ، سوى المقدمة وابواب تقسيم الاسم والفعل وضرورة الشعر ، وكان الجزء
الثاني للصرف ابتداء من باب (للمتوع من الصرف) ، وللدراسة الصوتية ابتداء
من (باب الابدال) الى آخر الكتاب ، والابدال والاعلال والادغام دراسات صوتية
محضة ، وهي نتائج للدرس الصوتي ، وعلى هذا فان (الكتاب) مؤلف من دراسات
ثلاث . نحوية وصرفية وصوتية . وتأخر الصوتية في الموضع لا يعني تأخرها في
الزمان . وهذا ندرك المراحل التي حطتها فكرة العمل حتى استقرت مصطلحاً
نحويًا .

التعليل :

نشأ التعليل للطواهر اللغوية مع نشأة الدرس اللغوي ، فقد احدث به
الدارسون الاوائل ، على انه لم يكن حتى عصر الخليل وطبقته اكثر من تفسير لا يبعد
به عن منطق اللغة ، ورسم الخليل حدوده حين قال : « ان العرب نطقت على
سحبها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عضوها علله وان لم ينقل ذلك
عنها ، واعتلت انا بما عدي انه علة لما علته منه ، فان اكن اصبحت العلة فهو الذي
النمت ، وان تكن هناك علة له اخرى فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً
حكيمه الباء عجيبة النظام والاقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانها ماخير الصادق

(١) كتاب سيويه ٢٨٣/١ .

(٢) معاني القرآن ٥٧/٢ .

(٣) مدونة الكوفة ٢٧٢ .

هو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء ،
 منها قال : إنما فعل هذا هكذا لعل كذا وكذا ، وجائز أن يكون الحكم الساسي للدار
 فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك
 العلّة ، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك ، فإن سمح
 لغيري علّة لما علّته من النحو هي اليق مما ذكرته للمعلول فليأت بها^(١) ، ولم يجرح
 التحليل فيما فعل من تعليلاته عن هذا المنهج اللغوي السليم^(٢) . على الرغم مما قيل
 من أنه استطاع أن يستبطن من العلل ما لم يستبطن أحد وما لم يسبق إليه^(٣)

ولكن اللغويين منذ أواسط القرن الثالث أخذوا بفلسفون هذا التعليل ،
 وصارت العناية بأمر العلّة تأخذ أكثر اهتمام الدارسين ، وأصبحت المعاصرة تقوم على
 مقدار ما يحسن هذا اللغوي أو ذلك من صنعة التعليل ، إذ يروي أبو الطيب اللعوي
 (ت ٣٥١ هـ) عن أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) أنه ينعت الكسائي (ت
 ١٨٩ هـ) بالصعب بالعلم لأن : علمه مختلط بلا حجاج ولا علل^(٤) ، ويروي عنه
 أيضاً وهو يحمل على البغداديين أنهم : يحفظون مسائل من النحو بلا علل ولا
 تفسير^(٥) .

وحين ترجمت علوم اليونان في القرن الرابع ، صارت الفلسفة والمنطق إطاراً
 عاماً لجميع الدراسات ، ومنها الدراسات اللغوية ، فتجد في هذا القرن وما قبله
 بقليل مصنفات تصنف من أجل العلل ، فيروي أن لابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ) كتاب
 اسمه (المختار) في ثلاثة مجلدات أو أكثر يبحث في علل النحو^(٦) ، وألف لزحاجي
 (ت ٣٣٧ هـ) تلميذ ابن كيسان كتاباً في العلل هو (الإيضاح^(٧)) ، يضاف إلى ذلك
 أن العلّة كانت أساساً لمصنفات هذا القرن ، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات

(١) الإيضاح في علل النحو ٦٦ .

(٢) الكتاب ١ / ٣١٠ ، ٣٢٤ ، ٣٨٩ والأيضاح ٧٧ .

(٣) طغف النحويين ٤٣ وانباء الرواة ١ / ٣٤٣ .

(٤) مراتب النحويين ١٢٠ .

(٥) منه ١٦٠ .

(٦) انباء الرواة ٣ / ٥٨ .

(٧) طبع بتحقيق مازن المبارك في القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

شرح الرماني أو شرح السراي لكتاب سيويه من تعليلات هي بالمنطق اشبه منها
بغيره^(١) . وذلك ان الاوساط العلمية في ذلك الوقت كانت لا تشهد للدارس
التمكن من العلم الا اذا جمع الى اتقانه اللغة او الفقه او غيرها من العلوم اتقانه
لنفسه . يقول الخاط (ت ٢٥٥ هـ) : « لا يكون للتكلم جامعاً لا مظهر الكلام
متعمك في الصناعة يصلح للرياسة . حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في ورع
بذي يحسن من كلام الفلسفة »^(٢) .

وتكلم ابن حني (ت ٣٩٢ هـ) في الخصائص على العلة كلاماً يدل على
امتلاكه حساً لغوياً عميقاً في أكثر الاحيان^(٣) . بعكس ما فعله ابو البركات الاسدي
(ت ٥٧٧ هـ) في كتابه (اسرار العربية) الذي وضعه لبيان او تعليل الطواهر
اللعوية والنحوية . وكان قد وضع كتابه (الاغراب في جدل الاعراب) لتعظيم
لدارس في الجدل والمناظرة وتقوية ملكته فيهما . وكتاب (لمع الادلة) لوضع اصول
النحو على عرار اصول الفقه . ووقوف عاجل على امثلة من تعليلاته في الكتاب
الاول . كتعليقه رفع المبتدأ او تعليقه رفع الفاعل^(٤) . يوضح مدى سيطرة الفلسفة
والمنطق على التعليل اللغوي في هذا العصر . ومن آثار هذه السيطرة ايضاً :

- ١ - لقول بأن الحركات الاعرابية اثر من آثار العامل ، ولكل تأثير علة^(٥) .
- ٢ - التنازع ، وهو ان يتقدم معلول ويتأخر عنها معمول . وكل منهما يقتضي
هذا المعمول . فسمعوا ذلك انطلاقاً من المعكزة المنطقية بأنه لا يجوز ان تجتمع
علتان على معلول واحد ، فادأ حدث ذلك فيكون المعمول لأحد الفعلين
والآخر مصمر^(٦)

- ٣ - رفع المبتدأ والخبر ، قالوا انه لا يجوز ان يكونا مترافعين . لأن ذلك يلزم السور

(١) محاضرات الدكتور المحرومي (مطبوع) ١٢

(٢) احبوا ١٣٤ / ٢

(٣) احسان ١ / ٢١ ، ٣٧ ونظر : ابن جني قهوى ٢١٢

(٤) اسرار العربية ٣٤ ، ٣٥

(٥) الاشياء والنظائر ١ / ٧٣ ، ٧٥

(٦) شرح الرصعي على الكافية ١ / ٨٤ ونظر : الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٦٦

وهو محال عقلا ومنطقا ، فلا يكون المبتدأ علة رفع الخبر ، والخبر علة رفع المبتدأ ، لأنه لا يجوز ان يكون الاول سبب الثاني والثاني سبب الاول وهكذا ، وهو باطل^(١) .

٤ - تعليل ورود (اللهم) ، وتخطيهم فيه^(٢) ، وسأنتي الى درسها في الباب الرابع . وغير ذلك من مظاهر التعليل المصطنع بالفلسفة والمنطق والكلام^(٣)

والحق أنه لا يمكن ان يستغني الدرس اللغوي عن التعليل ، ولا حصر في اصطلاحه والمقبول منه هو الذي يستخدمه علم اللغة لا الذي يخرج عن ذلك فالذي يهدف اليه علم اللغة هو تفسير الظواهر اللغوية وتعليلها ، وهذا لا يتم لا بعد الوقوف على اكثر من لغة ، وكذلك يصدر علم اللغة عن كثير من المعرفة والاطلاع على دراسات لها صلة باللغة كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم وطائف الاعضاء وغيرها من العلوم^(٤) ولو اخذنا مثلا ظاهرة التذكير والتأنيث في العربية ، فوجدنا ان هناك الفاظا تذكيرها محازي واخرى تأنيثها محازي ، ولكن العرب انشؤ هذه الالفاظ ، وربما خالفتهم شعوب اخرى في هذه الالفاظ ، فالشمس في الفرنسية مذكر وهي في العربية مؤنث ، فدراسة هذه الامور من الناحية النفسية الاجتماعية من خصائص علم اللغة ، ومثل ذلك البحث عن سبب نصب الاسم الذي يلي (ان) وما الى ذلك من ظواهر لغوية . في حين كان ميدان اللغوي القديم لغة واحدة هي العربية ، ومن هنا اقتصروا الدارسون عن ان يفسروا ظواهر هذه اللغة ، ووقعوا فيها وقعوا فيه من تعليقات مصطحة غريبة لا علاقة لها بالاسباب الحقيقية للظواهر

المنهج الوصفي والمنهج التعليلي :

المنهج الوصفي - كما يدل عليه الاسم - هو المنهج الذي يقوم على تقرير ما هو

(١) الخصائص ١/ ١٦٦ والاتصاف ٣٣ والاشباه والنظائر ١/ ٢٦٣ وجمع المواضع ١/ ١٩٥

(٢) كتاب سيبويه ١/ ٣١٠ والاتصاف مسألة ٤٧ وشرح للفصل ١٦/ ٢

(٣) اصول النحو العربي ١٣٢

(٤) علم اللغة (وافي) ١٠ - ١٢

واقع ، أو تفسيره تفسيراً لا يخرج به عن نطاق اللغة ، فهو - اذن - اما تقريرى او تحليلي ، اما المنهج التحليلي فهو الذى يقوم على تحليل الاحكام اللغوية تحليلًا عقليًا منطقيًا ، مستندا الى الاحتجاج والجدل . وكان الدرس اللغوي حتى اواسط القرن الثالث سائرا على المنهج الوصفي في تناوله للموضوعات اللغوية الى حد كبير ، ذلك انه الى هذا الحين لم يتأثر بعد بالدراسات العقلية التي سادت الوسط العلمي بعد ذلك . وقد مر بنا اكثر من دليل على تمسك اللغويين الاوائل بالمنهج الوصفي في دراسة اللغة ، فقد سبق موقف الخليل وبعض شيوخه واصحابه من السماع والقياس ، والتقدير والتأويل ، والعامل والتحليل ، وما الى ذلك من اسس الدرس اللغوي ، وكان موقفهم اراء ذلك موقف الواصف الذي يفسر ما يرى انه يلائم روح اللغة من غير تحمل واغراب^(١) . يقول الخليل مثلا : « والآن قطع : المقطوع اليد ، والجمع قطعان ، والقياس ان تقول : قطع ، لأن جمع افعل افعل الا قليلا ، ولكنهم يقولون : قطع الرجل لأنه فعل به^(٢) » .

اما اللغويون الذين اعقبوا هذه الطغفة ، فقد بعدوا في دروسهم عن ذلك المنهج ، واخذوا يدرسون اللغة على المنهج التحليلي ، متأثرين في ذلك بالدراسات الفقهية والفلسفية ، مترسمين موضوعات هذه الدراسات فيما يضعون من ابحاث ومصنفات ، وكان هذا المنهج التحليلي يشمل كل هروع دراسة العربية : اللغة والنحو والصرف دون تمييز ، لأن اللغويين هم انفسهم صرفيون وبحويون . فعثلا استعمال الدرس اللغوي^(٣) :

١ - فكرة الاستحسان من الاصوليين ، وهو عبارة عن دليل ظني يقابل القياس الجلي الذي تسبق اليه الادعاء^(٤) . وكان ابن جني يقول : « ان علة صعيمة غير مستحكمة ، الا ان فيه ضربا من الاتساع والتصرف ، من ذلك تركت الاحف الى الاثقل من غير ضرورة ، نحو قولهم : الفتوى والبقوى والتقوى

(١) كتاب سيوطه ١/ ١٧٢ ، ١٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦

(٢) العين (الجزء المطبوع) ١٥٣

(٣) انظر : ابو البركات الاطرش ودراساته التحوية ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٠

(٤) لمع الادلة ١٣٣ - ١٣٤ والاختراع ٨١

والشروى ونحو ذلك . الا ترى انهم قلبوا الياء هنا ولوا من غير استحكام
علة ، اكثر من انهم ارادوا الفرق بين الاسم والصفة^(١) .

٢ - فكرة استصحاب الاصل ، وهو يعني « ابقاء حال اللفظ على ما يستحبه في
الاصل ، عند عدم دليل النقل عن الاصل^(٢) » . واستدلوا به على اعراب
الاسم المتمكن ، وباء فعل الامر^(٣) .

واعتمد هذا المنهج بالعلة واحكامها ، وبالعلة العلة ، وبما يلحق القياس من
وجوه الاستدلال ، مثل :

١ - الاستدلال بالتقسيم ، وهو ان تعرض الاقسام التي يجوز ان تتعلق بها حكم من
الاحكام ، فتبطل جميعا ويبطل بابطالها الحكم المتناقض فيه^(٤)

٢ - الاستدلال بالاولى . وهو ان يبين الفرق في المعنى الذي تعلق به الحكم في
الاصل وزيادة^(٥) .

٣ - الاستدلال ببيان العلة ، وهو ان تبين علة الحكم ، ويستدل بوجوده في موضع
الخلاف ، لوجودها بالحكم^(٦) .

٤ - الاستدلال بالاصول ، وهو ان يتعارف على اصول معينة يعتمد عليها في تحديد
الحكم^(٧) . وغير ذلك كثير من صور استعمارة موضوعات الفقه واصوله
واستخدامها في اللغة

وقد مرت الاشارة في اكثر من موضع الى ان العلماء الاقدمين درسوا اللغة من
مواحيبها المتعددة ، فدرسوا اصواتها وتاريخها وتطورها وعرفها ونحوها وغير ذلك

(١) الخصائص ١/ ١٣٣ - ١٣٤ وانظر : لساه العرب (شري)

(٢) الاغراب ٤٦ وانظر : التمرينات ٢٧

(٣) الاغراب ٦٣ - ٦٤ ولمع الادلة ١٤١ - ١٤٢ والاخراج ٧٦

(٤) لمع الادلة ١٢٧

(٥) نفسه ١٣٢

(٦) لمع الادلة ١٣٢

(٧) نفسه ١٣٣ .

ودارس كتاب سيويه (ت ١٨٠ هـ) والكتب المؤلفة بعده يجد خليطا من الدراسات المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والعروضية^(١) . وعلى عهد المارني (ت ٢٢٥ هـ) الذي عمل كتابا خاصا في التصريف ، اخذت الدراسات تتميز بعضها من بعض . وعلى الرغم من ان كتاب المارني افرد علم الصرف من غيره ، الا ان الدرس الصرفي ظل متعلقا مع غيره ، ففي المقتضب للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) شيء من هذا الاختلاط^(٢) ، على ان المبرد بعد المازني في الزمن . وفي اصول ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) ايضا نجد مثل هذا الاختلاط ، وقد سار على منهج كتاب سيويه ، وزاد عليه بعض نقوله عن اشياخه وبعض آراء كوفية^(٣) .

اما ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فقد اثرى الدرس اللغوي بمادة مهمة ، الا انه عمق المنهج التعليلي في دراسته ، بل نستطيع ان نعدده المحطط له^(٤) ، ولكن نصح المنهج وسنكمله لم يتم الا على يد ابي البركات الانباري (ت ٥٧٧ هـ) بعد وضعه كتبه الثلاثة الشهيرة (اسرار العربية ، ولع الادلة ، والاعراب في جدل الاعراب) فائق للدرس بقيود ما استطاع التخلص منها ، وقد ابان الانباري نفسه ذلك في مقدمة احد كتبه وهو يتحدث عن مسبب تأليفه^(٥) . والغريب ان بعد الاستاذ سعيد الافغاني محقق الاعراب واللمع صنيع ابي البركات الانباري في وضعه « قواعد تشبه ما للمحدثين وقياس وعلل بشهان ما للمفهاء والمتكلمين ، عملا حقق امنية طال نطلع اليها الكثيرون منذ المائة الثانية^(٦) » ، وذهب استاذنا الدكتور المخزومي الى ان المحقق وهم من جهتين :

لأولى : في متابعة الاساري في جعل اصول النحو وقواعده وقوانين الجدل والمناظرة العاية التي يقف عندها بجهد الدارس .

(١) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٣٢ وما بعدها

(٢) هـ ٣٥

(٣) الاصول في النحو ٢٤ / ١

(٤) ابي حبي النحوي ٢٠٧

(٥) الاعراب ٣٥ - ٣٦

(٦) الاعراب واللمع ، مقدمه المحقق

الثانية : في الاشارة بما وضعه الانباري ، وجعله مؤسسا لثلاثة فنون هي فن الحدل وفن الخلاف ، وفن الاصول في النحو على نسق اصول الفقه ، وجعله للمبتكر لهذه الفنون . وفي هذا اغفال لاعمال الدارسين الذين سبقوه ان ذلك كله ، والذين تأثر هو بهم من دون ريب ، ولا سيما ابن جني في كتابه الخصائص الذي سبق قوله في مقدمته : « انا لم نر احدا من علماء البلدين تعرض لعمل اصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقه »^(١) ، اي فيه ولم يلاحظ المحقق ان هذا الذي عده ابتكارا وامنية تطلع الى تخفيف الدارسون منذ المائة الثانية ، هو من الامراض التي اودت بحياة الدرس اللغوي وادت الى جموده ووسعت الجفوة بينه وبين الدارسين^(٢) .

بعد ابي الركات الانباري صار النحو - على وجه الخصوص - مادة تصعب فيها جهود النحاة ، على الرغم من توفر حسن البية لديهم ، فابن الحاجب (ت ٦٤٦) مثلا يضع (الكافية) ، وينص على انها مختصرة ، فطلب اليه ان يوسع مادتها فشرح الكافية^(٣) ، ثم نظم الشرح شعرا ، فقبل له : ان النظم يحتاج الى شرح ، فشرح النظم^(٤) ، وكل هذه الاعمال مادة واحدة مؤلف واحد . وكذلك ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، فقد نظم النحو في اربعة آلاف بيت ، ثم اختصرها في ألف بيت ، ثم شرحها في كتابه التسهيل ، ثم شرح التسهيل^(٥) . وصفوة القول ان النحو انتهى منذ ان جُمِدَ في القرن الرابع ، حين فرضت عليه ، وعلى كل فروع الدرس اللغوي مناهج غريبة لم تخدم هذا النوع من الدراسة .

نتائج :

« يمكننا ان نقف من خلال هذا التتبع التاريخي لتطور منهج الدرس اللغوي على النتائج الآتية :

(١) الخصائص ٢/١ وانظر : ابي الركات الانباري ودراساته النحوية ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٢) محاضرات الدكتور الحزومي ١٧٤ / ١٩٧٥ م .

(٣) هذا الشرح مطبوع في الاستانة سنة ١٣١١ هـ .

(٤) كشف الطنون ٢ / ١٣٧٤ .

(٥) ابن الحاجب اللغوي ٤٧ .

١ - اخطأ اللغويون في دراستهم للغة من جهتين : الاولى ، حين درسوا موضوعاتها وفق منهج اجنبي عنها استعاروه من الفقه والكلام ، وقد مرت امثله ذلك والثانية : حين تجاوزوا حدود امكانياتهم ، وراحوا يخوضون فيما ليس من شأنهم ، فبينما هم يدرسون الكلام العربي صوتا وابية وظواهر ويستسطون قواعدهم ، اذا بهم يوسعون دائرة عملهم ، فلا يكتفون بتسجيل ما هو من اسلوب العرب وما ليس من اسلوبهم . بل راحوا يهللون ويثأولون ويرجعون هذه الكلمة او تلك الى اصل تخيلوه ، ويحكمون على هذه الصيغة بأنها صواب وعلى تلك بأنها خطأ ، وهذا ما يجب ان يقال وذاك ما يجب ان يتجنب ، وهذا ليس من عملهم . فليس من وظيفتهم ان يرجعوا بعض صور التعبير الى اصول لا وجود لها او يخطئوا ابناء اللغة ، لأن ذلك يقتضيهم ان يلموا باكثر من لغة ، وان يقابلوا لغة بلغة ، وان يوازنوا ظاهرة بظاهرة ، وهذا ما لم يتوفر لهم ، لأن اللغوي العربي - كما اشرنا قبل - اقتصر عمله على لغة واحدة هي العربية ، والالمام باللغات الاخرى مما لم ينهيا مثله للدارسين العرب قدمائهم والمتأخرين منهم . ووظيفة دارس اللغة تسجيل ما يقوله الكتاب والشعراء المعروفون بفصاحة القول ، ومصاحبة ما بطرا عليه من تغير ، وتدوين ما يقع في الاستعمال الجاري بين هؤلاء ، واستخلاص الموازين والضوابط ، واذا تجاوز اللغوي هذه الحدود اراد ان يبين لنا ان ما يقوله هؤلاء لحن وان الصواب ما يراه هو ، فقد وسع حدود سلطانه ، وكان في تجاوزه هذا دارسا فاشلا ، لا يختلف عن اولئك الذين دونوا على فصحاء العرب احلاطا من اللغويين المتأخرين^(١) .

٢ - ان المتكلمين في لغة ما هم مصدر الحقائق اللغوية والقواعد النحوية ، وهذا يعني ان الالفاظ التي ترد على لسان الناطقين بتلك اللغة هي الالفاظ الصحيحة في عصر تدوينها بغض النظر عن اصولها التاريخية ، ولذلك ينبغي الفصل بين طريقة البحث الوصفية وطريقة البحث التاريخية ، ولا يجوز الخلط بينهما ، فاذا اردنا ان نصف لغة ما فعلينا ان نصفها كما ترد على ألسنة المتكلمين بها في

(١) محاضرات الدكتور المحزومي ١٩٧٤/١٩٧٥

ذلك العصر ، ولا علاقة لذلك بالاصول التاريخية للالفاظ ، لأن لتلك طريقة أخرى في البحث والدرس ، والاستعمال هو الحكم بين ما هو من كلام العرب وما هو ليس من كلامهم ، ويدخل ضمن كلام العرب كل ما كان جاريا على ألسنتهم في أثناء وضع القواعد والاصول ، وكان واصحا عند اللغويين القدماء - كما مر - ان الثقات من الفصحاء لم يكونوا مصدر الدارسين دائما ، وكانت الاصول الموضوعية نعدو عليهم احيانا ، وهو امر لا يفضل في الحوث اللغوية العلمية .

٣ - يجب ان نضع نصب اعيننا ان دراسة اللغة نفروعها المختلفة ليست الا وسيلة الى الغاية ، والغاية هي وصف ظواهر اللغة ، ووضع القواعد المستنبطة من هذا الوصف ، وبالتالي تعويد الدارسين على ان يؤلفوا جملة سليمة واضحة اللفظ والدلالة ، وهذا ما لم يتوفر لدى كثير من اللغويين ، فهم ارادوا الخير للدرس اللغوي ولكن لم يكتب كل الخبر له ، بسبب المنهج الذي فرصوه عليه ، وبسبب تجاوزهم الحدود التي كان يجب ان يقفوا عندها ، مؤمنين بان رسم سبل التعليل المطلق هي الغاية التي يجب ان يصل اليها جهدهم .

خلاصة .

نخلص من ذلك كله الى ان المنهج الملائم لطبيعة الدرس اللغوي هو المنهج الوصفي ، الذي يقرر ما هو موجود فعلا من ظواهر واستعمالات ، او يفسره في ضوء اللغة نفسها ، ولا فرق في ذلك بين علم اللغة والنحو ، الا ان النحو اقل احتياجا للتفسير من اللغة . ويأخذ المنهج الوصفي بالهدف المعنوي من الكلام ، ذلك ان فهم المعنى المقصود من العبارة يقود الى حقيقة الاعراب ، وعلم المعاني الذي دخل كتب البلاغة كله دراسة لغوية نحوية .

الا ان الدكتور دلوود عبدو ذهب الى غير هذا ، فحمل على المنهج الوصفي ، ورأى انه ليس منهجا سليما في دراسة اللغة ، وانه مجرد اللغة من اجل الخصائص التي جعلت من علم اللغة علما ، ولا يد من التعليل في دراسة اللغة^(١) وفي هذا

(١) ابحاث في اللغة (ط بيروت) ١٦٧

معالطة ، لأن الذين يتبنون للنهج الوصفي في علم اللغة قد لا يتبنون النهج نفسه في النحو ، فالظواهر اللغوية لا يمكن ان تفسر او تعلل الا في ضوء علم اللغة ، اما التعليقات النحوية فهي غير ذلك ، فالنحوي يستقري الاستعمالات ثم يستخلص قاعدة يشيعها بين الناس دون ان يلجأ الى التفسير والتعليل .



الفصل الثاني

أشهر اللغويين وخلافاتهم المنهجية

أشهر اللغويين : الخليل - سيبويه - الكسائي - الفراء - أبو عبيدة - الأصمعي - أبو عبيد - ابن السكيت - ابن قتيبة - ثعلب .

ملامح مدرسية في اللغة : مقدمة في حد المدرسة - المدارس القديمة - عوامل نشأتها - خصائص منهج كل منها - مسائل الخلاف اللغوية بينها .

اللغويون والظواهر اللغوية : القلب والابدال - الاشتقاق والنحت - الترادف - الاشتراك - التضاد .

اشهر اللغويين

١ - الخليل بن احمد الفراهيدي^(١) :

ولد في عمان سنة مائة هجرية ، من قبيلة ارد المعروفة ، وترك موطنه الى البصرة باعها ، فنشأ بها ، وتلقى اول علومه على يد اكابر اساتذتها امثال ابي عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر وغيرهما ، حتى اذا اكتمل علمه ونضج فكره اصبح استاذ البصرة بلا منازع ، وتلمذ له الكبار من اللغويين امثال سيبويه والكسائي والنضر بن شميل ومؤرج السدوسي والاصمعي وغيرهم . كان الى جانب اتصافه بالعلم والابداع ورعا زاهدا قائما بما هو فيه ، وكان يقرن الى ابن عون في الزهد والتقوى ، وروي انه كان يجمع سنة ويغزو اخرى ، وحين دعاه سليمان بن علي الى زيارة الاهواز وكان واليا عليها ، اجابه بقوله :

أبلغ سُبَّانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ وَفِي عَنِّي غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
سَحَى بِنَمِي أَسَى لَا أَرَى أَحَدًا بِمَوْتِ هَزْلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ مَعْرِفَةٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ الْعَنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالُ

كان فلذا هريدا ، وقد مر في اكثر من موضع من هذه الرسالة ما يدل على ذلك ، هريادته في اللغة والمحو والعروض وعلمه بالموسيقى والرياضة امور معروفة مشهورة لا تحتاج الى شرح ، قال النضر بن شميل : « أكلت الدنيا بعلم الخليل وكنته ، وهو في خُصٍّ لا يُشعر به^(٢) » . وقال سفيان بن عيينة : « من أحب أن ينظر إلى

(١) انظر ترجمته في ٠ اخبار النحويين للبصريين ٣٠ ومراتب النحويين ٢٧ وطبقات النحويين ٤٧ ونزهة الاكباد ٣٢

(٢) الصاحبي ١٨

رحله خلق من الذهب والفسك فليظفر الى الخليل بن احمد^(١) ، وتوفي الخليل على اقوى الروايات سنة ١٧٥ هـ .

٢ - سيويه^(٢) :

هو عمرو بن عثمان بن قنبر وسيويه لقب غلب عليه ، ولد لاسرة فارسية في قرية قرية من شيراز ببلاد فارس ، فتزوج وهو في سن مبكرة الى النصرة علما لعدم الحديث والفقه ، فتلمذ لجمال بن سلمة المحدث المشهور ، ومنه انتقل لدراسة اللغة والنحو على مشايخ العصر ، فتلمذ لعيسى بن عمر وابي الخطاب الانخشي الاكبر ، وكان اكثر احده عن الخليل اذ لازمه ملازمة الظل ، فكان ابنه تلاميذه واكثرهم رواية عنه ، ويشهد بذلك (كتابه) . كما اخذ عن يونس بن حبيب وابي عمرو بن العلاء وابي زيد الانصاري واخذ النحو عن سيويه جماعة ، اشهرهم الاحفش الاوسط سعيد بن مسعدة وقطرب . وكان الاحفش اسن من سيويه وصاحب الخليل قبل صحبته له ، واصبح بعد وفاة سيويه الطريق الوحيد الى كتابه ، اذ درسه عليه الجرمي والمالزي وغيرهما .

لم يصب كتاب في اللغة ما اصابه كتاب سيويه ، فقد اكب عليه الدارسون منذ عصره الى اليوم يتدارسونه ويهلون منه ويفخرون به ، يقول ابن خلكان : كان اعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه . ويقول الازهري : وقد نظرت في كتابه فرأيت فيه علما جما ، ويحكى انه تحرق في كم المارني بضع عشرة مرة . ويقول الزجاج : اذا تأملت الامثلة من كتاب سيويه تبين انه اعلم الناس باللغة . وتوفي سيويه على الأرجح سنة ١٨٠ هـ .

٣ - علي بن حمزة الكسائي^(٣) :

ولد ونشأ في الكوفة ، وتلقى علومه فيها على يد ابي جعفر الرواسي ومعد

(١) الصاحبي ١٨

(٢) انظر ترجمته في : طبقات النحويين ٦٦ وتاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥ وترجمة الالباء ٣٨ ومعجم الادباء ٩/ ٨١ واخبار النحويين ٣٧ والمهرست ٥١ ولسان الرواة ٢/ ٣٤٦ ووفيات الاعيان ٣/ ٤٦٥ ونهذيب اللغة ١/ ١٩ وبيد الوعاء ٣٦٦

(٣) انظر ترجمته في : معجم الادباء ١٣/ ١٦٨ وترجمة الالباء ٨٢ - ٨٣ وغاية النهاية ٩/ ٥٣٨ والشر ٩/ ١٧٣ ونهذيب التهذيب ٧/ ٣١٤ وبيد الوعاء ٣٤٧ وتاريخ بغداد ١١/ ٤١٢ .

المراء ، ثم قصد البصرة ليستريد فيها علما ، فسمع من الخليل واعجب به ، وسأله عن مصدر علمه ، فقال له : بولادي الحجاز ونجد وتهامة ، فذهب الى البوادي وشافه اعراسها وانفذ خمس عشرة قتيعة حبر في الكتابة سوى ما حفظ ، وعاد الى البصرة ، ووجد الخليل قد توفي وتصدر مجلسه يونس فلأخذ عنه وناظره في مسائل اقر له يونس بها ، فعاد الى الكوفة للتدريس ، فلم يطل مقامه ، إذ تركها فاصدا بغداد ، فطلب له فيها المقام ، فقد تصدر للدرس واتصل بالخلفاء فآكروموه واحسنوا اليه ، ودرس في بغداد كتاب سيويه على الانخفش مقابل اجر .

وكان الكسائي مقرئا قبل توجهه للغة والنحو ، فقد تلمذ في الفرامة الحمزة ، ثم استقل بقراءة خاصة اصبحت من الفراءات المشهورة ، فكانت للكسائي حلقة يجلس فيها على كرسي ، ويتلو القرآن من اوله الى آخره ، والناس يسمعون ويضبطون عنه . فهو لم يتعلم العربية - كما يروى - الا على كبر ، ومن تلمذ له في اللغة المراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام بن معاوية واللحياني وابن الاعرابي وغيرهم . وفي بغداد حدثت بين الكسائي وغيره من البصريين مناظرات في المسائل اللغوية ، اشهرها التي كانت بينه وبين سيويه ، حيث وضعت المسألة الزنبورية هذه - في تقديرنا - اساس الخلاف المبرسي بين البصرة والكوفة ، كما سيأتي بيان ذلك . وتوفي الكسائي في الري سنة ١٨٩ هـ .

٤ - يحيى بن زياد الفراء^(١) :

ولد بالكوفة سنة اربع واربعين ومائة ، وكان ابوه مولى لقبيلة بني منقر ، ودرس اول الامر على ابي جعفر الرؤاسي ثم قصد البصرة كما فعل الكسائي من قبل ، ولقي فيها يونس بن حبيب واخذ عنه شيئا ، ثم توجه الى بغداد ولقي الكسائي فصاحبه واخذ عنه ، وكان من مناصريه في مجلسه مع سيويه الذي اشرنا اليه قبل

(١) انظر ترجمته في : طغف النحويين ١٤٣ ومراتب النحويين ٨٦ ونهذب اللغة ١٨/١ والقهرست ٩٨ ودرحة الالاء ٦٥ ودر النقيس ٣٠٩ ووفيات الاعيان ٥/٢٢٥ وندرات الذهب ١٩/٢ والكنى والالقاء ١٤/٣ وتاريخ بر وكميان ١٩٩/٢ وتاريخ كتاب اللغة العربية ١١٧/٢ والاعلام ١٧٨/٩ .

قليل . وروى عن اعراب وثق بهم مثل أبي الجراح وأبي ثروان وأبي فقعه وأبي
دثلو وغيرهم . وهو أول من قعد لدرس تفسير القرآن ومعانيه في مسجد من مساجد
بعداد الى جانب منزله ، وكان يتزل بلزائه الواقفي .

أخذ عنه جمهرة من العلماء امثال سلمة بن عاصم والطوال ومحمد بن سعدان
وابن السكيت ومحمد بن قادم وغيرهم ، وكان الناس لرغبتهم بكتابه (معاني القرآن)
يشترون كل خمس اوراق بدينارهم من الوراقين ، اتصل بالمأمون وأدب ولديه ، وملي
كتابه (الحدود) في اصول النحو بطلب منه . قال ثعلب . انه كان يتعسف في
تصنيفه حتى يسلك في العاطلة كلام الفلاسفة . ولعل ذلك من اثر اعتزاله في
الرأي . وقيل في الفراء : انه لولا الفراء ما كانت اللغة ، لانه حصلها وصطلها ،
ولولا لسقطت العربية ، لانها كانت تتنازع ، ويدعيها كل من اراد ، ويتكلم
الناس عليها من مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب . وتوفي سنة ٢٠٧ هـ .

٥ - ابو عبيدة معمر بن المثنى (١) :

ولد في البصرة سنة عشر بعد المائة ، لابوين رقيقين من يهود باجروان في
فارس . كان مولى لثيم قريش فلقب بالنيمي . اخذ في اول عهده عن ابي عمرو بن
الغلاء ويونس بن حبيب ، حتى اذا برز باخر استاذ ابا عمرو مناظرة الند ، وقال ابو
حاتم عن مذهبه انه كان يرى رأي الخوارج الصفرية ، وانه كان يكتنم ذلك . اخذ
عنه الاثرم والثوري وابو عبيدة القاسم بن سلام والمارني وابو حاتم وغيرهم . وكان ابو
عبيدة من اعلم الناس بانساب العرب وایامهم وكتبه في ذلك كثيرة معروفة ، يقول
ثعلب : من اراد احار الجاهلية فعليه بكتب ابي عبيدة . وقد استقدمه الرشيد الى
بعداد ليقرأ عليه شيئاً من هذه الكتب وليختص بمادته .

غلب عليه الشعر والغريب ، وهو من اوائل من الف في الغريب كما مر ذلك

(١) انظر ترجمته في : احبار النحويين البصريين ٥٢ وطقف النحويين واللمعيين ١٩٢ ومراتب النحويين ٤٤
وبهذه اللغة ١٤/١ والنهرسب ٧٩ وخرقة الاليد ٦٨ وانباء الرواة ٣/٢٧٦ وتلخيص تعداد ٢٣/٢٥٢ وديب
الاعيان ٤/٣٣٣ ومعجم الادباء ١٩/١٥٤ ونور القيس ١٠٩ والملاكة والفلوكون ١٠٩ ونوعية الرواة ٣٩٥ والحرم
الراعي ١٨٤/٢ وشذرات الذهب ٢/٢٤ وبيروكليات ٢/١٤٢

من دراسة كتب الموضوعات اللغوية في الباب الثاني . الا انه في النحو - كما يقول
الارهرى - محل كثير الخطأ ، ويقول ابو حاتم : انه كان ينشد البيت مختلف العروض
ويحطىء - فداقرأ القرآن نظرا ، وغير ذلك من المطاعن التي تمثل - في اكبر الطي - حلة
بولع فيها عليه لما اشتهر عنه من شعوية مقبلة وخارجية متعصبة وبداءة لسان لم
يسلم منها احد . وقد توفي سنة ٢١٠ هـ .

٦ - عبد الملك بن قريظ الاصمعي^(١) :

ولد في البصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة . اخذ عن ابي عمرو بن العلاء
وخلف الاحمر ، وسمع شعبة بن الحجاج والحمايين وصعير بن كدام ، وحكى شيب
يسيرا - من العروض لا من اللغة - عن الخليل . وكان ابو زيد وابو عبيدة يخالعه
وينوثانه كما يناوئهما ، فكلهم كان يطعن على صاحبه بانه قليل الرواية . وقد احد
عنه ابو حاتم السجستاني وابو عبيد القاسم بن سلام واحمد بن محمد اليربلي ونصر
ابن علي الجهمي وابن اخيه عبد الرحمن وابو الفضل الرياشي وغيرهم من ائمة
اللغة والرواية .

قدم بغداد ايام الرشيد ، وكان صاحب لغة وغريب واخبار ونحو وملح ،
يكره اختراع المعاني والعناية بالعروض ، واكثر الطن ان سب ذلك انه لم يستطع
استيعاب علم العروض ، عندما حاول ان يدرسه على الخليل ، والقصة معروفة ،
فقد اشار عليه الخليل بترك هذا الدرس بقوله : كيف تقطع هذا البيت :

إذا لم تُستطع امرأ فدعْه وجاوزْه إلى ما تُستطعُ
ففهم الاصمعي مغزى الخليل وترك الدرس . ونقل عنه انه كان يحفظ ستة عشر ألف
ارجوزة . وكان من اوثق الناس في اللغة واسرعهم جوابا واحضرهم دعما ، كثير
التوقي لتفسير القرآن . توفي سنة ٢١٣ هـ .

(١) انظر ترجمته في : اخبار النحويين ٤٥ وطبقات النحويين ١٨٣ ومراتب النحويين ٤٦ وتهذيب اللغة ١/ ١٤
والعهرست ٨٢ ومرجع الانباء ٧٤ وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠ ونبذ الرواة ١٩٧/ ٢ ودرر العيس ٢١٥ ووليات الاعيان
٣٤٤/ ٢ والسجود الزاهرة ١٩٠/ ٢ والانساف ٢٨٨/ ١ وبنية الوعة ٣١٣ وشرحات الذهب ٢/ ٣٦ وبروكلمان
١٤٧/ ٢ والكنى والالقب ٣٢/ ٢ والاعلام ٣٠٧/ ٤ .

٧ - ابو عبيد القاسم بن سلام^(١) :

ولد سنة احدى وخمسين ومائه ، كان ابوه عبداً رومياً لرجل من اهل هراة وشأ
ابو عبيد مولى للآزد في خراسان ، ثم ولي قضاء طرسوس ايام ثابت بن نصر بن
مالك . فلم بغداد وحدث بها ما اخذه عن ابي ريد الانصاري وابي عبده
والاصمعي واليزيدي وغيرهم من البصريين ، وابن الاعرابي وابي ريد الكلاسي
ويحيى الاموي وابي عمرو الشيباني والكسائي والقراء من الكوفيين . وروى الس
من كتبه نيهاً وعشرين كتاباً في القرآن والفقه غير كتبه في اللغة والغريب . توفي في
مكة سنة ٢٢٤ هـ .

٨ - ابو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت^(٢) :

كان ابوه اسحاق الملقب بالسكيت معلم صبيان في قرية دورق بخوزستان ،
ويرجع بروكلمان انه آرامي الاصل . درس ابن السكيت على القراء وابي عمرو
الشيباني وابن الاعرابي من الكوفيين وروى عنهم ، كما اخذ عن الاصمعي وابي
عبيدة والاثوم من البصريين ، والنقط اللعة من افواه الاعراب . حتى كانت مصنفاته
الكثيرة مضرب المثل في الجودة والانتان واللغة . وقيل : ما عبر على جسر بغداد
كتاب في اللغة مثل (اصلاح المطلق) . وكان سبب قعود ابن السكيت للدرس
وقصدهم اياه انه عمل شعر ابي الجهم المجلي وجوده .

وعرف عنه انه عالم بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر ، راوية ثقة ،
وقد عدوا علم الكوفيين متهاً اليه والى ثعلب ، وكانا ثقتين امينين ، ويعقوب اسن

(١) انظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ٢١٧ ومراتب النحويين ٩٣ وتهذيب اللغة ١٩ / ١ والمهرست ١٠٦
ومرحة الادباء ٩٣ وانباء الرواة ١٢ / ٣ ونور القيس ٣١٤ وتاريخ بغداد ٤٠٣ / ١٢ ومعجم الادباء ٢٤٤ / ١٦ ووفيات
الاعيان ٢٢٥ / ٣ والمجموع الزاهرة ٢٤١ / ٢ ونبية الرواة ٣٧٦ وشذرات الذهب ٥٤ / ٢ والكنى والالقباب ١١٣
وبروكلمان ١٥٥ / ٢ والاعلام ١٠ / ٦ .

(٢) انظر ترجمته في : طبقات النحويين ٢٢١ ومراتب النحويين ٩٥ وتهذيب اللغة ٢٢ / ١ والمهرست ١٠٨ ومرحة
الادباء ١٢٢ وتاريخ بغداد ٣٧٣ / ١٤ ونور القيس ٣١٩ ومعجم الادباء ٢٠ / ٥٠ ووفيات الاعيان ٤٣٨ / ٥ والملاي
والملوكون ١٣٦ والمجموع الزاهرة ٣١٩ / ٢ ونبية الرواة ٤١٨ وشذرات الذهب ١٠٦ / ٢ والمدة في الرجال (مخطوط)
١٩١ والنسبة ٢ / ٢١٤

واقدم واحسن الرجلين تأليفاً ، وشعلب اعلمهما بالنحو . فان ابن السكيت احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو بعد ان كان يؤدب صبيان العامة يدرب العنطرة سعداد . وتوفي سنة ٢٤٤ هـ .

٩ - عبد الله بن مسلم بن قتيبة : (١)

لقب بالدينوري نسبة الى مدينة (دينور) التي ولي القضاء بها . ولقب ابوه بالمروزي نسبة الى (مرو) وكان اعجمياً تركياً . اخذ ابن قتيبة عن ابي حاتم الريشي وعبد الرحمن بن ابي الاصمعي واسحاق بن راهويه ومحمد بن زياد الزياتي . وكان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر ، عالماً بفريب القرآن ومعانيه . قيل : انه كان يغالي في مذهب البصريين الا انه خلط المذهبين ، وحكى في كتبه عن الكوفيين . اخذ عنه جملة من العلماء منهم ابنه القاضي احمد وابن درستويه وغيرها . واقرأ كتبه ببغداد الى حين وفاته ، وكانت سنة ٢٧٦ هـ .

١ - ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢)

ولد سنة مائتين ، وابتدا النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست عشرة ، وحفظ كتب الفراء فلم يشذ منها حرف ، وعنى بالنحو اكثر من غيره ، فلما اتقنه اكب على الشعر والمعاني والفريب ، اذ نظر في النحو وله ثمان عشرة سنة ، وصنف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يدرس كتب الفراء وكتب الكسائي درساً . لارم ابن الاعرابي بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن سلام الجمحي وعلي بن المغيرة الاثرم

(١) انظر ترجمته في : طبقات النحويين ٢٠٠ ومراتب النحويين ٨٤ وتهذيب اللغة ٣٠ / ١ والمهرست ١١٥ ورمحة الالباء ١٤٣ وتاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ واتباء الرواة ٢ / ١٤٣ ووفيات الاعيان ٢ / ٢٤٦ والنجوم الزاهرة ٢ / ٧٥ وبيعة الرواة ٢٩١ وشذرات الذهب ٢ / ١٦٩ والمئة في الرجال (مخطوط) ١٨١ وبيروكلمان ٢ / ٢٧٢ والمكي والالقاء ١ / ٣٧١ وتاريخ احوال اللغة العربية ٢ / ١٧٠ والاعلام ٤ / ٢٨٠ .

(٢) انظر ترجمته في : طبقات النحويين ١٥٥ ومراتب النحويين ٩٥ وتهذيب اللغة ٣٦ / ١ والمهرست ١١٠ وتاريخ بغداد ٥ / ٢٠٤ ورمحة الالباء ١٥٧ واتباء الرواة ١ / ١٢٨ ونور القيس ٣٣٤ ووفيات الاعيان ١ / ٨٤ ومجمع الادباء ٥ / ١١٢ والنجوم الزاهرة ٢ / ١٣٣ وبيعة الرواة ١٧٢ وشذرات الذهب ٢ / ٢٠٧ وروضة الجنات ١ / ٢٠١ وتاريخ بيروكلمان ٢ / ٢١٠ والمكي والالقاء ٢ / ١١٥ وتاريخ احوال اللغة العربية ٢ / ١٨٠

وسلمة بن عاصم وعبيد الله بن عمر القوليري وخلف والزبير بن نكر وسي
الحسن احمد بن ابراهيم .

أدب اولاد محمد بن عبد الله بن طاهر ، وناظر المبرد وجالس ابن كيسان
واحذ عنه محمد بن العباس اليربدي وعلي بن سليمان الاخفش الأصغر وبسطويه و
عمر الراشد وابن عرفة وابو بكر بن الاتباري وابو موسى الخامض وابراهيم الحربي
وغيرهم . توفي سنة ٢٩١ هـ .

ملاحح مدرسية اللغة

المدرسة في المصطلح العلمي لفظ يطلق على جماعة من الدارسين نشترك في
وجهة النظر ، ويكون لها منهج خاص يؤلف منها حجة علمية ، ويرتبط امردها
برباط الرأي الموحد . وعلى هذا فهناك مدرستان في الدراسة اللغوية قديماً هما مدرسة
البصرة ومدرسة الكوفة ، لصحة انطباق الحد المذكور على كلتا المدرستين ، ونحن
نختلف مع من نفى صفة المدرسة عن الكوفيين على هذا الاساس^(١) ونختلف أيضاً
على الاساس نفسه مع من اطلق على جماعة من الدارسين في بغداد اسم المدرسة
البغدادية واخرى في مصر اسم المدرسة المصرية وثالثة في الاندلس اسم المدرسة
الاندلسية .^(٢) ولا يريد ان ندخل في الكلام على مناقشة ذلك والتفصيل فيه لانه
خارج عن موضوعنا من جهة ، ولأن نشوء هذه المدارس المزعومة تم بعد القرن
الثالث او في اواخره مما لا يدخل في العصر الذي ندرسه ونؤرخ له .

والقدماء انهم اطلقوا على منهج البصريين اسم المذهب ومثله على منهج
الكوفيين ، وهم يقصدون بهذا الاسم ما نقصد بالمدرسة ، ولكمهم اطلقوا على
تلاميذ المبرد وتعلب : الجماعة الذين حلطوا المدهيين^(٣) ، ولم يطلقوا عليهم اسم
المدرسة او المذهب وعياً منهم لطبيعة المنهج . واتحدت المدرستان اسميهما من المدينة

(١) كوتولد مابل ، مقدمة كتاب الاصف لابن ابي ١٠ ، ١٢

(٢) شومي صيف . المدارس النحوية ٢٤٠

(٣) الفهرست ١١٥ وطبقات النحويين واللفويين ٢٠٠ واحمل النحويين ١٨

التي نشأت فيها كل منها ، وحين استوطن الكوفيون بغداد اطلق عليهم احياناً اسم
العداديين لو المذهب البغدادي^(١) . وهو كما يظهر غير التسحية للمعاصرة لمن خلط
المذهبين بال مدرسة البغدادية المشار اليها .

وقد حدد اصحاب الطبقات الذين ترجموا لعلماء للمدرستين بداية المدرسة
البصرية باسائفة الخليل او بمن هم ابعد من ذلك ، بل رجعوا بها احياناً الى ابي
الاسود . وبداية المدرسة الكوفية باسائفة الكسائي عن عاصر الخليل كابي جعفر
الرواسي ومعاذ الهراء^(٢) . وفي هذا بعد واضح عن الدقة في معرفة مهج هؤلاء
الدارسين القدماء في دراسة اللغة ، وتخطيطي تحديد مفهوم المدرسة في هذه البداية
ودفعهم الى ذلك - كما يبدو - امران : الاول اتخاذ البلد الذي ينزل فيه هؤلاء
الدارسين معياراً لانتمائهم المدرسي ، والثاني المافسة بين المدرستين على اليعال في
قدم الدراسة والفخر على الاخرى بذلك .

والحق انه لم تصل اليها اغلب آثار لولئك القدماء وخاصة قدماء الكوفيين ،
لكي يتيسر لنا الحكم بوجود خلافات مدرسية منذ ذلك الحين ، وما وصل اليها من
آثارهم ونظراتهم لا يدل على خلاف ، ففي آرائهم واطوارهم مهج אחד بالنمو
والنضج يحمل في طياته ملامح المنهجين اللذين استقلا بعدئذ على يد سيويه
والكسائي رأسي المدرستين البصرية والكوفية . وعلى هذا فنحن نتفق مع استاذنا
الدكتور المخزومي الذي حدد بداية للمدرستين بتلميذي الخليل^(٣) ، وان الدرس
البصري حتى عصر هذه التلمذة كان بصري النشأة موحد المنهج ، نهل منه البصريون
والكوفيون على حد سواء ، ثم فرضت على كلا الفريقين عوامل خاصة ان تختلف
السبيل ويتباين المهج .

وهذه العوامل تتصل بالبيئة العامة التي عاش فيها كل من سيويه والكسائي ،
وبانتوجه الخاص لكل منهما ، اما البيئة العامة فقد اشبعنا الكلام عليها في الباب

(١) سر صناعة الاعراب ١/ ١٩٧

(٢) انظر : طبقات النحويين ٢٠٩ ونزهة الاكباد ٦٤ ، ٦٦ وبعيد الوعاة ٣٩٣ ، ٣٣ والفهرست ٩٦

(٣) مدرسة الكوفة ٧٤ وما بعدها

الاول حين تحدثنا عن البصرة والكوفة^(١) ، وخلاصة ذلك انه وجد في البصرة نزوع الى الدراسات الفلسفية والكلامية ، انضجت منه الترجمات جانباً ، والصراعات المذهبية جانباً آخر ، وغذته روافد الجوار والمجتمع المتعدد العروق والمشارب ، وعلى نقيض ذلك الكوفة التي نزعنا الى الدراسات النقلية نزوعاً كبيراً وبحكم كونها منزلة للمحدثين والرواة واصحاب الاخبار والايام والشعراء والقراء ، قلت عديتها بالدراسات العقلية وزادت هذه العناية بالرواية والنقل . وحين يكون سيويه في جو البصرة ذاك ، والكسائي في جو الكوفة هذا نترك اثر كل من البيهقي وعليها ، يضاف الى ذلك دراسة سيويه للفلسفة والمطق ، شأنه في ذلك شأن اغلب رجال مدرسته ، لاذ صرفته هذه الدراسة الى منهج في اللغة متأثر بها ، يقابله اهتمام الكسائي بالقراءة واحتصاصه بقراءة معروفة بحيث توجه الى الرواية توجهها مباشراً

والمشهور بين الدارسين قديماً وحديثاً ان الخلافات العلمية التي نشأت بين المدرستين من جراء تباين المنهجين انما هي في النحو ، او بعبارة ادق اغلبها واظهرها في النحو ، وهذا صحيح الى حد كبير ، وذلك بسبب طبيعة الدرس النحوي . الا اننا لا نعدم ان نعثر في كتب اللغة القديمة والمصنفات الموصوعة في المسائل الخلافية ، على خلافات مدرسية في مسائل اللغة ، وهي وان قلت انما تشير الى ان الخلافات كانت اشمل من ان تقتصر على النحو وحده دون اللغة ، وان المدرسة منها كانت تفرض منهجها على سائر فروع الدرس اللغوي . ولما كان التعرض للخلافات النحوية ليس من موضوع الرسالة ، رأينا من المفيد دراسة الخلافات اللغوية ، وذلك بعرض منهجي المدرستين بشكل عام ، ثم تطبيقه على مسائل لغوية منتخبة

وابرر ما ينسب به منهج البصريين الاخذ بالقياس ، والتحري عن العلة . واصطاع التحليل ، واتباع التأويل البعيد ، وينبغي على هذه الاسس عدم الالتفات الى ما حالف القياس وان كان لغة او قراءة او شعراً فصيحاً . وينبغي على ذلك ايضاً استخدام العقل والمطق في تفسير الظاهرة اللغوية ، وان سمى هذا الاستخدام محالفة نص مروي . وابرز خصائص منهج الكوفيين الاعتداد بالرواية ، والاهتمام

(١) انظر : الفصل الاول ٤٦ - ٥٠ .

بالمقول والمأثور ، واحترام النص قراءة أو شعراً أو مثلاً ، والاخذ بقليل من القياس والتعليل ، وجر هذا المنهج الى الاخذ بالشاهد اليقيم والاعتداد عليه ، وباللغة المتطرفة وان خالفت الاكثر والتمسك بالنادر المروى وان شذ .

هذه اهم خصائص المنهجين كما توّ يدها آثار الفريقين ، وتدلّ عليها بطرائهم وآراؤهم ومواقفهم اللغوية ، وهي - كما اشرنا قبل قليل - خصائص واضحة في الدرس النحوي ، فهل في الدرس اللغوي الخاص شيء منها ؟ هذا ما سنقرره بعد عرض عدد مما وسعنا الوقوف عليه من المسائل الخلافية في اللغة :

١ - ذهب الكوفيون في ترتيب محارج بعض الاصوات مذهباً يخالف البصريين ، فقد جعل القراء مخرج الياء والواو واحداً ، اما سيويه فقد الياء مع الحروف الشجرية أي الجيم والشين . وجعل للقراء مخرج الفاء والميم بين الشفتين ، وجعل سيويه الراء شقوية سينية ، أي تشترك الشفة والاسنان جميعاً في استخراجها^(١)

٢ - واختلفوا في ادغام المثلين ، فذهب الكوفيون الى جوار ادغامها في كلمتين ، اما البصريون فاشتروا في ذلك شرطين ، الاول الا يكون المثلان همزتين مثل . قرأ آية ، والثاني الا يكون قبلها حرف ساكن غير لين مثل : شهر رَمضان^(٢) والذي سوغ للكوفيين جوار الادغام في الموضعين اللذين منع البصريون الادغام فيهما ، ان ابا عمرو بن العلاء كان يؤثر الادغام فيهما في القراءة^(٣) وهذا الاعتداد على القراءة يؤيد ما زعمناه في منهجهم من احترام القراءة والاخذ بالشاهد المريد

٣ - واحتلوا في حركة همزة الوصل ، فذهب الكوفيون الى انها « تنح حركة عين لعجل فتكسر في إصراب اتساعاً لكسرة العين وتضم في أدحُل اتساعاً لضمّة «عين» » وذلك لانها جيء بها لتلايبدأ بالساكن ، وما دام كذلك وجب ان

(١) الكتاب ٤٠٤/٢ وشرح الرصافي على كشافة ٣٤٦

(٢) شرح الاسموني ٣٦٧/٤

(٣) المصدر نفسه ٣٦٧/٤

(٤) الاصناف مسلكه ١٠٧ .

تكون حركتها تابعة لعين الفعل طلباً للمجانسة ، اما البصريون فذهبوا الى انها مكسورة في الاصل ، وانما تنضم في ادخل ونحوه لئلا يخرج من كسر الى ضم لأن ذلك مستعمل^(١) ، ودليل الكوفيين على ما ذهبوا اليه من طلب المجانسة ان العرب تقول (مُتَن) و (مَتَن) محاسبة بين الليم واسء في الحركة ، وكذلك (المغير) و (يُسروع) و (الأسود بن يعفر) و (أحوث لأمك) . وقرأ حمزة والكسائي : (فَلَإِيهِ التَّلْت) وقرأ الحسن . (الحمير ليه) وقرأ اس ابى عبله : (الحمد لله) . فلذا كانت العرب قد توحجت في جميع ذلك المجانسة فقد توحجت ايضاً في حركة همزة الوصل . اما دليل البصريين على ان الاصل فيها الكسر لانها زيدت على حرف ساكن ، فكان الكسر اولي به من غيره . لأن مصاحبتها للساكن اكثر من غيره ، الا ترى انه الاكثر في انتفاء الساكنين ، فحركات بالكسر تشبهاً بحركة الساكن اذا لقيه ساكن ، لأن الهمزة انما جيء بها توصلاً الى النطق بالساكن ، كما ان الساكن انما حرك توصلاً الى النطق بالساكن الآخر^(٢) .

٤ - ومثله اختلافهم في نقل حركة همزة الوصل الى الساكن قبلها ، فقد اجازه الكوفيون ومنعه البصريون واعتمد الكوفيون على ما ورد لديهم من قراءة : (السَّم الله لا اله الا هو) بفتح الميم ، ونقل الكسائي عن بعض العرب قراءته : (مناع للخير معتد مريس الذي) بفتح التنوين وقراءة بعض العرب ايضاً (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) بفتح الميم . وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني أحد القراء العشرة : (واَذُقُنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْحَدُوا) بضم الهاء . هذا عدا ما يؤيده الفيلس في كونها همزة متحركة يجوز ان تنقل حركتها الى الساكن قبلها كهمزة القطع . اما البصريون فذهبوا الى المنع لأن الهمزة انما يجوز ان تنقل حركتها إذا ثبتت في الوصل نحو من ابوك في من ابوك وكم ابلك في كم ابلك فاما همزة الوصل فتسقط في الوصل فلا يصح أن يقال ان حركتها تنقل إلى ما قبلها لأن نقل حركة معلومة لا يتصور ولو حلر أن يقال ان حركتها

(١) الاصل مسأله ١٠٧

(٢) الاصل مسأله ١٠٧

(٣) نعمه مسأله ١٠٨

نقل لكان يجب ان يشتمل في الوصل^(١) .

٥ - واحتلفوا في الضمائر، (أنا) عند الكوفيين اصل برمته لا زيادة فيه ، وهو عند الصريين مكون من الهمزة والنون فقط ، والالف زائدة وهي امتداد لفتح النون ، وهذا الفتح جيء به ابتعاداً بالضمير عن الأدوات^(٢) . وكذلك (أنت) ومثيلاتها ، فالكوفيون - وفي معديتهم القراء - يرون لها جميعاً الضمير غير فائلين بزيادة التاء^(٣) . اما البصريون فيرون ان الضمير الهمزة والنون دون التاء ، والتاء للدلالة على الخطأ كالكاف التي تدل على ذلك^(٤) . وفي (هو وهي) ذهب الكوفيون الى ان الضمير الهاء وحدها ، وذهب الصريون الى ان الواو والياء جزء من الضمير . واحتج الكوفيون بحذف الواو والياء في (هما) ، ويقول العجبر السلولي :

فبيناهُ بشرى رَحله قال قائلٌ لمن جملٌ رَحوُ الملائ نجيبُ
أراد فينا هو ، وقول الآخر :

بيناهُ في دار صدقٍ قد أقام بها حياً يعللنا وما نعلله (زحاف جائز)
أراد بينا هو ايضاً ، وقول الآخر :

إذاهُ سيمُ الحسفَ ألى يقسمُ بالله لا يأخذُ إلا ما احتكمُ
أراد اذا هو ، وقول الآخر :

دارٌ لسعدى إذهُ من هواكا

أراد إذ هي . اما الصريون فاحتجوا بأن قالوا : « الدليل على ان الواو والياء اصل ، انه ضمير مفصل والضمير المتفصل لا يجوز ان يبنى على حرف واحد ، لانه لا بد من الابتداء بحرف والوقف على حرف ، فلو كان الاسم هو الهاء وحدها لكان يؤدي الى ان يكون الحرف الواحد ساكناً متحركاً وذلك محال^(٥) . وكذا الحال في

(١) شرح المفصل ٩٤ / ٣ وشرح الاشعري ١٢٦ / ١

(٢) شرح المفصل ٩٥ / ٣ وشرح الرضي على الكافية ١٠ / ٢

(٣) الكلب ٦٧ / ٢

(٤) الاصل ، مائة ٩٦

(إِيَّاكَ وَإِيَّاهُ وَإِيَّايَ) فالكوفيون يرون ان الكاف والهاء والياء هي الضمائر وايا عماد ، وذلك لأن الكاف والهاء والياء هنا هي نفسها التي تكون في حال الاتصال ، فحين انفصلت احتاجت الى عماد تعتمد عليه . يدل على ذلك ان التشية والجمع تلحق هذه الحروف دون ايا التي تلزم لفظاً واحداً . اما البصريون فقالوا « ١٠ » اجمعوا على ان احدهما ضمير منفصل ، والضمائر المنفصلة لا يجوز ان تكون على حرف واحد ، لانه لا نظير له في كلامهم ، فوجب ان تكون ايا هي الضمير ، لان لها نظيراً في كلامهم والمصير الى ما له نظير اولى من المصير الى ما ليس له نظير « ١١ » .

٦ - واحتلوا في اسم الاشارة (ذا) والاسم الموصول (الذي) ، فذهب الكوفيون الى ان الاسم منها الذال وحدها ، بدليل حذف الالف والياء عنهما في التشية فنقول (ذا وذير) و (اللذان واللذين) ، وذهب البصريون الى ان (ذا) هي الاسم و (الذي) هي الاسم ، واحتجوا على ذلك بمثل ما احتجوا به قبل من : « انه لا يجوز ان تكون الذال وحدها فيها هو الاسم وذلك لأن ذا والذي كل واحد منهما كلمة منفصلة عن غيرها ، فلا يجوز ان ينسب على حرف واحد ، لأنه لا بد من الابتداء بحرف والوقوف على حرف ، فلو كان الاسم هو الذال وحدها لكان يؤدى الى ان يكون الحرف الواحد ساكناً متحركاً وذلك محال « ١٢ » .

٧ - واحتلوا في الابنية ، فالكسائي والعراء من الكوفيين يرون ان الكلمة العربية ثلاثية ، لا تقل ولا تزيد ، اما الرباعي والخماسي فعيها زائد عن الاصل اما البصريون - وعلى رأسهم سيبويه - فمعتهم ان الرباعي والخماسي بناء ان مستفلاً « ١٣ » . وحجة الكوفيين تنحصر في انه لما كان اصل كل الابنية (فعل) اي فاء وعين ولام ، ووزن جعفر (فَعَلَّل) ووزن سفرجل (فَعَلَّل) كان في جعفر لام زائدة وفي سفرجل لامان زائدتان . اما البصريون فاحتجوا بأنه لو كان في جعفر حرف زائد لوجب ان يوزن بلفظه فنقول (فعطر) لو كان الراء

(١) الانصاف : مسألة ٩٨ ، ونظر في هذه المسألة شرح الرضي على الكافية ١٢/٢ وجمع المرفوع ٦١/١

(٢) الانصاف : مسألة ٩٨

(٣) شرح الرضي على الكافية ١٩ والانصاف : مسألة ١١٤

رئداً ، و (فعفل) لزيادة الفاء ، و (فعل) لزيادة العين ، و (جفعل) لزيادة الحيم ، ومثله مفرجل ، ولما لم يقل احد بهذا بطل ان يكون في هذين المصطلحين حرف زائد .

ويتبرع عن اختلافهم في هذا الاساس اختلافهم في بنية الاسماء الستة وتردها بين الثنائية والثلاثية^(١) . واختلافهم في وزن (صَمَحَمَح) و (تَمَكَمَك)^(٢) وتحديد اصولها . واختلافهم في زنة عدد من الابنية والكلمات مثل : سَيِّد وهَيَّي ومَيَّت^(٣) ، ومثل : حَطَّايَا^(٤) . ومثل : إِنْسَان^(٥) ، وأشياء^(٦) . ومثل : يَعْبُد وَيَزِن^(٧) .

٨ - واحتلوا في اشتقاق كلمة (الاسم) ، فذهب ثعلب من الكوفيين الى انه مشتق من الوَسْم وهو العلامة ، وذهب المبرد من البصريين الى انه مشتق من السُمُ وهو العلو^(٨) واحتج الكوفيون بان الاسم وسم على المسمى وعلامة له يعرف به ، اما الصريون فاحتجوا بان « السُمُ في اللغة العلو . . . والاسم يعلو على المسمى ويدل على ما تحته من المعنى » ، واحتج الصريون ايضاً بانه لما كان الاسم يخبر به وعنه والفعل يخبر به ولا يخبر عنه والحرف لا يخبر به ولا يخبر عنه ، سما الاسم على قربه الفعل والحرف فاشتق لهذا السبب من السمو . والحق ان العريقين بعدا عن الصواب ، وذلك ان اللفظة سامية وهي تقابل (شِيم) العبرية التي تعني اسم . وعليه فلا حاجة الى التعسف في اثبات اصلها الذي اشتقت منه ، لانه قد تكون جامدة ، وجدت لتدل هذه الدلالة في العربية ، خصوصاً ان في الاسم لغات كثيرة لا يصدق عليها ان تشتق من الوسم او السمو .

(١) الاصحاف مسألة ٢ وانظر : شرح الاشوني ٨٠ / ١

(٢) الاصحاف مسألة ١١٣

(٣) الاصحاف : مسألة ١١٥

(٤) عنه مسألة ١١٩

(٥) عنه مسألة ١١٧

(٦) عنه مسألة ١١٨

(٧) الاصحاف : مسألة ١١٢

(٨) الاصحاف : مسألة ١

٩ - واختلفوا في المصدر والفعل ايها مشتق من الآخر ، فذهب الكوفيون الى ان المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه ، وذهب الى عكس ذلك البصريون ، ودليل الكوفيين على ما ذهبوا اليه ان المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، وان الفعل يعمل في المصدر ، وان المصدر يذكر تأكيداً للفعل ، وهذه جميعاً تثبت اصالة الفعل وفرعية المصدر ، أما البصريون فأهم حججهم على ان المصدر اصل والفعل فرع عليه ، ان المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين . . . ولما اراحوا استعمال المصدر وجدوه يشترك في الازمنة كلها ، لا اختصاص له بزمان دون زمان ، فلما لم يتعين لهم زمان حدوثه لعدم اختصاصه ، اشتقوا له من لفظه امثلة تدل على تعيين الازمنة^(١) . وعندى ان البصريين كانوا في هذا المذهب اقرب الى فهم اللغة ، وارتباطها بالتطور الذهني للناطقين ، ذلك ان الدرس الحديث يذهب الى ان الشعوب في اطوار نشأتها الاولى تميل الى عدم التخصيص وهو الاطلاق الذي عبر به البصريون عن المصدر ، ثم تفترب شيئاً فشيئاً من التحديد والتخصيص كلما تطورت عقليتها ونمت مداركها ، واكبر الظن ان العربي القديم كان يعبر بالمصدر (جوع) عن كل ازمان الجوع ، ثم حدد هذه الازمان بـ (جعت) و (أجوع) و (جائع) . الخ . عندما اصاب ذهنه شيئاً من التطور .

١٠ - واختلفوا في اللام الاولى من (لعل) ، فالكوفيون يرون انها اصلية ، بحجة ان لعل حرف ، وحروف الحرف كلها اصلية ، لأن حروف الزيادة تدخل على الاسماء والافعال دون الحروف . اما البصريون فقالوا بزيادة هذه اللام ، وحجتهم في ذلك شعر العرب ، وقد رووا منه أبياتاً استعملت فيها (لعل) من غير لام ، منها قول المعجير السلوي :

لك الخسر عللنا بها عل ساعة نمر وسهواً من الليل يذهب
وقول امر التحيف وهو سعد بن قرط :
ترثص بها الأيام عل صروفها سترمي بها في جاحم مشعر^(٢)

(١) الاصل - مسألة ٢٨

(٢) الاصل - مسألة ٢٩

والبصريون في هذه المسألة متمسكون بالثقل على غير عادتهم ، والكوفيون عايطوا أنفسهم في الحجة التي استندوا اليها ، ذلك انهم يقولون بزيادة حرف في حرف كفولهم بزيادة اللام والكاف في لكن وهي من اخوات لعل^(١) . وعلى الرغم من تأييدنا لمذهب البصريين في هذه المسألة ، فتحقق تساؤل عما منعهم من التصريح بفكرة الضرورة الشعرية في هذه الابيات ، كالذي فعلوه في الرد على الكوفيين في مسألة الصمير ، فقد سبق لهم ان رجعوا شواهدهم في ذلك الى الضرورة .

١ - واحتتموا في جمع مثل (طلحة) و (عتبة) ، فجوز الكوفيون جمعه بالواو والنون ، ولم يجوز ذلك البصريون^(٢) . ودلل الكوفيون على الجواز دليل لا يحلو من اصطناع وتحمل ، ذلك انهم قاسوا طلحة على (حمراء) و (حبل) علمين ، ولما كان جمع حمراء وحبل جائز بالواو والنون ، وعلامتاها اشد تمكناً في التانيث من الهاء ، جاء جمع طلحة على طلحون . اما البصريون فعمدوا الى المنطق بمعمون به هذا الجواز ، وذلك ان في طلحة علامة التانيث ، والواو والنون علامة التذكير . فلو قلنا انه يجوز ان يجمع بالواو والنون ، لادى ذلك الى ان يجمع في اسم واحد علامتان متضادتان وذلك لا يجوز^(٣) . والحقيقة ان الكوفيين على صواب في تجويزهم الجمع بالواو والنون ، الا انهم لم يستطيعوا اقناعاً براهم اذ كان عليهم ان يقولوا ان الهاء هذه ليست علامة التانيث بدليل اطلاق (طلحة) علماً على الذكر وما دام الامر كذلك ، فينظر في تجويز الجمع بالواو والنون حسن المطلق عليه ، وفي العربية استعمالات كثيرة فيها هذه الهاء ولا يراد منها التانيث ، وربما كانت المبالغة اشهر هذه الدوافع .

١٢ - واحتتموا في حذف علامة التانيث من نحو طالق وطامث وحائض وحامل . فذهب الكوفيون في تعليل ذلك الى اختصاص المؤنث به دون الذكر ، فلا يحتاج الى علامة تفرق بين الجنسين . اما البصريون فذهبوا في تعليلهم حذف

(١) الاصل : مسألة ٢٦ .

(٢) الاصل : مسألة ٤ .

(٣) الاصل : مسألة ٤ .

علامة التانيث الى انهم قصدوا به النسب ، لى انها في معنى ذات طلاق
وطمثٍ وحيدرٍ وحمل . واصل البصريون تعليلاً آخر هو حمل هذه الالفاظ
على المعنى ، وكأنهم قالوا شيء حائضٌ وشيء طامث .. الخ^(١) ولا يخفى ما
في تفسير الكوفيين من دقة وحس لغوى ، وما في تفسير البصريين من تعسف
وتأول بعيد ، ذلك ان هذه الصفات تطلق ولا يراد بها غير المؤنث لاعدائها في
الذكر ، والسامع لا يلتبس عليه شيء من ذلك ، فتخفصوا من الهاء لعلم
الحاجة اليها ، والهاء هي التي تمنع اللبس وتفرق بين المذكر والمؤنث في
الصفات المشتركة ، ثم لما اطردي في العربية دخول الهاء في صفات الانثى لحمت
هذه الصفات ايضاً فقالوا مريض ومريضة .

١٣ - واحتلّفوا في مد المقصور ، فالكوفيون جوزوه في ضرورة الشعر ، ولم يجوزوه
البصريون^(٢) . واعتمد الكوفيون في هذا التجويز على شواهد شعرية كثيرة ،
منها قول الشاعر :

سُفِنَنِي الَّذِي أَهْنَكَ عَنِّي فَلَا فَقرَ بِدومٍ وَلَا غِناءَ
وقول الآخر :

لَمْ نَرْحَبْ بِأَنْ شَخَصْتَ وَلَكِنْ مَرْحَباً بِالرَّضَامِ مِنْكَ وَأَهْلًا

اما البصريون فحجبتهم في عدم التجويز اعتبارهم المقصور هو الاصل لأن
الفه تكون أصلية ورائدة ، والممدود فرع عليه لأن الفه لا تكون الا رائدة ، ومد
المقصور معناه رد الاصل الى غير الاصل ، ولهذا جوزوا قصر الممدود اعتقاداً على هذا
الاساس الذي بنوه ، اما شواهد الكوفيين فقد طعنوا في صحة بعضها ووجهوا
بعضها توجيهاً آخر .

١٤ - واختلّفوا في السين التي تدخل على المضارع لتفيد الاستقبال ، فذهب
الكوفيون الى ان اصلها سوف ، ولم يوافقهم البصريون على ذلك وذهبوا الى

(١) الاصل : مسألة ١١١

(٢) الاصل : مسألة ١٠٩

ايها اصل نفسها^(١) . واستند الكوفيون في مذهبهم هذا الى أن (سوف) حين
 كثر استعمال العرب لها وجريانها على السنتهم تخففوا من بعض حروفها ،
 فحذفوا الواو والقاف وأبقوا السين ، وأحياناً يكون الحذف في القاف وحدها ، أو
 الواو وحدها ، فقد نقلوا عن العرب انهم قالوا (سَوَافِعِل) و (سَفَافِعِل)
 في (سوفَافِعِل) وظاهرة الحذف في العربية بسبب كثرة الاستعمال واصحة ،
 فالعرب يقول مثلاً : لا ادري ولم أبال ولم يكُنْ . الخ وهم يريدون : لا
 ادري ولم أبال ولم يكُنْ . يضاف الى ذلك ان السين تدل على ما تدل عليه
 سوف من الاستقبال . اما البصريون فاكتفوا في البرهنة على رأيهم ان قالوا .
 « قلنا ذلك لأن الاصل في كل حرف يدل على معنى ان لا يدخله الحذف ، وان
 يكون اصلاً في نفسه ، والسين يدل على معنى ، فينبغي ان يكون اصلاً في
 نفسه لا مأخوذاً من غيره^(٢) . غير عابئين بشواهد الحذف التي رواها
 الكوفيون ، متهمين اياها بالشذوذ وبمخالفة القياس .

١٥ - واختلفوا في (ليس) ، فذهب الفراء والكوفيون بعده الى ان اصلها (لا
 ليس) بدليل قول العرب : إثنني به من حيث ليس وليس ، وجيء به من
 ليس وليس ، اي من حيث هو وليس هو^(٣) . وذهب البصريون الى انها فعل
 غير متصرف بمنزلة (ما) في النفي ، واصلها (ليس) بكسر الياء^(٤) . والحق
 ان لفراء اصاب كثيراً في مذهبه ، ذلك انها - اي ليس - سامية قديمة ، يقابلها
 في العربية (يش) و (لو يش) اي يوجد ولا يوجد ، وهو المعنى المقصود من
 قول العرب الذي نقله الفراء .

١٦ - واختلفوا في (لكن) ، والفراء من الكوفيين يرى ان اصلها (لكن أن)
 حدثت النون من لكن والمهمزة من أن للتخفيف ، ورأى الكوفيون بعده انها

(١) الاصح : مسألة ٩٢ وشرح الفهم ٤٨/٧ وجمع المراجع ٧٢/٢

(٢) الاصح : مسألة ٩٢

(٣) ليس العرب (ليس)

(٤) للمع ٢٢٧/١ وليس العرب (ليس)

مركبة من (لا والكاف الزائدة وأن) وحذفت الهمة من ان للتخفيف^(١) .
 البصريون فلم يروا فيها تركيباً وقالوا ساططتها على الرغم من عراه سائها في
 اللعة ولم نعثر على حجج العرييين في الدفاع عن مذهبها ، إذ يظهر
 المسألة كانت بينها اجتهدية . والراجع ان الذي دفع الكوفيين الى سحب
 فيها انهم وجدوها تلفظ بما لا ترسم به ، فلامها في اللفظ (لا)

١٧ - واحتلوا في (اللهم) . فذهب الفراء وبعده الكوفيون الى انها في الاصل (يا
 الله أمّا بحبر) ثم حذفوا منها حروفاً وكلما لكثرة الاستعمال تخفيفاً ، كما
 حدث ذلك في هلم وويلمه وايش وعم صباحاً والاصل في ذلك كنه من أم
 وويل أمه واي شيء وانعم صباحاً ، فالهدف لطلب الخفة كثير في العربية
 اما البصريون فذهبوا الى ان هذه الميم المشددة هي عوض (يا) للنداء .
 وحجنتهم في ذلك انهم وحدوا العرب تحذف هذه الميم اذا ادخلت (يا) هذه ،
 وكلا للمحذوف والعوض حرفان والمعنى في كليهما واحد ، فالميم المشددة عوض
 يا^(٢) ورد الكوفيون حجة البصريين بما اوردوه من شواهد شعرية جمعت فيها
 (يا) والميم المشددة ، كقول الشاعر :

إنني إذا ما حدثتُ المأ أقول يا اللهم يا اللهم
 وشواهد أخرى ، وقد طعن في صحتها البصريون ، وقالوا في بعضها
 بالضرورة ، والراجع ان صيغة اللهم متأثرة بالسامية وعلى الاخص العبرية ، إذ
 نجد فيها (إلهيم) التي نطلق ويراد بها لفظ الخلافة ، وهذه الياء والميم وان كانت
 علامة الجمع في العبرية ، الا انها قد تستعمل للمعظم في هذا المقام^(٣) .

١٨ - واحتلوا في بعض المركبات مثل : الأالشائية ، فقد ذهب المرء
 والكوفيون الى انها مركبة من (إن) و (لا) ثم حذفت النون وادغمت في
 اللام^(٤) . وذهب البصريون - كما يشعر بذلك مسويه - الى انها بسيطة غير

(١) المص ٢٢٦ / ١ وشرح الفصل ٧٩ / ٨

(٢) الانصاف - مسلك ٤٧ والكتاب ٣١٠ / ١ وشرح الفصل ١٦ / ٢

(٣) مدرسة الكوفة ٢٢٣

(٤) شرح الفصل ٧٦ / ٢ وشرح الرمي على الكافية ٢٢٦ / ١

مركبة^(١) وكذلك (لهنك) التي يرى الفراء انها في الاصل (والله إنك) حذف منها حرف الجر ولام التعريف وفصرت اللام الوسطى ثم حذفت همزة امث^(٢). اما سيويه فلا يرى فيها تركيباً ، وانما رأى ان الهاء فيها مدله من الهمزة والاصل ان تكون (لائتك) ، والعرب كثيراً ما تبدل هذين الصوتين في الكلمة الواحدة^(٣) وفي (متهما) ذهب الكوفيون الى انها مركبة من (مه) اسم الفعل المعروف و(ما) ، اما البصريون فذهبوا الى انها مركبة من (ما) الشرطية و(ما) الرائدة ، ثم حذفت الالف الاولى وابدلوها هاء ، ابتعاداً عن التكرار^(٤) وذهب الكوفيون في (كم) الى انها مركبة من (ما) ريدت عن الكاف ، والعرب قد تزيد في الاول كما تزيد في الآخر ، فمما زادت في الاول : هذا وهذا ، ومما زادت في الآخر قوله تعالى . (إما تزييتي ما يوعدون) . وحين شاعت (كما) في الاستعمال حذفوا الالف واسكنوا الميم . كما فعلوا في (لما) حين حذفوا منها الالف واسكنوا الميم ، قال الشاعر :

يا أبا الاسود لم أسلمتني لهموم طارقاتٍ وذكراً^(٥)

اما البصريون فذهبوا الى انها مفردة موصوعة للعدد واحتجوا لذلك بقولهم : وانما قلنا انها مفردة لان الاصل هو الافراد ، وانما التركيب فرع ، ومن تمسك بالاصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الاصل افتقر الى اقامة الدليل لعدوله عن الاصل ، واستصحاب الحال احد الادلة المعتبرة^(٦) .

يكتفي بهذا القدر من المسائل اللغوية التي اختلف فيها البصريون والكوفيون ، انتخاباً هاجراً أهمها منها ، وهي اكثر من هذا العدد بقليل ، غير اننا

(١) الكتف ٢/ ٦٧

(٢) شرح الرمي على الكافية ٢/ ٣٥٧

(٣) كتف ٢/ ٤٧٤

(٤) الكتف ١/ ٤٣٣ وشرح الاسموي ٤/ ١٦

(٥) الاصلاب . مسألة ٤٠ والصلحي ١٢٩

(٦) الاصلاب . مسألة ٤٠

تهدف من هذا الاختيار ان تثبت صحة ما زعمناه في الكلام على منهج المدرستين في تناول المسائل اللغوية . فقد رأينا التعرّين مهتمين بالتفسير العقلي لظواهر اللغوية متبعين التأويلات البعيدة ، آخذين بالقياس وتحكيم المنطق ، رافضين كثيراً من الشواهد الشعرية والقرآنية ، منكرين صحتها مرة ، وشاكين في نسبتها أخرى ، وموجهين لها وجهات مخالفة للظاهر ثلاثة ، فإذا اعيتهم الحجة في بعض المسائل ، تمسكوا بما يسمونه (الاصل) فلا يحتاجون معه الى الحجة ، لأن (استصحاب الحان احد الأدلة المعتبرة) كما يقولون .

وفي الجانب الآخر وجدنا الكوفيين يبحون الى الرواية ، معتمدين على ما يروونه من الشعر والقراءات واقتوال العرب فيما يصدر من احكام ونصيرت ، ولم يترددوا في الاعتماد على شاهد واحد في بناء رأي او تفهيد قاعدة على شيء لم يميلوا القياس اهما لا كاملا ، بل استخدموه استخداماً يوثق الرواية ، ويدعم النقل ، وكانوا في كثير من المسائل اقرب الى طبيعة الدرس اللغوي ، والمنهج الوصفي في تحليلهم لمسائل اللغة فلم يحكموا المطلق ، ولم يشطوا في التأويل . على انهم جميعاً - بصريين وكوفيين - بعدوا عن الحقيقة في كثير من معالجاتهم اللغوية ، لنقص ادواتهم العلمية ، واهمها معرفتهم باللغات السامية ، اذ جعلهم جهلهم بها يتخبطون في الاجتهادات المحضة ، ومنقف على مظاهر ذلك في الباب القادم

اللغويون والظواهر اللغوية

١ - القلب والابدال :

نعني بالقلب تقديم بعض اصوات الكلمة على بعض ، مثل : جذب وجذب ، ويش وأيس . وامثله كثيرة في العربية والظواهر انه يحدث في العالم اعتباطا ، اي دون قاعدة محددة يسير عليها ، سوى الرعة في تحريف اللفظ ، فالناطق يعطيه ميل الى السهولة في الكلام ، فيقلّم بعض اصوات الكلمة ويؤخر اخرى . وهو أقل من الابدال وفوعا في اللغة^(١) . وأول من أشار اليه من اللغويين

(١) نشوء اللغة العربية ١٦ ومقدمة لفرس له العرب ٢١٤ والفلسفة اللغوية ٥٩ وهذه اللغة وخصائص العربية

الخليل بن أحمد . فذهب الى أن كلا من صورتيه لهجة قبيلة^(١) وعليه فلم ير فيه علماً . اما ما كان في اللهجة الواحدة فسيه ما ذكرناه من الرغبة في التحجف ، إلا أن من اللعويين من لم يدرك حداثة بعض المقلوبات ، اذ يجد شيوعها في اللغة واستعمال مشتقاتها ، فيحكم بأصالتها^(٢) . ومنهم من ادرك ذلك فاستشعر عدم الفصاحة فعى ان يكون في القرآن شيء من المقلوبات كاسن هارس ، الذي قسم المقلوبات الى قسمين : في الكلمة كجذب وجذب ، وفي الفصحة كقولهم : كان الرئاء فريضة الرجم^(٣) .

وتنبه آخرون الى ان من المقلوبات ما تختلف صورتاه في المعنى ، بل يتضاد هذا المعنى أحياناً ، فقد روى ثعلب عن ابن الاعرابي ان (الرؤش) الأكل الكثير ، و (الرؤش) الأكل القليل^(٤) . الا ان لغوي البصرة بعد الخليل خلطوا بين نوعين من القلب في اللغة . . ، اذ لم يفرقوا بين القلب في مثل : جذب وجذب ، وفي مثل : هار وهار^(٥) . وأعجب الظن ان هذا الخلط هو الاساس الذي بنى ابن درستويه عليه كتابه في (إبطال القلب) مكرراً فيه وجود هذه الطاهرة في اللغة^(٦) ، اذ ذهب مذهب النحاة الذين لم يعدوا من القلب ما كان لكل صورة أصل اشتقت منه ، وان هذا الأصل لغة قوم والأصل الثاني لغة آخرين . والعربية بعد لم تنفرد باحتواء هذه الطاهرة ففي اخواتها الساميات وخاصة العربية امثلة غير قليلة منه^(٧) .

أما الابدال فيعني ابدال صوت من كلمة بصوت آخر، وهو كثير في اللغة ايضاً، ويقع بين الاصوات المتقاربة في الحيز او المخرج ، وبين المتباعدة ايضاً ، والأول هو الأغلب حدوثاً^(٨) . واللغويون اختلفوا في هذا الشرط وعدمه ، اعني قرب المخرج

(١) التبر ٣٢٩

(٢) الزهر ٤٨١ / ١ .

(٣) الصاحي ١٧٢ وعنه في الزهر ٤٧٦ / ١

(٤) لسان العرب ٣٠٨ / ٦ (رؤش) .

(٥) تاريخ لغات العرب ١٨٦ / ١

(٦) الزهر ٤٨١ / ١

(٧) تاريخ لغات السامية ١٦٥ .

(٨) ابدال أبي الطيب (القلعة) ٩ / ١ والتطور اللغوي التاريخي ١٠٦ .

وبعده ؛ فالخليل - وهو أول من أشار الى الابدال ومثل له^(١) - لم يصف في القول بالابدال عند الالفاظ التي يقترب فيها صوتا المبدل والمبدل منه، ففي الوقت الذي نص فيه على (الذُعاق والزُعاق) وحار فيها فلا يدري أهي لغة أم لُغَة " ، والصوتان من حيز واحد . نص ايضا على الابدال في (جاسوا وحاسوا) وقيام الحيم مقام الحاء^(٢) ، وكل منهما من مخرج ، فالجيم شجرية محمورة والحاء حلقية مهموسة .

وكذلك الاصمعي لم يجد قرب المخرج شرطاً في الابدال ، فيما روي عنه من الفاظ . فقد روى ابدال الميم من النون في (النُر والمُعر) لقرب الصوتين في المخرج^(٣) ، وروى ايضاً ابدال الباء من الهاء في (البَشاشة والمُشاشة) والباء شفوية محمورة والهاء حلقية مهموسة^(٤) . ومثل الخليل والاصمعي في هذا المذهب اكثر لغويي ذلك العصر ، كالكسائي الذي روي عنه (أَحَمُ الأمر وأَجَم) ، وابن السكيت الذي روي عنه (رجلٌ مُحَارِفٌ ومُحَارِفٌ)^(٥) ، وابن الاعرابي الذي روي عنه اجتنس الحَبَر احْتِسَامَا واحْتَسَهُ احْتِسَامَا^(٦) ، وقال : « جاز في كلام لعرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يحطىء من يعمل هذه في موضع هذه »^(٧) وغيرهم ممن لم يشترطوا قرب المخرج . حتى اذا جاء ابن جني ودرس الابدال رأى ضرورة أن يكون الصوتان من مخرج واحد ، فقال في ابدال الثاء من الحاء : « العلّة في فساده ان أصل القلب في الحروف انما هو في ما تقارب منها »^(٨) . ويجدر بنا ان نذكر ان اغلب الدارسين يطلقون على الابدال قلباً ولا يفرقون بين الاثنين ، ولوضح ما يكون ذلك

(١) العين ١٩٨-٩٥ - ٢٢٥ ، ٢٣٧

(٢) العين ١٦٨

(٣) الصاحبي ١٧٣

(٤) موائد ابي زيد ٧٤

(٥) القلب والابدال لابن السكيت ١٠٥

(٦) ص ٢٩ - ٣٠

(٧) ص ٢٠٥ واصل الغالي ٧٨/٢ .

(٨) وفيات الاعيان ٤٢٣/٣

(٩) سر صناعة الاعراب ١٩٧/١

في تسمية ابن السكيت كتابه (القلب والابدال) وهو يريد بها الابدال وحده
وأول من اطلق مصطلح الابدال على هذه الظاهرة هو الفراء ^(١) ، لا الاصمعي كما
ذهب احد الباحثين ^(٢) .

وانتمت اللغويون الى امكان تفسير الابدال بان تكون إحدى صورتيه لغة
قبيلة والآخرى لغة قبيلة ثانية ، ولعل عبارة الخليل في الذُعَلَق والرُعَاق « سمعنا ذلك
من بعضهم وما ننوي اللغة أم لغة » ^(٣) ، تشير الى سبقه في ملح هذا التعبير واحد
من اللغويون هذه الإشارة وصرحوا بها كأبي الطيب اللغوي الذي قال : « ليس
المراد بالابدال ان العرب تعتمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة
لمدن متعقة ، تتقارب اللمطنان لغتين لمعنى واحد » ^(٤) . وإلى هذا ذهب الجوهري
أيضا ^(٥) . وفسروا أيضا ما كان منه في اللهجة الواحدة بأن في كل صورة من صورتيه
معنى ليس في الأخرى ، وذلك حين قالوا بجواز حصوله في لغة القبيلة الواحدة .
فقد علق ابن السكيت على (أَرَبَدَ وأَرَمَدَ) بقوله : « وقال بعضهم ليس هذا من
الابدال ، وأَرَمَدَ على لون الرَّمَادِ وأَرَبَدَ أَخْبَر » ^(٦) . وقال ابن الأعرابي في (الحشو
واجنثو) : « الجاذي على قدميه والخاصي على ركنيه » وقال ثعلب : اجنثو على
أطراف الأصابع واجنثو على الركب ^(٧) . واستمر هذا النظر الدقيق الى الفروق
اللغوية بين صورتى الابدال الى ابن جسي ، فقد أكثر من النص على امثلته ،
وشرحها مستشهداً عليها ^(٨) .

وكان الخليل قد ذهب الى أنه اذا اتفقت الكلمتان في أصليين من أصولها الثلاثة
فلا بد أن يكون الأصل الثالث مبدلاً ولا بد أن تكون الكلمتان من أصل واحد ^(٩) .

(١) معاني الفراء ٤١/١ - ٣٨٤/٢٠

(٢) النحوي ، مقدمة ابدال أبي الطيب ٦/١

(٣) العين ١٦٨ ولسان العرب (دحق) والزهر ١/١ - ٥٥٦

(٤) الزهر ١/١ - ٤٦٠

(٥) الصحاح ١/١ - ١٣١ ، ٤٧٤

(٦) القلب والابدال ١٠

(٧) لسان العرب (جدا)

(٨) سر صناعة الأعراف ١/١ - ٢٠٥ ، ٢١٨

(٩) التعبير - المقدمة

وعليه فلا مانع من وقوعه في اللهجة الواحدة ؛ وإذا كان الخليل لم يشر إلى اتحاد الكلمتين في المعنى ، فإن القراء قد نص عليه فقال : « يقال فلان من جثث وجنسك بمعنى واحد »^(١) . وحين نصل إلى ابن جني نجد رافضاً القول بالأصل الواحد الذي قال به الخليل إذا لم يكن هناك دليل يدل عليه ، فقال : « وإذا ورد في بعض حروف الكلمة لفظان مستعملان فالوجه وصحيح القضاة أن نحكم بأيهما كليهما أصلاً منفردان ، ليس واحد منهما أولى بالأصلية من صاحبه فلا تراه على هذا معتقداً له ، حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين من صاحبه »^(٢) . ومن الإبدال ما يكون نتيجة التصحيف وقد نبه عليه القدماء ، ومن أمثلته : أغللت الأيل وأغللتها ، وقد نص الأزهري على أنها تصحيف^(٣) . ومعجمات اللغة مليئة بمثل هذه المواد .

٢ - الاشتقاق والنحت :

ويقصد بالاشتقاق توليد بعض اللفاظ من بعض ، بحيث ترجع جميع المشتقات إلى أصل يحدد معناها المشترك ويشير إلى معناها الخاص^(٤) . وهو عند القدماء نوعان : أصغر وأكبر . وحدوا الأصغر بأنه : « أخذ صيغة من أخرى مع اتفائها معنى ومادة أصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليبدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة »^(٥) . وحدوا الأكبر بقولهم : « أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة ، فتعقد عليه وعلى تغليب الستة معنى واحداً ، تجمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه »^(٦) . وهذا حده عند ابن جني من اللعويين ، أما عند سواه فإن مصطلح (الأكبر) يعني اتفاق اللفاظ في حرفين واحتلافها في الثالث مثل : الرمس والدُّمس والنمس والعُمس والقُمس وهي جميعاً بمعنى الكتمان^(٧) .

(١) إبدال أبي الطيب ١/ ١٧٤

(٢) سر صناعة الأعراب ١/ ٢١٩

(٣) لسان العرب ١١/ ٤٦٨ (علي) .

(٤) طرق تسمية اللفاظ ٤١ ودراسات في قبة اللغة ١٧٤

(٥) للزهر ١/ ٣٤٦

(٦) المختصر ٢/ ١٣٤ .

(٧) الفائق ١/ ٥٠٨ .

وقد ذهب القدماء في حقيقة الاشتقاق مذاهب متعددة ، فالأغلب منهم اعتدوا في موقفه ورأى أن بعض الكلام مشتق وبعضه غير مشتق ، وعلى رأس هؤلاء الخليل وسيبويه والأصمعي وأبو زيد وأبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي . ومنهم من رعم أن الكلم كله أصل أو بحكم الأصل لانكارهم الاشتقاق الحديد ، والعائلون بهذا هم اللؤمون بتوقيف اللغة ، اذ قال قائلهم : « وليس لنا اليوم أن نحترع ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها »^(١) . فأدى ذلك الى ان يقف آخرون في الجهة الأخرى ويدعون ان الكلم كله مشتق^(٢) . والحق ان الفريقين الأخيرين وهما فيما ذهبوا اليه ، ذلك ان اللغة في تطور والحاجة الى مفرداتها في ازدياد ، فقد تدعو الحاجة الى اشتقاق معين لم يكن موجوداً ، لان المشتقات لم تشتق في عصر واحد وانما زادت شيئاً فشيئاً ، والذي زاد فيها قياس الحديد على القديم ، وعليه تكون قاعدة القياس في الاشتقاق مستمرة جيلاً بعد جيل ، وهذا يدفع اصحاب فكرة المبع بحجة ان الكلم كله أصل . اما ان الكلم كله مشتق فمردود نقلاً بما ورد من اصول اشتق منها ، وعقلاً بانه لا يمكن وجود مشتقات بلا اصول .

وكان الخليل في العين ، وما طغى فيه من طريقة التغليات ، هو الذي أوحى الى ابن جني وغيره بفكرة الاشتقاق الأكبر ، وان اختلف الامران ، فطريقة الخليل لا تشترط وحدة المعنى في التغليات الستة ، اما الاشتقاق الأكبر فيشترطها في الالفاظ التي يمكن تطبيق الاشتقاق الأكبر عليها . ذلك ان اصحاب هذا الاشتقاق لا يدعون قياسته في اللغة ، مثل قولهم بعدم قياسية الأصغر فيها ، فابن جني يقول : « و علم أننا لا ندعي ان هذا مستمر في جميع اللغة ، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر به في جميع اللغة ، بل إذا كان ذلك متعزراً صعباً كان تطبيق هذا واحاطته أصعب منه بـ وأعر ملتصقاً »^(٣) . وعليه يكون قول السيوطي : « وليس معتمداً في اللغة - أي الاشتقاق الأكبر - ولا يصح أن ينسب إليه اشتقاق في لغة العرب ، وانما جعله أبو

(١) الصاحي ٣٣

(٢) الزهر ١/ ٣٤٨

(٣) المختصر ٢/ ١٣٨

الفتح بياناً لقوة ساعده^(١) ، تعليقاً واهياً لا يقوم على أساس ، لأن الرجل له بدع
أطراده في اللغة ، بل صرح بتعدد تطبيقه في جميع المفردات ، وهو أعمامثل به في كونه
سضع مواد يظهر في بعضها التكلف^(٢) .

ومد وقع اللغويون في أوهام كبيرة حين عرضوا لبعض المشتقات ، ذلك أنهم
اعقلوا النواحي الحسية والمعنوية في المواد التي يبحثون فيها عن الأصل ، وعن
المشتق ؛ فالمفروض أن تكون للمواد الدالة على الأشياء الحسية هي الأصل وبنو
على الأشياء المعنوية فرع عليها مشتقة منها^(٣) ، إلا أنهم قلبوا ذلك حيناً ، فأبو
عمرو بن العلاء وافق أعرابياً رعم أن (الخيل) مشتق من (الخيلاء) التي في مشي
الخيل^(٤) . وابن فارس يرى أن (الجين) مشتق من (الاجتنان) وهو التستر^(٥) ، وأن
كان (الجين) من الأشياء غير الحسية ، غير أن افتراض أنها كانت غير منظورة
أدخلك بها في الحسيات من (الاجتنان) ومن اللغويين من أغرب في تلمس
الأصل ، فراح يطلب الكلمة الأعجمية من أصل عربي ، كالذي فعله ابن دريد
حين جعل (الفردوس) من (الفردسة) وهي السعة^(٦) . ولم يفت اللغويين ن
ينبهوا على ذلك فقال ابن السراج : « مما ينبغي أن يحذر منه كل الحذر أن يشتق من
لغة العرب لشيء من لغة العجم ، قال : فيكون بمزلة من ادعى أن الطير ولد
الخوت^(٧) » .

أما البحث فهو عملية تكوّن كلمة من كلمتين أو أكثر ، فتدل على معنى كان
موجوداً في الأصول المنحوتة . وهو على هذا الأساس يشبه الاشتقاق أو نوع منه ،
من حيث أنه توليد للاماط^(٨) . وهو في اللغة أنواع منها : نحت من جملة ، مثل :

(١) الزهر ١/ ٣٤٧

(٢) الخصائص ٢/ ١٣٣ - ١٣٩

(٣) انظر : في اللهجات العربية ١٩٩ .

(٤) طبقات النحويين ٢٩ والزهر ١/ ٣٥٣

(٥) الصاحي ٦٧

(٦) المنهارة ٣/ ٣٣٣

(٧) العرب ٣

(٨) انظر : دراسات في لغة اللغة ٢٤٣ وفيه اللغة لوقي ١٨٠

(سَمَلٌ) و (حَمْدَكَ) و (حَوَّلَ) من بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله . ومنها بحث من مركب اصافي ، مثل : (عَشَمِيَّ وَتَعَبَّشَمَ) و (عَشَدَرِي وَتَعَدَّرَ) و (عَشَقَتِي وَتَعَبَّقَسَ) من عبد شمس وعبد الدار وعبد القيس^(١) . ومنها بحث من اصلين مستقلين ، مثل (بَزَمَخَ) من زَمَخَ وَيَزَخَ^(٢) .

وأول من أشار الى النوع الاول هو الخليل ، اذ يقول ابن فارس : « والاصل في ذلك ما ذكره الخليل ، من قولهم (حَوَّلَ الرجل) إذا قال : حَيَّ عَلَى^(٣) » وهو أيعب - أي الخليل - أول من أشار الى النوع الثاني فقال : « فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً ، قال :

وتصحتْ مَنِي شِجْعَةٌ عَشْمِيَّةٌ كَأَن لَّمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا بِمَآيَا

نسبها لى عبد شمس ، فأخذ العين والباء من عبد ، واحد الشين والميم من شمس ، واسقط الدال والسين ، فبنى من الكلمتين كلمة ، فهذا من البحث وهو من الحجة ، وما وجد من ذلك بهذا بابه^(٤) . وقد عرض لهدين الوعيز تلميذه سيبويه^(٥) ، ومن بعده جهمرة من العلماء^(٦) . أما النوع الثالث فصاحبه ابن فارس الذي طبقه تطبيقاً - لا يحلو من تعسف في مواضع كثيرة - في معجمه مقاييس اللغة . يقول : « وهذا مذهبننا في ان الاشياء الرائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد (صَيَّطَر) من صَطَّطَ وصَبَّرَ . وفي قولهم (مَهْصَلِيْق) انه من صَهَلَّ وصَلَّقَ ، وفي (الصَّلْدَم) انه من الصَّلْدَ والصَّدْم^(٧) » . وكان ابن فارس دقيقاً حين قيد قاعدته بكلمة (فأكثرها) لأن الرابعي والخماسي عدده صروب . « فمعه ما بحث من كلمتين صحيحتي المعنى مطردتي القياس ، ومنه

(١) الزهر ١/ ٤٨٥

(٢) مقاييس اللغة ١/ ٣٣١

(٣) الصلحي ٢٧٩ وأصل التالي ٢/ ٢٧٠

(٤) التميمي ٦٨ - ٦٩

(٥) الكتاب ٢/ ٨٨

(٦) الزهر ١/ ٤٨٢

(٧) الصلحي ٢٢٧ وعنه في لغة التمامي ٧٨ والزهر ١/ ٤٨٢

ما أصله كلمة واحدة وقد الحق بالرماعي والخماسي بزيادة تدخله ، ومنه ما يوضع كذا وضعا^(١) . فمثال الاول عنده (البَحْر) فهو منحوت من بَرَّ وحرَّ ومثال الثاني (بَدَم) الباء هي الزائدة والاصل لَدَم . ومثال الثالث (الكُرْنَاة)^(٢) الا ان أكثر تطبيقات النوع الاول او كثيراً منها اجتهد محض ، ونحن مع من ذهب الى ان ابن فارس في هذا المذهب لا يعدو الظن والتخمين والتأويل العبد^(٣) ، وان حالصاه في هذا الاطلاق .

٣ - الترادف .

وهو ان يكون للمعنى الواحد أو المسمى الواحد عدة الفاظ ، بحيث تصرف جميعا للدلالة عليه . وقد أشار اليه سيويه ، في كلامه على تقسيم الكدم من حيث الدلالة ، وجعله القسم الذي عبر عنه بـ (اختلاف اللفظين والمعنى واحد) ، ومثل له بقولهم : ذهب وانطلق^(٤) . ونقل قطرب هذا التقسيم واخذ به^(٥) . وقد بكر اللغويون في جمع هذه المترادفات ، فتكثروا في هذا الجمع وبالغوا في تصيده ، حتى روي ان الاصمعي يحفظ للحجر سبعين اسما^(٦) ، وابن خالويه يحفظ للسيف خمسين اسما^(٧) ، ويجمع للاسد خمائة اسم ، وللحية مائتين^(٨) . فكان من اسباب هذه المكاثرة والمفاخرة ، ان تصدى نفر من اللغويين لامكار الترادف والطعن بهذه البصاعة الضخمة ، مستنديين في ذلك الى ان للمترادفات ليست متساوية في الدلالة على معناها أو مسميها . وما دامت كذلك فليست مترادفة ، لان شرط الترادف ان تكون المفردات دالة بالتساوي على المسمى الواحد ، اضافة الى شرط ورودها في اللمة الواحدة .

(١) مذهب اللغة ١/ ٥٠٥ .

(٢) مقاييس اللغة ١/ ٣٢٩ ، ٣٢٣ ، ١٩٤/٥ .

(٣) د . مصطفى جواد ، الباحث المرموق ٨٩ .

(٤) الكتاب ١/ ٨ .

(٥) امتداد قطرب ٢٤٣ .

(٦) الصاحي ٤٤ .

(٧) الزعر ١/ ٤٠٥ .

(٨) الصاحي ٤٣ .

وظهر هذا الثبار مرافقا لحركة الجمع ، فقد وصل اليها قول ابن الاعرابي :
 « كل حرفين اوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرهما فاجبرتاه ، وربما غمض علينا فلم يلزم العرب جهله »^(١) ،
 «فتح الطريق لمن جاء بعده من رجال هذا التيار ، الذين راخوا يفسرون ورود هذه
 المرددات ، ويعملون لوجودها في اللغة ، فذهب ثعلب وابن فارس واسو على
 العرسي . الى ان الاسم فيها واحد وما سواه صفات ، اشاعها الاستعمال حتى
 حلت محل الاسم الاول في اطلاقها على المسمى . يقول ابن فارس : « ويسمى
 الشيء الواحد بالاسماء المختلفة ، نحو : السيف والمهنت والحسام ، والذي يقوله في
 هذا : ان الاسم واحد هو السيف ، وما بعده من الالفاب صفات ، ومذهبنا ان كل
 صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى . . . وهو مذهب شيخنا ابي العباس احمد بن
 يحيى ثعلب »^(٢) . والى مثل هذا ذهب ابو علي الفارسي في حواره مع ابن خالويه في
 مجلس سيف الدولة »^(٣) .

اما ابن درستويه وابن حني فذهبا في تفسير المترادف مذهباً آخر يقود الى
 الانكار ، وذلك ان تكون هذه المترادفات من بيئات لغوية متعددة ، ولا مانع بعدئذ
 من اتحادها في الدلالة ، لان الاقدمين حددوا المع في اللهجة الواحدة ، فقالوا :
 « ينبغي ان يحمل كلام من منع المترادف على مع في لغة واحدة ، اما في لغتين فلا
 يكره عاقل »^(٤) . ومهما يكن من امر فابن درستويه يقول : « وليس يجيء شيء من
 هذا الباب - اي المترادف - الا على لغتين متباينتين كما مبنا ، او يكون على معنيين
 مختلفين ، او تشبه شيء بشيء »^(٥) . اما ابن جني فيقول : « كلما كثرت اللفاظ على
 المعنى الواحد كان ذلك اولى بان تكون لغات بلديات اجتمعت لانسان واحد من
 هنا وهناك »^(٦) . وبعض هذه المترادفات من لغات غير عربية ادخلها الاستعمال ثم

(١) احمد ابن الاعرابي ٧

(٢) الصامعي ٩٦

(٣) الزهر ١/ ٤١٥

(٤) مع ١/ ٤١٥

(٥) الزهر ١/ ٢٨٤

(٦) الخصائص ١/ ٣٧٤

الندوين في المترادف ، ومن امثلتها (عتسة) من اسماء الاسد وهي حشية^(١) .

وقصر المترادف - فيما عدا ذلك - بالمجاز ، وذلك بان تكون هذه المفردات مستعملة على سبيل الاستعارة ثم تشيع وتقوم مقام الاسم ، وقد اشار الى ذلك ابن درستويه بقوله (او تشيه شيء بشيء) الذي مر قبل قليل ، وهذا التشبيه هو ما يعنى بالمجاز . وذكروا ان من دواعي وروده ان تكثر طرق الاختصار عما في النفس ، والتوسع في طرق الفصاحة والبلاغة ، والحاجة الى شرح الخفي بما يرادفه^(٢) فكان قطرب يذهب الى انه « انما اوقعت العرب اللمعطين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في الكلام »^(٣) . وهي افتراضات وهمية لا تقوم على اساس ، اذ لا يعقل - يصح فرد او جماعة كل هذا المترادف للزجاج كهذه .

٤ - الاشتراك :

وهو ان تنصرف اللمعة الواحدة الى معنيين او اكثر ، بدلالة متساوية على المعاني ، في لمة واحدة ، والى مثل هذا ذهب الاصوليون^(٤) ، اما المماطقة فاشتراطوا الا يسبق وضعه لمعنى من هذه المعاني على وضعه للمعنى الآخر^(٥) . وهو على هذا الاساس نقيض المترادف ، وقد اشار اليه سيوريه في تقسيمه للكلم ، وهو القسم الذي عبر عنه بـ (اتماق اللمعطين واختلاف المعنيين) ومثل له بقولهم . وَجَدْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُوَحِّدَةِ وَوَجَدْتُ إِذَا أَرَدْتُ وَجْدَانًا الصَّالَةَ ، وأشبه هذا كثيرا^(٦) . ومنه اخذ قطرب هذا التقسيم واحتذاه^(٧) .

وتكثر منه اللغويون الرواة ، وجمعوا منه مادة كبيرة ، بحيث رووا ان لبعض الالفاظ ما يزيد على خمسين معنى ، ولعل لعملة (المعجور) التي ذكرها الميروراني

(١) تزييح نجات اللغة العربية ٤٥ / ١

(٢) الميزهر ٤٠٥ / ١

(٣) اصداد ابن الجوزي ٧

(٤) تاجر ٣٦٩ / ١

(٥) المعنى للمعطر ٤٤ / ١

(٦) الكتب ٨ / ١

(٧) اصداد قطرب ٢٤٣

حير مثل على ذلك ، فقد ذكر ازاءها سبعين معنى او يزيد . مثل : الايرة والأرص والأرب والأسد والإلف من كل شيء والبحر والبطل والبقرة والتلجر والترس والثوبة وغيرها^(١) . وكانت هذه المكاثرة ، وهذا التريد غير المحلود في الفاظ المشترك ، هي التي قسمت الدارسين ايضا الى قائل بالمشترك مدافع عنه والى منكر له معلل لوروده ، كالذي رأيناه من تباين مواقفهم من المترادف .

والذي عليه اكثر الرعيل الاول من اللغويين القول بالاشتراك ، وعلى رأس أولئك الخليل وسيبويه وابو عبيدة والاصمعي وغيرهم ، فقد اثبتوه ونوسحوها فيه مستدين الى الشواهد العربية التي لا سبيل الى الشك فيها^(٢) . ثم اضاف من جاء بعدهم من القائلين بالمشترك دليل العقل الى دليل النقل . عند هؤلاء ، انه واقع لنقل اهل اللغة ذلك في كثير من الالفاظ ومن الناس من اوجب وقوعه ، قال : لأن المعاني غير متناهية والالفاظ متناهية ، فاذا وزع لزم الاشتراك وذهب بعضهم الى ان الاشتراك اعم^(٣) .

اما المنكرون واغلبهم من الرعيل اللاحق لأولئك ، فراحوا يعتلون لورود هذه الكثرة من الفاظ المشترك ، فأبو علي الفارسي انكر ان يكون الاشتراك مقصودا في اصل الوضع ، وانما سببه تداخل اللغات ، او الاستعارة التي تشيع فتصير بمنزلة المعنى الاول ، فيقول : « اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا اصلا ، ولكنه من لغات تداخلت ، او ان تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتعلم ، فتصير بمنزلة الأصل^(٤) » . اما اس درستويه ، فقد انكر الاشتراك لما فيه من عدم الابانة ، وعلى محي النادر منه باللغات ، او بحذف واحتصار وقع في الكلام ، فقال : « فلو جار وصح لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، لما كان ذلك ابانة ، بل تسمية وتعطية ، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعل » ثم يذكر هذه العلل ويقول : « وانما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ،

(١) القاموس المحيط ٢/ ١٨١

(٢) محم عجم الله العربية لللكي ٢/ ٢٢٢ لسنة ١٩٣٥ .

(٣) الزهر ١/ ٣٧٠ ونظر : الإحكام للامدي ١/ ٢٤

(٤) المحقق ١٣/ ٢٥٩

أو الحذف واختصار ومع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان ، وخفي ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ^(١) . فهو مع أبي علي الفارسي في تفسير بعض العاط المشترك باللهجات المتداخلة ، وهو تفسير علمي ، أيده مرويّات الأقدمين وشواهدهم^(٢) ، وإلى مثله ذهب الأمل في دراسته للمشارك^(٣) .

وإذا كان أبو علي الفارسي قد ذكر الاستعارة علة من علل تشابه المشترك وذكر ابن درستويه الحذف والاختصار علة أخرى في هذه الشبهة ، فإن ابن درستويه أوقفنا على علة أخرى مهمة تفسر ورود المشترك ، ألا وهي التطور الدلالي الذي يصيب بعض الألفاظ ، وذلك من خلال مناقشته للمثل الذي ساقه سيدي أولاد ، والمعربون بعده ، للمشارك ، وهو لفظ (وَجَدَ) الذي ينصرف إلى الودّ ووجدان الشيء والغضب . . . الخ فيقول : « فظن من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد ، قد جاء لمعان مختلفة وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد ، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً^(٤) » . إذن فهناك تطور دلالي لحق المعنى الأول العام فنصرفه إلى معان أخرى تشترك في احتوائها على شيء من ذلك المعنى الشامل وتختلف فيما بينها في معنى خاص . وهذا المذهب في تفسير المشترك أيده الدرس اللغوي الحديث ، ووقف بوساطته على حقائق لغوية كانت خافية على أسلافنا الأقدمين^(٥) .

٥ - التضاد .

وهو أن تنصرف اللمعة الواحدة إلى معنيين متضادين . وعليه فهو يشبه الاشتراك ، في كون اللمعة مهما تدل على أكثر من معنى ، ويفترق عنه في أن التضاد رهين بمعيّن لا أكثر ، وأن هذين المعنيين متضادان لا مختلفان . وأكثر المعربين على أن التضاد نوع من المشترك ، ولكنه نوع انحص منه ، وإلى ذلك ذهب سيدي

(١) الزهر ١ / ٣٨٥

(٢) هـ ١ / ٣٨١

(٣) الأحكام في أصول الأحكام ١ / ٢٤

(٤) الزهر ١ / ٣٨٤

(٥) انظر - من إمرار اللغة ٤١ وقص اللغة لوان ١٨٦ وفي اللهجات العربية ١٩٥ ودراسات في قص اللغة ٣٠٧

ومطرب وابو حاتم والمبرد وابن الأنباري وابن فارس وابن سيده والسيوطي^(١) ، في تحدياتهم للمصنف وتقسيمهم للكلم . إلا أن أبا الطيب اللغوي جعله شيئاً مستقلاً وبوعدها بدياته ، فقال : « والاضداد جمع ضد ، وضد كل شيء ما ياماه . . . وليس كل ما حالف الشيء ضداً له ، إلا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليساً صديق ، وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم^(٢) » . وبهذا يكون أبو الطيب أدق اللغويين نظراً إلى الاضداد وفكرة الضدية .

ولا نستطيع أن نقطع بأن أول من التقط الاضداد من أفواه العرب ورواها ، هو هذا اللغوي أو ذاك ، إلا أننا نستطيع أن نحدد روايتها بعصر أبي عمرو والخليل ويونس وأبي زيد والنشيباني والكسائي ومن في طبقتهم ، لورود ذكرهم جميعاً في كتب الاضداد راوياً لبعض موادها . ويستطيع أن نطمئن إلى أن هؤلاء الأوائل لم يطلقوا على هذه اللفاظ المروية اسم (الاضداد) ، لعدم توفر ما يدل على ذلك . وإنما ذكروا الضد ومعنييه المتصادمين منعحين ، كالذي فعله الخليل حين عرض لمادة (شَعَب) فقال : « هذا من عجائب الكلام ووسع العربية أن يكون الشعبُ تفرقاً ويكون اجتماعاً ، وقد نطق به الشعر^(٣) » ، ومثل هذا ما قاله في مادة (التَّشِيد) التي تعني الطالب والمُعْرِف^(٤) . وكذلك الأمر فيما روي عن يونس بن حبيب^(٥) ، من اَضداد .

وكانت قلة الاضداد وظرافتها ، كما يصر قطرب^(٦) ، هما الدافع الذي دفع اللغويين الأوائل إلى جمعها وتدوينها ، ولكن سرعان ما تطور هذا الدافع وانقلب إلى المكثرة والمباغلة ، فابتليت الاضداد بمثل ما ابتليت به سائر العاظم الطواهر اللغوية ،

(١) انظر - الكتاب ٨/١ واصداد قطرب ٢٤٤ واصداد أبي حاتم ٧٥ وما أمسى لفظه واختلف بهناه ٢ - ٣ واصداد

ابن الأنباري ١ والماضي ٩٦ والمخصص ٢٥٩/١٣ والزهر ٣٨٨/١

(٢) اصدار أبي الطيب ١/١

(٣) المبر ٣٠٦

(٤) اصدار العرب ٤٢١/٣ وناج المروسي ٢٢٠/٩

(٥) اصدار قطرب ٢٤٩

(٦) حقه ٢٤٤

فعدوا منها المئين بعد ان كانت شذرات قليلة لا تتجاوز الاعداد المفرقة . فانقسم الدارسون ايضا حيال هذه المواد على فريقين مدافع ومنكر ، ولكل منهما حججه وادله واضعين لها مصنفاتهم .

وذهب المدافعون مذاهب متعددة ، فتمسك نفر منهم بالسماع والنقل ، وآخرون دعموا السماع بالعقل والقياس ، واعتمد فريق ثالث على فكرة الجمع بين العمل بها ومحاولة تفسيرها . ويمثل المذهب الاول ابن فارس اذ يقول : « واماكرناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده ، وهذا ليس بشيء . وذلك ان الدين رويوا ان العرب تسمى السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رويوا ان العرب تسمى للمتصادين باسم واحد^(١) » . فالتسليم بالسماع عن العرب في الترادف يقتضي التسليم بالسماع عنهم في الازداد ، والرواية انفسهم في الخاليتين ، فهبني تصديقهم فيها ورووه . اما ابن سيده الذي يمثل المذهب الثاني ، فهو يتفق مع ابن فارس في موقفه من النقل الا انه يدعم هذا النقل بجدل منطقي يصطنعه مع منكر وهمي فيقول : « قيل له هل يجوز عندك ان نحيء لفظتان في اللغة مطلقتان لمعنيين مختلفين ، فلا يخلو في ذلك ان يجوز او يمنعه ، فانه معه ورده صلا الى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جواره وشبهت عليه الالفاظ ، فانها اكثر من ان تحصى وتحصى . . . فاذا لم يكن سبيل الى المنع من هذا ثبت جواز اللفظة الواحد للشيء وخلافه ، واذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء وضده^(٢) » .

واما ابن الانباري الذي يمثل الفريق الثالث فرأى ان يدافع عن الازداد بان يمثل لورودها في اللغة ، فصرح بذلك في مقدمة كتابه^(٣) . فقال بالتطور الدلالي ، وذلك بان يكون للمعنيين للمتصادين معنى شامل قديم^(٤) ، وكان قد افاد هذا من امثاله ثعلب ، الذي ذكر لنا الجواليقي انه كان يميل الى تفسير الازداد بهذا

(١) الصلحي ٦٦

(٢) المحض ٢٥٩ / ١٢

(٣) ازداد ابن الانباري ٣

(٤) هـ ٨

العامل^(١) . وذهب ابن الأنباري الى تفسير الاصداد بالاتساع في الكلام ، معيدا ذلك من مطرب^(٢) . وقال بتفسيرها باللهجات ، وذلك بان تنصرف اللفظة الى احد المعين في لهجة وإلى الآخر في لهجة أخرى ، مستمعا ذلك من الكسائي والصراء ومطرب^(٣) . إلا ان اهم ما جاء به ابن الأنباري في الدفاع عن الاصداد ، هو ما ذكره في الرد على من رعم ان وجودها في اللغة يورث اللبس ، فيقول « ان كلام العرب يصحح بعصه بعصا ، ويرتبط اوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطابات منه إلا باستيعاها واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعين المتضادين ، لا يبتدئها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعين دون الآخر ، ولا يراد به في حال التكلم والاختبار الا معنى واحد^(٤) » . فالسياق وفرائن الكلام المتقدمة والمتأخرة ، هي التي تخصص احد المعين وتخصر دلالة اللفظة فيه ، وعليه فلا لس ولا فوضى في الكلام كما يزعمون .

فاذا عدنا الى التكرين وجدناهم طائفتين ، طائفة مينة البية في انكارها ، وهي التي عبر عنها ابن الأنباري بـ (اهل الدع والزيف والازراء بالعرب) وهم الشعوبيون ، الذين طعنوا على العربية احتصاصها لهذه المواد ، حيث تورث اللبس في الكلام ، وتدل على عيب في اللغة وحكمة الساطعين بها^(٥) . وقد نقلنا رد ابن الأنباري عليهم قبل قليل ، بان السياق يجمع اللبس ويوضح العرص . اما الطائفة الثانية فلم تتوفر فيها سوء البية وان افادت فكرة الانكار من الاولى . ذلك انها عمدت الى الانكار بشكل مختلف ، تتوفر فيه الايجابية ويقوم على النظرة العلمية الموضوعية لمواد اللغة ودلالاتها .

واكبر الظن ان ثعلبا وان لم يكن من رجال هذه الطائفة ، هو الذي رسم المنهج هؤلاء ، بما نقلناه عنه قبل قليل من رجوع للمعنيين المتضادين الى معنى عام قديم . فتسلم ابن درستويه هذا للفتاح وراح يطبل به اصالة ضدية الاصداد ، لأن

(١) شرح لبيب الكتب ١٧٧

(٢) اصدار ابن الأنباري ٨

(٣) مع ١١ - ١٢ واصداد مطرب ٢٥٦

(٤) اصدار ابن الأنباري ٢

(٥) مع ١ - ٢

(واضح اللغة عز وجل حكيم عليم) كما يقول ابن درستويه^(١) . فالمنطلق ادن من الايمان بتوفيق اللغة ، والواقف هو الله ، فلا يمكن ان يضع الحكيم العليم الفاظا تكون سببا في التعمية والتغطية ، فلا بد على هذا من الدفاع عن قداسة اللغة بانكار الازدواج وذلك يرجع للمعنيين الى معنى واحد . وهو المنهج نفسه الذي انكر به ابن درستويه الاشتراك ، ومر بنا هناك باطلاله لاشتراك لفظة (وَجَدَ) التي ذكرها سيبويه ، بأن ارجع معانيها الى معنى شامل . ومن امثلة انكاره الازدواج ارجاعه لمعنى (يَبْصُرُ الْبَلَدَ) التي تطلق على الرجل في المدح وفي الذم ، الى معنى الشهرة ، لأن كلا من المدوح والمذموم يشتهر بما هو فيه^(٢) .

وعلى نهجه سار الحسن بن بشر الأمدي في ابطال الازدواج ، وقد عالج صديقه (دون) و (وراء) على هذا المذهب من الانكار^(٣) . على ان ابن درستويه اضطر الى الاعتراف بمجيء البادر من الازدواج ، ولكنه لم يسكت عن الاعتلال له باختلاف اللهجات مرة ، وبالحدف والاختصار اخرى^(٤) . وقد ايد الدرس اللغوي الحديث هذا المنهج في الاعتلال لشيأة الازدواج في اللغة ، لأن هذا الدرس انكر ايضا ان يكون التضاد اصيلا في الوضع^(٥) .

(١) الزهر ١/ ٢٨٥

(٢) اصناد أبي الطيب ١/ ٥٧

(٣) الموازنة ١/ ١٧٣

(٤) الزهر ١/ ٢٨٥

(٥) انظر دراستنا - الاصناد في اللغة ١١٦ - ٢٤٢ .

الباب الرابع

تقويم الدراسة القديمة في ضوء الدراسة الحديثة

الفصل الأول المصطلحات والموضوعات بين القدماء والمحدثين

الفصل الثاني الدراسات اللغوية واللغات الثابتة

الفصل الأول

المصطلحات والموضوعات بين القدماء والمحدثين

فقه اللغة بين القدماء والمحدثين : مصطلح فقه اللغة - موضوعات فقه اللغة - نموذجان من المعالجات : نشأة اللغة - الاصوات .

فقه اللغة بين القدماء والمحدثين

١ - مصطلح فقه اللغة .

الفقه لغة : الفهم ، قال اعرابي لعيسى بن عمر : شهدت عليك بالفقه اي بالمهم والفطنة . وفي الحديث من اراد الله به خيراً فقّهه في الدين وقّّهت فلانا كد وافقّهت إياه ، فهّمته ففقهه وتفقهه^(١) ، ففقه اللغة على هذا الاساس يعني فهم اللغة او العلم بحقائقها او الفطنة الى اسرارها .

اما فقه اللغة مصطلحاً على هذا الحقل المعروف من حقول الدراسات اللغوية ، فيعني لدى الدارسين قدمائهم ومحدثهم - على تفاوت بين الفريقين في سعته - البحث في ظواهر اللغة المختلفة ، ودراسة قوانينها ، واسرار تطورها ونموها . والوقوف على تاريخها ومراحل سيرها ، ومحاولة وصفها والتحليل لما يمكن من احكامها^(٢) .

ولم يكن المصطلح معروفاً لدى الدارسين العرب في طور مشأة الدراسات اللغوية ، وان كانوا في ذلك الطور قد عالجوا جوانب مهمة من موضوعات فقه اللغة ، ووضعوا في ذلك رسائلهم وكتبهم ومصنفاتهم ، ولا أرى في حاجة الى التمثيل لذلك فقد مر في الباب الثاني من هذه الرسالة ذكر العشرات ودراسة الكثير من هذه الكتب التي تناولت ظواهر اللغة واسرارها الدقيقة بالدرس والبحث والكشف .

وظل المصطلح بعيداً عن اذهان الدارسين ، على الرغم من تطور دراساتهم اللغوية ، وتشعبها وتعدد جوانبها . وعلى الرغم من تخصيص بعض المصنفات بموضوعات

(١) نيلاد الادب ٢ / ٢٥٥ وبناس السلاعه ٤٧٩

(٢) اصول في فقه العربي ٩ وعلم اللغة ١٤

فقه اللغة والتمحيص لها ، فحين يضع ابن جني للتوفى في اواخر القرن الرابع (٣٩٢ هـ) كتابه (الخصائص)^(١) ويضمه بحوثه اللغوية الفينة ، التي يدخل معظمها في فقه اللغة ، كبحث في اصل اللغة ، والاطراد والشفوذ ، ومقاييس العربية ومعاني الالفاظ في اللغة ، وتعليل الظواهر اللغوية ، والقياس في كلام العرب ، وتركب اللغات ، واختلاف اللهجات ، والاشتقاق ، والاشتراك ، والتضاد ، والترادف^(٢) ، الى آخر هذه الموضوعات ، اقول . الى هذا الحين لم يكن مصطلح فقه اللغة قد تحدد بعد ، اذ لم يحثر في كتاب الخصائص على ما يشير اليه ، على الرغم من تخصص الكتاب بالبحث في موضوعات المصطلح

الا انا سرعان ما نجد ابن فارس المتوفى (٣٩٥ هـ) المعاصر لابن جني ، يضع عبارة (فقه اللغة) في عنوان احد كتبه ، مشعرا ايانا باستخدام هذه العبارة مصطلحا لبحوث الكتاب ، التي يدخل اغلبها نطلق فقه اللغة ، كبحث في نشأة اللغة ، وخصائص اللسان العربي ، واختلاف لغات العرب ، ولغات العامة من العرب ، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية ، وآثار الاسلام في اللغة ، واسماء الاشخاص ومأخذهم ، والمترادف ، وحروف الهجاء العربية ، وحروف المعنى ، وسنن العرب في حقائق الكلام ، والتضاد ، والمجاز ، والامت ، والاشتراك^(٣) ، وغير ذلك مما اودع كتابه « الصاحي » في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها^(٤) . ولعله اول كتاب في العربية يحمل في عنوانه مصطلح فقه اللغة للدلالة على موضوعاته ، على ان ابن جني في (الخصائص) كان اعمق بحثا وانضج منهجا واوسع مادة . كما كان كذلك في كتابه (سر صناعة الاعراب)^(٥) فيما يتعلق بالمباحث الصوتية والصرفية ، التي تناولها ابن فارس ايضا في كتابه الصاحي^(٦)

(١) طبع في ثلاثة اجزاء بتحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٩٥٢ م - ١٩٥٦ م

(٢) الخصائص ١/ ٤٠ - ٩٦ - ١٠٩ - ٢١٥ - ٢٠٠ - ٣٥٧ - ٣٧٤

(٣) الصاحي ٣٦ - ٤٠ - ٤٨ - ٥٣ - ٦٧ - ٧٨ - ٨٨ - ٩٦ - ١٠٠ - ١٢٥ - ١٩٦ - ٢١١ - ٢٦٩ - ٢٧١

(٤) طبع الكتاب طبعين الاول بعناية الشيخ محمد محمود الشحيطي - القاهرة ١٩١٠ م . والثاني بتحقيق مصطفى النوراني - بيروت ١٩٦٤ م

(٥) طبع منه الجزء الاول بتحقيق مصطفى البقا وآخرين - القاهرة ١٩٥٤ م

(٦) الصاحي ١٠٠ - ١٧٨

ثم محوز الى القرن الخامس فنجد المصطلح يفتقد دلالة الواضحة التي رأيناها عند ابن فارس ، فالثعالبي المتوفى (٤٢٩ هـ) يتجاوز كثيرا بتسمية كتابه (فقه اللغة^(١)) بهذا الاسم ادالكناك عبارة عن معجم صغير لالفاظ اللغة مرتبة حسب ابوابها ومعانيها فهو من معجمات المعاني المختصرة ، وليس فيه مما يدخل في ابواب فقه اللغة سوى خمس عشرة صفحة من الباب التاسع والعشرين ، يتكلم فيها على ما يجري مجرى المولادة بين العربية والمارسية ، وعلى ما سبه بعض الائمة الى اللغة الرومية ، وسمى الباب الذي فيه هذا الكلام (سر العربية^(٢)) . وسوى ما فرقه في كتابه من ذكر الفاظ المشترك والاصداد^(٣) .

واحد مصطلح (فقه اللغة) يتزوي عن مؤلفات اللعويين ، ففي هذا القرن ايضا (القرن الخامس) الف ابن سيده المتوفى (٤٥٨ هـ) كتابه المحقق في اللغة^(٤) مصمما اياه بحثه في نشأة اللغة^(٥) ، ودراساته للنضاد ، والترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتعريب ، والمجاز ، والممدود والمقصود ، والتذكير والتأنيث ، وابدال الحروف بعضها من بعض^(٦) ، وما الى ذلك من بحوث فقه اللغة ، دون ان يطلق على كتابه المصطلح او يشير الى ان هذه البحوث في فقه اللغة . والكتاب معجم ضخم لثن اللغة مرتب على الموضوعات وهو اشبه ما يكون بالغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) ، وفقه اللغة للثعالبي ، الذي مر ذكره قبل قليل ، ولا نحتل بحوثه في فقه اللغة هذه إلا جزءا صغيرا منه .

واستمر علماء اللغة يضعون مؤلفاتهم في موضوعات فقه اللغة ، ففي القرن السادس وضع ابو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) كتابه (العرب من الكلام الاعجمي^(٧)) باحثا فيه نشأة التعريب وشروطه ، وذاكرا الالفاظ المعبية ، وفي القرن

(١) طبع في مكد بتحقيق اليسوعي - بيروت وطبع في القاهرة د . ت

(٢) فقه اللغة - الباب ٢٩

(٣) نظر - ص ٥٦٢ ، ٣٢١ ، ٥٦٥ ، ٤٦٨ .

(٤) وضع بالتصوير (الاوصاف) بخمسة اجراء في سعة عشر سفرا عن طعة مائة الف ١٣١٦ هـ المكتبة المتحف ي ب د ت

(٥) المحقق - اللغة

(٦) المحقق ١٣ / ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ١٤ / ٢ ، ٤٤ ، ٧٩ ، ٩٥ / ١٥ ، ٧٩ / ١٦

(٧) طبع بتحقيق الشيخ احمد شاكرا - القاهرة ١٣٦١ هـ

العاشر وضع السيوطي (ت ٩١١ هـ) كتابه (الزهر في علوم اللغة وأنواعها^(١)) دارساً فيه أهم الموضوعات اللغوية ، كدرسه لنشأة اللغات ، والمصنوع والفصيح ، والحوشي والعريب ، والمستعمل والمهمّل ، وتوافق اللغات ، وتداخلها ، والعرب والمولد ، وحصائص اللغة ، والاشتقاق ، والمشارك ، والترادف ، والتضاد ، والخفية ، والمجاز ، والعمى والخاص ، والمطلق والمقيد ، والامثال ، والقلب ، والحث ، واختلاف اللغات ، والتصحيح والتحريف ، والاسماء والكنى والالفاظ^(٢) ، وغير ذلك من البحوث القيمة . وفي القرن الحادي عشر ألف شهاب الدين الخفاجي (ت ١١٦١ هـ) كتابه (شعاع الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل^(٣)) مضمناً إياه بحثه في التعريب وشروطه ، واستدراكه على معرب الجواليقي

وفي القرن الثالث عشر يبحث أحمد فارس الشدياق في كتابه (سر الليال في القلب والابدال^(٤)) العلاقة بين اصوات الكلمة ومعانيها ، ودلالة الحروف في اللفاظ على الاصل المعنوي ، وارجاع الكلمات الى اصولها^(٥) ، وغير ذلك من البحوث المعنوية . الذي نريد ان نخلص اليه هو ان مصطلح (فقه اللغة) بعد الثعالبى ، كان بعيداً عن كتب فقه اللغة والمصنفات التي عالجت موضوعات هذا الفرع اللغوي من الدراسات اللغوية . فبقدر ما كانت عليه هذه الدراسات والبحوث من الضجج والاستيعاب والعمق في النظر الى اللغة متنا وظواهر وقوانين ، كان المصطلح فيها من الانزواء والضمور وعدم الوضوح ، ولعل العناية اس فارس الى المصطلح كانت المناداة الوحيدة الواضحة الى دلالة (فقه اللغة) على العلم الذي يرمي اليه المصطلح ، ومما عدا ذلك كان استخدامه لا يخلو من تجوز كبير .

اما مصطلح (فقه اللغة) لدى الدارسين المحدثين ، فقد اختلفت دلالاته باختلاف الدارسين انفسهم . فهو ينصرف في ابحاث اللغويين العرب الى ما كان ينصرف اليه عند ابن فارس ، ويشمل في دراساتهم من الموضوعات ما شمله في دراسات ابن حني ومن جاء

(١) طبع في القاهرة سنة ١٩٢٥ ثم طبع تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٥٨ م

(٢) الزهر ١/ ٣٠ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٦٠ ، ٣٤٦ ، ٤٨٥ ، ٤١٤ ، ٣٦٥ ، ٢٦٨ ، ٣٠٤ ، ٤٠٣ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤

(٣) طبع في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ

(٤) طبع في استنبول سنة ١٢٨٤ هـ

(٥) سر اللب ٥

بعدد من فقهاء اللغة . يفرق واحد هو فرق التطور العلمي الذي أصاب الدراسات الحديثة بفصل تطور وسائل البحث وأجهزة الكشف والرفي الذي شمل أكثر مبادئ العلوم والحياة . ودليلنا على ذلك مراجعة ما وضع هؤلاء الباحثون من مؤلفات ودراسات في مختلف موضوعات فقه اللغة^(١) إلا أنه تخصص لدى هؤلاء الباحثين بـ (اللغة العربية) دون سواها من اللغات ، فهو (فقه اللغة العربية) ، تفريقاً له عن مصطلح آخر هو (علم اللغة) الذي تخصص لديهم بدراسة ظواهر اللغات وقضاياها عموماً^(٢) .

فعلم اللغة يبحث في الظواهر والقوانين المشتركة بين جميع اللغات ، وفي الأصول والخصائص الجوهرية التي تجمع بين سائر انماط الكلام الانساني ، محاولاً الوصول الى ادراك الحقائق التي تربط اللغات كلها بخيط واحد ، ومن هنا يتضح الفرق بين مصطلحي (فقه اللغة) الخاص . و (علم اللغة) العام ، ونبرر العلاقة الوظيفية بينهما وعليه فإن الدعويين العرب القدماء حين عالجوا موضوعات فقه اللغة ، لم يكونوا (فقهاء لغة) فحسب وإنما كانوا ايضاً (علماء لغة) ولكنهم قصرُوا علم اللغة على العربية .

أما المستشرقون فقد اختلفوا في تحديد مصطلح (Philology فيلولوجي) الذي اتفق على أنه يقابل (فقه اللغة) فمهم من ذهب الى أن فيلولوجي هو علم اللغة وأنه يشمل ما يشمل الأخير من موضوعات ، ومهم من اراد به دراسة لغة او لغات معينة من حيث قواعدها وتاريخ ادبها ونقد نصوصها ، ولعل هذا اقرب المذاهب الى دلالة المصطلح لدى العرب ، ومنهم من وسع اطلاقه فشمّل دراسة الحياة العقلية وثقافتها العلمية في أمة ما او في مجموعة أصم^(٣) ، وهو هذا الاطلاق يقترب من علم التاريخ ومناهجه .

(١) انظر المسرد الذي صيغ الدكتور رمضان عبد التواب لأهم مؤلفات الباحثين العرب للمحدثين في فقه اللغة مصور في فقه العربية ١٤١٤ هـ

(٢) انظر : علم اللغة (واي) ٥ ، وعلم اللغة (السمراني) ٥١ ، ومصور في فقه العرب ١١

(٣) علم اللغة (واي) ١٢٠ والثرائسي في القرن الرابع ٣٧/٢

ويظهر من علم تحديد المصطلح لدى المستشرقين على هذا النحو من الاختلاف في ميدان بحثه ، انهم لم يوفقوا في اختيار (فيلولوجي) مقابل له (لغة) ، فكل منهما ميادينته العلمية الخاصة ، وعليه فلا نجد حراحة في رفض هذا المقابل غير المقابل ، ولا مانع من ان يقابل لغة المصطلح (Linguistics) علم اللغة) ، خصوصاً بعد ان قررنا ان (لغة) متخصص بالعربية وهو علم اللغة العربية ، يضاف الى ذلك ان المستشرقين حين يبحثون عن اسرار العربية وطواهرها انما يبحثون في لغة اجنبية عنهم ، لا كما يبحث فيها العربي المتمسك بمصطلح ورثه عن ابن فارس الذي اطلقه على بحثه في اللغة العربية .

وقد فطن المستشرق لومل (Lommel) الى ما يمكن اجراؤه من الموازنة بين مصطلحي (علم اللغة) و (فيلولوجي) فقال : ان علم اللغة من اهم الوسائل المساعدة للدراسات الفيلولوجية من جانب ، ومن جانب آخر فانه علم قائم بذاته له وظيفة معينة وطرق وميادين معروفة ، ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا ، لأن اهم مصادره هي النصوص اللغوية والعلاقة وثيقة بين العلمين ، الى درجة ان الاستعمال الشائع للكلمتين ، لا يكاد يفرق بينهما^(١) .

وخلاصة القول ان مصطلح (لغة) لم يكن معروفاً قبل ابن فارس ، على الرغم من تطور دراسات لغة ونسجها في عصره ، الا ان المصطلح فقد وضوح دلالاته بعد ابن فارس على يد الثعالبي ، ثم انخفض من مصنفات اللغويين المعروفة لبحث موضوعاته . ثم استقر في ابحاث العرب المحدثين دالاً على ما كان يدل عليه لدى ابن فارس ، بعد ان تعمقت ابحاثه على ايديهم بفضل التطور العلمي الشامل . وتخصص لدى هؤلاء المحدثين بعلم اللغة العربية وظل المصطلح (علم اللغة) عمومته النطلق ، وانضى الاجانب باختيار المقابل للمصطلح الذي هو (فيلولوجي) لعدم وجود تحديد دقيق لدلالاته ، وهو غير المقصود بعنه اللغة في العربية وبقي مصطلح (علم اللغة) يفي بفرضه لديهم في اطلاقه على دراساتهم

(١) فصول في لغة العربية : ١٠ نقلاً عن رسالة من Wie studiert man

Sprachwissenschaft (كيف يدرس علم اللغة)

لغة العربية . على ما بين (فقه اللغة) و (علم اللغة) في نظر جمع الدارسين عرب
ومشرقين من روابط وطبيعة شديدة .

٢ - موضوعات فقه اللغة :

لعلنا استطعنا من خلال ما مر بنا من تتبع لنشوء مصطلح (فقه اللغة)
وتطوره ، وموازنة النظر اليه بين القدماء والمحدثين ، ان نرسم ملامح الموضوعات
التي يشملها فقه اللغة او (علم اللغة العربية) . ولتوضيح هذه الملامح واستكمال
الصورة ، ندرس الآن اهم هذه الموضوعات ، وما حقق من دراستها القدماء
والمحدثون ، ذاكرين ما اتركوا فيه منها ، وما اضافه المحدثون اليها

يتفق العلم اللغوي الحديث على أن أبرز موضوعاته هي^(١) :

١ - نشأة اللغة . وذلك بدراسة المراحل التي قطعها التعبير حتى وصل الى مرحلة
الاصوات الدالة ، واسس هذا السير ، ودراسة مركز اللغة لدى الانسان ، الى
آخر ما يتعلق بهذا الموضوع ، الذي يشوب الدرس فيه الغش والحديث ،
والاعتماد على الدلائل المتفرقة للقوة والاطمئنان . مما حدا ببعض العلماء الى
اخراجهم من ميدان (علم اللغة) والحاقه بميدان التاريخ والفلسفة
(الميتافيزيقية) ، لأن منهج البحث فيه يختلف عن منهج البحث اللغوي ،
واخذوا بهذا المذهب ، احرص عن تناوله كثير من الباحثين المحدثين ، ويطلق
عليه في العرب اسم (Origine of Language)^(٢) .

وكان النحويون العرب قد تناولوا نشأة اللغة بالبحث منذ عصر مبكر ، فعرض
لهذا الموضوع ابن عباس (ت ٦٨ هـ) والخليل (ت ١٧٥ هـ) كما عرض له في
القرن الرابع أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧) وابن جني (ت ٣٩٢) وابن فارس
(ت ٣٩٥) وغيرهم ، كما عرض له في القرن الخامس ابن سبويه (ت ٤٥٨)

(١) انظر "علم اللغة" (واو) ٥ - ١٢ ونشأة اللغة عند الانسان والطفل ٢٠ وما بعدها ومعلوم في فقه اللغة ٩ - ١١
(٢) علم اللغة *

وفي القرن التاسع ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) وفي القرن العاشر السيوطي (ت ٩١١ هـ)^(١) ، وجميعهم على أنه من العلم اللغوي ، وعالجوه في كتبهم في فقه اللغة .

٢ حيلة اللغة وذلك بدراسة تطور اللغة وانعاشها إلى لمحات ، واستغلال هذه اللهجات حتى نستوي كل واحدة منها لغة فائقة ، وصراع اللغات وما يسفر عنه من علل وانكسار ، وأسباب هذا الصراع ونتائجه ، والقوايس التي يجمع لها ، كما يدرس موت الألفاظ واختفاءها من الكلام والكتابة ، أو من انكسار دون الكتابة ، وولادة الفاظ تحتل مكان الأولى ، وما إلى ذلك مما يدخل فيها يطلق عليه لدى العربيين (Life of Language) .

كما يدخل في هذا الموضوع أيضا ما يسمى بعلم اللهجات (Dialectology) الذي يدرس الطواهر المتعلقة باختلاف اللهجات ، من حيث توزيعها الجغرافي اللغوي^(٢) .

وقد عالج الدارسون العرب القدماء أغلب جوانب هذا الموضوع بما وضعوه من مؤلفاتهم في (العريب) و(اللغات) و(النوادر) و(النحس) و(القراءات) و(المعرب) وغيرها من المصنفات التي خصصت لبحث ظواهر تطور اللغة في المفردات ، واختلاف اللهجات ، واقتراضها ، وسنن هذا الاقتراض ، وموت الألفاظ وغرايتها وانروائها ، وولادة الألفاظ ومواطن اللهجات ودرجاتها من الفصاحة وما إلى ذلك مما فصلنا القول فيه حين عرشنا لهذه الكتب بالدراسة ، يضاف إلى ذلك بحوث اللغويين الذين جاءوا بعد أولئك - بعد القرن الثالث - كابن جني في الخصائص ، وابن فارس في الصحاح والسيوطي في المزهر وغيرهم ممن عقد فصولا لاختلاف لغات العرب ، ولغات العامة من العرب ، وأثر الإسلام في اللغة ، وتركب اللغات ، والحوشي والغرائب ، والشوارد والوارد ، والمستعمل والمهمس .

(١) تفسير الطبري ١/ ١٧٠ وتهذيب اللغة ١/ ٤٩ والخصائص ١/ ٤٠ والصحاح ٥ والذعر ١/ ١٧ والأصحاح ١

(٢) علم اللغة ٦

وتداخل اللغات ، وتوافقها ، والمغرب ، والمولد . . الح^(١) . مما دخل كتب هذه اللغة العديدة .

٣ الأصوات اللغوية : وذلك بدراسة مخارجها وأقسامها ، وصفات كل قسم ، وأحيازها وخواص كل حيز ، وأعضاء النطق ، واختلاف طريقة سماعها ، واختلاف النطق بها باختلاف العصر ، وتطور الأصوات ، وعوامل هذا التطور ، والنتائج المترتبة عليه ، والقوانين الخاصة به ، إلى آخر بحوث علم الصوت ، المسمى لدى العربيين بـ (Phonetique)^(٢)

وليس بحاف على المطلاع على أعمال اللغويين العرب ما اندعه هؤلاء من بحوث وما كشفوه من حقائق في هذا المضمار ، فكان للعوين القراء وقعات محمودة عند الأصوات ، وأحكامها ، ونطقها في التلاوة ، واختلاف القراءات ، وكان كتاب (الهمز) لابن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ)^(٣) من أوائل الآثار الصوتية ، التي درست هذا الصوت ، ثم كانت دراسات الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) في مقدمة كتاب العين^(٤) ، وفيها نقله عنه تلميذه سيويه في (الكتاب)^(٥) من أنصح الدراسات التي تناولت مخارج الحروف وأحيازها وصفاتها من حيث الجهر والهمس ، والقلقلة والأصمات ، والسكون واللين ، والتجاور والتأثير ، والطواهر الصوتية المختلفة ، وقوانين التطور الصوتي ، ونتاجات التناثر والتشابه أو التناظر بين الصوتين المتماقيين كما كانت معالجات سيويه في (الكتاب) للابدال والادغام وما يترتب عليهما من طواهر وقوانين من أجل البحوث الصوتية^(٦) .

ثم وضع العرب كتبهم في (الأصوات) و (الابدال) و (الادغام) .

(١) الخصائص ١/ ٣٧٤ ، ٢/ ١٠ والمصاحي ٤٨ ، ٥٣ ، ٧٨ والزهر ١/ ٢٦٨ ، ٣٠٤

(٢) علم اللغة ٦

(٣) مرآة البحرين ١٢ والزهر ٢/ ٣٩٨

(٤) معجزة من معجزات القرآن الكريم في بغداد . وإعبد طبع جزء أكبر بتعقيب د . عبد الله خروشي بغداد ١٩٦٧
انظر فيه ص ٥٢ - ١٧

(٥) الكتاب ٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥

(٦) الكتاب ٢/ ٣٩٣ - ٤٠٤

يدرسون فيها ما يتعلق بالاصوات من تطور واختلاف ونتائج ، وقد عرّصا هذه الكتب في الباب الخاص من هذه الرسالة ، وتناول النحاة ايضا موضوع الاصوات فوقفوا عليه وقضات متعددة ، ولعل ابررها وقفة الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في معاني لقراء ، والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) في المقتضب . كما تناول علماء الفراء الرابع وما بعده موضوع الاصوات بالدرس والتفتيش ، فأبدع ابن جني فيما بحث في هذا المجال ، وعرّص لها في (الخصائص)^(١) ، ومخصص لها كتابه (سر صناعة الاعراب) وسط فيه القول على جوانب الدرس الصوتي ، مفرعا فيه ، ومصيفا اليه^(٢) . ولا تخلو معجمات اللغة من بحوث صوتية ، اذ يعرض وصانع هذه للمعجمات الى دراسة الحرف من الناحية الصوتية في مفتتح الباب الذي يعقدونه له ، وانصح هذا النوع من الدراسة ما قام به ابن منظور (ت ٧١١ هـ) في كتابه (لسان العرب)^(٣) . كما عقد السيوطي (٩١١) في (المهر) ابوابا للاصوات يدرس فيها ابدالها واختلاف الناطقين بها وما يطرأ عليها من تصحيف وتحريف^(٤) ، وكان كتاب الشدياق (سر الليل في القلب والابدال) من البحوث المتأخرة الرصينة في موضوع ابدال الاصوات ، وعلاقة الاصوات بالمعنى ، ودلالة الاصوات المشتركة في الفاظ متعددة على الاصل المعنوي الجامع^(٥) . وسقف في آخر هذا الفصل على موضوع الاصوات وقفة اكثر استيعابا .

٤ - الدلالة : وذلك بدراسة اللغة من حيث كونها وسيلة للتفاهم ونقل الافكار . وقد اطلق اللغوي العربي بريال (M Breal) اسم سيميائية (Semantique) على هذا الميدان من البحث اللغوي ، فانصبت التسمية لدى علماء الغرب على علم الدلالة ويشمل علم الدلالة الحديث فروعاً مختلفة من البحث اللغوي ، منها : (أ) البحث في معاني الكلمات ، ومصادر هذه المعاني .

(١) الخصائص ١ / ٥٤٤ - ٥٤٩

(٢) سر صناعة الاعراب ١ / ٣٥ ، ٢٠٩ ، ١٠

(٣) لسان العرب انظر مثلا ١٠ / ١٢

(٤) المهر ١ / ٤٦٠

(٥) سر الليل ، ٥

واختلافها في اللغة باختلاف العصور ، ويسمى هذا الفرع بعلم المردفات (ليكسيكولوجي Lexicology) (ب) البحث في الاشتقاق ، والتصريف ، والابنية وتغيرها بتغير المعنى ، وهو المسمى بعلم الابنية (مورفولوجي Morphology) ، ومنه المورفولوجي التعليمي ، والمورفولوجي التاريخي ، والمورفولوجي المقارن . (ج) البحث في اسام الكلمات ، وانواع كل قسم ووظيفته الدلالية ، واحزاء الجملة وترتيبها ، واثار كل جزء منها في الآخر ، وهو المسمى علم التنظيم (ستيكس Syntaxe) وهو ايضا تعليمي وتاريخي ومقارن (د) البحث في اساليب اللغة ، واختلافها باختلاف نصوصها ، وعصورها ، والناطقين بها ، وتطور هذه الاساليب وقوانين تطورها ، وهذا هو علم الاساليب (ستيلستيك Stylistique) ومنه كذلك التعليمي والتاريخي والمقارن . والعلم اللعوي الحديث يخرج علم البنية التعليمي (الصرف) ، وعلم التنظيم التعليمي (النحو) ، وعلم الاساليب التعليمي (البلاغة) من نطاق علم اللغة لاختلاف ميادين هذه العلوم واغراضها ومنهج البحث فيها عن علم اللغة^(١) .

وقد خاص العرب غبار هذه الموضوعات ، ودرسوها في مصنفاتهم ، ووصعوا لها رسائلهم المستقلة ، فقد بكروا بالوقوف على ظواهر اللغة الدلالية ، واهتموا الى دلالة اللفظ المشترك والمترادف والاصداد ، وبحثوا مصادر هذه المعاني المشتركة والمترادفة والمتصادمة ، وفطنوا الى عامل الزمن في اكتساب هذه الالفاظ المعاني الثانوية^(٢) كما شغلوا بدراسة الاشتقاق وانواعه وتوسعوا فيه ، كما توسعوا بدراسة اية الالفاظ وعلاقتها بمعانيها^(٣) . الا ان دراساتهم في هذا المجال كانت من النوع الذي يدخل (علم الية التعليمي) الذي يقابل في مصطلح الدارسين (علم انصرف) ، ولم يعموا كبر عناية بالتوعين الآخرين اللذين هما : علم الية التاريخي ، الذي يتبع ظواهر هذا العلم تتعاً تاريخياً تحليلياً ، سائراً مع مراحل

(١) علم اللغة ٦ - ٩

(٢) الصاحبي ٦٥ والخصائص ١١٣/٢ والمزهر ١/٤٠٥ .

(٣) الصاحبي ٣٣ والمزهر ١/٣٤٦ والخصائص ١/٢٧٧ .

تطور النحوة ، وعلم النية للمقارن ، الذي يقارن ظواهر هذا العلم بين لغتين مختلفتين
و بين مجموعة لغات ، لعدم معرفة اغلب اللغويين القدماء باللغات الاخرى غير
العربية سامية وغير سامية ، سوى اطراف معرفة لا تغني شيئاً . والعرب حين درسوا
علم النية على المنهج التعليمي ونعني به علم الصرف ، ادخلوه مصنفاتهم الكبيرة
مع دراساتهم اللغوية والنحوية ، وقد درسنا ظاهرة اختلاط الدراسات في مصنفات
الاولائل^(١) ، الا انهم سرعان ما افردوا علم الصرف (علم النية التعليمي)
بمصنفات مستقلة وضعوها لاحله ، ولعل من لوائيل هذه المصنفات (التصغير)
للروسي (ت ١٨٧ هـ)^(٢) . وهم بذلك سبقوا العلم الحديث في التنبه الى استقلال
هذا العلم وحروجه عن ميدان فقه اللغة ، يدل على ذلك ايضاً أن فقهاء النحوة بعد
القرن الثالث كابن حني وابن فارس لم يتعرضوا الا الى شذرات منه في مصنفاتهم
النحوية^(٣) .

ودرس العرب ايضاً اقسام الكلام ، وانواع كل قسم ، ووظيفة كل نوع ،
واثر اجزاء الجملة بعضها ببعض (العامل) وترتيب اجزاء الجملة (التقديم
وتأخير ، والصدارة في الكلام) وما الى ذلك من ميادين علم التنظيم ، ولكنهم
كانوا ايضاً يبحثون ذلك على منهج علم التنظيم التعليمي ، واغفلوا دراسة هذه
المواضيع على المنهجين التاريخي والمقارن ، وحين اعد العلم اللغوي الحديث هذا
الصرع عن نطاق علم اللغة ، كان اللغويون العرب اسبق منهم الى ابعده وافراده
بالدرس والتأليف واصطلاحهم عليه بالنحو . وعلى ذلك جل كتب النحو ، كما ان
كتب فقه اللغة القديمة كالمصاحبي مثلاً لم تحل تحلوا تماماً من هذا النوع من
الدراسة^(٤) ، على ما بين دراسة ابن فارس ودراسات النحاة من فرق واصح
وكذلك كان العرب حين درسوا الاساليب النحوية . واختلاف مؤداها باختلاف
نصوصها وعصورها والناطقين بها ، فقد تنبهوا وهم يصنعون مؤلفاتهم الخاصة بعدم

(١) انظر الباب التالي من هذه الرسالة

(٢) المهرش ٧١

(٣) الخصائص ٢/ ٤٨٧ والمصاحبي ٨٦ - ٨٨

(٤) المصاحبي ١٥٧ - ١٧٨

الاساليب - دفاعاً عن القرآن واعجاز نظمه نادى الامر - الى ان هذه الدراسات ليست من علم اللغة ، وانما هي دراسات نقدية بيانية ، فاصطلحوا عليها بعلم البيان او علم البديع او علم المعاني بحسب الابواب المدروسة وادخلوها مطلق علم البلاغة الذي يضمها جميعاً من حسيه ذلك ان العرب شأنهم في الفرعين السامع ، بحثوا علم الاساليب من الناحية التعليمية لا التارخية ولا المعرفية ، فكثرت دراساتهم تسم بطابع الادب والتقد والبلاغة معتبرة الى موضوعات العلم اللغوي على اننا يجب الا نعمل عن ان بعض كتب فقه اللغة كالصاحبي مثلاً ، عرضت لاشياء من هذا العلم البلاغي فدخلت في هذه الكتب وكانها من موضوعات فقه اللغة^(١) ، الا ان اس فارس كان دقيقاً في نظره الى مادة كتابه فاعتذر عن ذلك في عنوانه اندي كان «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها» فموضوعات علم الاساليب تدخل في (سنن العرب في كلامها) ولا تدخل في (فقه اللغة) ، يدعي ذلك انه وضعها في الثلث الاخير من كتابه معبواً هذا الحر، من الكتاب (سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز)^(٢)، ومنشعراً ايضاً بدقة عنوان الكتاب .

٥ - اصول الكلمات وذلك بدراسة اصل كل كلمة من كلمات اللغة على حدة ، وهو المسمى في الدرس الحديث علم اصول الكلمات (ايتمولوجي Etymology) ومن فروع هذا العلم فرع يبحث عن اصول اعلام الاشخاص والقبائل والعشائر والرجال والامهار والامصار ، ويسمى (اونوماستيك Onomastique) ومنه فرع اصيب منه مجالا ، يبحث في اصول اسماء الامكنة على اختلاف انواعها ، يسمى (توبونوماستيك Toponomastique) وبمختلف علم اصول الكلمات بشكل عام عن العلوم اللغوية السانفة في كونه يبحث فيما يبحث دون محاولة الوصول الى قوانين عامة او ظواهر معينة فميدانه بالنسبة لميادين ثلث اعموم جرثني خاص على انه شديد الصلة بثلث العلوم لابناء كل منهما على الآخر في الوصول الى الحقائق اللغوية ، والتطور الصوتي والدلالي^(٣) .

(١) الصاحبي ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ .

(٢) نفسه ١٩٦ .

(٣) علم اللغة ٩ - ١٠ .

ومن هذا النوع رسالة ابن عباس (اللغات في القرآن) التي رجع فيها عشرات الالفاظ الى اصول غير عربية فارسية ورومية وحشية وعبرانية ونسبية وسريانية وغيرها ، وقد مرت دراستها^(١) . ومن ذلك ايضاً نص الخليل في انعين على اصول الفاظ معربة^(٢) ، ومثله فعل جميع اصحاب المعجمات من بعده^(٣) ، كما كان اللعويون وهم يبحثون ظاهرة من ظواهر اللغة لا يفعلون عن النص على اصول كلمات كثيرة فتعرض مير درسههم ، وقد تخصص فدهاء اللغة فصولاً في مؤلفاتهم لاصول الالفاظ والاعلام كابن فارس وابن جني والثعالبي واسي عبيد وابس سيده وغيرهم^(٤) ، كما تعد كتب المعرب من هذا الباب ، وعلى رأسها (المعرب) للحواري و (شعاء العليل) للخفاجي . ذلك ان هذه الكتب رجعت كثيراً من الفاظ العربية الى اصولها غير العربية . وجميع هذه الدراسات تدخل ضمن علم اصول الكلمات ، اما فرعاء المسميان (اوبوماستيك) و (ثوبوماستيك) فلعل اقرب الامثلة الى الاول كتاب (الاشتقاق^(٥)) لابن دريد الذي درس فيه اصول اعلام الاشخاص والقائل والعشائر على ان هذه الاصول عربية ايضاً^(٦) ، وبذا سمي كتابه بالاشتقاق ، في حين يفترض علم اصول الكلمات ان تعود هذه الاصول الى لغات اجنبية عن اللغة المسحوت فيها .

لما كتب البلدان التي يتبادر الى الذهن اول وهلة انها تمثل الفرع الذي ، فهي ليست منه في شيء ، لأنها لا تبحث في اصول اسماء الأماكن التي تذكرها ، على الرغم من كونها كتاباً مالت من البحث اللعوي الشيء الكثير^(٧) . وما كتبا ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) في (ابطال الاضداد) و (ابطال القلب^(٨)) ومحاولته بالرجوع في معني

(١) انظر الباب الثاني من هذه الرسالة

(٢) لمين (الجزء الطوط) ٣٦٩ .

(٣) انظر : المصنف ٩٣/٣

(٤) المصنف ٨٨ - ٨٩ والخصائص ١٣٣/٢ وفيه اللغة ٥٦٥ والقريب للمصنف ٢٨٤ والمصنف ٥/٥ ص ١٦

(٥) طبع بتحقيق عبد السلام خروون عطية سنة ١٩٥٨ م .

(٦) الاشتقاق ٢٤٤ .

(٧) كبلدان الحافظ ومعجم البلدان لياقوت المهرست ٥٠ واللائله ١/٣٥٠ وهما مطبوعان

(٨) المهرست ٩٤ والزمهر ١/٤٨١

الصد وصورتي المطلوب الى اصل واحد جامع^(١) . الا من فيل محاولة ابن دريد في الاشعاع ، وذلك لأن الاصل عند ابن درستويه عربي معروف .

٦- بحوث اجتماعية : وذلك بدراسة العلاقة بين اللغة ومختلف مظاهر حياة المجتمع و اثر حضارة المجتمع ونظامه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية و اللغة وطواهرها المختلفة ، وهذه هي ميادين علم الاجتماع اللغوي Sociology of Languages وقد عني بها علم اللغة الحديث في دراساته اللغوية^(٢) .

وكان للعرب ايضاً نصيب وافر في التعرض لمثل هذه الدراسات ، فكلموا على اثر التركيب الاجتماعي للمجتمع الاسلامي على ظهور اللحن وتطور اللغة^(٣) ، كما بحثوا آثار الاسلام على اللغة وما جاء معه من الفاظ جديدة ومعان جديدة . فعقدوا مصولاً في كتبهم للمولد^(٤) ، والالفاظ الاسلامية الجديدة^(٥) . كما بحثوا الاثر الجغرافي في اللغة وسلامتها حين عرضوا لفصاحة اللهجات ، ودرجاتها ، وبغاوتها ، وذكروا عامل المجاورة الجغرافي في ذلك ، كالذي فعله ابو زيد (٢١٥) والعمري (٣٥٠) وابن خلدون (٨٠٨) والسيوطي (٩١١) . وغير ذلك مما يدل على تسبهم الى العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وبحثهم اثر المجتمع ومظاهره المختلفة في اللغة . ولم يجحدوا في اسائنهم هذه عن واقع العلاقة بين اللغة والمجتمع ، واثار المجتمع في اللغة ، ولا وجه لما نقله احد الباحثين العرب من : « ن علماء الاجتماع قد اخذوا على القدماء من علماء اللغة بهذا الصدد مأخذ كثيرة ، ترجع الى تفصيلهم في بيان العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية ، وانحرفهم احياناً عن جادة الصواب في هذه السبل ، وتفسيرهم لبعض الظواهر اللغوية تفسيراً خاطئاً يبعد بها عن المجتمع وشؤنه (كذا) »^(٦) .

(١) تصحيح النصيح ٨ ب ، ١٢٥٦ ، والزهر ١/٤٨١

(٢) علم اللغة ١٠ - ١١

(٣) طرس القوام للريدي ٤ واضداد ابن الانباري ٢٤٠ ومجلس نعلب ٢/٥٩٩ والبيان والبيان ١/٩٢

(٤) الزهر ١/٣٠٤

(٥) انصاحي ٧٨ وما بعدها

(٦) مؤلفر ابي زيد : ١ والاقتراح ١٩ ومقدمة ابن خلدون ٤٩٧ والزهر ١/٢١١ .

(٧) ٢ ، على عبد الواحد واق ، علم اللغة ١٠ - ١١

٧ - بحوث نفسية وذلك بدراسة العلاقة بين اللغة والنواحي النفسية ونواحيها ، واثار الطواهر النفسية المختلفة من تفكير وخيال وتذكر ووحدات وانحاء وتأثير في اللغة ، وقد تعمق المحدثون بدراسة هذه الامور ، حتى عدا البحث فيها علماً قائماً يدعى علم النفس اللغوي (Sycology of Language) (١) .

ولم يكن اللغويون العرب يعيدون عن ادراك العلاقة بين طواهر اللغة والطواهر النفسية ، او النشأ الى اثر الطواهر النفسية في اللغة صحيح اهمهم به يتوسعوا في بحث جوانب هذه العلاقة ، ويمرّدوا له الرسائل والكتب ، الا اهمهم وعو ، ذلك وأشاروا اليه ، فلو تجاوزنا الابواب التي وصعوها للاعراف والتحديث ، والمحصص والعرض ، والامر ، والنهي ، والدعاء والطلب ، والحث ، والتمني ، والتعجب ، والتوهم ، والايهام ، والايحاء ، وما الى ذلك من موضوعات يلحظ في تسميتها العامل النفسي بوضوح (٢) ، اقول . اذا تجاوزنا ذلك وسدنا بعدها عن تعلقها بطواهر نفسية معروفة ، فلا يمكن ان نتجاوز مثل : الحمل على النقيض ، او التهكم والسخرية ، او الخوف من اصابة العين ، او التضاريل ، او التطير ، وغير ذلك مما فسروا به بعض ظواهر اللغة ، واعني به التضاد (٣) فهل هذه لتفسيرات الا ادراك عميق من لغويينا الاعداد الى اثر النواحي النفسية في الطواهر اللغوية وعلاقة تلك بهذه

وبعد ، هذه اهم موضوعات العلم اللغوي الحديث ، وهناك موضوعات اقل اهمية في هذا العلم صرنا عنها صفيحاً ، وهي البحوث البيولوجية والفيريولوجية والجغرافية وعلاقتها باللغة واثرها عليها (٤) ، رأينا فئة العثية بها في ابحاث المحدثين ، عرضنا لتلك بالدراسة موازين يبين ما حقق اللغويون العرب منها .

ونخاتمة القول ان موضوعات علم اللغة الحديث هي موضوعات فقه اللغة

(١) علم اللغة ١١ - ١٢ .

(٢) الصاحبي ١٣٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٨ .

(٣) الاقتضاب ٢٤١ والاشبه والنظائر ١/١٩٥ واصلاطين الايلري ٢٢٣ والاصمعي ٣٢ واي حاتم ١٣٧ وابن

الكيت ١٨٦ وتوليل مشكل القرآن ١٤٢ ومسط اللالي ١/٤٩٠

(٤) علم اللغة ١١

القديم ، وان اللغويين العرب لم يتركوا باباً من ابوابه الا طرقوه ، ولا ميداناً من مياديه الا ولجوه ، ولم يضيف العلم الحديث شيئاً ذا نال على موضوعات القدماء ، كما سبق علماء القدامى المحدثين الى اخراج ما يجب اخراجه من نطاق هذا العلم مما ليس منه ، واقردوه في دراسات مستقلة ، مصطلحين عليه ما يشير الى استقلاله ، الا ان القدماء ربما قصروا في دراسة اللغة من الناحيتين التاريخية والمقارنة ، وذلك بسبب عدم اطلاعهم ومعرفتهم باللغات السامية او غير السامية معرفة تؤهلهم لخوض هذا المصير ، وقد فاقهم المحدثون في ذلك لما تهيأ لديهم من اسباب الدراسة ووسائل الكشف .

٣ - نموذجان من المعالجات .

بعد ان توصلت لدينا معالم الموضوعات التي تناولها علماء اللغة القدماء والمحدثون ، وتبين لنا اتفاقهم الكبير في خوض هذه الموضوعات ، والاحد بها في مصنفاتهم اللغوية ، لا بد لنا ان نعرف شيئاً عن طبيعة البحث فيها ، والنتائج التي توصل اليها الدرسان القديم والحديث . لنقف من خلال ذلك على مدى ما اصابه فقه لغة العرب ، من مظاهر التقدم ، وما احرزه من نتائج اقرها العلم الحديث ، وذلك بعرض اثنين من المسائل التي عالها المريفان في دراساته اللغوية .

أ - نشأة اللغة :

ذهب العرب مذاهب مختلفة في هذا الموضوع . وتشعبت تفسيراتهم وحججهم فيه ، فابن عباس (ت ٦٨ هـ) يرى انها مشأت توفيقاً ، اي وحيّاً واهتماً ، محججاً بقوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا^(١)) ، واتخذ بهذا الرأي جماعة من المفسرين والعقهاء امثال حصيف ومجاهد وغيرهما^(٢) . كما اخذ به من المتكلمين

(١) سورة البقرة ٣١

(٢) تفسير الطبري ١/ ١٧٠ والجامع لاحكام القرآن ١/ ٢٨٢ والبحر المحيط ١/ ١٤٥ وجميع الساد ١/ ٧٧ و.و.ع

نعماني ١/ ٢٢٤

الاشاعرة^(١) . ومن الاصوليين ابن الحاحب وآخرون^(٢) ، ومن اللعويين ابن فارس^(٣) ، وابو علي الفارسي وتلميذه ابن حني في احد اقواله^(٤) .

وكان ابن عباس يقول في تفسير الآية الكريمة : « علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وماء واشباه ذلك من الامم وغيرها . وروى حبيب عن مجاهد قال : علمه اسم كل شيء . وقال غيره انما علمه اسماء الملائكة . وقال آخرون : علمه اسماء ذريته اجمعين^(٥) . وربما افاد ابن عباس هذا المعنى عما تهيأ له من عنايته بالاسرائيليات ، ووقوفه على ما في التوراة ، فقد ورد فيه : « وجعل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، فأحصيها الى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حيوة فهو اسمها ، فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية^(٦) » .

وقد دافع ابن فارس (٣٩٥ هـ) عن مذهب ابن عباس ، معتقداً بصحة تفسيره للآية الكريمة ، وبصواب رأيه في توقيف اللغة ، وناقض ما اعترضه من حجج انقدحت في ذهنه ، ربما يستند اليها من يود الطعن في هذا المذهب ، فقال : « الذي نذهب اليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس فان قال قائل : لو كان ذلك كما نذهب اليه ، لقال (ثم عَرَضَهُنَّ) او (عَرَضَهَا) ، فلما قال (عَرَضَهُنَّ) علم ان ذلك لأعيان بني آدم والملائكة ، لان موضوع الكتابة في كلام العرب يقال لما يعرض (عَرَضَهُنَّ) ولما لا يعقل (عَرَضَهَا) او (عَرَضَهُنَّ) . قيل له : انما قال ذلك والله اعلم لانه جمع ما يعقل وما لا يعقل فعلم ما يعقل ، وهي ستة من سن العرب ، اعني باب التثنية^(٧) ويضرب للتعليل امثلة كثيرة من القرآن

(١) انتهى الوصول ٢٠ والاخراج ٦ وروح المعاني ١ / ٢٢٤ .

(٢) انتهى الوصول ٢٠ والاخراج ٧ .

(٣) الصلحي .

(٤) المختصر ١ / ٤٠ .

(٥) الصلحي : .

(٦) سمر الكويع : الاصحاح الثاني ، وانظر : روح المعاني ١ / ٢٢٤ .

(٧) الصلحي .

ودهب أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) الى هذا ايضاً ، ونقل عنه تلميذه ابن حني انه قال : « هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه (وعلم آدم الأسماء كلها) »^(١) . وتردد ابن حني (٣٩٢ هـ) في الاخذ بمذهب معين ، ومال الى اكثر من واحد في شأن اللغة ، الا انه كان يميل احياناً الى الاخذ بمذهب التوقيف فقال : « وانصف الى ذلك وارد الاخبار الماثورة بأنها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وأنها وحى »^(٢) . وسار على هذا المذهب جمع من علماء اللغة العرب ، والمفهاء والمتكلمين ، عرض لهم السيوطي بالتفصيل^(٣) ، وبسط آراءهم وما جاءوا به من أدلة عقلية وعقلية .

ولا نعدم أن نجد بين دارسي اللغة المحدثين من أخذ بهذا الرأي ، كالأب لامي في كتابه (من الكلام) والميلسوف دويوبالد في كتابه (التشريع القديم) ، معتمدين على ما ورد في سفر التكوين مما يشعر بذلك^(٤) .

والواقع ان مذهب توقيف اللغة ، مذهب غير متقبل في العلم اللغوي الحديث ، لافتقاره الى الحججة العلمية المقننة من جهة ، ولمحالفته سنن التطور المنطقية ، وطبيعة نشأة الظواهر الاجتماعية من جهة أخرى ، ذلك ان الآية الكريمة المحتج بها في هذا المقام ، ليست صريحة فيما يريدون منها ، فقد تعني - كما ذهب ابن حني وغيره من العلماء - أن الله تعالى أقدر الانسان على وضع الألفاظ ، وهو معنى مقبول ، وتفسير مرتضى وكان المحدثون بالآية الكريمة على توقيف اللغة قد صدروا الى ذلك من تعبد محض ، يرفده الايمان بقداسة اللغة التي هي لغة القرآن والتشريع .

والنقطة ، بعد ذلك ظاهرة اجتماعية ، لا يتوفر على احداثها واصح معين ، وإنما تنشأ بسبب الحاجة الى التعبير والتفاهم ، وقد نشأت - حين اجتمع الاسان بأخيه الاسان واحتاج الى التفاهم معه - بمحاولات حكاية الأصوات الطبيعية ، وتقليدها ، ثم

(١) الخصائص ١ / ٤٠

(٢) ص ٤١ / ١

(٣) الاقتران ٦ ولفظ ١ / ١٧

(٤) شأن اللغة عند الاسان والطفل ٢٣ وعلم اللغة (وافي) ٨٩

تطورت هذه الحكاية ، حتى ابتعدت عن أصولها الأولى ، ونصلت في سيره الطويل للعقد من دلالاتها الحسية ، حتى وصلت الى الدارسين على ما هي عليه من البضح . على ان ذلك لا يعني ان جميع الفاظ اللغة نشأت بهذه السيل من محاكاة اصوات الطبيعة ، ولكنه رأي وجيه يفسر النشأة الضيقة الأولى للغة ؛ ثم كان لهذه اللغة وسائل هيأها التطور تنمو بها وتكثر^(١) .

وساد اللعويين العرب رأي ثان في نشأة اللغة ، وهو أن اللغة مشأت تواصلاً واصطلاحاً ، وذلك « كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً ، فيحتاجوا الى الابانة عن الاشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولعظاً ، اذا ذكر عرف به مامسماً ليمتاز من غيره ، وليخني مذكره عن احضاره الى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب وأسهل من تكلف احضاره لبلوغ العرص في ابانة حاله . فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم فلو ماوا اليه وقالوا : انسان انسان انسان ، ذي وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق »^(٢) . ويبدو ان أول من أشار الى هذا المذهب وأخذ به ابر الحسن الاحمسي (ت ٢١١ هـ) ، ورأى ان اللغة لم توضع كلها في وقت واحد ، وانما تلاحق وضعها وتتابع^(٣) . وقال شارح رأيه : « اختلاف لغات العرب انما جاء من قل ان أول ما وضع منها وصح على خلاف ، وان كان كله مسوقاً على صحة وقباس ، ثم احدثوا من بعد اشياء كثيرة للصححة اليها ، غير انها على قياس ما كان وضع في الاصل مختلفاً »^(٤) .

وراق هذا المذهب لابن جني (٣٩٢ هـ) الذي مرّاه مال الى التوقيف ، فعادها ليميل الى التواضع ، فعلى الرغم من ان وارد الاخبار والمأثور يقوي عنده انما من عند الله . « غير أن اكثر اهل النظر على ان اصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف »^(٥) . ويبدو ان تلك الاحصار والمأثورات لم تكف

(١) منهج البحث في الاص واللفظ (عليه وآله) ٦٢ وشكة اللغة عند الاسان ٣١

(٢) الخصائص ١ / ٤٢

(٣) منه ١ / ٤٢٧ والاقتراح ٨

(٤) الاقتراح ٨

(٥) الخصائص ١ / ٤٠

لأفاده بأن اللغة وحي والهام فراح يلتبس تفسيراً آخر ، معتمداً هذه المرة (أهل
السطر) مكان اعتناقه في تلك (وارد الاحبار) ولعل هذا المذهب أكثر انسجاماً مع
دهه ودوقه ، اذ صدر اليه عن عقيدته الكلامية ، واعني بها الاعتزال ، الذي يعرف
بتحكيمة العقل والمنطق أكثر من العقل والاثار .

وبقل اس حبي ان استاده انا علي الفارسي (٣٧٧ هـ) كان يأخذ بهذا المذهب
في احد يولييه^(١) ، وقد مر انه مال الى القول بالتوقيف ايضاً كما مال الى مذهب
التواضع أيضاً ابن خلدون من المتأخرين^(٢) ، اما السيوطي (٩١١ هـ) ، ومحمد
مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥) ، فلم يدلوا برأي وانما عرصا آراء السابقين وسطاً
حججهم^(٣) . ومن دعا الى هذا المذهب في العصر الحديث آدم سمث ، ودوجند
ستيوارت من الغربيين^(٤) ، وجرجي زيدان من العرب^(٥) .

ونظرية التواضع هي أيضاً مفتقرة الى سد علمي مقبول أو حقيقة تاريخية
معتمدة ، وهي فيما تقرره تعارض الفوائين العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية ،
وهذه النظم لا تخلق من العدم ولا تزول ارتجالاً ، بل تتدرج في وجودها شيئاً فشيئاً
من تلقاء نفسها حتى تستوي نظاماً ماصحاً مكملاً ، عدا ان التواضع على تسمية
مسمى معين يحتاج هو نفسه الى لغة صوتية يعاها بها المتواضعون . مما يجعله
اصحاب هذه النظرية مثلاً للغة يتوقف ايضاً على وجود هذه اللغة من قبل^(٦) .

وأقرب ما ذهب اليه العرب الى العلم اللغوي في شأ اللغة ، دهاهم الى ان
اللغة نشأت بمحاكاة الاصوات الطبيعية ، وقد اشرنا اليه قبل الكلام على نظرية
التواضع ونحن في معرض مناقشة اصحاب نظرية التوقيف ، ونقصي نظرية المحاكاة

(١) الخصال ٤٤ / ١

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٩٢

(٣) لزمهر ١٨ / ١ ولاح المروس ١٢ / ١

(٤) علم اللغة ٩٠ ومشأ اللغة عند الانسان والطفل ٢٤ والفلسفة اللغوية . هلمث ١٣١٠

(٥) العلم اللغوية ١٢٩

(٦) علم اللغة ٩٠ ومشأ اللغة عند الانسان والطفل ٢٥ وتاريخ آداب العرب ٤٦ / ١ ومحاضرات الدكتور السمرائي

(مدرسي ٧٤)

هذه بأن اللغة نشأت من تقليد اصوات الطبيعة كالرعد والعصف ، واصوات الحيوانات ، واصوات الضرب والقطع والكسر ، ومحاكاة التعبير الطبيعي عن الانفعالات عند الانسان كأصوات الضحك والكاء والرعب وغيرها ، ثم تطورت هذه المحاكاة بتطور عقل الانسان وحسارته وحاجته ، واستوت على شكل لغة يستعملها في اغراضه المختلفة^(١) .

والراجح ان الخليل (ت ١٧٥ هـ) أول من تسه الى ذلك وأشار اليه ، دون أن يصرح بأنه مذهب في تفسير نشأة اللغة كان ماثلاً لديه ، ولكننا نلمح من خلال معالجته لبعض الالفاظ من حيث المناسبة الطبيعية بينها وبين مدلولاتها ، ما يترتب في امسا الفساعة بأنه كان يرى هذا الرأي . وذلك كقوله : « صرّ الحنذب صريراً ، وصرّ صرّ الأخطب صرّ صرّة ، كأنهم توهّموا في صوت الحنذب استطالة ومدّاً ، وتوهّموا في صوت الأخطب ترجيعاً »^(٢) . وقوله : « يقولون صلّ اللّجأم صليلاً ، فبر حكيّ ذلك قلت صلّ ، ثم اللام وتثقلها ، وقد صعدتها من الصلّصلة ، وهما جميعاً صوت اللّجأم ، فالتثقل مدّ ، والتصميف ترجيع »^(٣) . وقال في نون التوكيد : « فاذا جئت بالجمعية فأت مؤكّد ، واذا جئت بالثقل فأت أشدّ توكيداً »^(٤) . وذهب الى أن مثل : غلبان وعثيان ولهبان ووهجان وغيره من المصادر ، إنما كانت محرّكة قلماً تحكيه من دلالة على الحركة^(٥) .

وعن عرض لهذا الرأي من القدماء ابن حي (ت ٣٩٢ هـ) مشيراً الى انه رأى قديم اذ يقول : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من لاصوات المسروعات كدويّ الريح وحير الرعد وخرير الماء وشعيج الحمار ونميق الغراب وصهيل الفرس ونريب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقلّ »^(٦) ولعله يعني به (بعضهم) الخليل ،

(١) تاريخ أدب العرب ٤٨/١ وعلم اللغة ٩٥ ونشأة اللغة عند اللسان ٣١ والعلماء النورية ٥٨ (العامر)

(٢) نهيب اللغة ٨١/١ والخصائص ٥٢/٢ ومقدمة العين ٦٢

(٣) نهيب اللغة ٨١/١ ومقدمة العين ٦٢ .

(٤) كتاب سبويه ١٤٩/١ .

(٥) ص ٢١٨/٢

(٦) الخصائص ٤٦/١

لما قدمناه من أحواله التي نشير الى هذا المذهب . يؤيد ذلك ان ابن جني عاد فذكر
الخليل بعد ذلك وهو يتكلم على المصادر الرباعية للمضعفة التي تأتي للتكرير^(١)
اما السيوطي فلم يزد على نقل رأي ابن جني السابق واستحسنه ايضاً شيئاً^(٢)

وعلى هذا المذهب الاعم الاعلى من دارسي اللغة للمحدثين ، لما وحدوه من
محاسنه لغوايين التطور اللغوي وابتناؤه على اسس للمنطق العلمي ، ولما هدم لهم
البحث من أدلة لغوية وتاريخية تدعم هذا الرأي . وكان على رأس الذاهبين اليه من
العربيين العلامة وتني^(٣) ، ومن العرب مصطفى صادق الرافعي وعلي عبد الواحد
وي .

يقول الرافعي : « وأقرب ما يصح في الظن ان الاصوات الحيوانية هي المثال
لمحتدى في لغة الانسان ، لانها محيطه به تتقلب على سمعه كلما سمع ، خصوصاً
والاسد في أول اجتماعه مصطبراً لمغالة الحيوان ، فهو بهذا الاضطراب يتدبر اختلاف
هيات الصوت الواحد ومعاني ما فيه من السر ، ودليله في ذلك أفعال الحيوان التي
تؤدي معاني هذا الاختلاف من محو العصب والألم والدعر وغيرها »^(٤) .
ويواصل الرافعي شرح وجهة نظره هذه متيها الى قوله : « وهذه الحالة كانت بدء
خترع اللغة ، فلما بدأ الاجتماع يرتقي بنسبة أحوال الانسان يومئذ بدأ الاختراع
الحقيقي في اللغة . . . جعل يقلب المقاطع الثائية التي عرفها على كل الوجوه التي
تحدثها آلات الصوت ، فلما استتم صورها ارتجل المقاطع الثلاثية »^(٥) . والرافعي
هذا يفسر لغايا الثائية في اللغة ، وكأنه يرجعها الى هذه المرحلة التي تطورت اللغة
منها الى الثلاثية ، وعبارته « ارتجل المقاطع الثلاثية » تشير بأن الحرف الثالث
اعتدلي ثنائية ؛ ولكما نرجل الى الرأي القائل ان هذا الحرف شأ كما شأ الحرفان أو
الاصلايان الأولان ؛ فإذا كان الصوتان الاصلان يحاكيان صوت القطع مثلاً ،
فالصوت الثالث يحدد نوع القطع أو طريقة القيل به .

ويقول الدكتور وافي ، الذي نبني هذه النظرية ، وعدّها اقرب النظريات الى

(١) الخصائص ١٥٣/٢

(٤) تاريخ لغات العرب ٤٨/١ .

(٥) نفسه ٤٩/١

(٢) الاقتراح ٧ .

(٣) لغة عند الانسان والطفل ٣١ وعلم اللغة ٩٥

الحقيقة ، - « وهذه النظرية هي أدنى النظريات الى الصحة واعربها الى المعفون ، واكثرها اتفاقاً مع طبيعة الامور ومنه النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وطواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية »^(١) . ويسوق للبرهنة على صحتها دليلين وهما عبيها العلم اللغوي فيقول : « ومن أهم أدلتها ان المراحل التي تقررها يصعد لبعه الاسانية تنمو في كثر من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل ، اب ، لطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام يلجأ في تعبيره الارادى الى محاكاة الاصوات الطبيعية . ومن أدلتها كذلك ان ما تقرره يصعد خصائص اللغة الاسانية في مرحلتها الاولى يتمق مع ما نعرفه عن خصائص اللغات في الامم الاولى ، ففي هذه اللغات تكثر المفردات التي تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه »^(٢)

ومن هذا ندرك ما للعرب من سعة الذهن وقوة الملاحظة وعمق الدرس ، وفهم ما كان للذهاب مذهب حكاية الاصوات الطبيعية في نشأة اللغة من نصيب كبير من الصحة ، وعلى رأس أولئك العرب الخليل بن احمد الذي كان الدرس اللغوي الحديث وأصحاب هذه النظرية عبالا عليه ، وكان فيما الملح اليه من فكرة هذه النظرية فاتحاً لباب ولحج الدرس من بعده ، ليجدوه أقرب باب موصل الى الحقيقة

اما مذهب الوقف - وهو غير التوقيف - فيقصد به الجهل بحقيقة نشأة اللغة ، لعدم وجود ما يدل على طبيعة شأنها دليلاً قاطعاً . فقد وهم السيوطي في عده مذهب قائماً أخذ به العلماء ، فقال وهو يعرض لمذاهب نشأة اللغة . « والمذهب الثالث . الوقف . أى لا يدري أهى من وضع الله أو الشر ، لعدم دليل قاطع في ذلك ، وهو الذي احتاره ابن حبي أخيراً »^(٣) . ويبدو ان الذي أوقع السيوطي في هذا الوهم قول ابن حبي : « وان حطر خاطر فيما بعد يعلق الكعب ماحدى المتهتئين ، ويكفها عن صاحبها فلما » . وبالله التوفيق »^(٤) . ولم يكن ابن حبي يقصد من ذلك أن يؤسس مذهباً حديداً يفسر به نشأة اللغة كما ظن السيوطي ، وإنما رعى الى ان المذاهب تتفاوت في قوة الحجة أو ضعفها ، بعد أن مال الى كل واحد منها حين

(٣) الاقتراح ٧

(٤) المختصر ١٧ / ١

(١) نشأة اللغة ٣٣ وعلم اللغة ٩٦

(٢) نشأة اللغة ٣٣ وعلم اللغة ٩٧ .

عرض له . فهو اذن ينتظر خاطراً جديداً يقوي لديه احد هذه المذاهب ، ويفطم له
بصحته ، ليترك ما سواه .

وللمحدثين مذهب آخر يفسر نشأة اللغة بغيرية خاصة موحدة^(١) وذلك أن اللغة
نشأت بمصلح عربيه خاصه كان الانسان الاول قد رَوَّدها ، وهي التي حملته على
التعبير عن مداركه الحسية والمعنوية بالالفاظ الخاصة ، وان هذه العربية كانت
موحدة عند جميع الافراد في تلك الفترة من التاريخ اللغوي ، لذا فقد توحدت
لمردات المعوية الاولى ، ونشأت طرائق التعبير وتماهت الجماعات . وانه بعد
أن بصحت اللغات المختلفة واهمل الانسان هذه العربية التي لم يعد بحاجة اليها ،
انقرضت فيه ، كما انقرضت عرائر اخرى كانت موجودة لنفس الاسباب^(٢) .

واذا رجعنا الى لغويينا القدماء ستعرض آراءهم في نشأة اللغة ، نجد بين
آرائهم ما يشير الى التماثل الى هذه النظرية ، وأحدهم بها ، وان لم تكن من النصح
والبوضوح لديهم بدرجة تحولوا الحرم باكتسابها مذهباً . ولعل اول هذه الاشارات ما
نقلناه من دهاب ابي علي الفارسي وابن جني في تفسير الآية الكريمة (وعلم آدم
الاسماء كلها) الى ان الله أقدر آدم على الوضع^(٣) ، وهذا الإقدار هو خلق القدرة
على التكلم ، ابي خلق الغريزة الخاصة . ومثل ذلك ما وجدته في كلام ابن جني على
الترادف اذ يقول : « فاعجب للطف صنع الباري سبحانه في ان (طبع) الناس على
هذا ، و (امكنهم) من ترتيبه وتربيته ، و (هداهم) للتواضع عليه وتقريره^(٤) »
وكلامه يشعر بقوله بالتواضع ، ولكه تواضع ترفده القدرة الخلقية الخاصة التي
خلقها الله في العباد . والى مثل هذا المسمى ذهب ابن فارس ايضا ، فايد الاغرض في
ان اللغة لم تهيء جملة واحدة وفي زمان واحد ، وانما وقفت الله حل وعز آدم عليه
السلام على ما شاء ان يعلمه اباه بما احتاج الى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما
شاء الله ، ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الانبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً
ما شاء ان يعلمه ، حتى انتهى الامر الى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ،
فاتاه الله من ذلك ما لم يؤته احدا قبله^(٥) . وعلى الرغم من قول ابن فارس

(١) التخصيص ٤٠ / ١

(٢) منه ١١٧ / ٢

(٣) المصباح ٦ وانظر الزهر ٩ / ١

(٤) العليمة المعوية ٥٧ للمعاش

(٥) نشأة اللغة عند الاسكندر ٢٦ وعلم الله ٩١ .

بالتوفيق ، الا انه توقيف يُقَدِّرُ الانبياء على الوضع .

وكان السيوطي فيما نقله من آراء العلماء اكثرهم ابانة عن فحوى هذه النظرية ، فقال : « واحتلف على هذا : هل وصل اليها علمها بالوحي الى نبي من انبيائه ، او مخلق اصوات في بعض الاجسام تدل عليها واسماعها لمن عرفها ونقلها او مخلق العلم الضروري في بعض العباد بها ، على ثلاثة آراء ارححها الاول^(١) . فالرأي الاول يشير الى نظرية التوقيف ، والثالث يشير الى ما نحن بصددده ، من وجود الغريزة الخاصة بالتعبير ، بل تكاد عبارته (بخلق العلم الضروري في بعض العباد بها) تدل دلالة صريحة على فكرة هذا المذهب ، وان قصر هذا العلم على بعض العباد دون سواهم ، في حين لا يستثنى المأخذ الحديث لهذه النظرية احدا من بني البشر .

واشتهر من اخذ هذه النظرية من علماء اللغة المحدثين : اللغوي الالماني مكس مولر ، واللغوي الفرنسي رينان . واستدل مولر على صحة مذهبه ، بنتائج دراسته لاصول الكلمات في اللغة الهندية الاوربية « فقد ظهر له ان مفردات هذه اللغات جميعها ترجع الى خمسمائة اصل مشترك ، وان هذه الاصول تمثل اللغة الاولى التي انشعبت منها هذه الفصيلة ، فهي لذلك تمثل اللغات الانسانية في اقدم عهودها وتبين له من تحليل هذه الاصول انها تدل على معان كلية ، وانه لا تشابه مطلقا بين اصواتها وما تدل عليه من فعل وحالة^(٢) .

وقد ردت هذه النظرية بجملة امور ، الاول : صعوبة تصور هذه الغريزة ، والوقوف على طبيعتها وحقيقة وجودها ، لانها لا تندرج في حقيقة هذه الغريزة ، الى ما يشترك فيه الانسان والحيوان ، من اصدار الاصوات المبهمة ، التي يقوم بها جهاز النطق ، وانما الى شيء غير ذلك . والثاني : عدم تفسير نشأة اللغة التي لاجلها هجر الانسان لغة الغريزة بعد ان تضمنحل فيه هذه الغريزة ، كما تفترض ذلك النظرية ، فعدم تفسير نشأة اللغة الجديدة ، تدور في حلقة مفرغة . والثالث : الاعتداد على الاصول الخمسمائة التي تفترض انها تمثل اللغة الانسانية الاولى ، الا ان هذه

(٢) علم. ٩٦ و نشأة اللغة عند الانسان والطفل ٢٦

(١) الاختراع ٦

الاصول كما تقدم - تدل على معان كلية . ومن الواضح ان ادراك اللغائي الكلية يتوقف على درجة عقلية راقية لا يتصور وجود مثلها في فاتحة النشأة الانسانية^(١) .

ومهما يكن من امر فان هذه النظرية اقل صولا لدى المحدثين من سادتها نظرية محاكاة الاصوات الطبيعية ، كما كانت كذلك لدى القدماء ، اذ كانت اشاراتهم اليها غير واضحة ، وتصورهم لها يدخل ضمن ايمانهم بالتوقف على الأكثر ، في حين كان احدهم يذهب بمحاكاة الاصوات صريحا ، سواء كان باشاراتهم اليه من خلال معالجات قصايا الدلالة ، ام بتعبيرهم الصريح الدال على اكتمال فكرة هذا المذهب لديهم .

ب - الاصوات اللغوية :

اهتم اللغويون العرب مبكرا بدراسة الاصوات ، وقد مرت الاشارة في اكثر من موضع من هذا البحث الى عناية ابن ابي اسحاق الحصرمي (ت ١١٧ هـ) بدراسة الاصوات ، ووصفه كتاباً في الهمز^(٢) ، وكما قد رجحنا صلة هذا الكتاب بعلم قراءة القرآن الكريم ذلك ان الفراء شكل عام اهتموا بدراسة الاصوات في تصانيفهم ، وفي كتب الفراءات دراسات صوتية مهمة ، وما موضوع (الوقف والابتداء) الا دليل واضح على ذلك

واكرم الظن ان الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) نفسه اخذ فكرة دراسة الاصوات من الترتيل الذي هو من اختصاصات القراء ، ووضح بوحى من ذلك ترتيبه للمحرّفي للاصوات ، تاركاً الترتيب اللاحدي الذي هو اقدم الترتيبات في اللغات السامية ، والترتيب الالف بائي الذي عني بالتشابه في الرسم والذي وضعه نصر بن عاصم^(٣) . ثم درس هذه الاصوات في مقدمة (العين) ، وصى عليها معجمه الرائد ، وقد مرت دراسته في الباب الثاني .

وقد افاد مسيويه (ت ١٨٠ هـ) من دراسة الخليل . فوسّعها في (كتابه)

(١) عمدة اللغ ٩٤ وسم اللغ ٢٦

(٢) مراتب العرب ١٢ والذعر ٣٩٨، ٢

(٣) - ح التصحيف والحد ١٣ .

مشكل منهجي دقيق ، عاقداً للاصوات ابواباً في الجزء الثاني من كتابه ، اهمها :
(الامدال) و (الادغام) ، وهما بابان كبيران تناول فيهما الاصوات تناولاً جديداً
محمداً استاذ الخليل في ترتيبها^(١) ، كما سبقت الإشارة الى ذلك .

حتى اذا جاء ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ووضع دراساته الصوتية وفصوله
القيمة في هذا الموضوع ، بضجت الدراسة وتعمقت . ففي (الخصائص) بحث
موسم في الاصوات^(٢) . وفي (سر صناعة الاعراب) مادة صوتية مهمة ، لا تعالي
لذا قلنا انها اجل مما في كتاب سيويه من بحوث صوتية^(٣) . وفي (التصريف
الملوكي) دراسة في الاصوات لا تقل شأناً عما في كتابيه السابقين ، ولم يرد مصطلح
(الاصوات) للدلالة على العلم المعروف عند القدماء قبل ابن جني ، وانما ورد
عنده لأول مرة في كتابه الاخير .

ونظر اللغويون في تألف هذه الاصوات في المفردات ، فوجدوا ان حروف
الخلق اقل الاصوات تألفاً في الكلام ، فلا تجتمع عين او غين او هاء او خاء . .
الخ مع غيرها ، وجاءت كلمتا (العهد) و (المهن) خلافاً لمجيء الهاء بعدها
العين . كذلك لا تجتمع العين والحاء الا في كلمات منحوتة من كلمتين ، اي ان العين
كانت في الاصل في كلمة والحاء في كلمة اخرى مثل (حيمك المنادي) وهي من (حي
على) ، وكذلك الامر في الحاء والهاء مثل (حيمك) من (حي هلا^(٤)) . وهناك
مخارج عضلها ليس صلباً كمصل الخلق ، لقرب نقاط الارتكاز التي تتركز بعض
الاصوات عليها ، مثل حروف الصفير والحروف الاسلية كالسين والزاي والصاد ،
فليس هاء في العربية كلمة جمعت هذه الحروف الثلاثة ، وسبب ذلك قرب
مخارجها^(٥) وعلى هذا الاساس اشترط البلاغيون في الكلمة الفصيحة ان تكون
حروفها متباعدة المخارج . وقد يؤخذ عليهم في هذا الشرط كلمات توفرت فيها
الفصاحة والجمعة ، واصواتها من مخرج واحد مثل (قسم) وصوتها شعويون ، و
(جيش) ومنها العمل جاش يمش واصواتها شجرية .

(٤) العين (الجزء الطوب) ٦٤
(٥) العين : المقدمة ولسان العرب ١٢ / ١

(١) كتاب سيويه ٢ / ٤٠٤ وما بعدها

(٢) الخصائص ١ / ٥٤٤ ، ٥٤٩

(٣) سر صناعة الاعراب ١ / ١٠ ، ٣٥ ، ٣٩

من ذلك كله برزت للغويين قاعدة اساسية هي انه اذا اجتمع صوتان متصريان في المخرج او مختلفان في الصفة اثر احدهما في الآخر ، ذلك انه يصعب على اللسان ان يحقق صوتين متجاورين مختلفين في الصفة . فلذا اجتمع صوتان مختلفان في الصفة وكان اولهما ساكناً ، فما يزال احدهما يؤثر (او يعمل) في الآخر حتى تتحد صفتهما . اي اذا اجتمع مجهور ومهموس في كلمة ، فلا بد ان يؤثر احدهما بالآخر حتى يعودا مجهورين معا او مهموسين معا ، مثل فعل (دَكَّرَ ، يَدْكُرُ) فصيغة افتعل منه (ادْتَكَّرَ) والتاء تغلب دالا ، والذال هذه تؤثر في الذال فتصير (ادْكُرَ) ومنه قوله تعالى : (فهل من مدكر^(١)) ، وقد تم هذا بسبب اجتماع صوتين مختلفين في الصفة مجهور ومهموس . وكذلك اجتماع صوت منطبق مع صوت منفتح مثل فعل (فَصَّجَعَ) ، فاذا اردنا ان نبني منه افتعل فهي (اضْجَجَعَ) ثم تغلب التاء طاء بعد ان بعدت عن نقطة ارتكازها فتصير (اضْطَجَعَ) وذلك لان الضاد جرّت التاء الى صوت منطبق .

ومن هذه الدراسة انطلق اللغويون الى بحث ظاهرة الابدال في اللغة ، فتوسعوا فيها ووضعوا مصنفاتهم العديدة مد اوائل اللغويين ، الا ان اكبر ما وضع فيه كتاب (الابدال) لابي الطيب اللعوي (ت ٣٥١ هـ) ، وآخرها من حيث السعة والاهمية كتاب (سر الليال في القلب والابدال) لاحمد فارس الشدياق^(٢) . واختلفوا في النظر اليه ، فقسم منهم قبدوا الابدال فيما كان له علاقة بين الصوت المبدل والمبدل منه ، وآخرون لم يشترطوا ذلك مستنديين الى ما ورد مخالفاً لذلك القيد ، مثل قوله تعالى : (حَصَّبَ جَهَنَّمَ) و (حَطَّ جَهَنَّمَ)^(٣) . وقد وردنا في قراءات القرآن الكريم ، والصوتان بعيدان احدهما عن الآخر . وقد مر تفصيل ذلك في كلامنا على الابدال في الباب الثالث ، غير اننا يمكن ان مرجع عناية القدماء برسم الحركات عناية كبيرة ، وجعلهم لكل حركة اشكالا ، الى عنايتهم بالاصوات وبخاصة فيما يبدل منها . اذ لو كانت هذه الحركات موجودة في الاصل لما حدث التصحيف والتحريف والمشتبه ، حيث يمكن ان يرد الى هذه الامور قسم كبير من

(١) سورة القمر ١٥ . مدرسه الكوفة ٣٣٨

(٢) سر الليال ٥ وما بعدها

(٣) سورة الانبياء ٩٨

المعاط الأبدال .

ووجد اللغويون أن عددا من الأفعال والمصادر في اللغة إنما وجدت محاكاة لأصواتها ، ووضعوا بعض القواعد الخاصة بصيغها ، وأول من أشار إلى ذلك الخليل ، وقال . إذا جاءت المصادر على (فَعْلَان) فهي تدل على حركة واضطراب مثل : عَلَيَّان ومَيْلَان وهَيْجَان^(١) . وعرض ابن حني إلى ذلك فقال . « كل ما كان على وزن فَعْلَل فهو يدل على تكرار^(٢) » . وضرب لذلك بعض الأمثلة صَرَّ الخشب وصَرَّصرَّ النار ، وصلَّ اللجام وصلَّصلَّ ، والحق أن ابن حني لم يشر إلى من سببه إلى هذا المذهب ، والفكرة للخليل ، والأمثلة التي ساقها ابن حني كان الخليل ذكرها في العين^(٣) . وكان ابن حني قد أشار إلى الخليل قل صفحة من هذا الكلام بكلمة (بعضهم) دون أن يسميه صراحة ، وقد مرت إلى ذلك أشارتسا في هذا الفصل .

وحين وجد اللغويون العرب أن الكلمة العربية تشكل وحدة صوتية جيدة ، وأنها موزونة أيما وردت في الشعر والنثر ، وأن كل اللغات السامية قد أخذت من هذه الموسيقية التي توفرت في اللفظة العربية ، وكذلك الفارسية القديمة ، حتى أن المستشرق الألماني (شاده) لم يجد قصيدة عربية واحدة فيها البحر أو الوزن الموحد من أولها إلى آخرها ، وإنما وجد لمحات من أوزان مختلفة^(٤) . واختصاص العربية دون غيرها من اللغات بهذه الأوزان العروضية الدقيقة دليل نضجها والسامية (الفارسية الإسلامية) أخذت من العربية هذه الأوزان أو شيئا قريباً منها ، وبظمت فيه لعنها ، أقول . حين وجد اللغويون موسيقية اللفظة وطواعيتها للوزن العروضي واجهتهم مشكلة الإدغام في العربية .

والإدغام هو الذي ولد التقاء الساكنين في الكلمة ، وفي اللغة مصردات من هذا النوع وإن كانت قليلة ، مثل : ضامٌ وحلوةٌ وصبارةٌ واحلرٌ والضلكنٌ وغيرها^(٥) وقد توسلت اللغة للتخلص من ذلك بوسيلتين أشهرهما ترك التضعيف كفولهم في

(١) كتاب سيبويه ٢/٢١٨

(٢) الخصائص : باب تصاقب الألفاظ ١/٤٤٤

(٣) العين : ٦٦ وانظر : تهذيب اللغة ١/٨١ .

(٤) محاضرات الدكتور العراقي (مندوتي) ٢٧

(٥) انظر : شرح الفصل ٩/ ١٢٠

الصَّالِينَ الصَّالِينَ ، لو ترك أحد الاصوات الساكنة وهو اللين منها كمولهم في احمار - احر - . والثانية بالهمز الذي يصطلح عليه بالنبر في مصنفات الاقدمين ، وهو موحود في كل لغات العالم ، وصوت الهمزة الذي يؤدي النبر هو الذي يتعد باللفظة عن التقاء الساكنين فيها . فالضالين تصبح : الصالين ، واحار تصبح : احر . ومسألة فك الادغام او التقاء الساكنين يستبعد بالهمزة ليس من قبيل ان هذه الكلمات كانت هي في الاصل كذلك ، وانما هي وسيلة للنبر للتخلص من التقاء الساكنين^(١) .

والسر في المصطلح الحديث « نشاط في جميع اعضاء النطق في وقت واحد » وهو يصدق على جميع الاصوات ولا يقتصر على الهمزة ، بل الهمزة صوت صعب لا يصلح للنبر (الصعظ) ، وقد تستبعد احياناً الى صوت آخر ، هو ما سماه ابن جني (همزة بين بين) همزة (قائل) مثلاً تلفظ عند الذي يتكلم على سجيته بين الهمزة المحفقة وبين الهمزة السهلة الساكنة . وبعض الناطقين يسهلها حتى تكون ياء فيقول (قائل) ، ولم يقل احد من العرب (قائل) على اصل الساء الصري ، ومثله (مصائب) ايضاً ، وهما واشباههما امثلة على الاعتماد عن الصوت للمهموز الى باب آخر^(٢) .

والحق ان مصطلح النبر - بمعناه الحديث - لم يكن موحوداً لدى القدماء ، ولم هو مصطلح حديث ، ولكن القدماء خصصوه في الهمز ، فاذا قالوا مثلاً (قريش لا تثر) فالمعنى لا تهمز^(٣) ، وقال سيبويه عن الهمزة : « تثرة في الصدر لمخرج باحتهاد »^(٤) . والكلمة الحديثة مصطلح يعتمد الهمز ، فهي تشمل على ما هو مهموز وما هو غير مهموز ، وهي تقابل لفظة (Stress) بمعنى : مضغوط في اللغات الاحدية الحديثة ، وقد ادخل علم اللغة الحديث باب المهموز في المصنوط

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٨٢/١٤ ولسان العرب ١٠/١

(٢) الاصوات النعوية (انيس) ١١٨

(٣) المختصر ١٤٤/٣ وانظر : الانصاف (طليدن) ٣٠٦ ونظرات في اللغة والنحو ١٧

(٤) لسان العرب ١٤/١ ، ٤٠/٧ .

(٥) كتاب سيبويه ١٦٧/٢

ومنه ان الكلمة مكونة - من حث نطقها - من مقاطع ، وتنتهي للمقاطع باصوات مصعوظة^(١) والباحثون في علم الاصوات الحديث مهتمون في ان يصعوا مقابلا للمصطلحات الصوتية الحديثة ومنها التبر .

والحق ان العربية لم تدرس من ناحية الاصوات دراسة علمية لها علاقه بالكون والظواهر الطبيعية ، اذ لم يجاوزوا دراسات الخليل وسيبويه وابن حني ، لحاده في هذا الموضوع ، نوحدا ان القدماء لم يهتموا بالاصوات - اول الامر - الا من خلال علاقتها بقراءة المصحف الكريم ، وظلت تبحث وتشرح في مصنفاتهم من خلال علم التجويد والتلاوة ، من ذلك ابحاثهم في الهمز ونهيل الهمز وترقيق الهمز وما الى ذلك ، ثم ادخلوا بعد ذلك الدرس الصوتي كتب البعة ، ولكهم لم يهتموا بالامور التي تتصل بالاصوات وما يترتب على ذلك من ظواهر ، وكان تصورهم لحدود علم الاصوات صيقاً ، ومثال ذلك انهم بحثوا مواضع الابدال والاعلال والادغام خارج الاصوات . على ان نتائج ابحاثهم وبخاصة من ذكرنا منهم صحح اكثرها العلم اللغوي الحديث ، وشهد لهم بالسبق .

نخلص من كل ما مر الى ان القدماء كانوا على قدر كبير من الدقة والعمق في تناول الموضوعات اللغوية ، وعلى جانب اكبر من استيعاب ظواهر اللغة وفهم قوانينها واستكناه اسرارها في التطور والتمور ، ووقفنا من خلال الموارنة بين معالجات القدماء والمحدثين على طول باع العرب في دراسة اللغة ، بحيث كانت ابحاثهم الرائدة في هذا المجال الاساس الذي بنى عليه المحدثون دراساتهم .



(١) دروس في علم اصوات العربية (ككتينو) ١٩١ .

الفصل الثاني

الدراسات اللغوية واللغات السامية

- اللغويون العرب واللغات السامية : مقدمة في اللغات السامية -
- معرفة العرب بمראה اللغات السامية واثرها - جهل اللغويين
- العرب باللغات السامية واثره - موازنة بين التحليل وابن جني وإبراهيم أنيس .

اللغويون العرب واللغات السامية

١- مقدمة في اللغات السامية^(١) :

بدأ التفكير بتقسيم اللغات الانسانية الى مجموعات لغوية في أواخر القرن الثامن عشر ، وذلك بعد أن عرفت السنسكريتية الاولى . وقد اختلف الدارسون المتصدون لذلك في تقسيم اللغات ، تبعاً لاختلافهم في الاساس الذي يقوم عليه هذا التقسيم . ولكنهم لاحظوا قرابة لغوية بين بعض اللغات فيما بينها ، وقرابة لغوية بين بعضها الآخر . هذه القرابة تشمل اصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل ، كما لاحظوا ان الناطقين بهذه المجموعة اللغوية أو تلك يؤلفون مجموعة انسانية متميزة ، ترجع الى اصول شعية ، وروابط بيئية ، وجغرافية ، وتاريخية واحدة ، أو على الأقل متقاربة فيما بينها ، ولعل مكس مولر اللغوي الغربي المعروف هو أشهر من نادى بهذا التقسيم^(٢) . وعلى هذا الاساس رجعت جميع اللغات الانسانية الى فصائل ثلاث هي : الفصيصة الهندية الاوربية ، والفصيصة السامية الحامية ، والفصيصة الطورانية ، وكل واحدة من هذه الفصائل الثلاث هي في الاصل لغة ولد من اولاد نوح الثلاثة : سام وحام ويافت^(٣) ، اللذين انتشرا ابتداءً من في اصفاح الارض وتكلموا باحدى هذه اللغات

والذي يعنينا من هذه المجاميع ، هو المجموعة السامية ، التي تضم طائفة

(١) انظر : التطور اللغوي التاريخي ٢١ وشاة اللغة عند الانسان والطفل . وديروس اللغة العبرية . وعلم اللغة ١٧٩ وعاصرات الدكتور ابراهيم السراي (مدوني) . ومقتطفة في الاصول اللغوية المشتركة بين العرب والعبرية

(٢) شاة اللغة عند الانسان . وعلم اللغة ١٧٩

(٣) ديروس اللغة العبرية . وما بعدها

من اللغات منها العربية ، وهي على قسمين : الاول اللغات السامية الشمالية وهي السلية القديمة والآشورية والاكادية والعبرية والفينيقية والآرامية والثاني اللغات السامية الجنوبية وهي العربية والحيشية واللغات اليمنية كالحميرية والسبئية وغيرهما . وان تسمية هذه اللغات بالسامية حدث اعتبارا أول الامر ، ثم استقرت من لدى الدارسين بالرضا ، وكان أول من أطلقها العالم الألماني شلوتزر ، الآن بولده اعترض عليها لعدم دقتها ، وسجل هذه الاعتراضات في أبحاثه في هذا الموضوع^(١) . واختلف الدارسون المحدثون في تحديد المهد الاصيل للأمم السامية ، وسواء كان جنوب العراق أم بلاد كنعان أم بلاد الحبشة أم شمال افريقيا أم جهات معينة من أرمينية أم الجنوب العربي من شبه الجزيرة العربية^(٢) ، فان الامر لا يهم في هذه الدراسة .

وتشترك اللغات السامية بمزايا خاصة تؤلف منها وحدة لغوية ، منها : (١) ان هذه اللغات تشتمل على عناصر مشتركة ، هي الصيغ واسماء الاشارة والاسم الموصول والظروف وحروف الاضافة والاصوات . واشتركتها في هذه المواد يدفعنا الى القول بانها من أصل قديم واحد يطلق عليه (السامية الام) التي تفرعت منها لغات هذه المجموعة ومنها : (٢) انها تشتمل على العاطفات طابع بدوي يشير الى ان الاصل لا بد ان يكون ذا طبعة بدوية . والى هذا ذهب القائلون بأن مهد الساميين الاول شبه جزيرة العرب ومنها : (٣) ان الفعل يشغل مكانة بارزة في هذه اللغات ومنها : (٤) ان هذه اللغات ثلاثية الاصول ، وان الصيغة الثلاثية هي الغالبة ، وانه يصار الى الرباعي من الثلاثي بطريقة من الطرائق . ومنها : (٥) كثرة المفردات المشتركة بين هذه اللغات وخصوصا تلك الدالة على أعضاء الجسم والقراءة والعدد^(٣) . وعلى الرغم من وجود بعض الخلافات الطبيعية بين لغات هذه المجموعة ، كالتي تنصل بأداة التعريف ، ونطق بعض الاصوات وانداها ، وقلب بعض الحروف . فان وصلات القرابة الموجودة بين اللغات السامية بعضها البعض

(١) دروس ٩ وانظر : مقدمه في الاصول اللغوية المشتركة ٣ .

(٢) دروس اللغة العبرية ٨ - ١٢ وفيه اللغة (واي) ٦ .

(٣) اللغات السامية (بولده) ٩ ودروس اللغة العبرية ١٩ ومقدمة في الاصول اللغوية ٤ .

(كدا) صلات وثيقة نوعا ما ، وهي على أي حال أوثق منها بين اللغات الهندوأوروبية . فان اللغات السامية القديمة لا تتعدد عن بعضها بمقدار ما تعدد اللهجات الجرمانية المختلفة بعضها عن بعض ^(١) .

ويندو أن العربية أقرب الساميات الى (السامية الام) ، على ان هناك من ذهب الى ان العربية هي الأعراب ، ومن ذهب الى أن الآشورية البابلية هي السمة السامية الاولى ، إلا أن أكثر العلماء على أن العربية هي أقدم اللغات السامية وأقربها الى الام ، واعتقادهم بأن الآراء الأخرى إنما هي ناشئة من باعث ديني فيها نقدهم للعربية أو (الآرامية) ^(٢) . وبعد أن ترك ذلك « رغب الناس في الرأي المائل بأن العربية لا تزال أقرب للغات جدا الى اللغة السامية الاولى » ويؤيد تولدكه رأيه هذا فيقول . « وإذا تبين الآن أكثر من ذي قبل ، ان اللغة السنسكريتية لم تكن في المرتبة التي تؤهلها للاحتفاظ بخصائص اللغة الهندوأوروبية الاولى - كما كان يظن منذ زمن قليل - فانه لا يجوز للمرء ان يعترف للغة العربية في موضوعنا هذا بأكثر من قرب العلاقة بالسامية الاولى . حقا لقد احتفظت العربية أكثر من اخواتها بكثير من الصور الصادقة لعناصر اللغة الاولى ، مثل الكمية الأصلية تقريبا من الاصوات الساكنة ، وكذلك الحركات القصيرة في المقاطع المفتوحة ، ولا سيما في وسط الكلمات » . ويعود فيستدرك على هذا بقوله « إلا انه من جانب آخر ، يرى ان العربية قد بنت بطريقة القياس البسيط عددا كبيرا من الصيغ التي تبدو لأول وهلة كأنها صيغ قديمة الأصل لشدة بساطتها ، ولكنها ليست في الواقع التحويرا للأصل ، ربما قابله تحوير آخر في اللغات السامية الأخرى ، وانه ليوجد في العربية دائم اصطراد معين ما كان ليوجد فيها هكذا منذ البداية ^(٣) » .

وإذا شئنا ان نبحث فيما الملح اليه تولدكه من احتفاظ العربية بخصائص السامية الاولى ، أكثر من احتفاظ اخواتها ، حتى غدت أقرب لغات المجموعة الى الام ،

(١) اللغات السامية ٩

(٢) هند ١٣ وفروس اللغة العربية ١٢ وقته اللغة لوان ١٠ .

(٣) اللغات السامية ١٣

نجد من ذلك امورا كثيرة ، منها : (١) احتفاظها بكل الاصوات الموجودة في احوائها ، وزادت عليها اصواتاً غير موجودة الا بها كالضاد مثلاً ومنها (٢) احتفاظها بجميع قواعد النحو والصرف التي سارت عليها اللغات السامية ، ودفنت تلك اللغات باحتفاظها بقواعد لا نظير لها فيها ، او على الاقل بشكل بسيط ومنها - (٣) احتفاظها بأوسع ثروة لغوية في المفردات واصول الكلمات على اختلاف امواج الكلمة من اسم وفعل وحرف ، ما لا وجود لهذه السعة في احوائها الساميات^(١) ولهذا كله كانت العربية اصدق الساميات تمثيلاً للغة الام القديمة

٢ - معرفة العرب بقراءة اللغات السامية وأثرها

الذي ندل عليه اشارات القدماء في مصنفاتهم اللغوية ، اهم لم يكونوا - او بعضهم على الاقل - يجهلون القراءة اللغوية بين لغات المجموعة السامية ، على اهم لم يستخدموا هذه المعرفة دائماً ، استخدماً مشعراً في دراساتهم اللغوية المختلفة . ولعل اول من اشار الى وجود قرابة لغوية بين لغتين ساميتين ، هو الخليل بن حمد (ت ١٧٥) ، ادقّاق وهو بعالم مادة (كَنَح) . « وكنعان بن سام بن نوح ، ينسب اليه الكنعانيون ، وكانوا يكلمون بلغة تصارع العربية^(٢) » . على ان ذلك لا يعني معرفته بالكنعانية . وانما يعني معرفته بصلة القربى اللغوية بين العربية وبين احوائها

ولعل ما نقله اس جني عن الاخفش (٢١١ هـ) في تفسير نشأة اللغة يشير الى ما نحن بصدده . شتي من اثأويل . قال « ان الله سبحانه علّم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والبريانية والصراية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ، ثم ان ولده تفرقوا في الدنيا . وعنى كل منهم لغة من تلك اللغات فعلت عليه ، واصمحل عنه م

(١) منه اللغة (٩٠) ١٥٨ وما بعدها

(٢) العين (الجزء للطبع) ١ / ٢٣٢

سواها لعدد عهدهم بها^(١) . وعلى الرغم من دلالة هذا القول على معرفه الاحمش بانقسام اللغات وتشعبها ، اكثر من اي شيء ، إلا أنه قد يدل ايضا على اشارته الى قرابة هذه اللغات أو بعضها ، بكونها ترجع الى لغة واحدة في الأصل هجرت بعد ان بعد العهد بها .

ورعنا كان ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) اكثر صراحة وهو يعرض لهذا الموضوع ، اذ يقول : « ان الذي وقفنا عليه ، وعلمناه يقينا ، ان السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضروربيعة لا لغة حبر ، واحدة . تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرس ، كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نعمة أهل القيروان ، ومن القيرواني اذا رام لغة الاندلس ، ومن الخراساني اذا رام لغتهما^(٢) . ويصرب لذلك لمثلة تؤيد ما ذهب اليه ، وتدعم مقولته في القرابة اللغوية ، حتى يخلص الى قوله : « فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ، أيقن ان اختلافها إنما هو من محوما ذكرنا ، من تبديل العاط الناس على طول الأزمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم ، وانها لغة واحدة في الأصل^(٣) . »

والراجع ان الذي جعل ابن حزم يقرر ما قرر في هذه السيل ، وجوده في الاندلس وتوافره على اللغة العربية فيها ، اذ شهدت الاقاليم والمدن الاندلسية نشاطا كبيرا من لدن الدارسين اليهود في دراسة العبرانية والتأليف في قواعدها واصولها ، وتأسيسهم المدارس الخاصة بهم ، حتى قال استاذنا الدكتور السامرائي : « ان اليهود الاندلسيين قد سبقوا المستشرقين في ملح الصلة التي تربط هذه اللغات . ويعني اللغات السامية . فأشاروا في رسائلهم الى العلاقة بين العبرانية والعربية وفي ضوء هذه العلاقة تناولوا المواضيع وكتبوا كتباً كثيرة^(٤) . »

على ان معرفة اللغويين العرب لهذه القرابة بين الساميات ، لا تعني معرفتهم

١) الخصال ١ / ٤١

٢) الاحكام في اصول الاحكام ١ / ٣٠

٣) حقه ١ / ٣٠

٤) محاضرات د. ابراهيم السامرائي على طلبه محمد اللغة العربيه (ملوسي) ٩

للهجات السامية نفسها ، من حيث اصواتها ، وظواهرها ، وابنيها المحتملة وحصائصها في الاشتقاق والنحت والتركيب وما الى ذلك ، بل تدل دراساتهم اللغوية على جهلهم بها ، واعراضهم عنها ، على الرغم من توفرها لديهم ، على لسان اصحابها المقيمين بين ظهرائهم في الخواضر الاسلامية . فلو شاءوا تعلمها لتهيا لهم ذلك بأقرب الطرق وأيسر الوسائل .

والذي يدل عليه البحث ان معرفتهم بهذه اللغات لم تكن تتعدى العلم بالمفردات ، اذ تشير بعض دراساتهم المعرّاتية واللغوية الى وقوفهم على عدد غير قليل من المفردات العبرية والسريانية والآرامية واليمنية القديمة ، وكانوا حين تعرضهم مثل هذه المفردات ينصون عليها وينسبونها الى لغاتها ، حتى ان من اللغويين من كان يصح كتابه لأجل احصاء هذه المفردات المعربة او الدخيلة في العربية ، وعلى ذلك كتب (لغات القرآن) وكتب (المعرب) ، وغيرها من فنون التأليف التي مرت دراستها^(١) .

فقد مر بنا كتاب (اللغات في القرآن) لابن عباس (ت ٦٨) ، الذي وصّعه للنص على ما استعمله القرآن الكريم من مفردات ترجع الى اللهجات العربية المختلفة واللغات السامية وغير السامية ، وكان سهم اللغات السامية من هذه المفردات كبيرا^(٢) ، ونفترض مثل هذا العمل في سائر ما لم يصل اليها من مؤلفات هذا الفن . كما عرّض اللغويون لهذه المفردات السامية حين تناولوا بعض ظواهر العربية بالدرس ، كظاهرة الاضداد مثلا ، ورجعوا - وهم يماثلون بعض موادها - أحد معني الضد الى إحدى اللهجات السامية ، كما فعل قطرب (ت ٢٠٦) مثلا في مادتي (السامد) و (وُكِبَ)^(٣) ، وابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) في مادة (السامد) أيضا^(٤) ، والاصمعي (ت ٢١٢) في مادة (وُكِبَ)^(٥) ، وابن السكيت

(١) انظر الباب الثاني من هذه الرسالة

(٢) اللغات في القرآن ٤١ ، ٤٧ مثلا .

(٣) اضداد قطرب ٢٤٥ ، ٢٦٤ .

(٤) اضداد ابن حاتم ١٢٤

(٥) اضداد الاصمعي ٤٥

(٢٤٤ هـ) في مادة (وَكَبَ) أيضا ^(١) ، وابن دريد (ت ٣٢١) في مادة (رَجَرَ) ^(٢) ،
 وابن سكر من الأنباري (ت ٣٢٨) في مادة (السَّكَد) و (وَكَبَ) و (طَه) ^(٣) ، وابن
 الطيب اللعوي (٣٥١ هـ) في مادة (السَّكَد) ^(٤) ، وهكذا كثير من النصوص لدى
 هؤلاء وغيرهم من اللعويين في شتى صنوف البحث اللعوي . اذ نجد في معجمات
 اللغة خصوصا كثرة على الالفاظ السامية ، وهي في معرض النص على المعرب ،
 كاساب الذي عقده ابن دريد في الحمهرة (لما تكلّمت به العرب من كلام العجم ،
 حتى صار كاللغة) ^(٥) ، والباين اللذين عقدهما ابن سيده (٤٥٨ هـ) في المحقق
 (باب ما اعرب من الاسماء الاعجمية) و (باب أطراو الابدال في الفارسية) ^(٦) ،
 ولم يمحض الثاني للفارسية بل عرّض فيه ايضا للرومية والبطية والسريانية ؛ ووسع
 من هذين كتب للعرب ، وعلى رأسها (المعرب من الكلام الاعجمي) لابي منصور
 الخوافي (٥٤٠ هـ) الذي صممه النصوص الكثيرة على الالفاظ السامية ، وان
 خطأ في نسبة بعضها الى لغاتها ، كالذي حدث في مادة (الأيل) التي تعني في
 العربية الرأب ، نسبها الى الفارسية ^(٧) . في حين هي سريانية تعني الحزين ،
 واستعمال العرب إياها في المعنى الاول من قبيل المجاز ^(٨) .

وانا حين مزعم ان معرفة اللغويين العرب للغات السامية لم تتعد المفردات ؛
 يجب أن نعترف لهم بأن جانبها مهما من دراساتهم اللغوية ، وما وضعوه فيها من
 آراء ، وما استخلصوه من نتائج ، قد أبده البحث اللغوي المقارن الحديث ؛ وعلى
 الرغم من أن هذه التوصلات المنشأة أو المقاربة في الدرسين القديم والحديث قد
 حدثت مصادفة ، لأن العرب - كما قلنا - لم يدرسوا العربية في ضوء اللغات

(١) إصدار ابن السكيت ١٩٩

(٢) الاستدق ٤٨

(٣) ص ٤٣ ، من الأسارى ٤٣ ، ٩٩ ، ٤٠٤ وانظر - انظر للمعيط ٢٢٤ / ٩

(٤) إصدار ابن الطيب ٣٧٢ / ٩

(٥) حمزة ٣٠٣

(٦) معجم ١٦٦

(٧) معجم ٢٠

(٨) سر ١١٥

السامية ، إلا أن ذلك يدلّ على مصرة أسلافنا الدقيقة في مواميس اللغة ، ودقة ملاحظتهم لحقائقها وقوانينها ووقوفهم على سلها في التطور والسامي وحريّ ب أن تذكر أمثلة من ذلك ، وافق الدرس الحديث الدرس القديم فيها أو في شيء منها ؛ دون أن نعرض لآراء الخليل خاصة ، لأن له موصفاً آخر في هذا الفصل سنأتي إليه :

١- الإبدال : مر بنا أن اللغويين اختلفوا في وقوعه ، فمهم من أشرط وحدة الجبر ، أو قرب المخرج ، في الصوتين المبدلين ، ومنهم من جور وقوعه في الأحرف المتقاربة في حكاية أصواتها ، ولوكانت من مخرج متباينة^(١) . وذهب ابن السكيت (٢٤٤ هـ) وابن فارس (٣٩٥ هـ) وابن سيده (٤٥٨ هـ) إلى إمكان حصوله في اللهجة الواحدة^(٢) ، وحالفهم في ذلك أبو الطيب اللعوي (٣٥١ هـ) ذاهباً إلى أن صورته لهجتان^(٣) .

ومهما يكن من أمر فالإبدال ظاهرة سامية ، إذ نجد في هذه اللغات أمثلة منها ، تختلف قلة وكثرة باختلاف اللغة ؛ وكثيراً ما تشترك اللغات السامية في الاتفاق على أصليين من أصول الكلمة الصوتية وتبدل الأصل الثالث نتيجة القويين الصوتية التي سارت عليها كل لغة من هذه المجموعة ، فكثيراً ما تبدل الباء الأرامية مما في العربية ، والحيم السريانية صداداً في العربية ، وصادا أو سينا في العبرية ، والدال العربية زايماً في العبرانية ، والصاد العربية صداداً في الأكادية والعبرية ، وظاء أو صداداً في الأوكاريتية ، وما إلى ذلك^(٤) . وعلى هذا نعرض بعض صور الإبدال في العربية . فذكروا أنه يقع بين التاء والشاء ، والأول صوت شديد وكثيف صوت رحو ، ومثلوا له بالحيث والحيث ، ومتعوت ومتعوت وذهبوا إلى أن من العرب من يبدل التاء من التاء وهم يهود حير^(٥) . والأمر في ظاهره على خلاف سنن اللغة في

(١) الفقه اللعوي ٦٠ وإبدال أبي الطيب (مقدمة للحق) ٩/١ وفيه اللغة وحاصلها العربية ١٦ والنظر اللعوي التاريخي ١٠٦ وشبه اللغة العربية ونحوها وكثافتها ١٨ ومقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٩

(٢) السامي ١٧٣ وفيه اللغة للكشاني ٥٦٤ والحصص ١٩/١٤ والتطور اللغوي التاريخي ١٠٨

(٣) الزهر ١/١٦٠

(٤) مقدمة في الأصول اللعوية المشتركة ٣ واللهجات العربية في التراث ٢٣٦

(٥) الأصمعيان ٨٠ ، ٨٥

الميل الى الاسهل ، فلا يمكن ان يترك الاخف وهو التاء الى الاثقل وهو الناء ، غير أن
لدرس اللعوى المفارقة أيده بحدوث مثل هذا التعاقب بين التاء العربية والتاء في
اللّهجات الآرامية^(١) .

ويقع بين التاء والقاء وكلاهما رخو مهموس ، أي أنهما متقاربان في المخرج
والصفة ، كالجذث والجذف ، والثوم والقوم ، وقد عزيت صوره بالتاء لأهل
الحجاز ، وبالقاء لتميم^(٢) . وذهب ابن جني (٣٩٢ هـ) الى أن الأصل هو ما كان
بالتاء معنّلاً ذلك بقوله : « ألا ترى التاء أذهب في التصريف من القاء »^(٣) . وقد أبدته
اللغات السامية في النتيجة وإن لم تؤيده في التعليل ، فالثوم في العبرية (sham
شوم) وفي الآرامية (Tuma توما) ، والشين العبرية والتاء الآرامية تبدلان من التاء
العربية^(٤) .

ويقع بين الحاء والحاء وكلا الصوتين حلقى مهموس ، فهما متقاربان مخرجاً
وصفة ، مثل المحسول والمخسول وطخروور وطخروور وغيرها مما روى العلماء
كالفراء والأصمعي وأبي عبيدة^(٥) وابن السكيت وابن دريد^(٦) ، وقال الفراء في تفسير
قوله تعالى : (إِنَّ لَكَ فِي السَّاهِرِ سَبْحاً طويلاً)^(٧) : « فقرأت سَبْحاً ومعناها واحد أي
فرغاً »^(٨) . ويقفنا الدرس الحديث على أن مثل هذا الابدال في الحاء والحاء قد حدث
بين السامية الأم والعبرية^(٩) .

ويقع بين الدال والذال ، والأول صوت شديد ، والثاني صوت رخو ، مثل

(١) اللهجات العربية في التراث ٣٣٨ ونظر أمثلة منه في العربية : ادال لمي الطيب ٩٧/١

(٢) البحر المحيط ٣٣٩/١ وكثر الحفاظ ٦٦٤ والمصباح للنير ٨٤٦/٢

(٣) المحضوب ١٠٠/٢

(٤) التطور النحوي (يرجع لاسر) ٢٣ .

(٥) ادال لمي الطيب ٢٦٥/١ واللزهر ٥٤٣/١ .

(٦) لسان العرب ٣٧٤/٨ والمصباح ٢١٠/٢ .

(٧) سورة الزمل ٧

(٨) معاني القرآن ١٠٢/٢

(٩) التطور النحوي ٢٣

عَدُوَّةٌ وَعَتُوَّةٌ ، وقد روى شذرات من هذا الابدال أبو عمرو الشيباني^(١) ، وقد عُرِيت الذال الى ربيعة والذال الى سائر العرب^(٢) ، ويؤيد هذا النوع من الابدال في العربية ما تجده من ابدال الذال العربية دالا في الآرامية والأوكاريتية^(٣) .

ويقع بين السين والشين ، وكلاهما رحو مهموس : وتقلربا مخرجاً وصفة ، قال به الفراء (٢٠٧ هـ) وذكر أمثلة منه ، ومثله عن الأصمعي (٢١٣ هـ) وابن السكيت (٢٤٤ هـ) وأبي الطيب اللغوي (٣٥١ هـ) ، ومن أمثله سُدَّةٌ وسُدَّةٌ وسَعَرَتْ وشَعَرَتْ ، وحاحِصَةٌ وجَاحِصَةٌ ، وعَشِيقَتِي وعَشِيقَتِي^(٤) . وقد حدث مثل هذا الابدال بين اللغات السامية ، كالذي بين العربية والعبرية ، فسأل في العربية يَدْبِلُهَا (יָדַבְלָהּ) سأل في العبرية ، وسبلة العربية تقابلها (שָׁבַל) شَبِلَتْ في العبرية ، وهكذا^(٥) .

ويقع بين الصاد والضاد ، والأول رحو مهموس والثاني رحو مجهور ، ذكر أمثله الكسائي (١٨٩ هـ) وأبو عبيدة (٢١٠ هـ) وغيرهما ، ومنه الضئيل والضئيل وصباصيب وضبابيب ، والامتضاخ والامتصاص^(٦) . وقراء ابن عباس (٦٨ هـ) : (حَصَبٌ جَهْمٌ) منقوطة ، قال الفراء : يريد الحَصَب^(٧) ، وكلاهما يعني الحطب بلهجة قریش^(٨) . ومَرَّ أن الصاد العربية كثيراً ما تبدل صاداً في الاكادية والعبرية ، وظاء او صاداً في الاوكاريتية ، فمثلاً : الحَصَب التي مرت في الاية الكريمة ، تقابل في العبرية (חָצֵב) حَصَب ، وتعني فيها الحطب أيضاً^(٩) .

(١) لسان العرب ١١ / ١٣٩

(٢) أمال المال ٢ / ٩١ وابدال أبي الطيب ١ / ٣٥٣ .

(٣) اللهجات العربية في التراث ٣٣٩

(٤) ابدال أبي الطيب ٢ / ١٥٥ وابدال ابن السكيت ٢٠ ومر صناعة الاحراب ١ / ٢١٤

(٥) التطور المحوي ١٤ - ١٥ ومن اسرار اللغة ١١٥ .

(٦) لسان العرب ١٣ / ١١٣ والزهري ١ / ١٥٥١ (٧) لسان العرب ١ / ٣١١ .

(٨) اللغات في القرون ٣٧ .

(٩) اللهجات العربية في التراث ٢٣٦

ويقع بين اللام والنون ، وكلاهما صوت مجهور ليس بالشديد ولا بالرحو .
قال الفراء : العرب تقول بَلَّ واللّه وِبَنَ واللّه^(١) ، وروى ابن السكيت : أَلَصْتُ
الشيء أَلِصُّهُ وَأَصْصْتُهُ أُلِصُّهُ^(٢) . وذهب ابن جنى الى اصاله اللام وفرعية النون ، في
احد رأيه^(٣) ، والى اصاله كلا الصوتين ، في رأيه الثاني^(٤) . وحصل مثل هذا
الاببدال بين الساميات ايضاً ، فكلمة صَمَّ العربية تقابل (Selem) صَلَّمَ العبرية ، و
(šalmā) الأرامية^(٥) .

ومما يتصل بهذا النوع من الابدال ، ابدال الميم والنون ، وهما من الاصوات
لتوسطة الشبيهة باصوات اللين^(٦) ، ومن امثله في العربية : النام والبنان ، وطامه
وطنه ، والأيثم والأين^(٧) . وقد حدث بين بعض اللغات السامية وبعضها الآخر
كأنذي حدث مثلاً بين العربية واللغات اليمنية القديمة كالحميرية^(٨) .

٢ - الضمائر . وقد اختلف اللغويون في حقيقتها ، فذهب من ذهب الى ان
جميع اصواتها اصول ، ومنهم من رأى الزيادة الطارئة في اصولها ، على ما سنراه
هنا :

ذهب البصريون الى أن لَف (أنا) رائدة ، سجد بها تفريقاً للضمير ان عن
الادوات ، وما هي الا فتحة النون المطولة . اما الفراء والكوفيون فرأوا ان لا زيادة
في (أنا) و(تحنن) ، وان جميع اصواتها اصول^(٩) . يؤيد ذلك ان الضمير أنا في
الحبشية (ana) أنا ، وفي الأرامية (ena) إنا ، وفي السبئية والمعمية (ana) ، وفي

(١) لسان العرب ١٣/٢٤

(٢) ابدال ابن السكيت ٩

(٣) الخصائص ٢/٨٤

(٤) لسان العرب ١٦/٢٠٩

(٥) التطور النحوي ٢٤

(٦) الاصوات المعوية ٦٠

(٧) شاذية ابن الجاهل ٣/٢١٦ - ٢١٩ ولسان العرب ١٦/١٨٧

(٨) اللهجات العربية ٣١١ - ٣١٢

(٩) شرح للمصنف ٣/٩٤ وشرح الاشبوي ١/١٢٦ .

العبرية (anu) أني ، وفي البابلية والآشورية (anaku) ، وكلها تحتفظ بالأصول الثلاثة للضمير ومثله الضمير نَحْنُ فهو في الحثية (nehna) نَحْنُ ، وفي الآرامية 'enahna' إنحنان ، وفي السبئية والمعينية (nahnu) نَحْنُ ، وفي العبرية 'anahnu' أنحنو وفي البابلية والآشورية (anuni) أنيني^(١) ، وهي جميعاً تحتفظ بأصوله السامية كالعربية .

ودهب البصريون إلى أن (أن) هي الضمير في أنت ، والتاء لحقت بدلالة على الخطأ مثل الكاف^(٢) . وذهب الفراء والكوفيون إلى أن أنت جميعاً الضمير بما في ذلك التاء^(٣) والضمير في الحثية (anta) أنتا ، وفي الآرامية (ant) أنت ، وفي السبئية والمعينية (anta) أنتا وفي العبرية (ana) أنا ، وفي البابلية والآشورية (atta) أتا^(٤) . والتاء أصل في الضمير في جميع هذه اللغات .

ودهب البصريون إلى أن إاء والواو في (هو) وإهاء والياء في (هي) جميعاً الضمير ، وحالفهم الكوفيون فذهبوا إلى أن إاء وحدها في كليهما الضمير^(٥) وهما في الآرامية hu هو ، و hu هي ، وفي السبئية والمعينية (hua) هو ، و (hia) هي ، وفي العبرية (hu) هو ، و (hi) هي وفي البابلية والآشورية (su) سو ، و (si) سي^(٦) . وفي جميعها - عدا السبئية والمعينية - نحد الضمير إاء وحدها أو السين المدللة منها في البابلية والآشورية ، ولما كانت إاء الساكنة محتاجة إلى ما يوصل بها ليتوصل إلى نطقها ، وصلت يواو ساكنة للمذكر ، وياء ساكنة للمؤنث .

٣ - أسماء الإشارة : واختلفوا في أصولها بمثل اختلافهم في الضمائر ، فذهب البصريون إلى أن الاسم في (ذا) هو الذال والالف جميعاً ، وذهب الكوفيون إلى أن

(١) تاريخ اللغات السامية ٩ والفصل في قواعد اللغة السريانية ١٨

(٢) كتاب صيبويه ١٧/٢

(٣) شرح الفصل ٩٥/٣ وشرح الرضي على الكافي ١٠/٢

(٤) تاريخ اللغات السامية ٩

(٥) الأصناف : مسألة ٩٦ .

(٦) تاريخ اللغات السامية ٩

الاسم الدال وحدها^(١) . والاسم في الحبشية (Ze) زَ ، وفي العبرية (Ze) زَ^(٢) . وهذا يدل على ان الاسم هو الدال وحدها ، بعد ان مُطلت فتحتُها فصارت أَلْماً ، وكانت هذه الفتحة في الاصل موضوعة للتوصل الى النطق بالذال الساكنة

٤ - الاسماء الستة . ذهب اللغويون بصريين وكوفيين - من غير اجماع - الى ان هذه الاسماء ثلاثية الاصوات في الاصل ، أسقط الاستعمال الاصل الثالث منها^(٣) . وفيما يعابلهما في اللغات السامية ما يؤيد ذلك ، فأب في الآشورية والبابلية : أبو ، وفي الآرامية : أبا وأخ في الآشورية والبابلية : أخو ، وفي الحبشية واليمنية القديمة : أحو ، وحَم في الآشورية والبابلية : أمو ، وفي الآرامية : حَم^(٤) . وهذا يدل على أنها في العربية كانت ثلاثية ، ثم أسقط الاستعمال الاصل الثالث منها ، وعُدَّت خطأ في الثنائيات . على أن تثليث هذه الاسماء بحرف المد واضح في اللغات السامية .

٥ - الأدوات والكلمات :

لَيْسَ : ذهب البصريون الى انها فعل ماضٍ لا يتصرف اصلها لَيْسَ بكسر الياء^(٥) . وذهب القراء - بعد الخليل - الى ان اصلها لا أَيْسَ^(٦) ، وقد أيد مذهب لدرس المقارن ، فليْس يعابلهما في الآرامية . (lat) لَيْتَ ، أي انها مركبة من لا واسم معناه الوجود ، يلغظ فيها : (itai) يت ، وفي العربية (ies) يَشُ (يا ت) ، وفي الآرامية القديمة . (itai) إيتَ ، وفي الاكدية : (iso) إسو . وعليه فان (at) التي تعني لا يوجد في الآرامية هي لَيْسَ بمعناها الاصل في العربية^(٧) .

(١) الاصل : مسألة ٩٥

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٠

(٣) الاصل : مسألة ٢ وشرح الاضوي ٨٠ / ١ ومجلس ثعلب ٤٦٨ / ١ وجميع لمراجع ٢٨ / ١

(٤) تاريخ اللغات السامية ٢٨٣ ، ٢٨٦ .

(٥) معجم اللغات ٢٢٧ - ٢٢٨

(٦) لسان العرب ليس

(٧) التطور الحوي ١١١ ولحن العلم والتطور المقوى ٣٧٣

لكن: ذهب البصريون الى انها بسيطة غير مركبة ، وذهب المرء والكوفيون الى انها مركبة على خلاف بينهم في اصولها للمركبة^(١) . وحين أيد الدرس اللعوي المقارن فكرة تركيبها ، لم يصحح الاصول المركبة التي افترضها اصحاب هذا الرأي - على ما سنعرض له في موضوع لاحق - ذلك أن لكن مركبة من لا وكن لتي تماثل كلمة : (Ken) كن العبرية التي تعني : هكذا^(٢) .

كَمْ : ذهب البصريون أيضاً الى افرادها ، والقراء والكوفيون الى تركيبها ، وبها في الاصل ما وصلت من اولها بكاف^(٣) . والدرس اللعوي المقارن مصدر فكرة التركيب ، فكَمْ في أصلها : (Kama) كما ، كما كانت لم في الاصل : (a - ma) لا ما ، وأم : (a - ma) أما^(٤) . والاستعمال هو الذي ذهب بالالف من آخرها .

نخلص من دراسة هذه الامثلة ، وكثير غيرها في مصنفات الاوائل ، لم نعرض له اكتفاء بما قدمنا ، الى ان اللغويين العرب حين عالجوا هذه الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية في اللغة ، لم ينظروا اليها على انها ظواهر سامية عامة ، تشترك فيها العربية مع احواتها في احتوائها ، واحتضان اصولها ، لأن نتائج معالجاتهم لها صادفت الصحة والقول في الدرس اللغوي الحديث حين عمد لدرس الاحير الى دراسة العربية في ضوء اللغات السامية ، وهذا يدل - كما فسأ في صدر الموضوع - على سلامة المنهج الذي أخذ به الدارسون الاوائل الذين عصب لأرئهم ما الى حد كبير في دراسة اللغة وفهمهم لاسسها في التطور ، على ان هذه لمصادفة قد تحلت عنهم في كثير من الاحيان ، وحبائهم الصواب في بحث كثير من مسائل اللغة وقضاياها ، وهذا ما سنعرض لامثله الآن .

٣- جهل اللغويين العرب باللغات السامية وأثره :

أشرنا في اكثر من موضع سابق الى ان العرب درسوا اللغة داخل سمع

(١) للمي ٢٣٦ وشرح التفصيل ٧٩، ٨

(٢) التطور اللغوي ١١١

(٣) التصحيحي ١٢٩ والاصناف مسألة ٤٠

(٤) التطور اللغوي ١١١

بمسماها ، واعني بها العربية ، فأدى ذلك الى « أنهم لم يوقفوا في بيان المعاني الدقيقة التي يؤدّيها كثير من الكلمات ، لانه ليس من الممكن في كل الاحوال أن يمتدي الباحث الى أصل اشتقاق الكلمة ، اذا اقتصر بحثه على لغة سامية واحدة »^(١) ، مهما بلغ حسه اللغوي من دقة ، واجتهاده في الدراسة من عمق ، ذلك ان العربية مرت بمرحل تاريخية طويلة ومعقدة حتى وصلت الى ابصار اللغويين واسماءهم ، فلا يمكن الوقوف على مراحل هذا التاريخ الا من خلال دراسة العربية دراسة مقارنة مع حواشي الساميات ، وهو ما لم يفعله اللغويون العرب ، فكان تقصيرهم في هذا مظهرا من مظاهر النقص في الدرس اللغوي القديم ، ولعرج على امثلة من دراستهم :

١ - الاصوات : نسب اللغويون الى بعض اللهجات العربية ، ظواهر صوتية خاصة ، وتعارفوا على تلقيب هذه اللهجات باللقاب تشير الى ظواهرها الصوتية ، فقالوا مثلا : حَلْخَانِيَّةُ الفرات ، وَكَسَكَسَةُ بَكر ، وَغَمَمَةُ قُصَاعَة ، وَطَمَطَانِيَّةُ خَبر ، وهكذا ، ويبدو أنهم اخذوا ذلك - أعني الالفاظ - مما تناقلته المصادر من خبر الرجل الجرمي في مجلس معاوية ، ولم يسم هذا الرجل في مطلق الخبر ، وخلاصة الخبر ان معاوية سأل هذا الرجل عن اصبح العرب ، فاجاب الرجل مادحا فصاحة قريش ، بأنها ارتفعت عن حَلْخَانِيَّةِ الفرات ، وَكَسَكَسَةُ بَكر وَغَمَمَةُ قُصَاعَة . . الخ^(٢) . ويشعر هذا التلقيب بانه انتقاص من لهجات هذه القبائل ، لان الرجل في معرض المفاضلة ، فلا بد من ذكر مساوي المفضل ، كما تشعر بذلك مواقف اللغويين من هذه الظواهر ، ولعل ذلك يعود الى سببين ، الأول : احترام لهجة قريش وتنزيهاها عما يشوب فصاحتها ، لانها عندهم لغة القرآن ، ولا مفر للوصول الى هذه الغاية من الطعن في اللهجات الاخرى ، والثاني : جهلهم بأن هذه الظواهر سامية عامة اشتركت هذه اللهجات العربية مع اللغات السامية في احتضانها ، واليك الدليل :

الاستقْطَاء - لُقبت به لهجات سعد بن بكر وهذيل والازد وقيس والانسار

(١) تاريخ اللغات السامية ٢١٧

(٢) البيان والتبيين ٢/٣١٢ والمقدّم القريش ٢/٤٧٥ وجدة القوافي ١١٤ وخزانة الأدب ٤/٤٩٦ .

واهل اليمن^(١) . ويقصد به في الدراسات القديمة ابدال العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء ، ولم يذكر له الامثال واحد هو أنطى في أعطى ، وقرأ الحسن . (إنا أنطيناك الكوثر)^(٢) بدل أعطيناك^(٣) . وكل ما ذكر من شواهد الاستطاء الشرية والشعرية لا يخرج عن هذا المثال^(٤) . والحقيقة ان الدرس الصوتي لا يعد هذا من الابدال ، اذ يشترط القرابة الصوتية بين الصوتين المبدلين^(٥) ، وليس بين العين والنون أية قرابة صوتية ، لا في المخرج والحيز ولا في الصفة . والدرس المقارن يكشف ان الفعل في الساميات بالنون قاعطى في العبرية : (721) تس ، وفي السريانية : (721) ويلفظ تن كالفعل العبري تقربا ، وفي العبرية ايضا الفعل : (721) نطا ، الذي يستعمل في مثل قولنا : (721) نطا يدو إلى : مَدَّ يَدَهُ إلى ، أي أخذ وهو المعنى المصاد لأعطى العربي^(٦) ، والموافق لعطا يعطو الذي يعني : أخذ وتناول . من هذا نخلص الى ان النون أصيلة في الفعل أنطى ، وهو الفعل السامي القديم . ويذهب استاذنا الدكتور السامرائي الى ان الفعل أنطى مأخوذ من أتى بمعنى أعطى ، ثم ضعفت التاء فصارت أتى ، وحين فك الادغام كان بالنون على سنن العربية واللغات السامية ، من فك المضعف بالنون أحيانا كجندل من جدل^(٧) . وقد يفك بغير النون .

الفَحْصَةُ : لقبت به لمجة هذيل^(٨) ، وهو جعل الحاء عينا ، ولا مثال على هذا فيما تذكر المصادر سوى عتّى في حتى ، وقرأ ابن مسعود : (عتّى حين)^(٩) بدل حتى حين ، وانكر ذلك عليه عمر^(١٠) . والمصادر لا تتجاوز في جميع شواهد المذكورة

(١) الفائق ٨/١ والنهاية ٧٦/٥ والاعتراح ٨٣ والمزهر ٢٢٧/١ .

(٢) سورة الكوثر ١

(٣) نعيم الطبري ٢٠/٢١٦

(٤) النهاية ٧٦/٥ وابدال ابي الطيب ٢/٣١٨ .

(٥) سر صناعة الاحراب ١/١٩٧

(٦) التضاد في صوء اللغات السامية ٦٦ وفصول في لغة العربية ١٠٤ خلا عن Ancient West Arabian p. 32

(٧) دراسات في اللغة ٢١٧

(٨) الاعتراح ٨٣ والمزهر ٢٢٢/١

(٩) سورة يوسف ٣٥

(١٠) المحاسب ١/٣٤٣

الطمطمانية : لقيت بها لهجات الازدوطيء واليمن وحير^(١) ، ويقصد بها ابدال اللام من (أل) التعريف مباء فتقول في المكر امكرو منه حديث السي (ص) (ليس من امير امصيام في امسر) اي : ليس من البر الصيام في امسر^(٢) ، وشواهدنا كثيرة في العربية ، والطمطمة ان يكون الكلام مشبها لكلام المعجم^(٣) ، والطمطمانية^(٤) . العجمة^(٥) . فهم حين سموا هذه الظاهرة بالطمطمانية ، انما يريدون رميها بالمعجمة ، وكأشها غير عربية ، فهل يشكون في عروبة القائل التي استعملت هذه الاداة ؟ ان مثل هذا الابدال ، واعني به بين اللام والميم ، كثيرا ما يقع في اللغات السامية ، فقد مر بنا الكلام على ابدال اللام والنون ، والميم والنون ، والان نحن بصدد ابدال اللام والميم ، وهذه الاصوات الثلاثة (اللام والميم والنون) تعد من الاصوات المتوسطة الشبيهة باصوات اللين ، وهي من اكثر الاصوات شيوعا في اللغات السامية^(٦) وكثيرا ما يُبدل بعضها من بعض في هذه اللغات ، فنجد - على هذا الأساس - ان أداة التعريف هي (النون) تلحق آخر الكلمة في اللغات اليمية القديمة^(٧) . و (أم) في عليء والازد وحير ، و (أل) أو (اللام) - على خلاف في ذلك -^(٨) في سائر لهجات العربية .

هذا ما اردنا بيانه من امر الظواهر الصوتية الملقبة لدى اللغويين ، اما ما سوى ذلك من معالجاتهم الصوتية ، فمها :

طامن : ذهب اللغويون ومنهم سيبويه الى ان الهمزة في هذا الفعل اصلية ، وكذلك هي في مقلوبه طمان^(٩) ، ومنه اطمأن الذي يعني : سكن واستقر ، على ان من اللغويين من لم ير اصاله الهمزة في الفعل ، فالأزهري ذهب الى أن : الهمزة

(١) مجلس ثعلب ٧٣/١ واللذني ٤٧/١ ولسان العرب ٣٠١/١٤ ولسان الملو ٣٩ .

(٢) قوة الفواص ١١٤ ولسان العرب ١١٦/٥ .

(٣) الكامل ٢٢١/١ .

(٤) اللغات ٤٥٩/٢ .

(٥) الاصوات اللغوية ٦٠ .

(٦) تاريخ العرب قبل الاسلام (قسم اللغوي) ٢٣/٧ .

(٧) شرح لسان عقيل ١٥٣/١ .

(٨) النصف ١٠٤/١ ولسان العرب ١٧٨/١٧ .

التي حلت في اطمأن ، انما حلت فيها حذار الجمع بين الساكتين^(١) . وهو مذهب صحيح ، لأن الاصل في الفعل : اطمأن . ويقابل (طَمَنَ) وهو الثلاثي من هذا الفعل في المربية : الفعل (طَمَنَ) في العبرية ، ويعني فيها أخفى ، وما حمي سكر واستقر^(٢) ، ولا وجود للهمزة فيه ، مما يدل على عدم أصالة الهمزة في هذا الفعل في اللغات السامية ، وانما هي همزة حالة فيه لانخضاعه لموسيقى الشعر ، حين استعصى وزنه التقديم على العروض^(٣) .

إبدال التاء من الصاد : كما في اللص واللصت ، فقد ذهب اللغويون الى أن الاصل هو ما كان بالصاد أي (اللص) وأن (اللصت) بالتاء فرع عنها^(٤) ، وذكروا في جمعها : نصوص ولصوت واستشهدوا لها^(٥) ، ونسبت الصيغة التي بالتاء الى طي ، وأهل اليمن وبعض الانصار وغيرهم^(٦) . فهل من نوايس اللغة - ان كانت اللص أصلاً واللصت فرعاً - أن يبدل العربي الصاد الرحوتاء شديدة ؟ الاحتكام الى بعض اللغات السامية يكشف أن اللصت بالتاء هي الاصل واللفظ بالصاد الفرع ، فهي في السريانية (leste) لستس^(٧) ، والتاء أصلية فيها .

اسقاط الواو من الافعال : وذلك بأن يكسب مكانها بالصمة ، واستشهد اللغويون لهذه الظاهرة بشواهد كثيرة ، تشير الى انها من الظواهر اللهجية ، وقد نسبها الفراء (٣١٧ هـ) الى قيس وهوازن^(٨) ، ونسبها سيبويه الى قيس واسد^(٩) ،

(١) تهذيب اللغة ٣٧٧ / ١٣

(٢) فصول في فقه العربية ١٨٤

(٣) نفسه ١٧٢

(٤) لسان العرب ٣٥٦ / ٨ وفي اللهجات المربية ٩٢

(٥) إبدال ابن السكيت ٤٢ واللسان ٣٨٩ / ٢ .

(٦) المذكر والمؤث ٢٥ والمخصص سفر ١٦ / ١٧ وإبدال السكيت ٤٢ والجمهرة ١٠٣ / ١ ، العرب ٢٢١ ولسان

العرب ٣٥٦ / ٨

(٧) التطور المحوري ٢٢

(٨) معاني القرآن ٩١ / ١ .

(٩) الكتب ٣٠٦ / ٢

وقرأ بعضهم قوله تعالى : (سَدَّعُ الزَّبَانِيَّةُ) وهي سَدَّعُو^(١) ، وقرأ آخر : (قد أفلحُ المؤمنون) يريد أفلحوا^(٢) . والذهاب الى كونها طواهر لهجيه مذهب سليم ، إلا ان انكار ذلك والذهاب الى أن هذا الحذف إنما هو من الضرورات الشعرية ، وبه فسرت الشواهد الشعرية المروية^(٣) ، فذلك ما لا يؤيده البحث العلمي ، لأن من الشواهد ما لم يكن شعرياً فلا ضرورة فيه ، كالقراءات ومثلنا لها . ولأن حذف الواو والاكتفاء بالضممة ظاهرة سامية عامة ، لها ما يؤيدها في الحبشية والعبرية والآرامية^(٤) .

٢ - البنية : وللغويين وقفات عند مسائل بنية الكلمة العربية ، من حيث ما يعتورها من قلب واشتقاق ونحت وتركيب وما الى ذلك ، محال لم يكن حظ درسم اياه باحسن منه في الاصوات ، واليك أمثلة منه :

القلب : مرَّ أن العربية عرفت القلب وتكثرت منه ، شأنها في ذلك شأن اللغات السامية وخاصة العبرية التي عرفت كثيراً أيضاً^(٥) . ويحدث أحياناً بين اللغات السامية ، بأن تنفرد احدها بصورة المقلوبة ، كالذي حدث بين العربية واخواتها في (رُكْبَة) و (بَرْكَة) ، فقد ورد في المعجم العربي في مادة (بَرَكَ) « وابترَكوا في الحرب : جثوا على الركب »^(٦) اذ يدل ذلك على حصول القلب في هذه المادة ، فأي الصورتين الاصل وأيهما الصرع : العربية احتضنت بالركبة اسماً للموضع المعروف من الحسد ، فتحكم اللغويون بأصلاته ، يقابلها في اللغات السامية : (burka) بركة في الاكدية ، (herck) برك في العبرية ، (burka) بُركا في الآرامية ، (berk) برك في الحبشية^(٧) . وهذا الذي نجده في اللغات السامية ينفي عن (الركبة)

(١) معاني القرآن ٩١/١ وحركة الأدب ٢/٢٨٥ .

(٢) مائبة المصابي ١١٢/١ . وانظر . حركة الأدب ٢/٢٨٥ وجمع المراجع ١/٥٨ .

(٣) حركة الأدب ٢/٢٨٥ .

(٤) اللهجات العربية في التراث ٥٥٥ خلافاً عن مولدك في كتابه . Endungen des prefeks JP 15 Strassburg .

(٥) تاريخ اللغات السامية ١٦٥ .

(٦) أساس اللغة ٣٧ .

(٧) التطور النحوي ٧٢ .

العربية أصالتها ، ويصرح بأنها مقلوبة عن الأصل السامي : بركة .

صحيح الفعل : ذهب اللغويون الى أن : قَوْلَ ، وَيَبِعَ ، وَرَمَى ، وَتَلَوُ التي هي أصول الاعمال للمعتلة العين واللام : قال . وباعَ ، ورَمَى ، وتَلَا ، لم تستعمل في العربية . وإنما هي اصول قياسية مفترضة ، غير ان الحشية تقول : بين بمعنى تحقق ، ويقابل (بآن) العربي ، ودين بمعنى دانَ ، ورَمَى ، بمعنى رمى ، وتَلَوُ بمعنى تلا ، وهذا يشير الى ان هذه الصيغة الاصلية كانت مستعملة في اللغات السامية ، قبل أن تنتقل فيها العربية الى مرحلة استعمال الصيغ الجديدة^(١) ، التي استحدثتها طلب اليسر في النطق بالابتعاد عن توالي ثلاث حركات .

الاشتقاق . اختلف اللغويون في حقيقة همزة (اسم) ، فاحتلوا في الاصل الذي اشتقت منه اللفظة ، فذهب البصريون الى ان اسم مشتق من السمو ، فالالف عوض عن الواو ، وذهب الكوفيون الى ان اسم مشتق من الوسم ، والالف عوض عن الواو أيضاً^(٢) ، وكلا الفريقين بعد عن الحقيقة ، واكبر الظن ان الذي اوقع اللغويين فيما وقعوا فيه ، تمسكهم الشديد بفكرة ثلاثية الاصول العربية ، ذلك انهم حين تأولوا همزة (اسم) أصلاً كانوا قد تناولوا (يد) و (دم) واشباههما من الثنائيات أصلاً ثالثاً . والدرس اللغوي المقارن يدل على ان هذه الثنائيات في العربية ما هي الا بقايا من مرحلة لغوية سابقة ؛ فاسم في العربية (sm) شِم ، وفي آرامية (Smā) شِمَا والالف الاحيرة اداة تعريف . وفي الحشية (Sem) سِم ، وفي الاكدية (sumu) شِم^(٣) . وجميع هذه اللغات نسي ، ان همزة اسم غير أصيلة ، وان الكلمة ثنائية الأصل .

النحت . ومن أمثله (لكن) و (اللهم) ، وسنرى ان فلما إن اللغويين احتلوا في لكن ، فمنهم من ذهب الى انها مصرفة بسيطة ، ومنهم من ذهب الى انها محوطة ، وذكرنا ان الدرس المقارن أيد المذهب الثاني ، ولكنه لم يؤيد ما ذكرناه

(١) أصول في لغة العربية ٣٣ ومن اللغة والتطور اللغوي ٣٧٤

(٢) الصحاحي ٨٨ ط ٢ ، والانصاف : مسألة ١

(٣) دروس اللغة العربية ٢٥ وحصول في لغة العربية ٣٤

من الاصلين المنحوتين ؛ فالمرء حين قال بأنها منحوتة رأى أن اصلها (لكن أن)
 طرحت الهمزة للتخفيف ونون لكن للساكنين ، وذهب غيره من الكوفيين الى أن
 اصلها لا وأن والكاف الزائدة لا التشبيهية ، وحذفت الهمزة تخفيفاً^(١) عبر ن
 الدرس المتأخر لم يصحح المنهين اللذين ذهب اليها الفراء والكوفيون في الاصول
 المنحوتة ، وكشف أن لكن مركبة من (لا) و (كن) التي تقابل (كن) العبرية
 التي تعني هكذا ، وتستعمل بمعنى (نعم) في الجواب^(٢) .

أما (اللهم) فقد ذهب سيويو والبصريون الى أنها في الاصل . (الله) وميم
 مشددة في الآخر تنوب عن (يا) النداء في الاول^(٣) . وذهب الفراء والكوفيون الى
 أنها منحوتة من (يا الله أمّا بخير) ، وكثرة الاستعمال حدثت بعض اجراء الاصول
 تخفيفاً ، ولم تسعف الشواهد المشددة كلا الفريقين بما كان يريد منها^(٤) . وجاء
 العلم اللغوي المتأخر فوجد أن صيغة اللهم ليست عربية ، وإنما هي في الاصل :
 (𐤋𐤍𐤌𐤍) إلوهيم العبرية ، التي تعني فيها الالهة ، لأن فيها علامة الجمع الياء
 والميم (𐤋𐤍) ، ولكن الاستعمال لا يريد منها غير (الله) وعلامة الجمع إنما جاءت
 للتعظيم^(٥) .

٣ - الدلالة . وكانت بحوث اللغويين العرب في الدلالة وظواهرها ، تنفرد
 أيضاً الى معرفة اللغات السامية ، إذ كان نتيجة جهلهم بهذه اللغات ، أن وقعوا في
 أوهام كثيرة زحرت بها مؤلفاتهم ، ومن أمثلة ذلك بحوث الاضداد :

سجد : ذهب الاصمعي وابن السكيت وابن الانباري وابو الطيب الى أنه
 تعني في اللغة (انحنى) و (انتصب) وتُرب للمعنى الثاني الى طيء^(٦) . وكلا
 المعنيين يعود في الاصل الى معنى عام يصدق على الانحناء والانتصاب هو الخُصوع ،

(١) المقي ٢٢٦/١ وشرح الفصل ٧٩/٨ .

(٢) التطور النحوي ١١١ ودروس اللغة العبرية ٢٤٠

(٣) الكتاب ١/٣١٠ والاصناف : مسألة ٤٧

(٤) الاصناف : مسألة ٤٧ وشرح الفصل ١٦/٢ . والاشباه والنظائر ١٦٢/٢

(٥) مجلة لغة العرب ، السنة (٧) ١٣٧/٢ ودروس اللغة العبرية ٤٤٣ - ٤٤٣

(٦) اضداد الاصمعي ٤٣ وابن السكيت ١٩٦ وابن الانباري ٢٩٤ وابو الطيب ٣٧٨/١ .

والله أشار الزبيدي^(١) ، والفعل (٢١٣) سأكد في العربية معني الخصوع في واحد من معانيه ، مما يشير الى المعنى السامي القديم ، ول ان يخصص في طبيع معني لانتصاب وسائر الفئاتل الاخرى بمعني الامحاء^(٢) .

وثب ذكر قطرب (٢٠٦) والاصمعي (٢١٣) ، وابن السكيت (٢٤٤) وابن الانباري (٣٢٨) ، ان الفعل يصرف الى معيين هما (قفر) و (جلس) . وسبب الثاني لاهل حمير^(٣) ، وهذه السببة تشير الى الاصل ، والفعل (٢١٣) يشب العربي معني جلس أو أقام^(٤) ، ومثله الفعل السرياني (٢١٣) يشب ، مما يجعلنا نطمئن الى انه المعنى السامي القديم ، وقد تطورت دلالة في مواطن عربية فصيح معني قفز وبقيت في الحميرية دلالة الاولى .

جَوْن : ذكر الاصمعي (ت ٢١٣ هـ) وابو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) وابن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) وابو الطيب (ت ٣٥١ هـ) والثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، ان اللفظة تعني (الاسود) و (الابيض) ، ونسوا المعنى الاول الى قصاعة^(٥) . والمعنيان يعودان الى معنى عام هو اللون ، وقد استعمل السبي (ص) اللفظة بهذا المعنى العام ، حين سأل اصحابه في صحابة مرت فومهم : « كيف ترون جَوْنًا » يريد معنى اللون المطلق^(٦) . يدعم ذلك ما نجده في اللغات السامية ففي العبرية : (٢١٣) ج ، و ، ن وتلفظ كفان ، و (٢١٣) وتلفظ كافن ، و (٢١٣) وتلفظ كَفُون ، ويراد بها جميعا اللون المطلق ، وفي السريانية : (٢١٣) كَوْنَا ، و (٢١٣) كَوْن ، و (٢١٣) كَوْن ، ويراد بها اللون ايضاً^(٧) وهذا يظهر ان

(١) لاج المروس ١٧٢/٨

(٢) الاصدار في النعمة ١٢٩

(٣) اصدار قطرب ٢٦٤ والاصمعي ٤٥ وابن السكيت ١٩٩ وابن الانباري ٩١

(٤) الاصدار في اللغة ١٣٣ والتضاد في ضوء اللغات السامية ٩٦ .

(٥) ابن الاصمعي ١٢٧ والغريب للصف ٥١٩ و الاصدار ابن الانباري ١١١ وابن الطيب ١٥١/١ وفيه اللعنة

(الثعالبي) ٥٦٥ (٦) بواند ابن الاعرابي ٨٨ والاقبال الثاني ٩/١ وانظر - القاموس المحيط (جون) (٧) الاصدار

في النعمة ١٣٥ والتضاد في ضوء اللغات السامية ١٠

الجذر السامي للفظ مشترك في لغات المجموعة السامية ، ودلالته على اللون مشتركة ايضاً ، ثم تخصص في العربية بالاسود لدى قضاة ، وبالابيض لدى سائر الناطق العربي . وعليه فليس من العلم أن ينسب احد الباحثين الى العارسية لفظة الحون بهذا المعنى العام ، ذاهبا الى انها من المعربات عنها^(١) .

إسحق : ذهب ابن الأنباري (٣٢٨ هـ) وحده الى ضدية هذا العلم ، متكلما لما في كونه اعجمياً مجهول الاشتقاق ، وعربياً من أسحقه الله إسحاقاً^(٢) . وهو اعجمي الاصل لا غير ، ولا تضاد فيه ، وهو في العبرية : (שִׁחָ) يصحاق^(٣) ، استعمله القرآن بعد أن أبدل بعض أصواته تسهيلاً وابتعاداً عن المعبة ومثله يعقوب ، وأيوب^(٤) .

طه . وابن الأنباري ايضاً وحده القائل بضدية هذين الصوتين ، ذاهبا الى أن معنيهما بالسرانية ، ولغة عك : يارجل ، وهي ايضاً علامة لانقطاع السورة من لتورة ؛ ونقل في ذلك اختلاف المفسرين^(٥) . وذهب مذهب ابن الأنباري أبو حيان ، وقال انها تعني يارجل بالبطية والحشية والعبرانية واليمينية وغيرها ، ونقل عن ابن عباس والحسن والكلبي اهم فسرُوا (طه) بيا رجل^(٦) ؛ والحقيقة أن طه صوتان منمردان (طه) و (هـ) بمنزلة (ألم) و (يس) و (المر) التي تبندى به اسور ، كما ذهب الى ذلك الفراء^(٧) . ثم سمي بها النبي (ص) تكريماً له وليس في ذكر ابي الاساري وأبو حيان من اللغات السامية ما يؤيد وجود طه بمعنى يارجل^(٨) .

٤ - التذكير والتأنيث : لم تكن اللغات السامية في مراحلها الاولى تفرق بين

(١) لدى شير . الألفاظ الفارسية للمعربة ٤٩

(٢) اصدار ابن الأنباري ٤١٥

(٣) الاصدار في اللغة ٢٢٨ وفروسي اللغة العربية ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٤) اصدار ابن الاساري ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٥) اصدار ابن الاساري ٤٠٤ .

(٦) البحر المحيط ٢٢٤ / ٦

(٧) اصدار ابن الاساري ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٨) الاصدار في اللغة ٢٢٩ واللهجات العربية في التراث ١٥٦

حمسي المذكر والمؤنث ، وحين تطورت هذه اللغات ومالت الى التفریق ، واستخدمت علامات التانيث ، بقي فيها من المفردات ما يشير الى تلك المراحل السابقة ، اذ واجه الدارسون العرب القدماء مفردات كثيرة تضطرب في الاستعمال بين التذكر والتانيث ، بحسب لهجة الناطق بها^(١) ؛ ولما كانوا يحرصون أشد الحرص على توحيد اللغة بالقواعد المطرقة ، والقياس الشامل رفضوا بعض المؤنثات لأن الأكثر تذكيرها ، وأولكوا بعض المذكرات لأن الأوسع أو الأوضح تأنيثها^(٢) ووقعوا من جراء ذلك في خلاف ، منشأه الاختلاف المنهجى في النظر الى فصاحة اللهجات ، ثم ردّوا بعض ما جاء في الشعر من تذكير أو تانيث بخالف ما قرروه الى الضرورة^(٣) ، وفي القرآن الكريم شيء من ذلك اذ يستعمل اللفظة مذكرة مرة ومؤنثة أخرى^(٤) ، فهل في القرآن ضرورة ؟ ولو أدرك اللغويون أن هذا التغير في استعمال المذكر والمؤنث موجود في جميع اللغات السامية ، وهو يمثل في جميعها المراحل القديمة ، وأن اللغة حين بدأت تميل الى التفریق ، تخصصت بعض الالفاظ بالتانيث في لهجات من العربية ، وبالتذكير في لهجات أخرى^(٥) ، أو تخصصت بالتانيث في لغة سامية وبالتذكير في لغة أخرى ، أقول لو أدركوا ذلك لما حكموا على العاظ هذه الظاهرة بأحكامهم التي أشرنا اليها . فمن ذلك :

الكفّ : ذهب الفراء الى أنها مؤنثة ، وحمل استعمالها في بيت الاعشى الذي أشدّه اياه يونس :

إلى رجل مهم أسير كائما يضم الى كُنْحِيهِ كفاً هضفاً

على الضرورة^(٦). وكان البيهقي (م) قد استعملها مذكرة في قوله : « مضمر »

(١) نحو العربي مندوب ١٣٥ - ١٣٦ ومن اسرار اللغة ١٤٦

(٢) تذكر والمؤنث (المراك) ٢٥ والمخصص ١٧/١٧

(٣) المصدر والمؤنث ٢٧ والمخصص ١٦/١٧ والمخصص ٤١٨/٢

(٤) سور ان عمراء ٤٣ - ١٨٣ سورة القدر ٣٠٩ وآل عمران ٨٦

(٥) تذكر والمؤنث ٢٧ والمخصص ٤١٦/٢ واصلاح اللغز ٣٥٨ ولسان العرب ٢٨/٦

(٦) تذكر والمؤنث للمراك ١٧

واستشيق من كفى واحده^(١) ، ومن العرب من ذكرها ايضاً^(٢) ، واداً عرحت على اللغات السامية ، نجد الكف مؤنثة في العبرية والسريانية ، ومذكرة في الآرامية^(٣) ، وعرفنا انها تؤنث وتذكر في العربية ، فعليه لا وجه لتفسير استعمالها مذكرة في بيت الاعشى بالضرورة ، والقطع بتأنيثها في العربية .

الشمس ذهب اللعويون الى انها مؤنثة^(٤) ، وهي في العبرية والآرامية تؤنث وتذكر ، وفي الآشورية مذكرة لا غير^(٥) . وقد استدلل احد الباحثين من اختلاف جنس (الكف) و(الشمس) في اللغات السامية ، على ان التطور اللعوي يميل بالذمة الى تذكير المؤنثات ، فيما كان مؤنثاً في الاصل جاز فيه التذكير والتأنيث بعد ذلك ، ثم استقر على التذكير^(٦) . وعندني انه وهم فيما ذهب اليه ، لان تطور هاتين الكلمتين في اللغات السامية يدل على عكس ما استنتجه منه ، اذ مال الدرس اللغوي المقارن الى ان العربية اكثر تطوراً من احواتها الساميات ، ولعل العربية والسريانية اكثر تطوراً من الآرامية والآشورية ايضاً ، وعلى هذا الاساس نجد ان (الشمس) المذكرة في الآشورية ، حاز فيها التأنيث والتذكير في العبرية التي هي اكثر تطوراً من الآشورية ، ثم استقرت الكلمة على التأنيث في العربية المتطورة ، ومثلها (الكف) المذكرة في الآرامية ، وانما تأنيثها وتذكيرها في العربية ، والمستقرة على التأنيث في العبرية والسريانية

٥ - اسلوب (اكلومي البراغيث) : وهو ان يلحق الفعل بضمير تشبيه والجمع وان صرح بالفاعل ، وسمي هذا الاسلوب بهذا الاسم ، لان سيبويه صرح هذه الحملة مثلاً عليه ، كما مثل له كثيراً في كتابه^(٧) ، وعلل سيبويه هذا الاستعمال ، بتشبيه القائلين لثناء التأنيث في قالت ملانة « فكأنهم أرادوا ان يحموا

(١) مسدس السدي ١ : ٤٢

(٢) الاذاع والخواصه ٢٧٥

(٣) من اسرار اللغة ١٢٧

(٤) النحو العربي ١٤٧

(٥) من اسرار اللغة ١٤٧ والاهكام العربية ١٧٥

(٦) د ابراهيم اميس من اسرار اللغة ١٢٧

(٧) كتاب سيبويه ٥/١ ، ٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧

للجمع علامة ، كما جعلوا للمؤنث ، وهي قليلة ^(١) . وعلى الرغم من ورودها في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : (وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) ^(٢) ، وفي الحديث الشريف « يتعاقبون فيكم ملائكة » ^(٣) ، وفي الشعر كقول عمرو بن ملقط الطائي

بكم موثني في اشتراء النخيل لـ أهلي فكلهم يعضل ^(٤)

وعبر ذلك كثير ، فإن اللغويين الذين منعوا استعمالها ، وانتقصوا منها بنسبتها الى علي وبلحارث بن كعب وارد شؤفة ^(٥) ، من القبائل التي كثيرا ما نسبوا اليها ما لا يروق لهم من الاساليب اللغوية ، بل عدّ هذا الاسلوب من لحس العامة ^(٦) . والخفيفة أن هذا الاسلوب هو . « الاصل في اللغات السامية ، أن يعامل الفعل فيها معاملة في لغة أكلوني البراغيث ، وقد بقي من هذا الاصل في العربية امثلة في اللهجات المختلفة » ^(٧) ، ففي العبرية مثلاً نقراً : (٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣) ذهبوا بسوء ^(٨) ، وأشباهها كثير ، مما يدل على أصالة (اكلوني البراغيث) في اللغات السامية ومنها العربية .

٦- شيء : اختلفوا في معناها ، واختلفوا في حقيقتها جمعها واصوله ، فنقل عن الخليل أن معنى الشيء : الماء ، وأنكره الأزهري ، وذهب الفراء الى أن أصل شيء شيء فجمع على أشياء مثل هين وأهياء ، ورد ابن بري ذلك وقال صوابه أهواء لأنه من الهون . وشيئاً الله حلقه : قبحه ، وشيأت الرجل على الامر : حملته عليه ، ويأشيء مالي . يا عجيبي وقال الكسائي : يا في مالي ويأهي مالي لا يهمزان ويأشيء

(١) التكتاب ٢٣٦/١

(٢) سورة الأبيات ٣

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح ١٩٢ وللحديث رواية أخرى مشهورة هي « ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل . . . » وبها يجرى الحديث عن كونه شاهداً عن هذه اللغة

(٤) شرح شواهد اللمع ٢٦٥

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح ١٩٢ وشرح ذره المراسم ١٥٢

(٦) ذره المراسم ٦٥

(٧) جدول في لغة العربية ٨١

(٨) ايوب الاصحاح الاول ٤

ما لي يهمز ولا يهمز^(٥) ، إلى آخر ما ذكر في هذه المادة من معان واستعمالات وكلها تدلّ على التخيّل في أصل هذه الكلمة ، والخيرة في جذرها النعوي ، والذي أرححه في أمرها أنها في الأصل ضمير الغائبة في اللغة السامية الأم . شيء (Sai) ، الذي تطور صوت الشين فيه إلى الهاء قياساً على ضمير المذكور . هو (hu'a) ، في كل اللغات السامية ، فصار الضمير ان هو وشيء . هو وهي ، ثم أصبحا . هو وهي في العربية ، وهو وهي في العبرية والسريانية^(٦) ، أقول حين تطور ضمير الماثية ، بقي منه في العربية ظل صتيق ، واستعمال خاص ، بعد به عن دلالة الأولى على الضمير ، وصار يراد به معنى الحاجة معنوية ومادية ، وهو الذي تؤدبه لفظة شيء ، ولعل هذا هو الذي يفسّر جهودها الاشتقاقية^(٧) ، وربما كان ترادفها مع هيء أو هي في استعمالها للتعجب أو التأسف لدى أشربنا إليه بما يعصد مذهبها فيها ، ويقوي كونها من ذلك الضمير القديم .

نكفي بهذا القدر من الأمثلة لنبطل إلى أن اللغويين فاتهم الوقوف على كثير من أسرار اللغة ، وحصائصها ، وظواهرها ، لجهلهم باللغات السامية ، التي لا بد من معرفتها ، لكشف المراحل التاريخية التي قطعها العربية ، وما خلعت تلك المراحل فيها من آثار ، لا يمكن ادراك حقيقتها بدراسة اللغة داخل اللغة نفسها ، فالدرس المقارن كفيّل بأن يعصم الدارس في كثير من الأحيان من الوقوع في وقع فيه لغويونا العرب - مع حرصهم ودفنهم - من الخطأ والخلط .

موازنة بين الخليل وابن جني وإبراهيم أنيس

١ - الخليل (١٧٥ هـ) :

كما قد وعدنا ، ونحن نعرض لمسائل اللغة ومعالجات اللغويين لها في الفقرات السابقة من هذا الفصل ، أن نعود للخليل بعد أن أرححنا ذكره فيم ذكرنا هناك ،

(١) لسناد العرب ١/ ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) اللهجات العرب في التراث ٥٢٢ - ٥٢٣ خلا من مجلة كلية الآداب - عجلد ١٠ - ١/ ٢٨ ، ٣٩ .

(٣) المصعب ١/ ١٠١ وشرح الشافعي ٢/ ٢٣ .

وها نحن اولاء نفي بما وعدنا ، فنتاوله على أسس من موازنة موجزة بينه وبين اثنين من اللغويين الذين عتوا بمثل ما عني به من موضوعات اللغة ، وأعني بهما ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، وإبراهيم أنيس (معاصر) معتمدين في هذه الموازنة أهم الموضوعات وأكثرها اشتراكاً بينهم ، لتبين خصائص كل منهم ، بل خصائص الدرس اللغوي في عصر كل منهم ، ذلك أن الخليل ، وقد عاش في القرن الثاني^(١) ، يمثل العصر الذي عاش فيه ، وهو الذي تؤرخ له في هذه الرسالة ، وابن حني يمثل القرن الرابع وما بعده أصديق تمثيل ، بما تم على يديه من درس اللغة وفقهاها ، والدكتور إبراهيم أنيس حير من يمثل الدرس اللغوي العربي في العصر الحديث ، ذلك أنه ألف في أغلب جوانب الدرس اللغوي كتاباً معدودة معروفة

ويتجلى عمل الخليل وأرلؤه في اللغة ، في كتابه (العين) مقدمة ومتنا ، ذ ضمن المقدمة دراسته القيمة للاصوات ، فبحث غارحها وصفاها واثلاها واختلافها ، ووضع في ذلك قواعد عامة . وضمن المتن منهجه في الاستشهاد والاعتماد على اللغات وما إلى ذلك^(٢) . كما يتجلى ذلك في كتاب سيبويه إذ نقل تلميذه عنه كثيراً من آرائه اللغوية في الاصوات بدلا وأعلالا وأدغاما، وفي نية لكلمة اشتقاقاً وقبلاً ومحتاً وتركيباً ، وذلك في الجزء الثاني منه ، وهو الخاص بعلم الاصوات^(٣) . كما نثر للخليل على آراء مبثوثة هنا وهناك في كتب اللغة والنحو والقرأة وما إلى ذلك^(٤) ، مما يجعل أن يكون مقولا عما ضاع من كتبه .

أ - علم الاصوات : ان دراسة الخليل للحروف على أنها اصوات صادرة من جهر الطق ، وتحديد مواضعها من هذا الجهر ، ووصف كل صوت منها بحسب ما ينطلي من حركة اللسان والاسنان والشمة واللثة ، من شدة ورحلوة ، وهمس وجهر ، ودلاقة وطلاقة ، إلى آخر ما هناك من صفات ، عمل حديد في العربية لم

(١) انظر ترجمته في الباب الثالث من هذه الرسالة

(٢) العين (الجزء لطيف) ٥٢ - ٦٧ - ٧٣ - ١٢٤ - ١٢٤ - ١٤٦ - ١٩٦ - ٢٣٥

(٣) الكتاب ٢ / ١١٢ - ٣١٥ - ٣٥٦

(٤) سر صناعة الاعراب / أسماء الحروف . ولسان العرب ٧ / ١ . وشرح الرمي على الشافية ٢٤٩

يسمى اليه ، الآغا عرص له القراء من الوقف والابتداء^(١) ، وهو غير عمل التحليل ، وعليه فالتحليل واضح علم الاصوات .

ب - نشأة اللغة : واتبنى على دراسته للاصوات كما يخيّل اليّ أنه قال بأن اللغة نشأت بمحاكاة أصوات الطبيعة ، وإذا كان لم يصرح بذلك ، فإنه أشار اليه بما عاينه من مواد كانت العلاقة بينها وبين معانيها علاقة صوتية محضة ، وقد مرّ تفصيل ذلك في دراستنا لنشأة اللغة^(٢) .

ج - الاشتقاق : وأعني به ما سمي بالكبير ، ودراسته لدى التحليل فرع دراسته للاصوات ، وقوله بصلة اللفظ بمعناه صلة طبيعية ، ذلك أنه أول من التفت اليه وإن لم يسمّه ، وطبقه في العين حاصرا به مواد اللغة ، دون أن يتكلف في المقلوبات المعنى الجامع المشترك ، على أننا لا نعدم أن نعثر على هذا المعنى في كثير من المقلوبات^(٣) وعدم تصريح التحليل بهذا المعنى المشترك في جميع المواد المقلوبة ، لا يعني عدم انتباهه اليه ، أو عدم قدرته على ذلك ، وإنما كان بعيدا عن البحث في ذلك . لأنه كان يصدد طريقة لحصر اللغة ، بتطبيق فكرة الاشتقاق الكبير

د - النحت والتركيب : ونظر التحليل في بعض مواد اللغة ، فوجدناها مكونة في الأصل من كلمتين أو أكثر ، فقال بأنها منحوتة أو مركبة ، وقد مرّت بنا أمثلة كثيرة منها ، عرضنا فيها لأراء اللغويين في تركيبها وبساطتها ، ومنها (لئ) التي ذهب التحليل إلى أنها مركبة من (لا) و (أن)^(٤) ، و (ليس) وعنده أنها لا آيس^(٥) ، و (كأن) من كاف التشبيه وأن^(٦) ، ومثلها (كأي) و (كذا) فهما عند التحليل مركبتان

(١) ككتاني الرضائي (١٩٨٧هـ) في الوقف والابتداء وكتف عبد الله بن أبي إسحق في المعر - مراتب المعريين ١٢ والمعر ٢ / ٣٩٨

(٢) انظر الفصل الأول من هذا الباب .

(٣) العين (الجزء الطبع) . ٨٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٥١ ، ١٥٢

(٤) الكتاب ١ / ٤٠٧ .

(٥) لسان المعر - ليس

(٦) الكتاب ١ / ٤٧٤

من كاف التشبيه وأيّ ، وذا^(١) . كما ذهب الخليل الى تركيب (الّهم) من لفظ
المخللة والميم التي تقوم مقام (يا) التي للنداء^(٢) . وغير ذلك مما سبق الى لح
التركيب فيه ، وهو الذي صححه النورس الحديث .

٢ - ابن جني (٣٩٢ هـ) :

وهو يمثل بصرح الدراسات اللغوية في عصره ، مهجاً ورأياً وسعة ، وقد
ارتقى بالعلم اللغوي درجات بعد أن وقف على حدود عمل الخليل ، أو بعد أن مات
الدرس اللغوي أن يفيد من عمل الخليل ، فهل اصاف ابن جني شيئاً الى عمل
الخليل وبينه وبين الخليل اكثر من قرنين من الزمان^(٣) ؟

لعل آراء ابن جني في اللغة ، وبحوثه فيها ، ومعالجاته لموادها ، قد تورعت
توريعاً منظماً ، بما خصص لكل جانب من جوانبها كتاباً من كتبه ، فجعل (سر
صناعة الاحراب) للاصوات ، وما يتصل بدراستها من بحث بحارجها وصفاتها وما
لى ذلك مما بدأ به الخليل ، وخصص (الخصائص) لدراساته في موضوعات اللغة
الاخرى ، كدراسة نشأة اللغة ، والاشتقاق ، والبحث والتركيب ، واللمعات ،
والقلب والابدال ، والدلالة وما الى ذلك من امور تدخل في علم اللغة ، على أنه
عرص أيضاً الى مسائل النحو والتصرف في هذا الكتاب ، ومخص كتابه (المصنف)
الذي شرح فيه تصرف المازني ، لبحوثه وآرائه في الصرف ، ووضع (المحتسب)
خاصة بعلم القراءات ، دارساً فيه وجوه القراءات المختلفة من حيث تواترها
وشذوذها وانطباقها على سر اللغة ، وما يتصل بذلك من معالجات لغوية ، بحيث
بدل هذا التوزيع المنظم للموضوعات ، على عقلية ابن جني المنظمة ، واستيعابه
جواب هذه الموضوعات وحدودها التي تقف عندها ، كما تدل على تطور أساليب
التأليف ومناهجه في القرن الرابع .

أ - الاصوات : اشرنا الى أن الذي فتح باب علم الاصوات هو الخليل ، وقد

(١) التكملة ٢٩٨ / ١

(٢) مقابلة ٣١٠ / ١

(٣) انظر ترجمته في معجم الادباء ٩٠ / ١٢ وتاريخ بغداد ٣١٢ / ١١

وافق ابن جني التحليل في كثير مما جاء به ، وخالفه أيضا ، فَمَا وافقه فيه ذهبه الى وجود العلاقة الطبيعية بين الاصوات ومعانيها ، اي بين اللفظ ومدلوله^(١) وزاد عليه في ذلك من المسائل والأمثلة ما لم يشر الى مثلها التحليل^(٢) . والنكت كالتحليل الى ان الحروف الخمسة هي اصوات خالصة ، لها ايقاع خاص ، تشبه اصوات الآلات الصائتة كالساي^(٣) أو وتر العود وتابعه ايضا في تسمية الاحرف الستة : الراء واللام والنون والقاف والباء والميم ، التي هي حروف الذلاقة ، بالمصمتة ، وقال بالتعليل عينه الذي علله التحليل لهذه التسمية^(٤) . ومما خالفه فيه ترتيب الحروف ، فلم يأخذ بما أثبتته التحليل من تسلسلها في الخارج ، وإنما اخذ ترتيب سبويه لها ، اذ تبدأ بالهمزة وتنتهي بالواو^(٥) . وخالفه ايضا في عدد حروف القلقلة التي هي عند التحليل خمسة : القاف والجيم والطاء والذال والباء ، وكان قد سماها المحقورة ، و اضاف لها ابن جني الهمزة والكاف والتاء ، مسماها اياها الشديدة ، متابعا بذلك سبويه ايضا^(٦) . ومثل ذلك كثير من المسائل التي وافقه فيها وخالفه في غيرها .

ب - نشأة اللغة : مررنا في دراسة نشأة اللغة ان ابن جني تردد في الاخذ بواحد من مذاهب نشأة اللغة ، فقال بالتوقيف مرة ، ومال الى الاصطلاح اخرى ، واستحسن مذهب حكاية الاصوات الطبيعية ثالثة ، واستقر أخيراً على عدم الاخذ بمذهب من هذه المذاهب المتساوية في قوة الحجة لديه ، حتى يقوى لديه أحدها^(٧) . ولعل المذهب الاخير ، وهو حكاية الاصوات الطبيعية ، هو الذي قوي لديه من بين المذاهب جميعا ، وان لم يصرح بذلك ، ولكننا نستشعر ذلك من كلامه على (الخضم) و (القضم) اذ يقول : « فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب » ، والقاف

(١) الخصال ١/ ٥٤٤

(٢) نفسه ١/ ٥٤٩ - ٢/ ٥٥٨

(٣) سر صناعة الاعراب ١/ ١٠

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٨٦ وسر صناعة الاعراب/ باب انقسام الحروف .

(٥) الكتاب ٢/ ٤٠٤ وسر صناعة الاعراب ١/ ٣٥

(٦) سر صناعة الاعراب ١/ ٣١٩ وما بعدها ولسان العرب - (حرف الجيم) .

(٧) الخصال ١/ ٤٠ - ٤١ - ٤٦

لصلايتها لللباس ، حلقوا لمسموع الاصوات على محسوس الأحداث^(١) . وهذا الكلام نجد في آخر الجزء الاول من الخصائص الذي بحث في أوله نشأة اللغة وآراء العلماء فيها ، مما يدل على ان الرأي الآخر هو الجديد لديه .

ج - الاشتقاق الاكبر : مرّ ان الخليل أول من نبه عليه ، وطبقه في العين ، دون ان يسميه أو يجهد في البحث عن المعنى الاصلي المشترك بين المقلوبات أو المشتقات ، غير أن ابن جني هو الذي سماه ، وتوسع فيه ، واكثر من امثله ، وكلف نفسه ان يكون في التقلبات الستة معنى جامع لمعانيها جميعا ، فان «تباعد شيء من ذلك ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه»^(٢) . وليس ابن جني على هذا ، مبتدع الاشتقاق الاكبر ، كما يذهب الدكتور عبد الحميد الشلقاني^(٣) . ولكن ابن جني ابتدع نوعا ثالثا من الاشتقاق هو الاشتقاق الكبير - وان لم يسمه بهذا الاسم - وهو يرمي الى وجود معنى مشترك عام في الالفاظ التي تشترك في صوتين وتختلف في الثالث الذي يحدد المعنى ويخصّصه ، مثل : قَطَمَ وَقَطَلَ وَقَطَعَ وهكذا ، وقد اكثر من امثله ابن جني في باب (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني)^(٤) ، والذي سماه بالكبير وتكثر منه هو الخائمي استاذ السكاكي^(٥) .

د - النحت والتركيب : ذهب ابن جني مذهب الخليل في لح التركيب في بعض الادوات ، فقال بتركيب (لَن) من لا وأن^(٦) ، و (كَأَنَّ) من كاف التشبيه وأن^(٧) ، و (لولا) من لو ولا^(٨) . ولكه خالفه في (إياك) التي ذهب الخليل الى أن ايا ضمير مهم يحتاج الى توضيح ، فاضيف الى ضمير المحاطب^(٩) ، فذهب ابن

(١) الخصائص ١ / ٥٥٠

(٢) نفسه ١٣٤ / ٢

(٣) رواية البض ٣٠٩

(٤) الخصائص ١ / ٥٣٧

(٥) مفتاح المعلوم ٧

(٦) سر صناعة الاعراب : حرف الكاف .

(٧) نفسه : حرف الكاف .

(٨) نفسه : حرف الكاف .

(٩) الكتاب ١ / ١٤١

جني مذهب جمهور اللغويين النحلة ، الذين منعوا اضافة الضمير ، لاستغنائها عن التعريف ، وفسروا الكاف على انها حرف دال على الخطاب وليست اسما^(١)

٣- د . ابراهيم أنيس :

وهو من أبرز من يمثل الدراسات اللغوية الحديثة ، بما وضع في ذلك من بحوث قيمة ، اعتمد فيها على نتائج العلم اللغوي المقارن ، والعلم النعوي التاريخي ، وما هياه التطور من استخدام الالة في العلم النعوي ، لذا فان الرجوع اليه في المسائل الرئيسة التي عرضنا لها لدى الخليل وابن جني يمثل شيئا من فكرة التقويم المعقود لها الباب .

وضع الدكتور ابراهيم أنيس عددا من الكتب ، وخص "كلامها بموضوع ، فكتابه (الاصوات اللغوية) لبحث علم الاصوات ، درس فيه ظاهرة الصوت المطلق ، وجهاز النطق ، وصفات الاصوات ، ومقاييسها ومخرجها ، دراسة تاريخية مقارنة . وكتابه (من اسرار اللغة) لبحث الظواهر اللغوية من اشتقاق ونحت وقطب وابدال وارتجال واقتراض ، وغيرها ، موازنا في كل منها بين البحث القديم والحديث . وكتابه (دلالة الالفاظ) لبحث نشأة اللغة ، وانواع البلاغة ، وصلتها باللفظ ، وعوامل تطورها ، ودراسة لاشهر المعجمات اللغوية . وكتابه (في اللهجات العربية) لبحث نشأة اللهجات ووحدتها ، واثرها في القراءات ، وتطور الاعراب ، والفرق بين لهجات البدو والحضر ، واحتلافها في الاصوات والابنية والدلالة ، وما الى ذلك مما يدخل في هذا الموضوع ، وليس غريبا ان نجد التطور في البحث والمهح ووسائل الكشف واضحا في هذه الكتب عما كان عليه قديما ، لما قدمنا من ان ذلك بفعل البون الزمني الذي يفصل بين الدراستين القديمة والحديثة فهل شمل هذا التطور نتائج البحث ؟

أ - الاصوات : كان الخليل ومن بعده ابن حني قد ذهبوا الى ان الكاف وكاف صوتان من اصوات افصى اللسان وأعلى الحنك ، أي هما لهوستان ، وقد ايدهما

(١) سر صناعة الاعراب - حرف الكاف .

ابراهيم انيس في ذلك^(١) . ولكنه خالفهما في اعتبار الظاء إثنية ومن أصوات وسط الميم ، كما ذهب الخليل ، وانها من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس عند اس جسي ، فذهب الى انها تخرج من بين أسلة اللسان وحافة الامتنان ، أي أنها لسانية اسنانية^(٢) . غير أن الأكثر أن يؤيد الدكتور ابراهيم انيس آراء الخليل وابن حسي في محارج الاصوات وصفاتها ، حتى قال : « ولا فدهش من اجل ذلك أن يورث - أي الخليل - ميسويه فيما ورث وصفا دقيقا لاصوات اللعة ومخارجها وصفاتها . واعتمد الخليل في وصفه للاصوات على ما يحسه بنفسه من اختلاف في اوصاع أعضاء العلق معها ، وعلى العملية العضلية التي يقوم بها المرء لدى صدور كل صوت ، وعلى وقع هذا الصوت في أذن السامع ، دون أن يكون لديه شيء من الامكانيات الحديثة من آلات التسجيل والتصوير أو معرفة بنظريات التشريح^(٣) » .

ب - نشأة اللغة : عرض الدكتور ابراهيم انيس لنظريات نشأة اللغة ، ونقد على القدماء اخذهم بالتوقيف والاصطلاح وناقشهم في حججهم التي استندوا اليها^(٤) . ثم عرج على نظريات المحدثين ، فبدأ بنظرية محاكاة الاصوات الطبيعية ، فبسطها ، ثم دافع عنها وعن حججها ، وصحّف من المطاعن الموجهة لها^(٥) . مما يدل على ميله اليها أكثر من غيرها ، وإن لم يقطع بصحتها ، وذهب الى ان كل النظريات قديمها وحديثها مجرد افتراضات^(٦) ، الا ان اقرب هذه الافتراضات هي تلك التي بُدعها . وهذا يدعم ما ذهب اليه الخليل في هذا الصدد ، وما ذهب اليه ابن جني في أحد اقواله وهو الاخير .

ودرس الدكتور ابراهيم انيس فكرة صلة اللفظ بمدلوله ، وعرض لآراء المحدثين في ذلك ، وقرر ان هذه الصلة طبيعية ، وان « اللغات بوجه عام تؤثر

(١) الاصوات النعوية ٨٧

(٢) الاصوات النعوية ٥٠

(٣) ص ٧٥ - ٧٦

(٤) دلائل الاعاظ ١٣ - ٢٠

(٥) ص ٢٠ - ٢٣

(٦) ص ٢٧

التعبر عن الأشياء بوساطة العماط أثرها في الأداة يشبه أثر تلك الأشياء في
الأذهان^(١) . وذكر أمثلة واضحة من ذلك في ألعاب الأمم البدائية ، ثم يعمم
هذا الوصوح عندما تأخذ اللغة في التطور^(٢) .

ج - الاشتقاق الكبير . بحث الدكتور إبراهيم أبيس أنواع الاشتقاق ، ومدى
إطراد كل منها في اللغة ، ووقف عند الاشتقاق الكبير ، شرحه ومثل له ، وادّعى
« يبدو أن أصحاب الاشتقاق قد اقتبسوا فكرة نقلات الأصول من معجم العين
وأمثاله^(٣) » ، فالمفكرة - اذن - فكرة التحليل ، وهو البادئ بتطبيقاتها في العين ، « فم
حاشا أصحاب الاشتقاق من أمثال ابن جني وابن فارس ربطوا أيضا بين دلالات نبت
الصور ، واستنبطوا معاني عامة مشتركة بينها ، وسمي هذا بالاشتقاق الكبير
ويمثل له ابن حني عدة مجموعات لا يحلو معظمها من التكلف والتعسف وتتمس
العلاقة معها كانت تافهة أو غامضة^(٤) » . ويحلل أمثلة أس حني هذه ويرفص
واحدا فيها البعد والعلو ، ثم يقول : « فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكف
لأثبت ما يسمى بالاشتقاق الكبير^(٥) » .

د - النحت والتركيب : درس الدكتور إبراهيم أبيس ظاهرة النحت في اللغة ،
وعرض لأمثلتها لدى القدماء ، وقسم النحت على أسواع ، فمنه المسحوت من
كسبتين ، ومنه من ثلاث كلمات ، ومنه من أربع كلمات ، ومنه المسحوت من أكثر
من ذلك^(٦) . واشد الشواهد الشعرية المسوقة لذلك في المصادر القديمة ، وبه على
مقالة القدماء في القول بنحت بعض الالفاظ كبلوم . وحرطوم . وحلقوم ، أو
صرصر الفلم ، أو قهقه الرجل وما إلى ذلك^(٧) . وحين عرج على العلم للمعوي
الحديث يعرض عليه بصاعة القدماء ، وجده مقرا بقانون النحت في اللغة ، ذلك ن

(١) دلالة الالفاظ ٦٨

(٢) ح ٦٩ - ٧٠ .

(٣) و (٤) من أسرار الله ٥٠

(٥) ح ٥٢

(٦) ح ٧٢ وما بعدها

(٧) من أسرار اللغة ٧٥

النحت يقابل في الدرس الحديث مصطلح (Haptology) عند المحدثين ، وهو « حذف بعض الاصوات من الكلمة اختصارا لبنيتها . وتيسيرا للنطق بها ، واعتبروه هذا ميلا عاما في تطور النية للكلمات »^(١) . ويستدل على ذلك بما وجد في لغات الامم البدائية من تعدد مقاطع الكلمة الواحدة ، وذلك يمثل المراحل الاولى للغات في العالم^(٢) ، فالتطور اللغوي اقتضى وجود ظاهرة النحت في اللغة . وهو بهذا يؤيد ذهب الخليل وابن جني الى نحت الادوات والكلمات التي نصوا على تركيبها وتمسكوا به ، واحتلفوا مع من قال بافراطها وبساطتها ، وان لم ينص الدكتور ابراهيم انيس على الكلمات والادوات التي بحثها الخليل وابن جني .

وحلاصة القول في هذه الموازنة الموجزة ، ان الخليل كان السابق الى وضع لبنات علم الاصوات ، والاشتقاق الكبير ، والاحد بطرية محاكاة الاصوات الطبيعية في نشأة اللغة ، والفائل بتركيب الادوات والكلمات المركبة ، وان ابن جني قد مه في دراساته الصوتية ، واقتبس منه فكرة الاشتقاق ، وقويت لديه نظرية المحاكاة في نشأة اللغة ، وواقفه في تركيب الادوات المركبة ، وان الدكتور ابراهيم انيس - وهو الممثل للدرس اللغوي الحديث - صحح نتائج درسها ، ونقل لنا وجهات نظر المحدثين في هذه المسائل المهمة ، فاعلم اننا نأيد الدرس الحديث لآراء الخليل وابن جني .



(١) من - ابر اللغة ٧٦

(٢) ص ٧٧

الخاتمة

النتائج العامة - النتائج الخاصة - الجديد في الرسالة

استمرت هذه الدراسة عن نتائج عامة وأخرى خاصة ، وعن جوانب جديدة أصابها للدرس اللغوي ، نعرض كلا منها موجزين .

النتائج العامة والخاصة :

يمكن ان نستخلص من البحث النتائج العامة الآتية :

١ - كانت خدمة القرآن من الناحية اللغوية أولا ، وحسن العربية من الدروس والضياع ثانيا ، هما الدافعان الرئيسيان اللذين دفعا المسلمين الأوائل الى دراسة اللغة .

٢ - قدم ورود اللحن في الكلام او الكتابة ، اذ لم تسلم منه العربية في الجاهلية وصدر الاسلام ، وكان يمثل في ذلك الحين البذرة التي نمت وعرفت بالعامية .

٣ - تأثير الحياة العقلية والاجتماعية في البصرة والكوفة على تبلور مناهج دراسة اللغة في كلا نصريين ، وظهور الملامح للدراسة فيها .

٤ - تمحيز الاعمال اللغوية الاولى لصون لغة التزليل ، كما ظهر ذلك في نقط أبي الاسود (الاعرابي) ونقط نصير بن عاصم (الاعجمي) وتطور التحليل لنقط أبي الاسود ، ووضع أبي الاسود للضوابط النحوية الاولى .

٥ - اختلاط الدراسات اللغوية في مرحلة نشأتها ، وظهور اثر ذلك في مصنفات الأوائل من الدارسين ، ثم استقلال هذه الدراسات بتطور وسائل الدراسة .

٦ - وصوح السيات للدرسية في مؤلفات اللغويين المختلطة والمستقلة ، وبرز

العامل المدرسي في اللغة كبروزه في النحو .

٧ - فئة المادة اللغوية وبساطة معالجتها في المؤلفات الاولى الموضوعية في الفن اللغوي الخاص ، وازدياد هذه المادة وعمق دراستها في المؤلفات اللاحقة .

٨ - سعى المحدثين الى الاحد بالترتيب المعجمي للمواد في مصنفاتهم ، وامتناع ذلك الى معجمات اللغة .

٩ - اختلاف مناهج وضع المعجمات واصالة هذا الاختلاف

١٠ - تباين الاسس الملهجية وتطورها في دراسة اللغة ، من الاختلاف في الاطلس اللغوي للاستقراء حتى طغياں المصلحة والمنطق على نشاط هذه الدراسة

١١ - تناول فقهاء اللغة القدماء اكثر موضوعات علم اللغة، وشمول دراساتهم اغلب جوانبه ، واعتراف العلم الحديث لقدر كبير من نتائجهم بالصحة .

١٢ - جهل القدماء باللغات السامية ، وخطأ معاجلتهم - بسبب هذا الجهل - لكثير من صور التعبير اللغوي .

هذه اهم النتائج العامة ، وهناك في فالتها نتائج خاصة ينتهي اليها البحث ، وقد كررت الاشارة اليها في نضاعيف الرسالة ، وهي تشكل الهدف من هذه الدراسة ، اهمها :

١- اصالة الدراسات اللغوية عند العرب ، وعدم مماكانها للدراسات الاجنبية التي سبقنها ، اذ يمثل ذلك في الدراسة الصوتية ، ووضع المعجمات اللغوية ، والنحو .

٢ - طول مان العرب في دراسة اللغة ، ذلك انهم كانوا على قدر كبير من الدقة والعمق في تناول الموضوعات اللغوية ، وعلى حان اكبر من استيعاب طواهر اللغة وفهم قوائها ، واستكفاء اسرارها في التطور والسمو .

٣ - ضرورة البناء على ما اسسه العرب القدماء ، والاستفادة مما اندعوه وابتكروه في شتى موضوعات اللغة ، لتطوير العلم اللغوي ، انطلاقا من الموضوعية التي تفرض على الباحث - وهو يقوم اعمالهم الرائدة - ان يدهش ويمخر .

...

...

الجديد في هذه الرسالة :

١ - ربما كانت هذه الرسالة بما رسمته لنفسها من منهج في الدرس يقوم على استقصاء الظاهرة وتتبع الحقيقة ، ويتميز بالاستغلال والموضوعية ، ويعنى بالحنانيين التاريخي والتقليدي للموضوع ، جديدة على الدراسات الحديثة التي عبت بأعمال العرب اللغوية من جانب واحد ، لو من أكثر من جانب فلم توفه حقه . يضاف الى ذلك انها اشتملت على جزئيات لا اشك بحدثها على الدرس اللغوي ، أهمها :

٢ - محاولة احصاء اسماء الاعراب الفصحاء الذين شافهم اللعويون ، وتقسيمهم على قبائلهم التي ينتسبون اليها .

٣ - كشف حقيقة (باب النحل) في نواتر ابي مسحل ، وانه ليس من اصل الكتاب ، وانما هو كتاب (النخل) للاصمعي اقحم في النواتر .

٤ - تصحيح نسبة كتاب (ما تلحن فيه العوام) الى الكسائي ، ورد الشبه الموجهة الى هذه النسبة .

٥ - دعم الشك في نسبة كتاب (الحروف) الى الخليل بأدلة من مادة الكتاب .

٦ - الاستدلال الموسع على صحة نسبة معجم (العين) الى الخليل رواية ومنهجاً ومادة .

٧ - بيان الخطأ في تسمية معجم ابي عمرو الشيباني المطبوع بالجيم ، وانه كتاب (الحروف) له .

٨ - اعتبار كتاب (المعاني الكبير) لابن قتيبة معجماً من معجمات المعاني ، اختلف منهجه عن سواه .

٩ - توضيح الوهم في كتاب (الجرائيم) الى ابن قتيبة ، وانه لابي محمد عبد الله ابن رستم .

١٠ - تحديد الاسم المنهجية التي انبثت عليها الدراسة اللغوية عند البصريين والكوفيين ، ومناقشتها نقداً وبناء منذ نشأة الدرس اللغوي الى ما بعد القرن الرابع .

١١ - استخلاص خصائص المنهجين البصري والكوفي من خلال الوقوف على المسائل الخلافية في اللغة (دون النحو) .

١٢ - التوازن الشاملة بين موضوعات العلم اللغوي القديم والحديث ، ووسائل
العلمين في معالجة موضوعات اللغة ، والحكم على الدراسة القديمة في ضوء
الدراسة الحديثة .

هذا أهم الجديد الذي قلتمته بهذه الرسالة ، وهناك أيضا ما هو أقل أهمية مما
ذكرت ، تركته للقارئ يرجع اليه ويقف عليه . والرسالة بهذه الصورة خلاصة
جهدتي التي اضيفها للمكتبة اللغوية ، اتوخي بها خلسة العربية وراثتها الخالد ،
والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الأشعار والأرجاز
- ٢ - فهرس المصادر والمراجع .
- ٣ - فهرس مطالب الرسالة .

١- فهرس الاشعار والارجاز

الصفحة	البحر	الالفية	أول البيت
- أ -			
٣٦٧	الخفيف	عناء	ليت شعري
٤٠٢	الوافر	غناء	سيغنوني
- ب -			
٣٤	الطويل	قريب	فقلت
٣٩٧	الطويل	سجيب	فبيناه
٢١٤	الوافر	قريب	كأن
١٧٨	البسيط	المضرب	خزاية
٤٠٠	الطويل	يلذهب	لث الخير
٤٨٥	الطويل	مخضب	الى رجل
١٤٨	الكامل	محمي	إن الرجال
١٧٥	المخارب	يصلب	نقول
٣٠٩	الطويل	مشجب	نبارى
٣٠٩	المنزج	غلب	وارساغ
- ح -			
٢٨٨	الرجز	تشيحا	حتى إذا
- د -			
٢٠٨	السيط	القيادي	ماتت

٣٠٠	البسيط	الجلاميد	كما قلعدا
٢٥٥	البسيط	الكبدا	إن القواد
١٣٦	الرجز	تقويدا	ناديت
٣٥٢	مجزوء الكامل	مزادة	وزججتها
٣٥٩	الطويل	فارعد	إذا جلوزت
٣٦٨	الطويل	أبيلد	إذا القوم
١٩٠	الوافر	وسادي	أغاضر

- ر -

٢١٤	البسيط	مهتصر	ثقل
٢٨٥	السريع	العمر	بان
٣١٣	المتقارب	الغريرا	وقد كنت
٣٦٨	الوافر	صبرا	وصبرا
١٧٤	الطويل	مشافره	سقوا
١٧٤	الطويل	المشافر	فلو كنت
٤٠٠	الطويل	منسفر	تربعن
٣٥٩	مجزوء الكامل	بصائر	أبرق
٤٠٥	الرمل	ودكر	يا أبا الأسود
٨٠	الرمل	عمر	بطل
٨٠	الرمل	قمر	ذاك

- ش -

٢٥٥	الرجز	حرش	تصحك
-----	-------	-----	------

- ع -

٣٨٩	الوافر	تستطيع	إذا لم تستطع
-----	--------	--------	--------------

٢٨٨	الوافر	بالكراع	الم اظلف
٢٨٨	الوافر	يقاع	ملا اقتات
- ك -			
٣٩٧	الرجز	هواكا	دار
- ل -			
٤٨٧، ٣٥٥	المتقارب	يعدن	يلوموني
١٧٥	الكامل	تكميله	فقري
٣٩٧	البسيط	نعلله	بيناه
٢٠١	البسيط	الطحلا	أكويه
٤٠٢	الخفيف	واملا	لم نرحب
٣٣٧	الكامل	ميكال	عبدوا
٢٧١	الطويل	المعسل	تعاطيه
١٩٤	الرجز	الجيل	واعلم
٢٨٨	الطويل	وجامل	وقائله
٣٨٥	البسيط	مال	ابليخ
٣٨٥	البسيط	حالي	سحنى
٣٨٥	البسيط	المالي	والعقر
٢٧٢	الرملي	المتنزل	ومحوي

- م -

٣٣	الخفيف	يوم	إن من صناد
٣٣	الطويل	تلوم	لعل
٣٣٨	الطويل	لصمما	وأطرق
٤٠٤	الرجز	اللهيا	إني إذا

والطن	فاعهم	الرجز	١٩٤
إداه سم	احتكم	الرجز	٣٩٧

- ن -

لها أحور	دهين	الطويل	٢٠٢
مطلق	لنا	الخفيف	٣٥
مجاوا	عرينا	الوافر	١٤٨

هالك	مهينا	الوافر	١٩٢
متعود	بان	الكامل	٣٥
ذرعت	كتن	المتقارب	٢٠٨
كان	رسن	المتقارب	٢٠٨
هاج	الجون	الرجز	٢٠٢

- ه -

أبنت	الباها	البسيط	١٩٢
------	--------	--------	-----

- ي -

وتضحك	يمانيا	الطويل	٤١٣
-------	--------	--------	-----

٢- فهرس المصادر والمراجع

أولا - المخطوطة :

- ١ - ابن الأعرابي - كامل سعيد : رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة - بغداد ١٩٧٥ م .
- ٢ - الزاهر في معاني كلمات الناس - أبو بكر بن الأنباري : تحقيق د - حاتم صالح الصامن - رسالة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة - بغداد ١٩٧٧ م .
- ٣ - طبقات الشافعية - ابن قاضي شهبة : مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب .
- ٤ - العباب الزاخر واللباب الفاخر - الصعالي : مصورة الشيخ محمد حسن آل ياسين .
- ٥ - العدة في الرجال - السيد محسن الأعرجي : مخطوطة مكتبة آل الأعرجي في الكاظمية .
- ٦ - العين - الخليل بن أحمد : مصورة عن نسخة مكتبة شوراي ملي - ب طهران .
- ٧ - الغريب المصنف - أبو عبيد القاسم بن سلام : مخطوطة مكتبة المتحف العراقي .
- ٨ - ما كان على فعل من الأمثال - حمزة الاصفهاني : مصورة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب .
- ٩ - محاضرات الدكتور ابراهيم السامرائي على طلبة قسم اللغة العربية (مدونتي) ١٩٦٨/١٩٦٩ م .
- ١٠ - محاضرات الاستاذ كمال ابراهيم على طلبة للماجستير (مدونتي) ١٩٧١/١٩٧٢ .
- ١١ - محاضرات الدكتور مهدي المخزومي على طلبة الدكتوراه (مدونتي)

١٩٧٥/١٩٧٤ م .

١٢ - معاني القرآن - الاخفش : مصورة السيد عبد الامير الورد عن نسخة مشهد بايران .

١٣ - النوادر - ابن الاعرابي (ضمن رسالة : ابن الاعرابي) تحقيق - كامل سعيد بغداد ١٩٧٥ م .

ثانيا : المطبوعة :

١٤ - ابحاث في اللغة العربية - الدكتور داود عبدو : ط الاولى - بيروت ١٩٦٩ م .

١٥ - الابدال في كلام العرب - ابو الطيب اللخوي : تحقيق عز الدين التنوحي - دمشق ١٩٦٠ م .

١٦ - الابل - الاصمعي : تحقيق اوغست هفتر (الكنز اللغوي) - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ م .

١٧ - ابن جنى النحوي - الدكتور فاضل صالح السامرائي : دار النذير للطباعة - بغداد ١٩٦٩ م .

١٨ - ابن الحاجب النحوي - طارق عبد عون الجنابي : دار الترية للطباعة والنشر - بغداد ١٩٧٥ م .

١٩ - ابو البركات الانباري ودراساته النحوية - الدكتور فاضل صالح السامرائي : ط ١ دار الرسالة للطباعة - بغداد ١٩٧٥ م .

٢٠ - الاتقان في علوم القرآن - السيوطي : مطبعة حجازي ١٣٦٨ هـ .

٢١ - اثر القرآن في تطور النقد العربي - الدكتور محمد زغلول سلام : دار المعارف بمصر ١٩٦١ م .

٢٢ - الاجناس - ابو حبيد القاسم بن سلام : تحقيق امتياز علي عرش الرامفوري - بومبي الهند ١٩٣٨ م .

٢٣ - الاحكام في اصول الاحكام - الأملي : دار المعارف ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

٢٤ - اخبار العلماء بأخبار الحكماء - القفطي : مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٦ هـ .

٢٥ - اخبار النحويين البصريين - السيراقي : تحقيق الزيني وخماجي - مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥ م .

- ٢٦ - ادب الاملاء والاستملاء - السمعاتي : طبعة مصورة عن طبعة ليدن ١٩٥٢ م .
- ٢٧ - أرجوزة في الضاد والظاء - ابن قتيبة . تحقيق الدكتور داود الجليلي - مجلة لغة العرب السنة السابعة - الجزء السادس .
- ٢٨ - اساس البلاغة - الزمخشري : تحقيق عبد الرخيم محمود - مطبعة اولاد اورثاند بالقاهرة ١٩٥٣ م .
- ٢٩ - اسد الغابة - ابن الاثير : طهران ١٣٧٧ هـ .
- ٣٠ - اسرار العربية - ابو البركات الانباري : تحقيق محمد بهجة البيطار - دمشق ١٩٥٧ م .
- ٣١ - اسماء حيل العرب وفروسانها - ابن الاعرابي : تحقيق دلافيدا - (مع نسب الخيل لابن الكلبي) ليدن ١٩٢٨ م .
- ٣٢ - الاشباه والنظائر - السيوطي : مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ٣٣ - الاشتقاق - ابن دريد : تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٥٨ م .
- ٣٤ - الاصابة في تمييز اسماء الصحابة - ابن حجر المصقلاني : القاهرة ١٣٢٧ هـ .
- ٣٥ - اصلاح المنطق - ابن السكيت : تحقيق شاكروهارون - دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م .
- ٣٦ - الاصمعيات - الاصمعي : تحقيق محمد احمد شاكرو عبد السلام هارون - دار المعارف ١٩٥٥ م .
- ٣٧ - الاصوات اللغوية - الدكتور ابراهيم انيس : مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة ١٩٦١ م .
- ٣٨ - اصول التفكير النحوي - الدكتور علي ابو المكارم : منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٧٣ م .
- ٣٩ - الاصول في النحو - ابن السراج : تحقيق الدكتور عبد الحسين القفلي - مطبعة السعيان في النجف ١٩٧٣ م .
- ٤٠ - اصول النحو العربي - الدكتور محمد عبيد : عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٣ م .

- ٤١ - الاضداد - ابن السكيت : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٣ م .
- ٤٢ - الاضداد - ابو بكر بن الانباري : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - الكويت ١٩٦٠ م .
- ٤٣ - الاضداد - ابو حاتم السجستاني : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٣ م .
- ٤٤ - الاضداد - الاصمعي : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣ م .
- ٤٥ - الاضداد - قطرب : تحقيق هانس كوفلر - مجلة اسلاميكا المجلد الخامس ١٩٣١ م .
- ٤٦ - الاضداد في كلام العرب - ابو الطيب اللغوي : تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٣ م .
- ٤٧ - الاضداد في اللغة - محمد حسين آل ياسين : مطبعة المعارف ببغداد - ١٩٧٤ - ١٣٩٤ هـ .
- ٤٨ - اطلس التاريخ الاسلامي - هاري و . هازارد وجماعة : تحرير حسن الحروسي - مكتبة النهضة المصرية د . ت .
- ٤٩ - الاطلس التاريخي - هدي يوسف محمص : بغداد ١٩٧١ م .
- ٥٠ - الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي - عبد المنعم ماجد وعلي البنا : مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٩٦٠ م .
- ٥١ - الاعلام - خير الدين الزركلي : بيروت ١٩٦٩ م .
- ٥٢ - الاغانى - ابو الفرج الاصفهاني : طدار الكتب والمهنة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة .
- ٥٣ - الاغراب في جدل الاغراب - ابو البركات الانباري : تحقيق سعيد الافعالي ط الجامعة السورية ١٩٥٧ م .
- ٥٤ - الاقتراح - السيوطي : تصحيح عبد الرحمن بن يحيى - دائرة المعارف العثمانية ببيدر آباد ١٣٥٩ هـ .
- ٥٥ - الاقتضاب في شرح ادب الكتاب - ابن السيد البطليموسي : تحقيق عبد الله

- البيستاني - المطبعة الادبية بيروت ١٩٠١ م .
- ٥٦ - اميد الخزاة - عبد العزيز الميمني الراجكوتي : جامعة البجانب بـلاهور ١٩٢٧ م .
- ٥٧ - الالفاظ - ابن السكيت : تحقيق لويس شيخو اليسوعي (انظر . محصر تهذيب الالفاظ) .
- ٥٨ - الالفاظ العارسية المعربة - ادي شير : المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨ م .
- ٥٩ - الامالي - ابو علي الفاي - دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٦ م .
- ٦٠ - الامالي - المرتضى : تحقيق محمد أبي العصل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٦١ - الامتاع والمؤانسة - ابو حيان التوحيدى : لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٦٢ - الامثال - ابو عكرمة الضبي . تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - دمشق ١٩٧٤ م .
- ٦٣ - امثال العرب - المفضل الضبي : مطبعة الخواشب بالاستانة ١٣٠٠ هـ .
- ٦٤ - الامثال - مؤرج السدوسي : تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - وزارة الثقافة بالقاهرة ١٩٧١ م .
- ٦٥ - الامثال العربية القديمة - رودلف زهايم : تعريب الدكتور رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٧١ م .
- ٦٦ - انباء الرواة - القفطي . تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٠ م .
- ٦٧ - الانساب - السمعاني : تحقيق عبد الرحمن المعلمي الباني - ورراة المعارف الهدية - حيدرآباد ١٩٦٢ م .
- ٦٨ - انساب الخليل - الكلبي : تحقيق احمد زكي باشا - دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤٦ م .
- ٦٩ - الانصاف في مسائل الخلاف - ابو البركات الانباري : تحقيق كونولد فايل - ليدن ١٩١٣ م .
- ٧٠ - الانواء - ابن قتيبة : طبع حيدرآباد الدكن بالهد ١٩٥٦ م .
- ٧١ - الايصاح في علل النحو - الزجاجي : تحقيق مازن المبارك - دار العروبة بالقاهرة ١٩٥٩ م .

- ٧٢ - ايضاح الوقف والابتداء - ابو بكر بن الانباري : تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان - دمشق ١٩٧١ م .
- ٧٣ - السماع في اللغة - ابو علي القالي : تحقيق هاشم الطعان - بيروت ١٩٧٥ م .
- ٧٤ - البحث اللغوي عند العرب - الدكتور احمد مختار عمر : مطابع سجل العرب بالقاهرة ١٩٧١ م .
- ٧٥ - البحث اللغوي عند المنود - الدكتور احمد مختار عمر : دار الثقافة ببيروت ١٩٧٢ م .
- ٧٦ - البحر المحيط - ابو حيان : مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ٧٧ - البداية والنهاية - ابن كثير : مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ هـ .
- ٧٨ - بغية الوعاة - جلال الدين السيوطي : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٦٤ م .
- ٧٩ - البلغة في شذور اللغة - لويس شيخو البسوعي : المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٤ م .
- ٨٠ - البيان والتبيين - الجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٨١ - تاج العروس - محمد مرتضى الريددي : وزارة الارشاد والانباء - الكويت ١٩٦٥ م . والخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ .
- ٨٢ - تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعي : مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٠ م .
- ٨٣ - تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان : مطبعة الهلال بالقاهرة ١٩٣٦ م .
- ٨٤ - تاريخ الادب العربي - بروكلمان : تعريب الدكتور عبد الحلیم النجار - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦١ م .
- ٨٥ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي : طبعة مصورة في بيروت عن طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣١ م .
- ٨٦ - تاريخ الحضارة الاسلامية - يارتولد : تعريب حمزة طاهر - ط ٣ دار المعارف بمصر .
- ٨٧ - تاريخ الدولة الاسلامية وتاريخها - يوجينا غيانة : نشر للمكتب التجاري

- بيروت ١٩٦٦ م .
- ٨٨ - تاريخ الرسل والملوك - محمد بن جرير الطبري : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م .
- ٨٩ - تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية - محمد اسماعيل الندي - ط ١ بيروت د . ت .
- ٩٠ - تاريخ العرب قبل الاسلام - الدكتور جواد علي : (القسم اللغوي) ط ١ المجمع العلمي العراقي .
- ٩١ - تاريخ علوم اللغة العربية - طه الراوي : بغداد ١٩٤٩ م .
- ٩٢ - تاريخ الفلسفة في الاسلام - دي بور : تعريب ابي ريدة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٩٣ - تاريخ اللغات السامية - اسرائيل ولفسون : مطبعة الاعتماد بالقاهرة ١٩٢٩ م .
- ٩٤ - تاريخ اللغة العربية في مصر - الدكتور احمد مختار عمر : القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٩٥ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتية : تحقيق السيد احمد صقر - عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٤ م .
- ٩٦ - التحفة البهية والطرفة الشهية - مطبعة الخواشب بالاسكندرية ١٣٠٢ هـ .
- ٩٧ - تذكرة الحفاظ - الذهبي : طبع حيدر آباد الدكن ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .
- ٩٨ - تصحيح الفصح - ابن درستويه : تحقيق الدكتور عبد الله الجهوري - بغداد ١٩٧٥ م .
- ٩٩ - التصحيح والتحريف - ابو احمد العسكري : مطبعة القاهرة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .
- ١٠٠ - التضاد في ضوء اللغات السامية - الدكتور ريمحي كمال : نشر جامعة بيروت العربية ١٩٧٢ م .
- ١٠١ - التطور اللغوي التاريخي - الدكتور ابراهيم السامرائي : دار الرائد للطباعة بالقاهرة ١٩٦٦ م .
- ١٠٢ - التطور النحوي - برجستراسر : القاهرة ١٩٢٩ م .
- ١٠٣ - الترميمات - لجرجاني : مطبعة البليبي الحلبي بالقاهرة ١٣٥٧ هـ .

١٠٤ - تفسير غريب القرآن - ابن قتيبة : تحقيق السيد احمد صقر - القاهرة ١٩٥٨

٠ م

١٠٥ - التفسير الكبير - الفخر الرازي : المطبعة البهية المصرية بالقاهرة ١٣٥٢ هـ .

١٠٦ - التنقيح في اللغة - ابو بشر البندنجي : تحقيق الدكتور خليل العطية - وزارة

الاعراف بغداد ١٩٧٦ م .

١٠٧ - التكملة والذيل والمصلة - الصغاني : تحقيق عبد العليم الطحاوي وجماعة -

دار الكتب بالقاهرة ١٩٧٠ م .

١٠٨ - توير المقباس من تفسير ابن عباس - الفيروز ابادي : القاهرة ١٩٦٤ م .

١٠٩ - تهذيب الالفاظ - ابن السكيت : تحقيق لويس شيخو اليسوعي - طبعة

مصورة من طبعة بيروت ١٨٩٥ م .

١١٠ - تهذيب تاريخ ابن عساکر - عبد القادر بدراي : دمشق ١٣٢٩ هـ - ١٣٥١

هـ .

١١١ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني : دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن

١٣٢٥ هـ .

١١٢ - تهذيب اللغة - ابو منصور الازهري . تحقيق عبد السلام هرون - دار

القومية العربية بالقاهرة ١٩٦٤ م .

١١٣ - ثلاثة كتب في الاضداد - تحقيق اوغست هفتر : المطبعة الكاثوليكية - بيروت

١٩١٣ م .

١١٤ - جامع البيان في تفسير القرآن - الطبري : السامي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٤ م .

١١٥ - جامع الدروس العربية - الغلاييني - المطبعة المصرية - بيروت ١٩٦٨ م .

١١٦ - الجامع لاحكام القرآن - القرطبي : الطبعة الثالثة بالقاهرة ١٩٦٧ م .

١١٧ - جنوة المقتبس - الحميدي : تحقيق محمد بن ناوي الطنجي - مصر ١٣٧٢

هـ .

١١٨ - جوهرة اللغة - ابن دريد : تحقيق كرتكو - طحيدر آباد الدكن ١٣٤٤ هـ .

١١٩ - جوهرة اشعار العرب - القرشي : تحقيق البجاوي - القاهرة د . ت .

١٢٠ - الجيم - ابو عمرو الشيباني : تحقيق ابراهيم الايلاري وجماعة - نشر مجمع

اللغة العربية في القاهرة ١٩٧٤ م .

- ١٢١ - حاشية الصبان على شرح الأشموني - مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة د . ت .
- ١٢٢ - الحروف - ابن السكيت : تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - مطبعة جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٢٣ - الحروف - النسوب الى الخليل بن احمد : تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - مطبعة جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٢٤ - حياة الحيوان الكبرى - الدميري : دار الطباعة بالقاهرة ١٢٩٢ هـ .
- ١٢٥ - الحيوان - الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون - بيروت ١٩٦٩ م .
- ١٢٦ - خزائن الادب - عبد القادر البغدادي : طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩٩ هـ .
- ١٢٧ - الخصائص - ابن جني : تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب بالقاهرة ١٩٥٢ م .
- ١٢٨ - خلق الانسان - الاصمعي : تحقيق اوغست هفتر (في الكنز اللغوي) - بيروت ١٩٢٣ م .
- ١٢٩ - الخليل بن احمد الفراهيدي - الدكتور مهدي المخزومي : مطبعة الزهراء ببغداد ١٩٦٠ م .
- ١٣٠ - الخليل - ابو عبيدة : وقف عليه كرنكو - طبع بدير آباد الهند ١٣٥٨ هـ .
- ١٣١ - الخليل - الاصمعي : تحقيق الدكتور نوري هودي القيسي - مجلة كلية الآداب ببغداد ١٩٦٩ م .
- ١٣٢ - دائرة المعارف الاسلامية - دار انتشارات جهان : بوخر جهري بتهران د . ت .
- ١٣٣ - دراسات في فقه اللغة - الدكتور صبحي الصالح : دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨ م .
- ١٣٤ - دراسات في اللغة - الدكتور ابراهيم السامرائي : مطبعة العاني - بغداد ١٩٦١ م .
- ١٣٥ - الدراسات النحوية واللفظية عند الزمخشري - الدكتور فاضل صالح السامرائي : دار التنوير ببغداد ١٩٧٠ م .
- ١٣٦ - درة العواصم في اوهام الخواص - الحريري : طبعة مصورة عن طبعة نورك

في لايزك ١٨٧١ م .

١٣٧ - دروس في علم اصوات العربية - كاتينو : تعريب صالح القرمادي - تونس
١٩٦٦ م .

١٣٨ - دروس اللغة العبرية - ربحي كمال : مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٦ م .

١٣٩ - دلالة الالفاظ - الدكتور ابراهيم انيس . مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة
١٩٦٣ م .

١٤٠ - ديوان الاخطل - الأب انطون صالحاني : بيروت ١٨٩١ م .

١٤١ - ديوان الادب - الفارابي : تحقيق الدكتور احمد مختار عمر - نشر مجمع اللغة
العربية بالقاهرة ١٩٧٤ م .

١٤٢ - ديوان جرير - شرح الصاوي : نشر المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .

١٤٣ - ديوان هنترة العبسي - وقف علي طبعه خليل الخوري : المطبعة الادبية
بيروت د . ت .

١٤٤ - الذريعة الى تصانيف الشيعة - محمد محسن الطهراني : مطبعة الغري في
النجف ١٣٥٦ هـ .

١٤٥ - ذيل الامالي والنوادر - ابو علي الفاي : ملحق بكتاب الامالي (انظر .
الامالي للفاي) .

١٤٦ - الرجل والمنزل - النوب لابن قتيبة - تحقيق لويس شيخو اليسوعي (في
البلغة) - بيروت ١٩١٤ م .

١٤٧ - رسالة في الحروف العربية - الضر بن شميل . تحقيق لويس شيخو
اليسوعي (في البلغة) - بيروت ١٩١٤ م .

١٤٨ - رواية اللغة - الدكتور عبد الحميد الشلقاني : دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

١٤٩ - الرواية والامتنعاه بالغة - الدكتور محمد عيد : نشر عالم الكتب - القاهرة
١٩٧٢ م .

١٥٠ - روح المعاني - الآلوسي : ادارة الطباعة المنيرية - القاهرة ١٣٤٥ هـ .

١٥١ - روضات الجنات في احوال العلماء والسادات - الخواصاري المطبعة
الحيدرية بطهران ١٣٩٠ هـ .

١٥٢ - الروض الأنف - السهلي : مطبعة الجمالية - القاهرة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٤ م

- ١٥٣ - زهر الآداب وثمر الالباب - الحصري : تحقيق علي محمد البجاوي - دار
احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٣ م .
- ١٥٤ - سر الليال في القلب والابدال - احمد فارس الشدياق : طاستانبول ١٢٨٤هـ .
- ١٥٥ - سر صناعة الاعراب - ابن جني : تحقيق مصطفى السفا وجماعه - البابي
الحلي بالقاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٥٦ - سمط اللآلي - ابو عبيد البكري : تحقيق عبد العزيز الميمني - مطبعة لجنة
التأليف بالقاهرة ١٩٣٦ م .
- ١٥٧ - سنن الترمذي - الترمذي : القاهرة ١٢٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١٥٨ - مؤالات نافع بن الازرق - تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي : بغداد
١٩٦٨ م .
- ١٥٩ - الشاء - الاصمعي : تحقيق اوغست هفتر - فينا ١٨٩٦ م .
- ١٦٠ - الشافية - ابن الحاجب (في مجموع مهمات المتون) : مطبعة البابي الحلبي
بالقاهرة ١٩٤٩ م .
- ١٦١ - شذرات الذهب - ابن العماد الحنبل : مكتبة القدسي - مطبعة الصدوق
الخيرية بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٦٢ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد -
مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٦٣ - شرح ادب الكاتب - ابو منصور الجواليقي : مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٠
هـ .
- ١٦٤ - شرح الاشمولي على الفية ابن مالك (منهج السالك) : نشر محي الدين عبد
الحميد - مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٣٩ م .
- ١٦٥ - شرح التصريح على التوضيح - الازهري : دار احياء الكتب العربية بالقاهرة
د . ت .
- ١٦٦ - شرح درة الغواص - الخفاجي : نشر نظارة المعارف - مطبعة الجوائب
بفسطاطية ١٢٩٩ هـ .
- ١٦٧ - شرح ديوان الحياصة - التبريزي : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة

حجازي بالقاهرة .

١٦٨ - شرح الشافية - الرضي الاسترابادي : تحقيق محمد نور الحسن وجماعة -
مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ .

١٦٩ - شرح الكافية - الرضي الاسترابادي : مطبعة مجمع الرضي - الاسنانه ١٢٧٥ هـ .

١٧٠ - شرح شواهد المعيني - هامش خزانة الادب (انظر : خزانة الادب
للبيدادي) .

١٧١ - شرح شواهد المفتي - السيوطي : دمشق ١٩٦٦ م .

١٧٢ - شرح القصائد التسع المشهورات - ابن السكاس : تحقيق احمد خطاب - شر
وزارة الاعلام - بغداد ١٩٧٣ م .

١٧٣ - شرح قطر الندى وبل الصدى - ابن هشام : تحقيق محمد محي الدين عبد
الحميد - الطبعة التاسعة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

١٧٤ - شرح المعلقات السبع - الزوزني : تحقيق محمد علي حمد الله - نشر المكتبة
الاموية - دمشق ١٩٦٣ م .

١٧٥ - شرح المفصل - ابن يمين : مطبعة الطباعة المنيرية - القاهرة د ت .

١٧٦ - شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد : تحقيق حسن غيم - مكتبة الحياة
بيروت ١٩٦٣ م .

١٧٧ - شعر ابي زيد الطائي : تحقيق الدكتور نوري هودي القيسي - مطبعة المعارف
ببغداد ١٩٦٧ م .

١٧٨ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة : نشر دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤ م .

١٧٩ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الحماجي : نشر محمد عبد
المعتمد حماجي - مطبعة المنيرية بالقاهرة ١٩٥٢ م .

١٨٠ - شمس العلوم - نشوان الحميري : تحقيق سترمشين - مطبعة بريل بليدن
١٩٥٣ م .

١٨١ - شواهد التوضيح والتصحيح - ابن مالك : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي -
مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٧ م .

١٨٢ - الصحاح في فقه اللغة - احمد بن فارس : تحقيق مصطفى الشويخي - بيروت

- ١٩٦٤ م . ونشر المكتبة السلفية في القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .
- ١٨٣ - صحح الأعشى - القلقشندي : دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م .
- ١٨٤ - الصحاح - الجوهري : تحقيق احمد عبد الغفور عطار - مطابع دار الكتب العربي بالقاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٨٥ - الصحاح ومدارس المعجمات العربية - احمد عبد الغفور عطار . ط ٢ بيروت ١٩٦٧ م .
- ١٨٦ - ضحى الاسلام - احمد امين : لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط ٣ القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٨٧ - طبقات الاطباء والحكماء - ابن جليل : مطبعة المعهد العلمي العربي - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٨٨ - طبقات الشافعية الكبرى - السبكي : تحقيق الحلو والطناحي : البابي الحلبي بمصر ١٩٦٤ م .
- ١٨٩ - طبقات الشعراء - ابن المعتز : تحقيق عبد الستار احمد فراح - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٩٠ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام الجمحي : تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م .
- ١٩١ - طبقات النحويين واللغويين - ابو بكر الربيدي : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - مطبعة الخانجي بالقاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٩٢ - طرق تنمية الالفاظ - الدكتور ابراهيم انيس : مطبعة النهضة الجديدة بالقاهرة ١٩٦٦ م .
- ١٩٣ - العباب الزاخر - الصغاني : تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (الجزء الاول) - مطبعة المعارف ببغداد ١٩٧٧ م .
- ١٩٤ - عمري من البصرة - الدكتور مهدي للخزومي : وزارة الاعلام ببغداد ١٩٧٢ م .
- ١٩٥ - العربية - يوهان فك : تعريب الدكتور عبد الحليم النجار - مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٥١ م .

- ١٩٦ - العقد الفريد - ابن عبد ربه الاندلسي : تحقيق محمد سعيد الريان - ط ١
مطبعة الاستقامة بمصر ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- ١٩٧ - علم اللغة - علي عبد الواحد وافي : دار نهضة مصر للطبع بالقاهرة ١٩٦٧ م
- ١٩٨ - علم اللغة - محمود السمران : دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٩٩ - المين - الخليل بن احمد : تحقيق الدكتور عبد الله درويش (الجزء الاول) -
مطبعة العاني ببغداد ١٩٦٧ م .
- ٢٠٠ - عيون الاخبار - ابن قتيبة : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية -
القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٢٠١ - عيون الانباء في طبقات الاطباء - ابن ابي اصيبعة - ط ١ المطبعة السوسية
١٨٨٢ م .
- ٢٠٢ - غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجوري : نشر برجستراسر - القاهرة
١٩٣٣ م .
- ٢٠٣ - غريب الحديث - ابن قتيبة : تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري - وزارة
الاعراف ببغداد ٧٦ - ١٩٧٧ م .
- ٢٠٤ - غريب الحديث - ابو عبيد القاسم بن سلام : مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد
نخان - حيدر آباد ١٩٦٤ م .
- ٢٠٥ - الفاحر - المعصل بن سلمة : تحقيق عبد العليم الطحاوي - القاهرة ١٩٦٠
م .
- ٢٠٦ - الفاضل - المبرد : تحقيق عبد العزيز الميمني - دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٥٦ م .
- ٢٠٧ - الفائق - الزمخشري . دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٤٥ م .
- ٢٠٨ - فتوح البلدان - البلاذري : مطبعة الموسوعات ١٩٠١ م .
- ٢٠٩ - فصل المقال في شرح كتاب الامثال - ابو عبيد البكري : تحقيق عبد المجيد
عابدين واحسان عباس - الخرطوم ١٩٥٨ م .
- ٢١٠ - فصول في فقه العربية - الدكتور رمضان عبد التواب - ط ١ مكتبة دار
التراث - القاهرة ١٩٧٣ م .

- ٢١١ - فقه اللغة - الثعالبي : نشر للمكتبة التجارية الكبرى - مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٩٣٨ م .
- ٢١٢ - فقه اللغة - الدكتور علي عبد الواحد وافي : دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة د . ت
- ٢١٣ - فقه اللغة وخصائص العربية - محمد المبارك : دار الفكر بيروت ١٩٦٨ م .
- ٢١٤ - الملاكة والمقلوكون - الدبلجي : نشر مكتبة الاندلس ببغداد - مطبعة الآداب بالبحف ١٣٨٥ هـ .
- ٢١٥ - الفلسفة اللغوية - جرجي زيدان : مطابع دار الهلال بالقاهرة د . ت .
- ٢١٦ - الفهرست - ابن النديم : طبعة المطبعة الرحمانية بالقاهرة د . ت ، وطبعة فسوجل . وطبعة دانشگاه طهران - تحقيق رضا تجدد - طهران ١٩٧١ م .
- ٢١٧ - فهرس دار الكتب المصرية - مطبعة دار الكتاب - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
- ٢١٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - اساء الحمصي : مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٧٣ م .
- ٢١٩ - فهرس للمخطوطات المصورة - فؤاد مبد : دار الرياض للطبع والنشر - القاهرة ١٩٥٤ م
- ٢٢٠ - فهرسة ما رواه عن شيوخه - ابن خير الاشجيل : تحقيق زيلدين وطرغوه - نشر المكتب التجاري (طبعة مصورة) ١٩٦٣ م .
- ٢٢١ - فوات الوفيات - ابن شاکر الکنی : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥١ م .
- ٢٢٢ - في اللهجات العربية - الدكتور ابراهيم انيس : المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٢٣ - قاموس الافعال العبرية - م . ضياحي : مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٥ م .
- ٢٢٤ - القاموس العبري العملي - رضوان عبده رضوان : مكتبة النهضة المصرية - القاهرة د . ت .
- ٢٢٥ - القاموس المحيط - الفيروز ابادي : طبعة مصورة عن طبعة بولاق بمصر ١٣٠١ هـ .

- ٢٢٦ - القرآن الكريم
- ٢٢٧ - القرطين - ابن مطرف الكتاني : نشر الخانجي - القاهرة ١٣٥٥ هـ .
- ٢٢٨ - القلب والابدال - ابن السكيت : تحقيق اوغست هفتر (في الكنز اللغوي)
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ م .
- ٢٢٩ - الكامل - المبرد : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم والسيد شعاعه - دار نهضة
مصر للطبع والنشر بالقاهرة د . ت .
- ٢٣٠ - الكتاب - سيبويه : المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ١٣١٦ هـ .
- ٢٣١ - الكرم - الاصمعي : تحقيق لويس شيخو اليسوعي (في البلغة) - المطبعة
الكاثوليكية في بيروت ١٩١٤ م .
- ٢٣٢ - الكشف - الزمخشري - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥ هـ .
- ٢٣٣ - كشف الظنون - حاجي خليفة : تحقيق بالتقيا والكليسي - وكالة المعارف
باستنبول ١٩٤١ م .
- ٢٣٤ - الكنايات - الجرجاني : مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٠٨ م .
- ٢٣٥ - كنز الحفاظ في تهذيب الالفاظ : (انظر : تهذيب الالفاظ لابن السكيت) .
- ٢٣٦ - الكنز في قواعد اللغة العبرية - محمد بدر : المطبعة التجارية الكبرى بمصر
١٩٢٦ م .
- ٢٣٧ - الكنز اللغوي في اللسن العربي - تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية
بيروت ١٩٠٣ م .
- ٢٣٨ - الكنى والالفاظ - الشيخ عباس القمي : مطبعة العرفان بصيدا ١٩٣٩ م .
- ٢٣٩ - لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية - الدكتور عبد العزيز مطر : دار
الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٤٠ - لحن العامة والتطور اللغوي - الدكتور رمضان عبد التواب : دار المعارف
بمصر - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٤١ - لحن العوام - ابو بكر الزبيدي : تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - المطبعة
الكيمالية بالقاهرة ١٩٦٤ م .
- ٢٤٢ - لسان العرب - ابن منظور : نشر دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٩٥٥ م .
- ٢٤٣ - اللغات السامية - فولدكه - تحرير الدكتور رمضان عبد التواب - المطبعة

- الكيمالية بالقاهرة ١٩٦٣ م .
- ٢٤٤ - اللغات في القرآن - ابن عباس : تحقيق الدكتور صلاح الدين المسجد - ط ١ بيروت ١٩٧٢ م .
- ٢٤٥ - اللغة - فدريس : تعريب الدواخلي والقصاص - مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢٤٦ - اللهجات العربية في التراث - الدكتور احمد علم الدين الجندى : طبعة مصورة عن طبعة بالالة الكاتبة - الهيئة المصرية العامة ١٩٦٥ م .
- ٢٤٧ - لمع الأدلة - ابو البركات الانباري : تحقيق سعيد الافغاني (مع الاعراب) - الجامعة السورية ١٩٥٧ م .
- ٢٤٨ - ما اتفق لفظه واختلف معناه - المبرد : تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ٢٤٩ - ما تلحن فيه العوام - الكسائي . تحقيق عبد العزيز الميمنى - المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٤ هـ .
- ٢٥٠ - ما جاء اسمان احدهما اشهر من صاحبه - محمد بن حبيب : تحقيق محمد حميد الله - مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الرابع ١٩٥٦ م .
- ٢٥١ - ما خالف فيه الانسان البهيمة - قطرب : تحقيق رودلف جاير (مع الوحوش للاصمعي) - فيينا ١٨٨٨ م .
- ٢٥٢ - المباحث اللغوية - د . مصطفى جواد : القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٢٥٣ - مجاز القرآن - ابو عبيدة : تحقيق فؤاد سزكين - القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م .
- ٢٥٤ - مجالس نعلب - نعلب : تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٢٥٥ - مجالس العلماء - الزجاجي : تحقيق عبد السلام هارون - الكويت ١٩٦٢ م .
- ٢٥٦ - مجمع الامثال - الميداني : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ط ٢ مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩ م .
- ٢٥٧ - مجمع البيان - الطبرسي : نشر احمد عارف الزين - صيدا ١٣٣٣ هـ .
- ٢٥٨ - مجموعه الوثائق السياسية - الدكتور محمد حميد الله : دار الارشاد للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٩ م - ١٣٨٩ هـ .
- ٢٥٩ - المحتسب - ابن حنّى : تحقيق علي السجدي ناصف وجماعة - دار التحرير

للطباعة بالقاهرة ١٣٨١ هـ .

٢٦٠ - مختصر الجلسة السبعة لخواص اللغة العربية ١٩٤٨/١٩٤٩ م .

٢٦١ - للحكم في نطق للمصاحف - ابو عمرو الداني : تحقيق د . عزة حسن - دمشق ١٩٦٠ م .

٢٦٢ - للحكم والمحيط الاعظم - ابن سيده : القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٦٣ - للمحيط في اللغة - صاحب بن عباد : تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٧٦ م .

٢٦٤ - مختصر امثال امي عبيد : (في العقد الفريد لابن عبد ربه) .

٢٦٥ - مختصر تهذيب الالفاظ - ابن السكيت : تحقيق لويس شيخو اليسوعي - بيروت ١٨٩٧ م .

٢٦٦ - مختصر العين - الزبيدي : تحقيق الفاسي والطنجي - السلسلة اللغوية ١ - المغرب د . ت .

٢٦٧ - المختصص - ابن سيده : طبعة مصورة في بيروت عن طبعة بولاق ١٣١٨ هـ .

٢٦٨ - المختصص لابن سيده . دراسة ، دليل - محمد الطالبي : تونس ١٩٥٦ م .

٢٦٩ - مختصر شواذ القرآن - ابن خالويه : تحقيق برجستراسر - المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م .

٢٧٠ - للدارس النحوية - د . شوقي خفيف : دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٨ م .

٢٧١ - مدرسة الكوفة - د . مهدي المحزومي : القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٧٢ - مذاهب التفسير الاسلامي - كولد سيهر : ترجمة الدكتور عبد الحلوم السجار - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٢٧٣ - المذكر والمؤنث - العراء : تحقيق مصطفى الزرقا - المطبعة العلمية بحلب ١٣٤٥ هـ .

٢٧٤ - مراتب الحويين - ابو الطيب اللغوي : تحقيق محمد امي الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٥ م .

٢٧٥ - للمرشد الى آيات القرآن الكريم - محمد فارس بركات : دمشق ١٩٥٧ م .

٢٧٦ - المزهر - السيوطي : تحقيق محمد احمد جاد المولى - الباهي الحلبي - القاهرة د . ت .

- ٢٧٧ - المسائل والاجوبة - ابن قتيبة : نشر مكتبة القلمي - القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٢٧٨ - مسائية - ابو زيد الانصاري (ملحق بكتاب النواجر في اللغة) - بيروت ١٨٩٤ م .
- ٢٧٩ - مستقبل اللغة العربية المشتركة . د . ابراهيم انيس : القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٢٨٠ - المصباح المنير - الفيومي : تحقيق حمزة فتح الله - القاهرة ١٩٢٦ م .
- ٢٨١ - المعاجم العربية - الدكتور عبد السميع محمد احمد : دار الفكر العربي ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٢٨٢ - المعاجم العربية - د . عبد الله درويش : مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٨٣ - المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث - الدكتور محمد احمد ابو الفرج ط ١ دار النهضة العربية ١٩٦٦ .
- ٢٨٤ - معاني القرآن - الفراء : تحقيق محمد علي التجار وجماعة - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٢٨٥ - المعاني الكبير - ابن قتيبة : تحقيق كرنكو - حيدر آباد الهند - طبعة مصورة بيروت د . ت
- ٢٨٦ - معجم الادباء - ياقوت الحموي : نشر عيسى البابي - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٢٨٧ - معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية في القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٢٨٨ - معجم البلدان - ياقوت الحموي ط ١ مطبعة السعادة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م .
- ٢٨٩ - معجم الشعراء - المرزباني : تحقيق عبد الستار احمد فراح - مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٩٠ - المعجم العربي - د . حسين نصار : دار مصر للطباعة - القاهرة ١٩٦٨ م .
- ٢٩١ - معجم ما استعجم - السكري : تحقيق مصطفى السقا - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٢٩٢ - معجم المطبوعات العربية والمعربة - يوسف اليان سركيس - القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٢٩٣ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم - محمد فوزي عبد الباقى - القاهرة ١٣٦٤ هـ .
- ٢٩٤ - معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - مطبعة الترقى بدمشق ١٩٥٧ م .

- ٢٩٥ - المعجمية العربية - الابد مرمرجي النوميكي : القدس ١٩٣٧ م .
- ٢٩٦ - العرب من الكلام الاعجمي - الخواليقي : تحقيق احمد محمد شاكر القاهرة ١٣٦١ هـ .
- ٢٩٧ - معني اللب - ابن هشام : تحقيق محي الدين عبد الحميد القاهرة د ت
- ٢٩٨ - مفتاح العلوم - السكاكي - ط ١ القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م
- ٢٩٩ - مبادئ اللغة - ابن فارس : تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٣٦٦ هـ
- ٣٠٠ - المقتضب - المبرد : تحقيق عبد الخالق عصبية - القاهرة ١٣٨٨ هـ .
- ٣٠١ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون : نشر ورثة الشيخ محمد عبد الخلق المهدي - القاهرة ١٩٣٠ م .
- ٣٠٢ - مقدمة الانصاف - كوتولد فايل : تعريب الدكتور محمد عبد الحليم النجار .
- ٣٠٣ - مقدمة الصحاح - احمد عبد العفور عطار . دار الكتاب العربي بمصر - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٣٠٤ - مقدمة لدرس لغة العرب - عبد الله الملايلي : المطبعة المصرية بمصر - د . ت .
- ٣٠٥ - مقدمة العين في ارجح نصوصها - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٧٧ م .
- ٣٠٦ - مقدمة في الاصول اللغوية المشتركة بين العربية والعبرية - محمد حسين آل ياسين بغداد ١٩٧١ م .
- ٣٠٧ - المفتح - ابو عمرو الداني : تحقيق محمد احمد دهمان - مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٠ م .
- ٣٠٨ - المكنى والمبنى - ابن السكيت (ضمن اصلاح المنطق) - دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م .
- ٣٠٩ - من اسرار اللغة - د . ابراهيم انيس : المطبعة الفنية في القاهرة - ١٩٦٦ م
- ٣١٠ - منتهى الوصول - ابن الحاجب : نشر محمد بدر الدين النعساني - ط ١ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ .
- ٣١١ - النصف - ابن جني : تحقيق ابراهيم مصطفى وجماعة - ط ١ القاهرة ١٩٥٤ م

- ٣١٢ - المنطق - الشيخ محمد رضا المظفر : مطبعة النعمان - النجف ١٩٦٨ م
- ٣١٣ - مهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية - عبد الامير الورد : دار التربية بغداد ١٩٧٥ م .
- ٣١٤ - مهج البحث في الادب واللغة - مايه ولانسون : تعريب الدكتور محمد مندور (ملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب) القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٣١٥ - مهج الطوسي في تفسير القرآن - الشيخ محمد حسن آل ياسين : مطبعة جامعة مشهد بايران د . ت .
- ٣١٦ - الموارد - الأملدي : تحقيق سيد احمد صفير - القاهرة ١٩٦١ م .
- ٣١٧ - المؤلف والمختلف - الأملدي : تحقيق عبد الستار احمد فراج - البائي الحلبي ١٩٦١ م .
- ٣١٨ - الموشح - المرزباني : المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ
- ٣١٩ - الشر الفني في القرن الرابع - د . زكي مبارك : دار الكتب المصرية - ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .
- ٣٢٠ - النجوم الزاهرة - ابن تغري بردي الاتابكي : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٤ - ١٩٥٦ م .
- ٣٢١ - النحو العربي / العلة الحوية نشأتها وتطورها - د . مازن المبارك : الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٣٢٢ - النحو العربي نقد وبناء - د . ابراهيم السامرائي : دار الصادق بيروت ١٩٦٨ م .
- ٣٢٣ - النخل - الاصمعي : تحقيق لويس شيخو (البلغة) بيروت ١٩١٤ م .
- ٣٢٤ - نزهة الالباء - ابو البركات اليباري : تحقيق د . ابراهيم السامرائي - بغداد ١٩٥٩ م .
- ٣٢٥ - نشأة اللغة عند الانسان والطفل - د . علي عبد الواحد وافي : القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٣٢٦ - الشر في القراءات العشر - ابن الجزري : تحقيق علي محمد الصباغ - المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة د . ت .

- ٣٢٧ - نشوء اللغة ونموها واكتسابها - انتاس الكرملي : القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٣٢٨ - نظرات في اللغة والنحو - طه الراوي : نشر المكتبة الاهلية بيروت ١٩٦٢ م .
- ٣٢٩ - النعم والبهائم والوحش - المنسوب الى ابن قتيبة : تحقيق موريس بوح -
ليزر ١٩٠٨ م
- ٣٣٠ - النقائص - ابو عبيدة : طبعة مصورة عن تحقيق يغان - ليدن ١٩٠٥ م .
- ٣٣١ - نقد النثر - المنسوب الى قدامة بن جعفر : تحقيق الدكتور طه حسين وعد
الحمد العبادي - ط ٤ القاهرة ١٩٤١ م .
- ٣٣٢ - نكت الحميان في نكت الحميان - الصفدي : وقف على طبعه احمد ركي -
القاهرة ١٩١١ م .
- ٣٣٣ - النهاية في غريب الحديث - ابن الاثير : تحقيق الزاوي والطاسي - القاهرة
١٩٦٣ م .
- ٣٣٤ - النوادر - ابو مسحل الاعرابي : تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق
١٩٦١ م .
- ٣٣٥ - النوادر في اللغة - ابو زيد الانصاري : تحقيق سعيد الخوري الشرتوني -
بيروت ١٩٦٧ م (طبعة مصورة) .
- ٣٣٦ - نور القبس - اليعموري : تحقيق رودلف رهايم - فسيادن ١٩٦٤ م .
- ٣٣٧ - الهجاء والمجاز ون في الجاهلية - الدكتور محمد محمد حسين . القاهرة
١٩٦٤ م .
- ٣٣٨ - الحمز - ابو زيد الانصاري : تحقيق لويس شيخو اليسوعي - بيروت
١٩١١ م .
- ٣٣٩ - مجمع الهوامع - السيوطي : ط ١ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ .
- ٣٤٠ - الوافي بالوفيات - الصفدي : تحقيق هلموت ريتز - فسيادن ١٩٦١ م
- ٣٤١ - الوحوش - الاصمعي : تحقيق رودلف جاير - فينا ١٨٨٨ م .
- ٣٤٢ - وفيات الاعيان - ابن خلكان : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة
١٩٤٨ م .

ثالثا - الاحية :

٣٤٣ תרנ"ה : 90 פלח פלח חסד פנה, 1930 / 1937

Bruckmann: Geschichte der Arabischen Literatur, Leiden 1937-1942

344

Chaim Rabin: Ancient West-Arabian, London 1951.

345

Djambatan Historical Atlas of the Muslim Peoples, Amsterdam 1957

346

Sezgin : Geschichte des Arabischen Schrifttums, Leiden 1967-1971

347

رابعا - المجلات والفوريات :

٣٤٨ - الازهر - القاهرة

٣٤٩ - اسلاميات (Islamica) : ألمانيا

٣٥٠ - البلاغ - بغداد

٣٥١ - العلم - بغداد

٣٥٢ - كلية الآداب - بغداد .

٣٥٣ - كلية الآداب (المستنصرية) - بغداد .

٣٥٤ - كلية الشريعة - بغداد .

٣٥٥ - كلية الفقه يوسف - بيروت .

٣٥٦ - لغة العرب - بغداد .

٣٥٧ - المجلة - القاهرة .

٣٥٨ - المجمع العلمي العراقي - بغداد

٣٥٩ - المجمع العلمي العربي - دمشق .

٣٦٠ - مجمع اللغة العربية - دمشق .

٣٦١ - مجمع اللغة العربية الملكي - القاهرة .

٣٦٢ - المشرق - بيروت .

٣٦٣ - المكتبة - بغداد .

٣٦٤ - المناهل - الرباط .

٣٦٥ - المورد - بغداد .

٣- فهرس مطالب الرسالة

الصفحة

٧	الإهداء
١١	تقديم : بقلم الأستاذ العلامة الدكتور مهدي المحزومي
١٥	من تقرير الخبير الخارجي : الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي
١٧ - ٢٤	المقدمة

الباب الأول بيئة الدرس اللغوي وطلانه ٢٥ - ٩٦

الفصل الأول : البيئة العامة ٢٧ - ٤٩

مقدمة ٢٩ ، المربية ٣٠ ، المصاحبة ٣١ ، اللحن ٣٤ ،
العامة ٣٨ ، موقف ولاية الامر ٤٠ ، البصرة ٤٦ ، الكوفة
٤٧

الفصل الثاني : طلائع الدرس اللغوي ٥١ - ٩٦

مقدمة ٥٣ ، النقط والاعجام والشكل ٥٣ ، النحو وصحة
وواصفه ٥٧ ، الرواية والرواة ٦٥ ، الأعراب المصحاة
٧١ ، احتلاط الدراسات اللغوية واصطلاحها ٧٨ ، الاصلية
والنأثر في الدرس اللغوي ٨٤ .

الباب الثاني

التأليف

٩٧-٣٢١

الفصل الأول . التأليف المختلط ٩٩-١٤٢

مقدمة ١٠١ ، التأليف المختلط بين موضوعات اللغة والمحور
والصرف وغيرها ١٠٣-١١٨ ، كتب معاني القرآن ومجازه
وتأويله ١٠٣ ، معاني القرآن للقراء ١٠٤ ، مجاز القرآن
لأبي عبيدة ١٠٨ ، معاني القرآن للأحمش ١١٢ ، تأويل
مشكل القرآن لابن قتيبة ١١٦ ، التأليف المختلط بين
موضوعات اللغة ١١٨-١٤٢ ، كتب النوادر والأسالي
١١٨ ، النوادر في اللغة لأبي زيد ١٢١ ، السوادر لابن
الاعرابي ١٢٧ ، النوادر لأبي مسحل ١٣٠ ، مجالس ثعلب
١٣٨ .

الفصل الثاني : رسائل الموضوعات المستقلة ١٤٣-٢١٥

مقدمة ١٤٥ ، كتب الغريب ١٤٦-١٦٦ ، غريب القرآن
لابن عباس ١٤٦ ، غريب القرآن لابن قتيبة ١٥٠ ، غريب
الحديث ١٥٤ ، غريب الحديث لأبي عبيد ١٥٥ ، غريب
الحديث لابن قتيبة ١٥٨ ، اصلاح الفلظ لابن قتيبة ١٦١ ،
المسائل والأجوبة لابن قتيبة ١٦٣ ، غريب الحديث
للحريري ١٦٤ ، غريب اللغة ١٦٥ ، كتب اللغات ١٦٧ -
١٧٩ ، لغات القرآن لابن عباس ١٦٧ ، لغات المسائل
١٦٩ ، لحن العلامة ١٦٩ ، ما تلحق فيه العوام للكسائي
١٧٠ ، الحروف لامين السكيت ١٧٣ ، الماخر لامين سلمة
١٧٧ ، كتب الامثال ١٨٠-١٨٩ ، الامثال للمفصل

الضبي ١٨٠ ، الأمثال للسدوسي ١٨١ ، مختصر أمثال أبي
عبد ١٨٤ ، قطعة من أمثال ابن حبيب ١٨٦ ، أمثال أبي
عكرمة ١٨٧ ، كتب الأصوات ١٨٩ - ١٩٦ ، الهمز
١٨٩ ، الهمز لأبي زيد ١٩٠ ، الحروف ١٩١ ، الحروف
للحليل ١٩٢ ، الحروف للنضر بن شميل ١٩٣ ، لرجورة
في الضاد والطاء لابن قتيبة ١٩٤ ، الوقف والابتداء ١٩٥ ،
الأصوات ١٩٥ ، كتب الحيوان ١٩٦ - ٢١٥ ، الحيوان
للجاحظ ١٩٧ ، الحشرات ١٩٧ ، الطير ١٩٨ ، الأبل
والعنم ١٩٨ ، الأبل للاصمعي ١٩٩ ، النشاء للاصمعي
٢٠١ ، الخيل ٢٠٣ ، أنساب الخيل للكلبي ٢٠٤ ، الخيل
لأبي عبيدة ٢٠٦ ، الخيل للاصمعي ٢٠٨ ، أسماء خيل
العرب وفرسانها لابن الأعرابي ٢١٠ ، الوحوش ٢١١ ،
الوحوش لفطرب ٢١٢ ، الوحوش للاصمعي ٢١٤ .

الفصل الثالث : المعجمات اللغوية ٢١٧ - ٣٢١

لفظة معجم لغة واصطلاحاً ٢١٩ ، أسم سبقت الى وضع
المعجم ٢٢٢ ، للمعجمات العربية ٢٢٥ ، معجمات الألفاظ
٢٣٠ - ٢٩١ ، العين للخليل ٢٣٠ - ٢٥٩ ، مستد روايته
٢٣٠ ، نسبه الى مؤلفه ٢٣٥ ، منهجه ٢٤٥ ، مادته
اللغوية ٢٥٠ ، أثره في الدرس اللغوي ٢٥٧ ، الجيم لأبي
عمرو الشيباني ٢٥٩ - ٢٧٨ ، اسمه ٢٦٠ ، منهجه
٢٦٩ ، أثره ٢٧٧ ، التقفية في اللغة للبندنجي ٢٧٨ -
٢٩١ ، منهجه ٢٧٨ ، مادته ٢٨٣ ، أثره ٢٩١ ، معجمات
للعاني ٢٩١ - ٣٢١ ، الغريب المصنف لأبي عبيد ٢٩١ ،
أثره ٣٠٢ ، الألفاظ لابن السكيت ٣٠٢ ، المعاني الكبير
لابن قتيبة ٣٠٨ ، الجرائيم المنسوب الى ابن قتيبة ٣١٣ -

٣٢١ ، النعم والبهائم ٣١٤ ، النخل والكرم ٣١٦ ،
الرحل والمنزل ٣١٨ ، اللبن والشراب ٣١٩ ، ابواب
متفرقة ٣٢٠ .

الباب الثالث

الأسس المنهجية واختلاف اللغويين فيها

٣٢٣ - ٤٢٢

الفصل الأول : الأسس المنهجية في دراسة اللغة ٣٢٥ - ٣٨١

مقدمة ٣٢٧ ، الاستقراء ٣٢٧ ، اختلاف اللهجات
٣٣٥ ، السماع والقياس ٣٤١ ، المادة اللغوية ٣٤٨ -
٣٦٥ ، القرآن الكريم وقراءاته ٣٤٨ ، الحديث النبوي
الشريف ٣٥٣ ، الشعر ٣٥٦ ، اللهجات ٣٦٣ ، نتائج
٣٦٤ ، التفسير والتأويل ٣٦٥ ، العمل ٣٦٩ ، التحليل
٣٧١ ، المنهج الوصفي والمنهج التحليلي ٣٧٤ ، نتائج
٣٧٨ ، خلاصة ٣٨٠ .

الفصل الثاني : أشهر اللغويين وخلافاتهم المنهجية ٣٨٣ - ٤٢٢

أشهر اللغويين ٣٨٥ - ٣٩٢ ، الخليل ٣٨٥ ، سيوطي
٣٨٦ ، الكسائي ٣٨٦ ، الفراء ٣٨٧ ، أبو عبيدة ٣٨٨ ،
الأصمعي ٣٨٩ ، أبو عبيد ٣٩٠ ، ابن السكيت ٣٩٠ ،
ابن قتيبة ٣٩١ ، ثعلب ٣٩١ ، ملامح مدرسية في اللغة
٣٩٢ ، خلاف المدرسين في : ترتيب مخارج بعض
الأصوات ٣٩٥ ، ادغام المثليين ٣٩٥ ، حركة همزة الوصل
٣٩٥ ، نقل حركة همزة الوصل ٣٩٦ ، الضمائر ٣٩٧ ،

اسم الاشارة ٣٩٨ ، الأبنية ٣٩٨ ، اشتقاق كلمة اسم
 ٣٩٩ ، المصدر والفعل ٤٠٠ ، اللام الأولى من لعل
 ٤٠٠ ، جمع طلحة وعقبة ٤٠١ ، حذف علامة التانيث
 ٤٠١ ، مذكر المقصور ٤٠٢ ، السين الداخلة على المضارع
 للاستقبال ٤٠٢ ، ليس ٤٠٣ ، لكن ٤٠٣ ، اللهم
 ٤٠٤ ، إلا ٤٠٤ ، هنك ومهما وكم ٤٠٥ ، اللغويون
 والظواهر اللغوية ٤٠٦ - ٤٢٢ ، القلب والابدال ٤٠٦ ،
 الاشتقاق والنحت ٤١٠ ، الترادف ٤١٤ ، الاشتراك
 ٤١٦ ، التضاد ٤١٨ .

الباب الرابع

تقويم الدراسة القديمة في ضوء الدراسة الحديثة

٤٢٣ - ٤٩٧

الفصل الأول : المصطلحات والموضوعات بين القدماء والمحدثين ٤٢٥ -

٤٥٨

فقه اللغة بين القدماء والمحدثين ٤٢٧ ، مصطلح فقه اللغة
 ٤٢٧ ، موضوعات فقه اللغة ٤٣٣ - ٤٤٣ ، نشأة اللغة
 ٤٣٣ ، حيلة اللغة ٤٣٤ ، الأصوات اللغوية ٤٣٥ ،
 الدلالة ٤٣٦ ، اصول الكلمات ٤٣٩ ، بحوث اجتماعية
 ٤٤١ ، بحوث نفسية ٤٤٢ ، نموذجان من المعالجات
 ٤٤٣ ، نشأة اللغة ٤٤٣ ، التوقيف ٤٤٣ ، التواضع
 ٤٤٦ ، محاكاة الأصوات الطبيعية ٤٤٧ ، الوقف ٤٥٠ ،
 الغريزة الخاصة الموحدة ٤٥١ ، الأصوات اللغوية ٤٥٣ -
 ٤٥٨ .

الفصل الثاني : الدراسات اللغوية واللغات السامية ٤٥٩ - ٤٩٧

اللغويون العرب واللغات السامية ٤٦١ ، مقدمة في اللغات السامية ٤٦١ ، معرفة العرب بقراءة اللغات السامية وأثرها ٤٦٤ - ٤٧٤ ، الأبدال ٤٦٨ ، بين التاء والتاء ٤٦٨ ، بين التاء والفاء ٤٦٩ ، بين الحاء والحاء ٤٦٩ ، بين الدال والذال ٤٦٩ ، بين السين والشين ٤٧٠ ، بين الصاد والضاد ٤٧٠ ، بين اللام والنون ٤٧١ ، بين الميم والنون ٤٧١ ، الضمائر ٤٧١ ، أنا ونحن ٤٧١ ، أنت ٤٧٢ ، هو وهي ٤٧٢ ، أسماء الإشارة ٤٧٢ ، ذا ٤٧٢ ، الأسماء الستة ٤٧٣ ، الأصوات والكتابات ٤٧٣ ، ليس ٤٧٣ ، لكن ٤٧٤ ، كم ٤٧٤ ، جهل اللغويين العرب باللغات السامية وأثره ٤٧٤ ، ٤٨٨ ، الأصوات ٤٧٥ ، الاستنطاء ٤٧٥ ، الفحضة ٤٧٦ ، النقلة ٤٧٧ ، الطمطمانية ٤٧٨ ، طامن ٤٧٨ ، ابدال التاء من الصاد ٤٧٩ ، اسقاط الواو من الأفعال ٤٧٩ ، البنية ٤٨٠ ، القلب ٤٨٠ ، صيغ الفعل ٤٨١ ، الاشتقاق ٤٨١ ، النحت في لكن واللهم ٤٨١ ، الدلالة ٤٨٢ ، سجد ٤٨٢ ، وثب ٤٨٣ ، جون ٤٨٣ ، اسحاق ٤٨٤ ، طه ٤٨٤ ، التذكير والتأنيث ٤٨٤ ، الكف ٤٨٥ ، الشمس ٤٨٦ ، أسلوب اكلوني ٤٨٦ ، شيء ٤٨٧ ، موازنة بين الخليل وابن جني وإبراهيم أنيس ٤٨٨ - ٤٩٧ ، الخليل ٤٨٨ ، علم الأصوات ٤٨٩ ، نشأة اللغة ٤٩٠ ، الاشتقاق ٤٩٠ ، النحت والتركيب ٤٩٠ ، ابن جني ٤٩١ ، الأصوات ٤٩١ ، نشأة اللغة ٤٩٢ ، الاشتقاق الكبير ٤٩٣ ، النحت والتركيب ٤٩٣ ، إبراهيم أنيس ٤٩٤ ، الأصوات ٤٩٤ ، نشأة اللغة ٤٩٥ ، الاشتقاق الكبير ٤٩٦ ، النحت والتركيب ٤٩٦ .

المخاتمة

٥٠٤ - ٤٩٩

النتائج العلمة ٥٠١ ، النتائج الخاصة ٥٠٢ ، الجديء في
هذه الرسالة ٥٠٣ .

٥٤٠ - ٥٠٥

الفهارس العامة

٥١٠ - ٥٠٧

١ - فهرس الأشعار والأرجلز

٥٣٣ - ٥١١

٢ - فهرس المصادر والمراجع

٥٤٠ - ٥٣٤

٣ - فهرس مطالب الرسالة

٥٤٤ - ٥٤١

ملخص باللغة الانكليزية ABSTRACT